

# مارکس انجیلس

مختارات



marx, Karl, 1818-1883.

# ماركس انجلىس

## مختارات

في اربعة اجزاء

٧٣

الجزء الثالث -

١٩٧٥



دار التقدم

موسكو

١٩٧٥ ج ٣

139

5

1.212

1975

vol.3

Orien

Arab

**К. МАРКС и Ф. ЭНГЕЛЬС**  
**ИЗВРАННЫЕ ПРОИЗВЕДЕНИЯ**

**Часть III**

*На арабском языке*

2 - AUG - 7<sup>L</sup>  
Сору ..... 1975

## انجلس

### دور العمل في تحول القرود الى انسان ( ١ )

العمل ، كما يقول علماء الاقتصاد السياسي ، مصدر كل ثروة وهو كذلك فعلا مع الطبيعة التي تقدم له المادة التي يحولها الى ثروة ولكنه ايضا اكبر من ذلك بما لا حد له انه الشرط الاساسي الاول لكل حياة انسانية ، وهو كذلك الى درجة انه يترتب علينا ان نقول بمعنى ما ، ان العمل قد خلق الانسان بالذات ،

منذ مئات ومئات الالاف من السنين ، في حقبة لا يزال يستحيل تحديدها بدقة ، في حقبة من هذا العهد من تطور الارض الذي يسميه الجيولوجيون العهد التكويني الثالثي ، ومن المحتمل في نهايته ، كان يعيش في مكان ما من المنطقة الاستوائية - واغلب الظن في قارة شاسعة تضرها اليوم مياه المحيط الهندي - جنس من القرود الشبيهة بالانسان بلغ درجة عالية جدا من التطور . وقد اعطانا داروين وصفا تقريبا عن هذه القرود التي كانت اجدادنا . فقد كان الشعر يكسو جلدها بكليته وكانت لها لحمي وآذانها مقرنة ، وكانت تعيش قطعانا على الاشجار ( ٢ ) .

وبتأثير من نمط حياتها الذي يتطلب ان تقوم الايدي عند التسلق بو وظائف غير وظائف الارجل - واغلب الظن ان هذا السبب هو السبب الاول - شرعت هذه القرود تفقد عادة الاعتماد على

ايديها للمشي على الارض واتخذت اكثر فاكثر مشية عمودية وهكذا تمت الخطوة العاسمة للانتقال من القرد إلى الانسان .

ان جميع القروء الشبيهة بالانسان والتي لا تزال تعيش في ايماننا ، تستطيع الوقوف باستقامة والتنقل على رجلها فقط ، ولكنها لا تفعل هذا الا عند امس الاقتضاء وباقصى الخراقة اما مشيتها الطبيعية فتجري بوضع نصف عمودي وتقتضي استعمال الايدي ومعظم هذه القروء تسند على الارض ، عند المشي ، السلاميات المتوسطة من اصابع يديها المطوية وتطوي رجلها الى جسمها وتدفع بجسمها الى امام بين يديها الطويلتين كمشلول يمشي على عكازتين ولا يزال بوسعنا اليوم على وجه العموم ان نلاحظ عند القروء جميع مراحل الانتقال من المشي على القوائم الاربع الى المشي على الرجلين ولكن هذه الطريقة الاخيرة في المشي لم تتجاوز قط عند اي منها مستوى وسيلة اضطرارية تستعمل عند امس الحاجة

واذا كان المشي العمودي قد كتب له ان يذود عند اجدادنا الشرعيين القاعدة اولا وضرورة ثانياً ، فهذا يعترض انه كان على الايدي في ذلك الوقت ان تقوم اكثر فاكثر بنشاطات من انواع اخرى . وحتى عند القروء يوجد نوع من تقسيم العمل بين الايدي والارجل فاليد ، كما قلنا ، تستعمل عند التسلق على غير ما تستعمل الرجل فاليد تستعمل في الغالب للقطف ولمسك الغذاء كما يفعل بعض الضرعيات الدنيا بقوائمها الامامية وبعض من القروء تستعمل اليد لبناء الاوكار في الاشجار ، او حتى كما يفعل الشمبانزه ، لبناء السطوح بين الاغصان وقاية من سوء الطقس وباليد تمسك القضبان للدفاع عن انفسها ضد الاعداء او ترجمهم بالامار والحجاة . وباليد تقوم في الاسر ببعض العمليات البسيطة

التي تقلد بها الانسان ولكن ، هنا على وجه الضبط ، يبدو كل الفرق بين يد القرد غير المتطورة ، حتى وإن كان أكثر القروء شبيها بالانسان ، وبين يد الانسان التي رفعها العمل طوال آلاف القرون الى درجة عالية من الاتقان ان عدد العظام والمضلات وترتيبها العام متماثلان عند يد القرد ويد الانسان ، ولكن يد الانسان المتوحش البدائي الادنى تستطيع القيام بمئات من العمليات لا تستطيع ابدأ يد اي قرد ان تقلدها . فان يد القرد ، اي قرد ، لم تصنع قط في يوم من الايام اي سكين حجرية ، وإن غاية في الفظافة

ولذا فان العمليات التي تعلم اجدادنا خلال آلاف وآلاف السنين تكييف يدهم لها شيئاً فشيئاً في مرحلة الانتقال من القرد الى الانسان ، لم تكن في البدء الاعمال في غاية البساطة . ان ادنى المتوحشين ، حتى اولئك الذين يمكن الافتراض انهم انحطوا الى حالة قريبة جداً من حالة الحيوان وانقضوا جسدياً في نفس الوقت انما مستواهم ظل ارفع بكثير من مستوى هذه المخلوقات الانتقالية . فقبل ان تصنع يد الانسان من الحجر اول سكين ، انقضت ، حسب كل احتمال ، حقبة طويلة جداً بحيث تبدو ازاءها المرحلة التاريخية التي نعرفها ، شيئاً تافهاً لا وزن له ولكن الخطوة العاسمة كانت قد تمت **ان اليد قد تهرورت وغدا بوسعها مذ** ذلك ان تكتسب اكثر فاكثر مهارات جديدة ، والمرونة المتنامية على هذا النحو انتقلت بالوراثة وازدادت جيلاً اثر جيلاً

وهكذا فان اليد ليست اداة العمل وحسب ، انما هي ايضاً **نتاج العمل** . فبفضل العمل فقط ، بفضل التكييف لعمليات جديدة ابدأ ، بفضل توارث التطور الخاص الذي اكتسبته العضلات وربط العظام على هذا النحو ، وكذلك العظام ذاتها على فترات

اطول ، وبفضل تطبيق هذه الاتقانات المنتقلة بالوراثة تطبيقا يتجدد بلا انقطاع على عمليات جديدة تزداد تعقداً على الدوام - بفضل ذلك كله ، بلغت يد الانسان هذه الدرجة العالية من الاتقان التي استطاعت فيها ان تفجر ، كقوة سحرية ، عجائب لوحات رفائيل ومائيل تورفالدسن وموسيقى باغانيني

ولكن اليد لم تكن منعزلة . انما كانت مجرد عضو من اعضاء جهاز عصوي كامل غاية في التعقيد وما كان يفيد اليد ، كان يفيد الجسم كله الذي كانت تعمل في خدمته - وذلك بطريقتين

الطريقة الاولى ، بموجب قانون تناسب النمو كما اسماه داروين . فان اشكالا معينة لثقب اجزاء كائن عضوي هي ، حسب هذا القانون ، مرتبطة دائماً باشكال معينة لاجزاء اخرى ، يظهر ان ليس لها اية رابطة بالاجزاء الاولى . مثلاً . ان جميع الحيوانات بلا استثناء ، التي لها كريات حمراء بدون نواة خلوية والتي يربط قذالها بالفقرة الاولى من العمود الفقري بواسطة مفصل مزدوج ، انما لها ايضاً غدد ضهرية لارضاع صفارها فعند الضرميات مثلاً نرى ان الاظلاف تلتقي دائماً مع المعدة المعقدة التي تلائم عملية الاجترار . ان تغير اشكال معينة يؤدي الى تغير اشكال اجزاء اخرى من الجسم وان لم يكن بإمكاننا تفسير هذا الترابط فالقطط البيضاء الناصعة ذات العيون الزرقاء هي دائماً ، او تكاد تكون دائماً ، طرشاء ان تحسن يد الانسان تدريجياً وتطور وتكيف الرجل في آن واحد للمشي العمودي قد كان لها بدورها بكل تأكيد ، وكذلك بموجب قانون تناسب النمو ايضاً ، رد فعل في اجزاء اخرى من الجهاز العضوي غير ان هذا التأثير ما تزال دراسته ضعيفة جداً فلا يمكن لنا بالتالي ان نفعل هنا غير ان نشير اليه اشارة عامة .



ولكن ما هو أهم بكثير انما هو رد الفعل المباشر ، الذي يمكن اباته ، لتطور اليد على باقي الجهاز العضوي . فان اجدادنا اشباه القروء كما سبق وقلنا كانوا حيوانات اجتماعية ، ومن البديهي تماما انه يستحيل علينا القول ان الانسان ، وهو اوفر الحيوانات نزعة اجتماعية ، يتحدر من سلف مباشر غير اجتماعي . ان السيطرة على الطبيعة ، ان هذه السيطرة التي بدأت مع تطور اليد ، مع العمل ، قد وسعت الفجوة الانسان لدى كل خطوة الى الامام . فقد كان يكتشف على الدوام ، في اشياء الطبيعة ، خصائص جديدة لم يكن يعرفها سابقا ومن جهة اخرى ، اسهم تطور العمل ، بالضرورة ، في تمتين الصلات بين اعضاء المجتمع اوفق فائق باكثره حالات العون المتبادل والنشاط المشترك ، وبتوضيحه اكثر فاكتر ادراك فائدة هذا النشاط المشترك لكل فرد . وبكلمة موجزة ، توصل الناس بسبيل التكون الى نقطة ظهرت فيها عندهم الحاجة الى ان يقول احدهم للاخر شيئا ما . فخلقت الحاجة لنفسها عضوا ، وبفضل التلحين تحولت حنجرة القرد غير المتطورة ، تحولت ببطء ولكن بتاكيد ، لكي تتكيف لتلحين ما ينفك في تطور ، وتعلمت اعضاء الفم شيئا فشيئا ان تلفظ اصواتا بَيِّنَة ، واحدا بعد آخر ، ان تنطق .

ان المقارنة مع الحيوانات تثبت بالبرهان ان هذا التفسير لمنشأ الكلام الذي ولد من العمل ورافقه ، هو التفسير الوحيد الصحيح . ذلك ان ما تحتاج الحيوانات حتى اكثرها تطورا الى ابلاغه بعضها بعضا ، زهيد ، وتستطيع ابلاغه دون اللجوء الى

\* نطق تكلم بصوت وحروف تعرف بها المعاني . ( المنجد . )  
ويقال : الانسان حيوان ناطق . المعرب .

الكلام ، الى اللفظ البَيِّن ، الى النطق . وما من حيوان في الطبيعة يشعر باي نقص لكونه لا يستطيع ان يتكلم او يفهم لغة الانسان . ولكن الامر على خلاف ذلك حين يروضه الانسان ففي العلاقات مع الناس ، اكتسب الكلب والحصان اذنا سريعة الحس للنطق حتى ان بوسعهما ان يتعلما بسهولة فهم كل لغة ضمن حدود حقل تصورهما . وقد اكتسبا فضلا عن ذلك القدرة على الشعور مثلا بالتعلق بالانسان ، بالامتنان ، والخ . ، اي بمشاعر كانت غريبة عنهما فيما مضى وكل من كانت له شؤون كثيرة مع هذين الحيوانين يصعب عليه ان يتملص من الاقتناع بانه يوجد ما يكفي من الحالات التي يشعران فيها الآن بان عجزهما عن النطق بمشابة نقص يستحيل ، مع الاسف ، علاجه نظراً لتخصص اعضائهما الصوتية تخصصاً كبيراً جداً في ناحية معينة ولكن حيث يوجد العضو المناسب يمكن ان يزول هذا العجز ايضاً ضمن بعض الحدود . وبقينا ان الاعضاء الفمية عند الطيور تختلف اختلافاً جذرياً عنها عند الانسان ، ومع ذلك فان الطيور هي الحيوانات الوحيدة التي تستطيع ان تتعلم الكلام ، والطيء الذي صوته اكره الاصوات ، اي البيغاء ، هو الذي يتكلم خيراً من سائر الطيور . ولا يعترضن احد بان البيغاء لا يفهم ما يقول لا ريب انه يكرر هاذراً طوال ساعات كل ما حفظه لمجرد لذة الكلام ولذة الوجود في عشرة الناس . ولكنه يستطيع ايضاً ، ضمن حدود حقل تصوره ، ان يتعلم فهم ما يقوله علم بيغاء الشتائم على نحو يكون عن معناها فكرة ما (وللك تسلية من التسلية التي يحبها ويفضلها البحارة الذين يعودون من المناطق الاستوائية) أثيره ، فسرعان ما ترى انه يعرف استعمال فتائله في محلها ، وكما ينبغي ، كبائعة خضار برلينية . كذلك هو شأنه حين يشعل الحلوى والطيئات .

اولا العمل ، وبعده ، وفي الوقت نفسه النطق ذلك هما الحافزان الأساسيان للدان تحول بتأثيرهما دماغ القرد فشيئا فشيئا الى دماغ انساني ، مع العلم ان دماغ الانسان ، رغم كل الشبه ، يتجاوز دماغ القرد كثيرا من حيث الحجم والكمال ومع تطور الدماغ ، والى جانبه ، تطورت ايضا باستمرار ادواته المباشرة - اعضاء الحواس وكما ان تطور النطق تدريجيا يرافقه بالضرورة تحسن مقابل في عضو السمع ، كذلك فان تطور الدماغ يرافقه ، على وجه العموم ، ترقي جميع الحواس بمجملها . ان نظر النسر ابعد مدى بكثير من نظر الانسان ، ولكن عين الانسان تلاحظ في الاشياء اكثر بكثير مما تلاحظ عين النسر وانف الكلب ادهف بكثير من انف الانسان ، ولكنه لا يميز جزءا من مئة جزء من الروائح التي هي بالنسبة للانسان علائم اكيدة لاشياء شتى . وحاسة اللمس التي تكاد تكون موجودة عند القرد باشد اشكالها بدائية وفضاظة ، لم تتطور الا مع تطور يد الانسان نفسها ، بفضل العمل .

ان تطور الدماغ والحواس الخاضعة له ، وتماطم وضوح الادراك ، وتحسن القدرة على التجريد والتصميم - كل هذا اثر في العمل والنطق وما انفك يبيث في كل منهما دفعات جديدة ابدأ لكي يستمرا في تطور دائم وهذا التطور لم ينته حين الفصل الانسان نهائيا عن القرد ، بل انه ، على العكس ، استمر مد ذلك ؛ فلقد سار اشواطا الى الامام ، اشواطا تختلف من حيث المدى والاتجاه ، باختلاف الشعوب واختلاف العهود ، اشواطا انقطعت احيانا بسبب من تقهقر محلي مؤقت ، ولكنه ، على العموم ، سار الى الامام بخطى ثابتة قوية ، متلقيا من جهة دفعة جديدة جبارة ، ومن جهة اخرى توجيهها اوضح وادق ، وذلك

من عنصر جديد انبثق علاوة مع ظهور الانسان المكتمل ، وهذا المنصر انما هو المجتمع .

اغلب الظن ان مئات الالاف من السنين - اي حقبة من الزمن اهميتها في تاريخ الارض ليست اكبر من اهمية ثانية في حياة الانسان . - قد انقضت قبل ان يخرج من قطع القروء التي تتسلق الاشجار مجتمع من الناس ولكن هذا المجتمع ظهر في آخر المطاف . وماذا نجد هنا من فرق مميز بين قطع القروء والمجتمع الانساني ؟ العهل . كان قطع القروء يكتفي باستنفاد ماكل المنطقة التي تعود له والتي تتحدد مساحتها بحكم الاحوال الجغرافية او بحكم درجة مقاومة القطعان المجاورة ؛ وكان يتنقل من مكان الى آخر ويدخل في صراع مع القطعان المجاورة لكي يظفر بمنطقة جديدة غنية بالماكل ، ولكنه كان عاجزاً عن ان يستخلص من منطقتة الغذائية اكثر مما توفره هذه المنطقة بحالتها الطبيعية باستثناء انه كان يسمد هذه المنطقة ببرازة دون وعي ولا قصد وما ان تم احتلال جميع الاراضي التي من شانها ان تفذي القروء حتى استحال ازدياد عدد القروء وفي افضل الحالات كان بالامكان ان يستقر عدد القروء . ولكن جميع الحيوانات تبدد الماكل تبديداً لا حد له ، حتى انها تقضي غالباً على المواد الغذائية الجديدة وتبيدها في بدورها واصولها ان الذئب ، خلافاً للصيد ، لا يوفر العنزة التي ستعطيها الجداء في

• حسب السير ولهام طومسون ، وهو غير فد له كلمته المسمومة في هذا الميدان ، ان اكثر من مائة مليون سنة بالليل قد انقضت ، اغلب الظن ، منذ ان ابتردت الارض الى حد اتاح للنباتات والحيوانات ان تحيا عليها .

السنة التالية . وفي اليونان ، نجد ان المعز التي تاكل الشجيرات الفتية الصغيرة قبل ان يتوافر لها الوقت للنمو ، قد جعلت جميع جبال هذا البلد قاحلة جرداء . ان هذا والتصرف الافتراضي ، عند الحيوانات يضطلع بدور هام في تحول الاجناس التدريجي ، اذ يجبرها على التكيف وفقاً لماكل جديد غير الماكل العادي ، وبذلك يكتسب دمها تركيباً كيمياوياً آخر ، ويتغير بنيتها الفيزيائي (الجسدي) بكميته شيئاً فشيئاً ، بينما تتلاشى وتزول الاجناس الثابتة التي لا يتغير فيها شيء . ولا سبيل الى الشك في ان هذا التصرف الافتراضي قد اسهم بقسط كبير جداً في تحول اجدادنا الى بشر . فعند جنس من القرود يتفوق كثيراً على جميع الاجناس الاخرى من حيث الذكاء وقدرة التكيف ، كان لا بد ان تؤدي عادة التصرف الافتراضي هذا الى النتائج التالية وهي ان عدد النباتات التي يتالف منها غذاء هذا الجنس اخذ يزداد شيئاً فشيئاً ، وان الاجزاء الصالحة للأكل من هذه النباتات اصبحت تستهلك باعداد ومقادير متزايدة ابدأ ، اي ان الماكل اخذ يتنوع اكثر فاكثر ، وبالتالي ، العناصر الداخلة في الجهاز العضوي ، مما اوجد الشروط الكيماوية لتحول هذه القرود الى انسان ولكن كل هذا لم يكن بعد العمل بالذات فقد بدأ العمل من صنع الأدوات . ولكن ما هي اقدم الأدوات التي نجدها ، اي اقدم الأدوات بين الاشياء المكتشفة الموروثة عن انسان ما قبل التاريخ ومن حيث نمط حياة الشعوب الاولى في التاريخ وكذلك من حيث نمط حياة المتوحشين الحاليين ، البدائيين ؟ انها أدوات لصيد الحيوانات البرية ولصيد الاسماك ، مع العلم ان الأدوات الاولى كانت تستخدم في الوقت نفسه سلاحاً ولكن صيد الحيوانات البرية وصيد السمك يفترضان الانتقال من التغذية النباتية الصرف

الى استهلاك اللحم مع النبات في آن واحد ، وهذا يعني خطوة هامة جديدة نحو التحول الى الانسان لقد كآت التغذية اللحمية تتضمن المواد الاساسية التي تحتاج اليها العضوية للتخمر الغذائي في خلاياها ، وتتضمنها جاهزة تقريباً . ومع تقصيرها مدة الهضم ، كانت تقصر ايضاً في العضوية مدة سائر التفاعلات النباتية ( اي التي تنطبق على تفاعلات حياة النباتات ) وتوفر بالتالي مزيداً من الوقت ومزيداً من المادة ومزيداً من الطاقة من اجل تجلي الحياة الحيوانية تجلياً نشيطاً بمعنى الكلمة الاصلي وبقدر ما كان الانسان بسبيل التكون يعتمد من مملكة النباتات ، بقدر ما كان يرتفع ايضاً فوق الحيوان وكما ان تكيف القطط والكلاب المتوحشة للتغذية النباتية الى جانب اللحم قد اسهم في جعلها خدماً للانسان ، كذلك تكيف الانسان للتغذية اللحمية الى جانب التغذية النباتية قد اسهم بقسط اساسي في منح الانسان بسبيل التكون مزيداً من القوة الجسدية والاستقلال . ولكن التأثير الجوهرى الاهم انما كان تأثير التغذية اللحمية في الدماغ اذ اخذ الدماغ يتلقى المواد الضرورية لتغذيته وتطوره بمقادير اوفر بكثير مما مضى ، واذا استطاع بالتالي ان يتطور بمزيد من السرعة وبمزيد من الكمال من جيل الى جيل . وسواء اطاب للنباتيين • ام لا ، فان الانسان لم يصبح الانسان دون التغذية اللحمية ؛ وحتى اذا كانت التغذية اللحمية قد ادت في هذا العهد او ذاك عند جميع الشعوب التي تعرف الى اكل لحوم البشر ( ان اجداد البرلانيين ، الفيليتاب ، لو الفيلز ، كانوا لا يزالون ياكلون آباءهم في القرن العاشر ) ، فان هذا الامر ليس من شأنا الان .

• انصار التغذية النباتية دون اللحمية . المهرب .

ان التغذية اللحمية قد اسفرت عن خطوتين جديدتين حاسمتين الى الامام : استعمال النار وتدجين الحيوانات . فالخطوة الاولى ( استعمال النار ) قصرت اكثر ايضاً عملية الهضم ، اذ زودت الفم بغذاء نصف مهضوم ، اذا جاز القول ، والخطوة الثانية ( تدجين الحيوانات ) جعلت التغذية اللحمية اكثر وفرة اذ امنت لها ، الى جانب صيد الحيوانات البرية ، مصدراً جديداً واكثر انتظاماً ، كما امنت لها ، علاوة على ذلك غذاء جديداً من الحليب ومشتقاته تعادل قيمته من حيث تركيبه قيمة اللحم على الاقل وهكذا غدت الخطوة الاولى والخطوة الثانية ، بطريقة مباشرة ، وسيلتين جديدتين للانسان من اجل التحور . وقد نشطت بعيداً عن الموضوع اذا تناولنا هنا بالتفصيل مفاعيلهما غير المباشرة رغم ما اتسمت به من اهمية كبرى بالنسبة لتطور الانسان والمجتمع

وكما تعلم الانسان ان ياكل كل ما هو صالح للأكل ، كذلك تعلم ان يعيش في كل المناخات . وانتشر في الارض الصالحة للسكن قاطبة ، هو الحيوان الوحيد الذي كان يوسعه ان يفعل ذلك بنفسه اما سائر الحيوانات التي تكيفت وتماثلت في كل مكان ، فانها لم تتعلم هذا الامر بنفسها ، بل تعلمته من اللحاق بالانسان فقط ، وهذه الحيوانات انما هي الحيوانات الداجنة والهوام . والانتقال من حرارة المناخ المستقرة في الوطن الاصلي الى مناطق ابرد حيث السنة تنقسم الى شتاء وصيف ، خلق حاجات جديدة : الحاجة الى السكن واللباس اتقاء من البرد والرطوبة ، مما فتح السبيل امام فروع جديدة من العمل وامام نشاطات جديدة ابعدت الانسان اكثر فاكثر عن الحيوان .

وبفضل تinasق عمل اليد والدماغ واعضاء النطق لا عند كل فرد من الافراد وحسب ، بل في المجتمع ايضاً ، اصبح بمقدور الناس ان يقوموا بعمليات اكثر فاكثر تعقيداً وان يستهدفوا ويبلغوا اهدافا ارفع ارفع ومن جيل الى جيل اختلف العمل نفسه وازداد اكمالاً وتنوعاً والى صيد الحيوانات البرية وتربية المواشي انضمت الزراعة ومن ثم الغزل ، والحياكة ، وتكييف المعادن ، وصنع الآنية الفخارية ، والملاحة واخيراً ظهر الفن والعلم الى جانب التجارة والصناعة الحرفية ؛ وتحولت القبائل الى امم ودول . وتطور القانون والسياسة ، وتطور معهما في الوقت نفسه انعكاس الحياة الانسانية الغريب المدهش في رأس الانسان ، اي الدين . وازاء جميع هذه التكوينات التي ظهرت بالدرجة الاولى على انها من نتاجات الرأس والتي بدت كانها تسود المجتمعات البشرية ، انتقلت نتاجات عمل الايدي ، وهي اكثر تواضعاً من نتاجات الرأس ، الى المرتبة الثانية خصوصاً وان الرأس الذي كان يضع خطة العمل ، حتى في مرحلة مبكرة جداً من تطور المجتمع ( مثلاً في الاسرة البدائية ) ، كان بإمكانه ان ينفذ العمل الذي يقرره بايد غير يديه . والى الرأس ، الى تطور الدماغ ونشاطه ، نُسبَت كلُّ مائة سرعة تطور الحضارة واعتاد الناس ان يفسروا نشاطهم بتفكيرهم بدلا من ان يفسروه بحاجاتهم ( التي تنعكس مع ذلك بكل تأكيد في رؤوسهم وتصبح واعية ) ، وهكذا نشأ مع الزمن هذا المفهوم المثالي من العالم ، الذي ساد العقول ولا سيما منذ انهيار العالم القديم وما يزال هذا المفهوم سائداً الى حد ان اوفر علماء الطبيعة نزهة مادية من مدرسة داروين لا يستطيعون حتى الآن ان يتكلموا بفكرة واضحة عن منشأ الانسان اذ انهم ، بحكم التأثير الفكري المشار اليه ، لا يرون الدور الذي اضطلع به العمل في هذا .



ان الحيوانات ايضا ، كما سبق وافرنا عرضاً ، شأنها شأن الانسان ، تعدل الطبيعة الخارجية بنشاطها ، وان بمقياس اقل ، والتعديلات التي تجريها في محيطها تؤثر بدورها فيها ، كما رأينا ، اذ تحدث فيها تعديلات معينة ، ذلك لأنه لا شيء يحدث في الطبيعة بصورة منزلة . ان كل ظاهرة تؤثر في الاخرى والعكس بالعكس ، ولأن علماء الطبيعة ينسون في معظم الاحيان هذه الحركة الشاملة وهذا التفاعل المتبادل الشامل ، فانهم لا يستطيعون ان يكونوا فكرة واضحة عن ابسط الاشياء . لقد رأينا كيف يحول المعز دون تجدد غابات اليونان . وفي جزيرة القديسة هيلين تمكنت رؤوس المعز والخنازير التي جاء بها اوائل الملاحين الذين بلغوا هذه الجزيرة ، من ان تستاصل النباتات القديمة وتبيدها كلياً تقريباً ، وهيات ، بالتالي ، التربة التي استطاعت ان تنتشر فيها النباتات التي حملها فيما بعد الملاحون الآخرون والمعمرون . ولكن حين تؤثر الحيوانات تأثيراً مديداً في الطبيعة المحيطة بها فان هذا التأثير يتم دون ارادة منها ، وهو بالنسبة لهذه الحيوانات بالذات مجرد صدفة والحال ، بقدر ما يبتعد الناس عن الحيوان ، بقدر ما يتخذ فعلهم في الطبيعة طابع نشاط مقصود ، منهجي ، يرمي الى غايات معينة ، معروفة سلفاً ان الحيوان يقضي على نبات منطقة ما دون ان يعرف ما يفعل . بينا الانسان يقضي على هذا النبات لكي تصبح التربة صالحة للاستعمال فيزرع فيها الحبوب ، او يفرس فيها الاشجار او الكرمة ، عارفاً انها ستعود عليه ، عند الحصاد او القطف ، بما يزيد مرات مما زرعه او غرسه . وهو ينقل نباتات مفيدة وحيوانات داجنة من بلد الى آخر ، فيعدل بالتالي عالم النباتات وعالم الحيوانات في قارات برمتها . وفضلاً عن ذلك ، تحول يد الانسان النباتات

والحيوانات عن طريق شق وسائل التربية والاصطفاء الاصطناعية الى حد انه لا يبقى بالامكان معرفتها . وحتى الآن يستمر البحث عن النباتات البرية التي تتحدر منها انواع حيواننا ولا يزال النقاش يدور لمعرفة اي حيوان بري تتحدر منه كلابنا وهي على ما هي عليه من اختلاف كبير ، واجناس خيلنا على كثرتها واختلافها

ولكنه غني عن البيان انه لا يخطر في بالنا ان ننكر على الحيوانات قدرة التصرف على نحو منهجي عن سابق قصد بل بالعكس فان نمطا من العمل المنهجي موجود بصورة جنينية في كل مكان توجد فيه جِبِلَّةٌ \* (protoplasme) آحين حي ، له رد فعل ، اي يقوم بحركات معينة ، مهما كانت بسيطة للغاية ، بسبب من تهيجات خارجية معينة . ويحدث رد الفعل هذا حيث لا يوجد بعد حق خلية ، او بالاحرى خلية عصبية ان الطريقة التي تأسر بها النباتات آكلة الحشرات ، فريستها تبدو ايضا الى حد ما منهجية ، وان تكن لا واعية اطلاقا . ان القدرة على التصرف بطريقة واعية ، منهجية ، تتطور عند الحيوانات بقدر ما يتطور الجهاز العصبي ، وهي تبلغ عند الضرعيات مستوى رفيعا نوعا ففي صيد الثعالب ومطاردتها بواسطة الكلاب ، كما هو عليه في انجلترا ، يمكن ان نلاحظ دائما باية دقة ومهارة يعرف الثعلب كيف يستفيد من واسع معرفته للاماكن لكي يفلت من مطارديه ، والى اي حد يعرف ويستخدم جميع فوائد تضاريس التربة التي تقطع جبل المطاردة . وعند حيواناتنا الداجنة التي طورتها عشرة الناس اكثر ايضا ، يمكن ان نلاحظ كل يوم علائم من الدهاء

\* او المادة التي تتكون منها خلية الاجسام الحية . للمعرب .

تشبه كلياً علائم الدهاء التي نلاحظها عند الاطفال فكما ان تاريخ تطور الجنين الانساني في رحم والدته ليس سوى تكرار موجز لتاريخ التطور الجسدي عند اجدادنا الحيوانيين طوال ملايين السنين ابتداء من الدودة ، كذلك تطور الطفل الفكري هو تكرار اوجز واكثف للتطور الفكري عند هؤلاء الاجداد ، عند الاخيرين منهم على الاقل ولكن مجمل النشاط المنهجي عند جميع الحيوانات لم يستطع ان يطبع الطبيعة بطابع ارادتها الا ان الانسان وحده استطاع ان يفعل ذلك

وهكذا ، بكلمة موجزة ، نقول ان الحيوان يستفيد من الطبيعة الخارجية فقط ويدخل عليها تعديلات بمجرد وجوده بينا الانسان يحملها على خدمة اغراضه بما يدخل عليها من تغييرات ويسيطر عليها وفي هذا يقوم الفرق الجوهرى الاخر بين الانسان وسائر الحيوانات ، وهذا الفرق انما يدين به الانسان ايضا للعمل •

بيد انه يترتب علينا الا نغالي في تقدير انتصاراتنا على الطبيعة . فهي تنتقم منا عن كل انتصار نحرضه يقينا ان كل انتصار ينطوي بالدرجة الاولى على النتائج التي توقعناها ، ولكنه ينطوي ايضا بالدرجة الثانية والثالثة على مفاعيل مختلفة تماما ، غير متوقعة ، تقضي في كثير من الاحيان على اهمية هذه النتائج الاولى فان الناس الذين استاصلوا الغابات في بلاد ما بين النهرين ، واليونان ، وآسيا الصغرى وغيرها من المناطق لكسي يكسبوا ارضا صالحة للحراثة ، كانوا ابعد من ان يتوقعوا انهم بذلك انما يمهدون للمحل الشامل السائد حالياً في هذه البلدان ،

اذ دمروا مع الغابات مراكز تجمع الرطوبة وصيانتها وعلى السفوح الجنوبية من جبال الالب لم يخطر قط ببال الجبليين الايطاليين الذين كانوا يبيدون غابات الصنوبر ، التي يحافظ عليها بفائق العناية في السفوح الشمالية ، انهم بذلك انما كانوا يقوضون تربية المواشي في اراضيهم الجبلية العالية ؛ وكانوا بالاحرى لا يتوقعون انهم على هذا النحو انما يحرمون ينابيعهم الجبلية من الماء طوال القسم الاكبر من السنة ، وان هذه الينابيع تستصب على السهل ، في موسم الامطار ، تيارات اقوى واصعب بسبب من قطع الاشجار والذين نشروا البطاطا في اوروبا لم يكونوا يدركون انهم مع البطاطا انما كانوا ينشرون ايضا السكّنة . وهكذا تذكرنا الوقائع لدى كل خطوة باننا لا نسود مطلقا على الطبيعة ، كما يسود الفاتح على شعب غريب ، او كما يسود شخص كانما هو من خارج الطبيعة ، بل انما نخصها نحن هذه الطبيعة بلحمنا ، ودمنا ، وماغنا ، واننا في حضنها ، وان كل سيطرتنا عليها تقوم في كوننا ، خلافا لجميع المخلوقات الاخرى نستطيع ان نعرف قوانينها ونستطيع ان نستخدم هذه القوانين بسداد وصواب

وبالفعل ، نحن نتعلم كل يوم ان ندرك هذه القوانين بمزيد من الصحة وان نعرف النتائج البعيدة والقريبة لتدخلنا النشيط في مجرى امور الطبيعة العادي . ولقد اصبح يوسعنا اكثر فاكثر ، ولا سيما بعد الخطوات الهائلة التي قطعها علم الطبيعة الى الامام في هذا القرن ، ان نعرف كيف نحسب ايضا النتائج الطبيعية

\* خراج في البدن او زيادة فيه كالنفدة بين الجلد واللحم .  
( المنجد . ) الهرب .

البعيدة لاهمالنا الجارية اليومية ، على الأقل في ميدان الانتاج ، وان نتعلم بالتالي كيف نروضها . ولكن بقدر ما تسير الامور في هذا السبيل ، بقدر ما يشعر الناس بل ويدركون من جديد انهم لا يؤلفون الا كلا واحداً مع الطبيعة ، وبقدر ما تستحيل تلك الفكرة الخرقاء والمنافية للطبيعة ، القاطلة بالانتزاع بين الروح والمادة ، بين الانسان والطبيعة ، بين الروح والجسد - تلك الفكرة التي انتشرت في لوروبا منذ عهد الانحطاط في العصور الكلاسيكية القديمة والتي عرفت مع المسيحية اعلى درجات تطورها .

ولكن اذا كان ترب العمل طوال آلاف السنين لكي نتعلم الى حد ما كيف نحسب سلفا النتائج الطبيعية البعيدة لاهمالنا الرامية الى الانتاج ، فلقد كان الحال اصعب بكثير ايضا فيما يتعلق بالنتائج الاجتماعية البعيدة لهذه الاعمال . لقد اضرنا الى البطاطا والى السلعة التي رافقت انتشارها . ولكن ما هي السلعة الى جانب النتائج التي اسفر عنها حصر غذاء السكان الكادحين بالبطاطا فقط على شروط حياة الجماهير الشعبية في بلدان برمتها ؟ وما هي السلعة الى جانب المجاعة التي اجتاحت ايرلنده عام ١٨٤٧ اثر مرض البطاطا وقادت الى القبر مليوناً من الايرلنديين لا يتفلون او يكادون الا من هذه البطاطا ، وقذفت بمليونين آخرين منهم الى الشاطئ الاخر من الاوقيانوس ! وحين تعلم العرب تقطير الكحول ، لم يخطر في بالهم قط ، انهم انما ابتدعوا احدى الادوات الرئيسية التي سيصار الى استعمالها فيما بعد لآبادة السكان الاصليين في اميركا التي لما تكتشف حينذاك ولمعوم من على وجه البسيطة وحين اكتشف كولومبس اميركا هذه ، لم يكن يعرف انه بهذا الاكتشاف انما بعث من جديد الرق الذي كان قد زال من اوروبا منذ زمن طويل وارسي اسس النخاسة بالزواج .

والذين عملوا في القرنين السابع عشر والثامن عشر على ابتكار الآلة البخارية لم يخطر ببالهم أنهم انما يبتدعون الاداة التي ستسهم اكثر من اية اخرى في تحويل العلاقات الاجتماعية في العالم بأسره تحويلا ثوريا والتي ستؤمن ، خصوصا في اوروبا ، بحصر الثروة في يد الاقلية وتحويل الاغلبية الساحقة الى بروليتاريا ، ستؤمن اولا السيطرة السياسية والاجتماعية للبرجوازية ، ولكنها ستولد فيما بعد بين البرجوازية والبروليتاريا تقالا طبقيلا لا بد ان ينتهي باسقاط البرجوازية وازالة جميع التناقضات الطبقية ولكننا حتى في هذا الميدان نتعلم شيئا فشيئا ، واثر تجربة طويلة ، وغالبا قاسية ، وعن طريق مقارنة المواد التاريخية وتحليلها ، كيف تستشف النتائج الاجتماعية البعيدة وغير المباشرة لنشاطنا الانتاجي ، وهكذا تتوافر لنا ايضا امكانية السيطرة على هذه النتائج وضبطها

ولكن ، لاجل تحقيق هذا الضبط ، ينبغي اكثر من مجرد المعرفة . ينبغي انقلاب كامل في اسلوب انتاجنا القائم حتى الآن ، ومعه في كل نظامنا الاجتماعي الراهن

ان جميع اساليب الانتاج الماضية لم تبتغ الا بلوغ اقرب نتيجة مفيدة ، فورية ، للعمل . فكانت تترك جانبا تماما النتائج البعيدة ، النتائج التي لا تظهر الا فيما بعد ، التي لا تؤثر الا بفعل التكرار والتراكم التدريجيين . فقد كانت الملكية العامة البدائية للارض توافق من جهة مستوى من تطور الناس يعد افقهم ، على العموم ، بما كان الاقرب ، وتفترض من جهة اخرى بعض فائض من الارض يمكن التصرف به ويدع بعض المجال لتخفيف العواقب الوخيمة المحتملة التي قد تنجم عن هذا الاقتصاد البدائي . وحين استنفذ هذا الفائض من الارض ، تداعت الملكية

العامة ايضا واسفرت جميع اشكال الانتاج العليا التالية من تقسيم السكان الى طبقات مختلفة ومن ثم الى تعارض وتضاد الطبقات السائدة والطبقات المسودة ، المظلومة ونتيجة لذلك غدت مصلحة الطبقة السائدة العامل المحرك للانتاج ، بقدر ما كان الانتاج لا يقتصر على ابقاء المظلومين واعالتهم بارق حال . وهذا ما يحققه على اكمل وجه اسلوب الانتاج الرأسمالي السائد حالياً في اوربا الغربية . فان الرأسماليين الفرديين الذين يسيطرون على الانتاج والتبادل لا يمكنهم ان يهتموا الا باقرب نتيجة مفيدة لنشاطهم بل ان هذه النتيجة المفيدة - بقدر ما يكون المقصود الاستفادة من السلعة المنتجة او المبادلة - تهبط بكليتها الى المرحلة الثانية ، ويغدو الحصول على الربح عند البيع المحرك الوحيد .

\* \* \*

ان علم البرجوازية الاجتماعي ، الاقتصاد السياسي الكلاسيكي ، لا يتناول في الاساس الا النتائج الاجتماعية المقصودة مباشرة من الاعمال الانسانية الموجهة نحو الانتاج والتبادل وهذا ما ينطبق كل الانطباق على النظام الاجتماعي الذي هذا العلم تعبيره النظري فحيث ينتج الرأسماليون الفرديون ويبادلون قصد الربح المباشر ، لا يمكن ان يؤخذ بعين الاعتبار بالدرجة الاولى الا اقرب النتائج المباشرة فاذا باع الصناعي او التاجر ، بصورة افرادية ، البضاعة المنتجة او المشتراة ، وباعها بالربح المألوف ، فهو راض ولا يهتم ابدأ بما يحدث فيما بعد للبضاعة وشاريها . وتلك هي ايضا حال النتائج الطبيعية لهذه الاعمال ان الزراع الاسبانيين في كوبا ، الذين احرقوا الغابات على سفوح

الجبال ووجدوا في الرماد من الاسمدة ما يكفي لجبل واحد من اشجار القهوة الغنية المرود ، ماذا كان يهمهم اذا كانت الامطار الاستوائية ستجرف فيما بعد الطبقة الترابية السطحية التي لم يبق لها ما يحميها ولا تترك اثرها غير الصخور الجرداء وفي اعمال الناس ازاء الطبيعة والمجتمع على السواء لا يؤخذ بعين الاعتبار بالدرجة الاولى في اسلوب الانتاج الراهن الا اقرب نتيجة ملموسة ومن ثم لا يزال بعضهم يأخذ العجب لكون النتائج البعيدة للاعمال الرامية الى هذه النتيجة المباشرة مختلفة تماما عن هذه النتيجة المباشرة ، بل مضادة لها كليا في معظم الاحيان ؛ لكون الانسجام بين العرض والطلب ينقلب الى عكسه في القطب المقابل كما يبين لنا مجرى الدورة الصناعية كل عشر سنوات ، وكما اقتنعت ألمانيا بذلك اذ عانت فاتحة صغرة من مثل هذا الانقلاب اثناء «الافلاس» ( ٢ ) ؛ لكون الملكية الخاصة التي تركز على العمل الشخصي تتطور حتما نحو انعدام الملكية عند الشفيلة ، بينما تتجمع الملكية بكليتها اكثر فاكثر في ايدي غير الشفيلة ،  
 كون ... .

كتبه انجلس في عام ١٨٧٦ . صدر للمرة  
 الاولى في مجلة "Die Neue Zeit" ( ودي  
 نويه زايته ) ، المجلد ٢ ، العدد  
 ٤٤ ، ١٨٩٥-١٨٩٦



## النجس كارل ماركس

الرجل الذي كان اول من اعطى الاشتراكية وبالتالي عموم الحركة العمالية في ايامنا اساماً علمياً ، - واعني به كارل ماركس ، - ولد في مدينة تريبور سنة ١٨١٨ . في البدء درس الحقوق في بون وبرلين ، ولكنه سرعان ما اتصرف كلياً الى دراسة التاريخ والفلسفة . وفي سنة ١٨٤٢ ، كان على استعداد للشروع بالقاء محاضرات في الفلسفة بصفته استاذاً محاضراً ، واذا الحركة السياسية التي انبثقت بعد وفاة فريدريك غليوم الثالث توجه حياته في مجرى آخر . فان زعماء البرجوازية الليبرالية في اقليم الراين ، السادة كامبهاوزن وهانزيمان وغيرهما ، قد اسموا في مدينة كولونيا "Rheinische Zeitung" ، (الجريدة الرينانية) (٤) بمشاركة ماركس ؛ وفي خريف ١٨٤٢ ، دهم ماركس ، الذي كان قد احدث انطباعاً قوياً جداً بانتقاده للمناقشات في لاندتاغ اقليم الراين ، الى ترؤس تحرير الجريدة يقيناً ان

\* كارل ماركس ومناقشات لاندتاغ الراين السادس (المقالة الاولى) . المناقشات حول حرية الصحافة وحول نشر محاضر جمعية المراتب الطبقية ؛ ومناقشات لاندتاغ الراين السادس (المقالة الثالثة) . مناقشات حول القانون المتعلق بسرقة الغابات (راجع كارل ماركس وفريديريك انجلس . المؤلفات ، الطبعة الروسية الثانية ، المجلد ١ ، ص ص ٢٠-٨٤ و١١٩-١٦٠) . الناشر .

الجريدة كانت تصدر في ظل الرقابة ، ولكن الرقابة لم تستطع ان تتحكم بها . فان «الجريدة الرينانية» كانت تتوصل دائما تقريبا الى نشر المقالات التي كانت ضرورية . في البدء كانوا يرمون للرقيب باقل المواد قيمة لأجل الشطب الى ان يستسلم هو بنفسه او الى ان يضطر للتراجع خوفا من احتجاج الجريدة عن الصدور في اليوم التالي . ولو كانت هناك عشر جرائد اخرى تتحلل بشجاعة «الجريدة الرينانية» ويصدرها نافرون لا يضمنون ببضع مئات اضافية من التاليرات على الصف والطباعة ، لغدت الرقابة في المانيا مستحيلة منذ عام ١٨٤٣ . ولكن اصحاب الجرائد الالمان كانوا يروجون صفرا تافهين ، جنباء ، فغاضت «الجريدة الرينانية» غمار النضال وحدها واخرجت من الساح رقيباً بعد آخر واخيراً فرضت عليها رقابة ثنائية ، بحيث انه كان ينبغي ، بعد الرقابة الاولى ، ان يراقبها رئيس الحكومة مرة ثانية واخيرة ولكن هذا ايضا لم ينفع . وفي مطلع عام ١٨٤٣ ، اعلنت الحكومة انه يستحيل فعل اي شيء بهذه الجريدة ، فمنعتها بكل بساطة . فانتقل ماركس الى باريس ؛ وكان في هذه الاثناء قد تزوج من اخت الوزير الرجعي المقبل فون ويستفالن ؛ وفي باريس اخذ يصدر مع ارتولد روفه «Deutsch- Französische Jahrbücher» (والحولية الالمانيةالفرنسية) (٦) التي افتتح فيها سلسلة

\* كان المستشار البوليسي دوليشال اول رقيب على «Rheinische Zeitung» (والجريدة الرينانية) ؛ وهو ذلك الرقيب الذي شطب ذات مرة في «Kölnische Zeitung» (وجريدة كولونيا) (٥) اعلانا بترجمة للكوميديا الالهية، لدانته بقلم فيلاليه (الملك يوهان الساكسوني فيما بعد) ، مسجلا الملاحظة التالية : ولا لزوم لتدبيرج مهولة من الامسور الالهية .

ابحائه الاشتراكية ونقد فلسفة الحق عند هيغل» ثم اصدر مع فريدريك انجلس كتاب «العائلة المقدسة ضد برونو باور وشركاه» ، وهو نقد هجائي لشكل من الاشكال الاخيرة التي اردتها آنذاك المثالية الفلسفية الالمانية

ان دراسة الاقتصاد السياسي وتاريخ الثورة الفرنسية الكبرى قد تركت مع ذلك لماركس ما يكفي من الوقت لأجل مهاجمة الحكومة البروسية عندما تمنح الفرصة . وقد انتقمت منه الحكومة البروسية اذ استطاعت ان تحمل وزارة غيزو على نفي ماركس من فرنسا في ربيع ١٨٤٥ (٧) . وفي هذا ، اضطلع السيد الكسندر فون غومبولدت ، اغلب الظن ، بدور الوسيط . وانتقل ماركس الى بروكسل ونشر هناك في سنة ١٨٤٧ باللغة الفرنسية كتابه «بؤس الفلسفة» ، وهو نقد لكتاب «فلسفة البؤس» لبرودون ، ثم نشر في سنة ١٨٤٨ وخطاب بصدد حرية التجارة . وفي الوقت نفسه نجح في تأسيس رابطة العمال الالمان ببروكسل (٨) ، وفي الشروع بالتالي بالتحريض العملي وقد اكتسب التحريض بنظره مزيداً من الاهمية بعد ان انتسب هو واصدقاؤه السياسيون في عام ١٨٤٧ الى عصبة الشيوعيين السرية التي كانت قائمة منذ سنوات عديدة . فاجري على التنظيم كله تعديل جذري ؛ وتحولت العصبة من منظمة تأمرية الى هذا الحد او ذاك الى منظمة عادية للدعاية الشيوعية لا تلجأ الى السرية الا عند الاقتضاء ، وغدت اول منظمة للحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى وقد قامت العصبة حيث كانت توجد روابط للعمال الالمان . وكان الاعضاء القادة في كل هذه الروابط تقريباً الموجودة في بريطانيا وبلجيكا وفرنسا وسويسرا وفي عدد كبير جداً من هذه الروابط في المانيا اعضاء في العصبة ، وكان اشتراك العصبة في الحركة العمالية الالمانية

النافئة كبيراً جداً . وفضلاً عن ذلك ، كانت عصبتنا اول منظمة اشارت الى الطابع العالمي للحركة العمالية برمتها وبرهنت عليه فعلا اذ كان بين اعضائها بريطانيون وبلجيكيون ومجريون وبولونيون وغيرهم واذ عقدت اجتماعات عمالية عالمية ، ولا سيما في لندن .

جرى تحويل العصبة في مؤتمرين عقدا عام ١٨٤٧ وفي ثانيهما ، تقرر وضع ونشر اسس برنامج الحزب بشكل بيان عهد بتديجه الى ماركس وانجلس . وهكذا ظهر وبيان الحزب الشيوعي ، الذي صدر للمرة الاولى في عام ١٨٤٨ ، قبل ثورة شباط (فبراير) بفترة وجيزة ، ثم ترجم الى جميع اللغات الاوروبية تقريبا .

ان مساهمة ماركس في "Deutsche-Brüsseler-Zeitung" (والجريدة الالمانية البروكسلية) (٩) التي كانت تفضح بلا هوادة الازدهار البوليسي الروسي قد اعطت الحكومة البروسية ذريعة للمطالبة من جديد بنفي ماركس ، ولكن عبثاً ولكن عندما بدأت الاضطرابات الشعبية في بروكسل ايضاً من جراء ثورة شباط وعندما بدا ان بلجيكا على ابواب انقلاب ، اعتقلت الحكومة البلجيكية ماركس دون اي مراعاة للاصول القانونية ولفته . وكانت الحكومة المؤقتة في فرنسا قد دعته بواسطة فلوكون الى العودة الى باريس ، فاستغل هذه الدعوة .

وفي باريس عارض قبل كل شيء المغامرة التي تفتقت عنها مخيلة الالمان العائشين في باريس والتي كانت تهدف الى تكوين فيالق مسلحة من العمال الالمان في فرنسا لأجل نقل الثورة

\* راجع هذه الطبعة ، الجزء الاول ، ص ص ٤١-٩٦ . للناشر .

والجمهورية الى المانيا بواسطتها . فمن جهة ، كان ينبغي ان تقوم المانيا بنفسها بثورتها ؛ ومن جهة اخرى ، كان اضراب لامارتين في الحكومة الموقته يخونون سلفا كل فيلق توري اجنبي يتشكل في فرنسا ويسلمونه الى نفس الحكومة التي كان يجب اسقاطها ، كما حدث في بلجيكا وفي بادن

بعد ثورة آذار ( مارس ) ، انتقل ماركس الى كولونيا واسس فيها «*Neue Rheinische Zeitung*» (والجريدة الرينانية الجديدة) (١٠) وقد دامت هذه الجريدة من اول حزيران (يونيو) ١٨٤٨ الى ١٩ ايار (مايو) ١٨٤٩ . وكانت الجريدة الوحيدة التي عكست وجهة نظر البروليتاريا في الحركة الديموقراطية في ذلك الوقت . وقد تجل هذا على الاقل في تضامنها الحطلق مع توار باريس في حزيران (يونيو) ١٨٤٨ (١١) ومن جراء هذا ، تخلى عن الجريدة جميع مساهميها تقريبا . وعبثا اشارت «*Kreuz-Zeitung*» (كروز زایتونخ) (١٢) الى «وقاحة تشيمبوراسو» التي تشن بها «الجريدة الرينانية الجديدة» (١٣) حملاتها على كل ما هو مقدس ، من الملك وعميل الامبراطور حتى آخر دركي ، وكل هذا في قلعة بروسية كانت تضم آنذاك حامية من ثمانية آلاف رجل ؛ وعبثا اغتاط البرجوازيون الصفار الرينانيون الليبراليون الذين امسوا فجأة رجعيين ؛ وعبثا ادت حالة الطوارئ في كولونيا في خريف ١٨٤٨ الى توقف الجريدة زمنا طويلا عن الصدور ؛ وعبثا طلبت وزارة القذلية الامبراطورية في فرانكفورت من المدعي العام في كولونيا ملاحقة الجريدة امام القضاء المرة تلو المرة بسبب مقالاتها ، فان الجريدة ظلت تحرر وتصدر امام عيون البوليس بكل هدوء واطمئنان ، وظل انتشارها وشهرتها يتعاظمان مع حدة حملاتها على الحكومة وعلى البرجوازية . وعندما وقع

انقلاب في بروسيا في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٤٨ (١٤) ،  
 اخذت والجريدة الرينانية الجديدة» تدمو الشعب في مطلع كل  
 عدد الى الامتناع عن دفع الضرائب والى الرد على العنف بالعنف  
 وبسبب هذه الدعوة وكذلك بسبب احدى مقالاتها ، احيلت في  
 ربيع ١٨٤٩ الى محكمة المحلفين ، ولكنها برئت في كلا العالين  
 واخيراً ، بعد قمع انتفاضتي ايار (مايو) ١٨٤٩ في درسدن  
 واقليم راين (١٥) وبعد حشد وتعبئة قوات عسكرية كبيرة ،  
 بدل الزحف البروسي على انتفاضة بادن-بالاتينا ، واعتبرت الحكومة  
 انها بلغت من القوة ما يكفي للقضاء على والجريدة الرينانية  
 الجديدة» بالعنف وفي ١٩ ايار صدر العدد الاخير مطبوعاً  
 بالحرر الاحمر

ومن جديد ، ذهب ماركس الى باريس ؛ ولكن بعد مظاهرة  
 ١٢ حزيران (يوليو) ١٨٤٩ (١٦) ببضعة اسابيع ، وضعت  
 الحكومة الفرنسية امام لمرين لا ثالث لهما : اما ان ينقل محل  
 اقامته الى مقاطعة بريطانيا ، واما ان يغادر فرنسا . ففضل الامر  
 الثاني وانتقل الى لندن حيث لا يزال يعيش حتى الآن .

اما محاولة مواصلة اصدار «الجريدة الرينانية الجديدة»  
 بشكل مجلة استعراضية (في هامبورغ عام ١٨٥٠) ، فقد تروى  
 للعدول عنها بعد فترة من الوقت نظراً لاشتداد الرجسية اكثر  
 فاكثر . وفور الانقلاب في فرنسا ، اصدر ماركس في كانون الاول  
 (ديسمبر) ١٨٥١ مؤلفه «الثامن عشر من برومير لويس  
 بونابرت» \* (نيو يورك ، عام ١٨٥٢ ، الطبعة الثانية - هامبورغ  
 عام ١٨٦٩ ، قبل الحرب بفترة وجيزة) . وفي عام ١٨٥٣ كتب

\* راجع هذه الطبعة ، الجزء الاول ، من ص ١٤٨-٢٩٩ . التالفر .

واضواء على محاكمة الشيوعيين في كولونيا» (صدر اولاً في  
 بال ، وفيما بعد ، في بوسطن ، واعيد طبعه مؤخراً في ليبزيغ) .  
 بعد الحكم على اعضاء عصبة الشيوعيين في كولونيا (١٧) ،  
 انصرف ماركس عن التحريض السياسي ، وكرس نفسه في سياق  
 عشرة اعوام ، من جهة ، لدراسة الكنوز الوهيرة التي كانت تحتويها  
 مكتبة المتحف البريطاني في ميدان الاقتصاد السياسي ، ومن جهة  
 اخرى ، للكتابة في جريدة "New-York Daily Tribune"  
 (نيو يورك دايلي تريبيون) (١٨) التي كانت ، قبل بداية الحرب  
 الاهلية في اميركا (١٩) لا تنشر المراسلات الموقعة باسمه وحسب ،  
 بل ايضاً الافتتاحيات العديدة الصادرة بقلمه حول الوضع في  
 أوروبا وآسيا اما مقالاته اللاذعة ضد اللورد بالمرستون ،  
 المستندة الى دراسة مسهبة للوثائق الرسمية البريطانية ، فقد كان  
 يعاد طبعها في لندن بصورة مقالات هجائية .

وكان مؤلفه «مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي» الذي  
 صدرت طبعته الاولى في عام ١٨٥٩ (برلين ، دار دونكر للطبع  
 والنشر) اول ثمرة لدراسته الاقتصاد السياسي في غضون سنوات  
 عديدة . فان هذا المؤلف ينطوي على لول عرض منهجي لنظرية  
 ماركس في القيمة ، بما فيها تعاليمه بشأن النقود . وابعان الحرب  
 الايطالية (٢٠) ، ناضل ماركس في الجريدة الالمانية "Das Volk"  
 («الشعب») (٢١) الصادرة في لندن ، سواء ضد البونابرتية  
 التي كانت تلون آنذاك بلون ليبرالي ، وتتظاهر باداء دور محررة  
 للقوميات المظلومة ، ام ضد سياسة بروسيا التي كانت آنذاك  
 تحاول تحت ستار الحياد ان تصطاد السمك في الماء العكر . وفضلا  
 عن ذلك ، كان لا بدّ من النضال ايضاً ضد السيد كارل فوغت  
 الذي كان يتقاضى راتباً من لويس نابليون ويحرض ، بناء على

تكليف من الامير نابليون (بلون-بلون) في صالح الحياد وحتى في سبيل التعاطف من جانب المانيا . فقد صبّ فوغت على ماركس سيولا من احقر الاختلافات والافتراءات البيّنة الكذب ، فرد عليه ماركس بكتاب «المسيد فوغت» ( لندن ، عام ١٨٦٠ ) وفيه فضح فوغت وسائر السادة من الزمرة البونابرتية الديموقراطية المزعومة ، واتهم فوغت ، استناداً الى معطيات داخلية وخارجية على السواء بان امراطورية كانون الاول قد اشترته . وبعد عشرة اعوام بالضبط ، تاكدت صحة هذه التهمة ففي قائمة العملاء البونابرتيين التي وجدت في عام ١٨٧٠ في قصر التويلري (٢٢) ، والتي نشرتها حكومة ايلول (سبتمبر) (٢٢) ، ورد تحت الحرف المناسب : وفوغت- في آب (اغسطس) ١٨٥٩ ، اعطي ٤٠ فرنك»

واخيراً ظهر في هامبورغ عام ١٨٦٧ وراس المال نقد الاقتصاد السياسي ، المجلد الاول ، وهو المؤلف الرئيسي الذي كتبه ماركس والذي عرض فيه اسس نظرائه الاقتصادية والاشتراكية ، وكذلك اسس انتقاده للمجتمع القائم ، ولاسلوب الانتاج الرأسمالي وحواقبه . وفي عام ١٨٧٢ ، صدرت الطبعة الثانية من هذا المؤلف الذي شكل ههداً وفي الوقت الحاضر ، يعمل المؤلف على تنقيح المجلد الثاني

وفي هذه الاثناء ، كانت الحركة العمالية في مختلف بلدان اوروبا قد قويت من جديد الى حد انه توفرت لماركس امكانية التفكير بتحقيق امنيته الحميمة ، وهي تاسيس جمعية للعمال تشمل اكثر البلدان تقدماً في اوروبا واميركا وتمثل بلحمها ودمها ، اذا جاز القول ، الطابع العالمي للحركة الاشتراكية سواء في ميون العمال انفسهم ام في عيون البرجوازية والحكومات ، لما



فيه فرح البروليتاريا وتوطدها ، ولما فيه ذعر اعدائها وان الاجتماع الشعبي الذي عقد في ٢٨ ايلول ( سبتمبر ) ١٨٦٤ في قاعة سانت مارتنس بلندن ، تعاطفاً وتضامناً مع بولونيا التي كانت روسيا قد قمعتها للتو من جديد ، امن الفرصة لتقديم هذا الاقتراح ، فقبل بحماسة . وتأسست جمعية الشفيلة العالمية ( الاممية الاولى ) ؛ وانتخب في الاجتماع المجلس العام الموقت ، ومقره في لندن ، مع العلم ان ماركس كان روح هذا المجلس وكذلك روح جميع المجالس العامة التالية حتى مؤتمر لاهاي (٢٤) . فهو الذي وضع تقريباً جميع الوثائق التي اصدرها مجلس الاممية العام ، ابتداء من البيان التأسيسي في عام ١٨٦٤ حتى النداء حول الحرب الاهلية في فرنسا عام ١٨٧١ . ان وصف نشاط ماركس في الاممية يعني كتابة تاريخ هذه الجمعية ذاتها التي لا تزال فضلاً عن ذلك حية في ذاكرة العمال الاوروبيين ان سقوط كومونة باريس (٢٥) قد خلق للاممية وضعاً لا يطاق . فقد برزت الاممية في مقدمة التاريخ الاوروبي في وقت قضى فيه في كل مكان بالنسبة لها على امكانية القيام باي نشاط عملي ناجح والاحداث التي رفعتها الى منزلة الدولة الكبرى السابعة لم تكن تسمح لها في الوقت نفسه بتعبئة واستخدام قواتها القتالية الا بتعريض الحركة العمالية لخطر الهزيمة الاكيدة والقمع الاكيد لعقود كاملة من السنين . ناهيك بانه كانت تتقدم من مختلف الجهات عناصر حاولت ان تستغل ذبوع صيت الجمعية المتعاطم

• كارل ماركس وبيان حول تاسيس جمعية الشفيلة العالمية ،  
 كارل ماركس والحرب الاهلية في فرنسا ( راجع هذه الطبعة ، الجزء  
 الثاني ، ص ١٢٢-٢٣٢ ) . الناشر .

بفائق السرعة لأجل ارضاء غرورها الشخصي او مطامعها الشخصية ، دون ان تدرك او تأخذ بعين الاعتبار وضع الاممية الحقيقي . كان ينبغي اتخاذ قرار بطولي ، ومن جديد كان ماركس بالذات هو الذي اتخذ وحمل مؤتمر لاهاي على اقراره فبقرار علي امام الملا رفعت الاممية عن نفسها كل مسؤولية عن تصرفات الباكويين الذين كانوا مركز هذه العناصر الطائشة والقدرة ؛ وفيما بعد ، انسحبت الاممية مؤقتاً من الحلبة ، واتخذت قراراً بنقل المجلس العام الى اميركا ، وذلك بسبب من الرجعية الشاملة التي جعلت من المستحيل عليها ان تستجيب للمطالب المرتفعة المطروحة امامها وان تواصل نشاطها بكل مداه الا ببدل جملة من التوضيحات كان لا بد لها ان تستنزف دماء الحركة العمالية وقد بينت الاحداث اللاحقة كل صحة هذا القرار الذي تعرض في حينه وفيما بعد للتنديد والشجب فمن جهة وضع حد لكل محاولة للقيام باسم الاممية بفتن عقيمة ؛ ومن جهة اخرى ، بينت الصلة الوثيقة المتصلة بين الاحزاب العمالية الاشتراكية من مختلف البلدان ان الومي الذي ايقظته الاممية ، وعي تضامن ووحدة مصالح البروليتاريا من جميع البلدان ، يستطيع ان يشق لنفسه طريقاً حق بدون اتحاد اممي رسمي من شأنه ان يتحول في الوقت الحاضر الى قيود .

بعد مؤتمر لاهاي توفر في آخر الامر لماركس الهدوء والوقت الحر لكي يعكف من جديد على عمله النظري ، ويمكن الأمل بانه سيتوفق خلال حقبة غير طويلة جداً في طبع المجلد الثاني من «رأس المال»

ومن بين الاكتشافات الهامة العديدة التي سجل بها ماركس اسمه في تاريخ العلم ، يمكننا ان نتناول الآن هنا اثنين فقط .

اولهما ، الانقلاب الذي احده في كامل مفهوم التاريخ العالمي ففي اساس جميع النظرات السابقة الى التاريخ ، كانت تقوم الفكرة القائلة انه ينبغي في آخر تحليل التفتيش عن سبب جميع التغيرات التاريخية في افكار الناس المتغيرة وان التغيرات السياسية هي بين جميع التغيرات التاريخية ، التغيرات الأهم ، التغيرات التي تحدد التاريخ كله اما من اين تظهر الافكار عند الناس وما هي الاسباب المحركة للتغيرات السياسية ، فان هذا لم يكن موضع تفكير عميق . فقط في مدرسة المؤرخين الفرنسيين الحديثة ، وجزئياً في مدرسة المؤرخين الانجليز ، نشأ الاعتقاد ان نضال البرجوازية النامية ضد النبلاء الاقطاعيين في سبيل السيادة الاجتماعية والسياسية هو القوة المحركة للتاريخ الاوروبي ، على الاقل منذ القرون الوسطى اما ماركس فقد برهن ان تاريخ البشرية السابق كله هو تاريخ النضال بين الطبقات ، وان الكلام في كل النضال السياسي المتنوع والمعقد قد دار دائماً على وجه الضبط حول السيادة الاجتماعية والسياسية لهذه او تلك من طبقات المجتمع ، حول احتفاظ الطبقات القديمة بالسيادة ، حول توصل الطبقات الجديدة المتصاعدة الى السيادة . ولكن بفعل اي شيء تظهر هذه الطبقات وتوجد ؟ بفعل الظروف المادية ، المحسوسة بشكل طبيعي صرف ، المتوفرة كل مرة ، والتي ينتج ويبادل المجتمع في ظلها ، في كل عصر بعينه ، وسائل العيش الضرورية . فان السيادة الاقطاعية في القرون الوسطى كانت تعتمد على اقتصاد المشاعات الفلاحية الصغيرة التي تكفي نفسها بنفسها والتي كانت تنتج بنفسها قرابة جميع الوسائل الضرورية لاستهلاكها ، ولم تكن تعرف تقريباً التبادل والتي كان النبلاء ذوو النزعة الحربية يؤمنون لها الحماية من الاعداء الخارجيين ويؤمنون

لها الصلة القومية او ، على الاقل ، الصلة السياسية وعندما ابثقت المدن وابثقت معها الصناعة الحرفية المحصورة وابثقت التداول التجاري داخل البلد في بادى الامر ، ثم على الصعيد العالمي ، عند ذلك تطورت البرجوازية المدنية التي سبق ان ظفرت لنفسها في القرون الوسطى ، في غمرة النضال ضد النبلاء ، بمكان في النظام الاقطاعي بوصفها هي ايضا فئة مميزة . ولكن البرجوازية كسبت منذ اكتشاف الاراضي خارج اوروبا ، منذ اواسط القرن الخامس عشر ، ميادانا ارحب بكثير لأجل النشاط التجاري وكسبت بالتالي حافزا جديدا لأجل انماء صناعتها فاذا الحرفة في أم الفروع تزحزحها المانيافاكتوره التي غدت مصنعية من حيث طابعها ، واذا المانيافاكتوره بدورها تزحزحها الصناعة الكبيرة التي غدت ممكنة بفضل اختراعات القرن الماضي ، ولا سيما بفضل اختراع الآلة البخارية اما الصناعة الكبيرة فقد اثمرت ثائبرا معاكسا في التجارة ، مزحزحة العمل اليدوي القديم في البلدان المتاخرة ، وخالقة في البلدان الاكثر تطورا وسائل جديدة عصرية للمواصلات البواخر والسكك الحديدية والتلغراف الكهربائي وعلى هذا النحو اخلت البرجوازية تركز اكثر فاكثر في يدها الثروات الاجتماعية والقوة الاجتماعية ، رغم انها ظلت طويلا محرومة من السلطة السياسية التي بقيت في ايدي النبلاء وفي يد السلطة الملكية المعتمدة على النبلاء . ولكنها في درجة معينة من التطور ، - في فرنسا منذ الثورة الكبرى ، - ظفرت ايضا بالسلطة السياسية واصبحت بدورها الطبقة السائدة حيال البروليتاريا والفلاحين الصغار ومن وجهة النظر هذه - وطبعا بعد الاطلاع الكافي على لوضاع المجتمع الاقتصادية في المرحلة المعنية ( وهذا غير متوفر اطلاقا عند مؤرخينا الاختصاصيين ) - تفسر جميع

الظواهر التاريخية بآبسط نحو ، كما تفسر أيضا تصورات وافكار كل مرحلة تاريخية معينة ، بشكل بسيط للغاية ، بشروط الحياة الاقتصادية وباللاقات الاجتماعية والسياسية التي تشرطها هذه الشروط في هذه المرحلة وللمرة الاولى اقيم التاريخ على اساسه الفعلي . وهذا الواقع الجلي ، ولكن الذي غاب عن البال كليا حتى الآن ، وهو انه يجب على الناس بآدى ذي بدء ان ياكلوا ويشربوا ويملكوا مسكنا ويلبسوا وانه يجب عليهم بالتالي ان يشتغلوا قبل ان يصبح في امكانهم النضال من اجل السيادة والاهتمام بالسياسة والدين والفلسفة ، الخ ، هذا الواقع البين تم الآن ، في آخر المطاف ، الاعتراف بحقوقه التاريخية

ان هذا المفهوم الجديد عن التاريخ قد اتم باكبر قدر من الاهمية بالنسبة للنظرة الاشتراكية الى العالم . فقد اثبت ان التاريخ كله يسير في الوقت الحاضر ايضا في طريق التناحر والنضال بين الطبقات ، وانه وجدت على الدوام طبقات سائدة ومسودة ، مستثمرة ومستثمرة ، وان الاغلبية الهائلة من البشر كان دائما من نصيبها العمل القاسي والعيشة الحقيرة لماذا ؟ بكل بساطة لأن الانتاج كان ضعيف النمو في جميع الدرجات السابقة من تطور البشرية ، الى حد انه لم يكن بوسع التطور التاريخي ان يتحقق الا في هذا الشكل التناحري ، وان التقدم التاريخي كان يمثله برمته وكليته نشاط اقلية مميزة ضئيلة ، بينما كان السواد الاعظم محكوما عليه بكسب وسائل عيشه الزهيدة ، فضلا عن العمل دائما على زيارة ثروات المميزين ولكن هذا المفهوم ذاته عن التاريخ ، الذي يفسر بنحو طبيعي ومعقول السيادة الطبقيّة القائمة حتى الآن والتي لا يمكن تفسيرها على شكل آخر الا بارادة الناس الشريرة ، يؤدي ايضا الى الاقتناع بان الاساس الاخير لانقسام

الناس الى سادة ومسودين ، ومستثمرين ومستثمرين يزول ، في اكثر البلدان تقدما على الاقل ، نتيجة لنمو القوى المنتجة نمواً هائلا في الوقت الحاضر ؛ وبان البرجوازية الكبيرة السائدة قد لعبت دورها التاريخي ، وبانه لم يعد في مقدورها ان تقود المجتمع ، وليس هذا وحسب ، بل بلغ بها الامر الى حد انها امتست كايها لاطراد نمو الانتاج ، كما تبين ذلك الازمات التجارية ، -ولا سيما الانهيار الكبير الاخير- وضعف الصناعة في جميع البلدان ؛ وبان قيادة التاريخ قد انتقلت الآن الى البروليتاريا ، الى الطبقة التي لا تستطيع ان تحرر نفسها ، بحكم جميع شروط وضعها الاجتماعي ، الا بالقضاء على كل سيادة طبقية وكل عبودية وكل استثمار على العموم ؛ وبان القوى المنتجة الاجتماعية ، التي تنامت الى حد ان البرجوازية لم تعد تستطيع السيطرة عليها ، لا تفعل غير ان تنتظر ان تمتلكها البروليتاريا المتحدة وتقيم نظاما يوفر لكل عضو من اعضاء المجتمع ، لا فرصة الاشتراك في الانتاج وحسب ، بل ايضا فرصة الاشتراك في توزيع وادارة الثروات الاجتماعية ، نظاما يزيد قوى المجتمع المنتجة والمنتجات التي تصنعها ، ويكثرها بتنظيم كل الانتاج تنظيمًا مناهجياً ، الى حد يضمن لكل فرد تلبية حاجاته المعقولة بمقادير متعاضمة على الدوام .

اما الاكتشاف الهام الثاني الذي حققه ماركس، فيتلخص في توضيح العلاقة بين الراسمال والعمل توضيحاً وافياً نهائياً ، وبتصير آخر ، في بيان الطريقة التي يتحقق بها استثمار العامل من قبل الراسمالي في المجتمع الحالي ، في ظل اسلوب الانتاج الراسمالي القائم . فمنذ ان تقدم الاقتصاد السياسي بالموضوعة القائلة ان العمل هو مصدر كل ثروة وكل قيمة ، كان لا بد ان ينهض السؤال التالي : كيف

يمكن التوفيق بين هذا والامر التالي وهو ان العامل الاجير لا يحصل على كل مقدار القيمة التي ينتجها بعمله ، ويجب عليه ان يعطي الراسمالي قسماً منها ؟ عبثاً حاول الاقتصاديون البرجوازيون وعبثاً حاول الاشتراكيون ان يعطوا جواباً معللاً علمياً من هذا السؤال ، الى ان جاء ماركس اخيراً بحله هذا الحل يتلخص فيما يلي ان اسلوب الانتاج الراسمالي العالي يفترض وجود طبقتين اجتماعيتين هما من جهة ، الراسماليون الذين يملكون وسائل الانتاج ووسائل العيش ، ومن جهة اخرى ، البروليتاريون المحرومون من هذه وتلك ، والذين لا يملكون سوى بضاعة واحدة لأجل البيع ، هي قوة عملهم ؛ وهم مضطرون الى بيع قوة عملهم لكي يحصلوا على وسائل العيش الضرورية . ولكن قيمة البضاعة تحدد بكمية العمل الضروري اجتماعياً ، المضمن في انتاجها ، وبالتالي في تجديد انتاجها ؛ ولذا تحدد قيمة قوة عمل انسان متوسط في يوم او شهر او سنة بكمية العمل المضمن في مجمل وسائل العيش الضرورية لأجل الحفاظ على قوة العمل هذه خلال يوم او شهر او سنة لنفترض انه ينبغي ست ساعات عمل او -والامران سياتن- ان العمل المضمن فيها يوازي ست ساعات عمل ، لأجل انتاج وسائل عيش العامل ليوم واحد ؛ ففي هذه الحال ، ستجد قيمة قوة العمل في سياق يوم واحد تعبيراً عنها في مبلغ النقود التي تجسد كذلك ست ساعات عمل ثم لنفترض ان الراسمالي الذي يقدم للعامل عملاً يدفع له هذا المبلغ ، اي كامل قيمة قوة عمله فاذا اشتغل العامل ، على هذا النحو ، ست ساعات في اليوم لأجل الراسمالي ، لمؤثر تماماً على الراسمالي النفقات التي تحملها ، اي ست ساعات عمل مقابل ست ساعات عمل ، وفي هذه الحال ، لا يحصل الراسمالي بالطبع على اي شيء . ولهذا يتصور الراسمالي

الامر بصورة مختلفة تماما فهو يقول انا اشترت قوة هذا العامل لا لست ساعات بل ليوم كامل ؛ ولهذا يجبر الراسمالي العامل على العمل ، ٨ ساعات او ١٠ او ١٢ او ١٤ ، او اكثر ، حسب الظروف ، وهكذا يكون نتاج الساعة السابعة والثامنة والساعات التالية نتاج عمل غير مدفوع الاجر ، ويمضي مباشرة الى جيب الراسمالي . وعليه ، لا يجدد العامل في خدمة الراسمالي قيمة قوة عمله التي دفع الراسمالي اجرها وحسب ، بل ينتج ايضا ، علاوة على ذلك ، قيمة زائدة يستأثر بها الراسمالي في البدء ، ثم توزع فيما بعد ، بموجب قوانين اقتصادية معينة ، بين طبقة الراسماليين برمتها وتؤلف ذلك المصدر الذي ينجم منه الربح العقاري والربح وتراكم الراسمال ، - وبكلمة ، جميع تلك الثروات التي تستهلكها او تكدها الطبقات غير العاملة . ولكنه اقيم البرهان بذلك على ان اراء الراسماليين المعاصرين يتحقق بواسطة امتلاك عمل غير مدفوع الاجر يقوم به آخرون ، بدرجة لا تقل عما كان عليه الحال عند مالكي العبيد او عند الاقطاعيين الذين كانوا يستثمرون عمل الاقنان ، وعلى ان جميع اشكال الاستثمار هذه لا يختلف بعضها عن بعض الا بالطريقة التي يجري بها امتلاك العمل غير المدفوع الاجر ولكن بفضل هذا ، تحطم الاساس الاخير الذي تعتمد عليه الطبقات المالكة للتشدد بالاقتوال المنافقة الزاعمة ان النظام الاجتماعي الحالي يسوده القانون والعدل والمساواة في الحقوق والواجبات والتوافق العام بين المصالح ، وبفضل هذا انفضح المجتمع البرجوازي الحالي بدرجة لا تقل عن درجة انفضاح المجتمع السابق ، انفضح بوصفه مؤسسة كبيرة جداً لاستثمار الاغلبية الهائلة من الشعب من قبل اقلية ضئيلة تقل باستمرار .



على هذين الاساسين الهامين ، تركز الاشتراكية العلمية المعاصرة . وفي المجلد الثاني من «رأس المال» ، سيجري تطوير هذين الاكتشافين العلميين وغيرهما من الاكتشافات العلمية التي لا تقل عنهما شأنًا في ميدان دراسة النظام الاجتماعي الرأسمالي ، ويطرأ في الوقت نفسه تعديل جذري على تلك الجوانب من الاقتصاد السياسي التي لم يتطرق اليها المجلد الاول . ننتمن لماركس ان يتمكن في وقت غير بعيد من احالة هذا المجلد الى الطبع

كتبه المجلس في اواسط حزيران  
 (يونيو) ١٨٧٧  
 صدر في روزنامة "Volks-Kalender"  
 (فولكس-كالندر) - (تقويم الشعب) )  
 الصادرة في براونشفيغ ، عام ١٨٧٨

يصدر حسب نص الروزنامة  
 تمت الترجمة نقلا عن الالمانية

## الجلس

## الاشتراكية الطوبوية والاشتراكية العلمية (٢٦)

ملقمة للطبعة الانجليزية عام ١٨٩٢

كان هذا الكراس في البدء جزءاً من مؤلف اكبر . ونحو عام ١٨٧٥ ، اعلن الدكتور اوجين دوهرينغ ، الاستاذ المحاضر في جامعة برلين ، فجأة وبلهجة صارخة ، اعتناقه الاشتراكية ، وتقدم من الجمهور الالمانى ، لا بنظرية اشتراكية موضوعة بشكل مفصل وحسب ، بل ايضا بخطة عملية مكتملة لتحويل المجتمع ومن البديهي انه هاجم اسلافه وكان ماركس اكثر من استحق بينهم اهتمامه ، فصب عليه كل جام غضبه .

جرى ذلك فور اندماج كتلتي الحزب الاشتراكي في المانيا ، كتلة الايزيناخيين وكتلة اللاساليين (٢٧) ، مما ادى ، بالتالى ، لا الى نمو الحزب عددياً وحسب ، بل ايضا ، وهو الامر الاهم ، الى توفير الامكانية لتوجيه كل قواه ضد العدو المشترك وكان الحزب الاشتراكي بسبيل ان يصير بسرعة قوة في المانيا . ولكن ، لكي يصير قوة ، كان ينبغي ، قبل كل شيء ، ألاّ تتعرض الوحدة المكتسبة حديثاً لاي خطر بيد ان الدكتور دوهرينغ اخذ يجمع علناً حول شخصه طائفة ، هي نواة حزب انفصالي في المستقبل فكان لا بد لنا من رد القفاز الذي رمى بوجهنا ، ومن غوض النضال ، شيئاً ام ايئناً .

لم تكن المهمة صعبة صعوبة فائقة ، ولكنها كانت طويلة النفس . فنحن الالمان ، كما يعرف الجميع جيداً ،

موصوفون بـ *Gründlichkeit* ثقيل رهيب ، بعمق فكري او فكر عميق ، كما يطيب لك ان تسميه فكلما بدأ احدنا يعرض ما يعتبره هو مذهباً جديداً ، رأى من الضروري ان يضعه ، قبل كل شيء ، في صورة نهج يشمل الكون بأسره ينبغي له ان يقدم الدليل على ان اسس المنطق الاولي وعلى ان القوانين الاساسية للنظام الكوني لم توجد منذ الازل الا لتؤدي الى هذه النظرية المكتشفة حديثاً ، والتي تتوج كل شيء ومن هذه الناحية ، كان الدكتور دوهرينغ مفصلاً تماماً حسب هذا المقياس القومي . فاذا ما ينبغي ان أنصرف الى بحثه لا يقل ابدأ عن كامل «نظام الفلسفة» - فلسفة الروح والاخلاق والطبيعة والتاريخ ، وكامل «نظام الاقتصاد السياسي والاشتراكية» ، واخيراً عن «تاريخ انتقادي للاقتصاد السياسي» ، اي ثلاثة مجلدات ضخمة من القطع العادي ، ثقيلة الوزن والمحتوى ، ثلاثة جيوش من الحجج المحشودة والمعبأة ضد الفلاسفة والاقتصاديين السابقين بعامة وضد ماركس بخاصة ، اي في الواقع ، محاولة «لقلب العلم» بصورة تامة كان علي ان اتناول جميع المواضيع من كل شاكلة ونوع من مفاهيم الزمان والمكان حتى نظام المعدنين (٢٨) ، من سرمدية المادة والحركة حتى ما تتصف به افكارنا الاخلاقية من قابلية للزوال ، من نظرية داروين حول الاصطفاء الطبيعي حتى تربية الشبيبة في المجتمع المقبل الا ان شمول نهج خصمي اتاح لي ، على كل حال ، ان ابدى آراء ماركس وآرائي حول هذا التنوع الكبير من المواضيع واعارض بها آراء خصمي ، وان اعرضها بصورة مترابطة اكثر بكثير مما في الماضي هذا هو السبب الرئيسي الذي دفعني الى القيام بهذه المهمة المزعجة من جميع النواحي الاخرى .

صدر جوابي لولا في جملة من المقالات نشرتها جريدة  
 „Vorwärts“ (وفورفارتمس) (٢٩) في لايبزيغ ، وهي الناطقة  
 الرئيسية بلسان الحزب الاشتراكي ، ثم في كتاب تحت عنوان  
 „Herrn Eugen Dühring's Umwälzung der Wissenschaft“  
 (والسيد اوجين دوهرينغ يقلب العلم) ، وفي ١٨٨٦ ، صدرت  
 منه طبعة ثانية في زوريخ

وبناء على طلب صديقي بول لافارغ ، وهو الآن نائب مدينة  
 ليل في مجلس النواب الفرنسي ، اخذت ثلاثة فصول من هذا  
 الكتاب وجعلت منها كراساً ترجمه ونشره ، عام ١٨٨٠ ، تحت  
 عنوان «الاشتراكية الطوبوية والاشتراكية العلمية» ثم صدرت  
 ترجمة بولونية وترجمة اسبانية وفقاً للنص الفرنسي ؛ غير ان  
 اصدقاءنا الالمان اصدروا الكراس بلفته الاصلية عام ١٨٨٣ ؛  
 ومد ذلك ، صدرت ترجمات وفقاً لهذا النص الالمانى بالاطالية  
 والروسية والدانماركية والهولندية والرومانية وهكذا صدر هذا  
 الكراس بعشر لغات بما في ذلك الطبعة الانجليزية الحالية . وانا لا  
 اعرف اي مؤلف اشتراكي آخر ترجم الى هذا العدد من اللغات ،  
 حتى ولا «البيان الشيوعي» الذي اصدرناه عام ١٨٤٨ ولا كتاب  
 «رأس المال» لماركس . وفي المانيا ، صدرت منه اربع طبعات ،  
 تعدّ بالاجمال زهاء ٢٠ نسخة

ان الملحق «المارك» (٢٠) قد كتب بقصد نشر بعض  
 المعلومات الاولى في صفوف الحزب الاشتراكي الالمانى عن تاريخ  
 نشوء وتطور ملكية الارض في المانيا . وفي هذا الوقت كان ذلك  
 ضرورياً خصوصاً لان توحيد العمال في المدن من قبل الحزب كان

• راجع هذه الطبعة ، الجزء الاول ، ص ص ٤١-٩٦ . الناشر .

في السبيل القويم المؤدي الى انجازه فواجهت الحزب مهمة الاهتمام بالعمال الزراعيين وبالفلاحين وقد أُدرج هذا الملحق في هذه الطبعة المترجمة لاهتبارات شق منها ان الاشكال البدائية لملكية الارض - المشتركة عند جميع القبائل الجرمانية - وتاريخ تفسخها معروفة في إنجلترا اقل مما في ألمانيا . وقد تركت النص في صورته الاولى ، دون ان اتناول فيه الفرضية التي تقدم بها مكسيم كوفاليفسكي مؤخراً والتي تقول ان تقسيم الاراضي المحروثة والاراضي المرجية بين اعضاء المارك قد سبقته العناية المشتركة العامة بها من قبل المشاعة العائلية البطريكية الكبيرة التي تشمل بضعة اجيال (وهذا ما يمكن ان تقدم المثال عليه زادروغا سلافيا الجنوب التي لا تزال موجودة الآن) ؛ وفيما بعد ، عندما تنامت المشاعة واصبحت مفرطة الضخامة من اجل ادارة الاقتصاد بصورة مشتركة ، جرى تقسيم اراضي المشاعة (٢١) ان كوفاليفسكي محق تماما ، على الأرجح ، ولكن المسألة لا تزال

• sub judice

ان التعابير الاقتصادية المستعملة في هذا الكتاب تنطبق ، بقدر ما هي جديدة ، على تعابير الطبعة الانجليزية لكتاب ورأس المال لماركس ونحن نعني «بالانتاج البضاعي» هذه المرحلة من التطور الاقتصادي التي لا تنتج فيها المنتجات لتلبية حاجات المنتجين وحسب ، بل ايضا بقصد التبادل ، اي بوصفها بضائع ، لا قيماً استعمالية . وتمتد هذه المرحلة منذ خطوات الانتاج الاولى في سبيل التبادل حتى ايامنا ؛ وهي لا تبلغ ذروة تطورها الا مع الانتاج الرأسمالي اي مع الظروف التي يشغل فيها الرأسمالي ،

مالك وسائل الانتاج ، عمالا لقاء اجر ، اي اناساً محرومين من كل وسيلة للانتاج باستثناء قوة عملهم ، - ويضع في جيبه الفرق بين ثمن مبيع المنتجات ونفقات انتاجها ونحن نقسم تاريخ الانتاج الصناعي ، منذ القرون الوسطى ، الى عهود ثلاثة ١ - الصناعة الحرفية ، وتشمل معلمين حرفيين صغاراً ، يعاونهم عدد صغير من الصناع والمتدربين ، وحيث يصنع كل عامل السلعة بكاملها

٢ - المانيفاكتورة ، وتجمع عدداً اكبر من العمال في مؤسسة كبيرة ، فيصنعون السلعة بكاملها وفقاً لمبدأ تقسيم العمل ، اي ان كل عامل لا يقوم الا بعملية جزئية ، بشكل لا تنتهي معه السلعة الا بعد مرورها على التوالي في ايدي الجميع ٣ - الصناعة العصرية ، حيث تصنع المنتج آلات تحركها قوة ما ، وحيث يقتصر دور العامل على مراقبة عمل الآلات وضبطها

واني اعرف تمام المعرفة ان قسماً كبيراً من القراء الانجليز لن يستقبل مضمون هذا الكتاب بالترحاب ولكن ، لو كنا ، نحن القاريين ، اعرفنا اقل اهتمام لاهام و الاحترامية البريطانية ، لكننا نعاني وضماً شراً من الوضع الذي نعانيه الآن فان هذا الكتاب موضوع دفاعاً عما نسميه «المادية التاريخية» ، وكلمة «مادية» تخذ من آذان الاغلبية الساحقة من القراء الانجليز فهم يعتبرون انه يمكنهم التساهل ازاء «العجزية» (٢٢) ولكنه لا يجوز اطلاقاً القبول بالمادية

هذا في حين ان انجلترا بالذات كانت ، ابتداء من القرن السابع عشر ، مهد المادية العصرية كلها .  
والمادية هي الابنة الطبيعية لبريطانيا العظمى فقد سبق لاحد اطباها في الفلسفة الكلامية (٣٣) ، دونس سكوت ان تساءل ما اذا كان بوسع المادة ان تفكر .

ولاجل تحقيق هذه المعجزة ، لجأ الى الله الكلي الجبروت ، اي انه اكره اللاهوت (٢٤) ذاته على الدعوة للمادية وكان ، من جهة اخرى ، من انصار مذهب الاسمية (٢٥) . ومذهب الاسمية كان احد العناصر الرئيسية عند الماديين الانجليز ، وهو ، على العموم ، الشكل الاول من اشكال المادية

اما الاب الحقيقي للمادية الانجليزية فهو باكون . وهو يعتبر ان علم الطبيعة هو العلم الصحيح الوحيد ؛ والفيزياء القائمة على تجربة الحواس ، هي القسم الاهم من علم الطبيعة . وانكساغوراس واصوله المتماثلة (٢٦) وديموكريتمس وذرائه هما مرجعاه المفضلان . والحواس في مذهبه ، معصومة عن الخطأ ، وهي ينبوع كل معرفة . والعلم علم تجريبي ، ووظيفته اخضاع معطيات الحواس لطريقة عقلانية . والاستقراء ، والتحليل ، والمقارنة ، والملاحظة ، والاختبار ، كلها هي الشروط الرئيسية للطريقة العقلانية ان الخاصة الاولى الرئيسية من الخصائص الملازمة في الاصل للمادة هي الحركة ، لا من حيث انها حركة آلية ورياضية وحسب ، بل من حيث انها ايضاً ، وبخاصة ، اندفاع ، ومبدأ حياة ، وتوتر ، و«عذاب» („Qual“). المادة ، على حد قول يعقوب بوهم ثم ان المادية عند باكون ، مبدعها الاول ، تنطوي ايضاً ، بصورة ساذجة ، على بذور تطور شامل . والمادة تبتم للانسان

• „Qual“ - هذا تلاعب فلسفي بالكلام فان „Qual“ تعني حرفياً العذاب ، الألم الذي يدفع الى القيام بعمل ما ؛ وفي الوقت نفسه ، يضمن الصولي بوهم هذه الكلمة الالمانية شيئاً ما من الكلمة اللاتينية *qualitas* (الصفة) . فان „Qual“ بوهم انما هو ، خلافاً للألم الناتج عن سبب خارجي ، مبدأ فعّال ينبثق من التطور التلقائي لشيء او علاقة او شخصية تكابد „Qual“ وتشر بدورها هذا التطور .

كله بروعتها الحسية والشعرية اما المذهب نفسه المعروض بشكل حيكم موجزة ، فهو ، بالعكس ، لا يزال يزخر بالمتناقضات اللاهوتية .

وقد غدت المادية وحيدة الطرف ، خلال تطورها وجعل هوبس من المادية الباكونية نهجا متناسقا . وفقدت الحسية الوانها الزاهية وغدت مجرد حسية المهندس واعلنت الهندسة العلم الاول بين العلوم . وامست المادية معادية للانسان ؛ فاذا شاءت ان تقهر بروح بلا جسد المعادية للانسان في ميدانها نفسه ، ترتب عليها ان تقهر جسدها بالذات وان تصير ناسكة وبدت المادية كائنا من عقل ، ولكنها طورت ، في الوقت نفسه ، كل استنتاجات العقل بانسجام ، دون اي وخز في الضمير ، دون تشكك واستنادا الى باكون ، عرض هوبس الفكرة التالية اذا كانت حواسنا هي مصدر كل معارفنا ، فليست المفاهيم ، الافكار ، التصورات ، الخ سوى اشباح العالم المادي المجرد ، بدرجات متفاوتة ، من شكله الحسي ولا يسع العلم الا ان يسمى هذه الاشباح . ويمكن اطلاق اسم واحد على اشباح كثيرة . وقد يكون ثمة ايضا اسماء اسماء . ولكنه من التناقض ان نقر ، من جهة ، بان جميع الافكار تنبع من العالم المحسوس ، وان نؤكد ، من جهة اخرى ، ان الكلمة هي اكثر من كلمة ؛ وانه توجد ايضا كائنات عامة فضلا عن الكائنات التي تتصورها دائما كائنات فردية ان القول باصل غير جسمي اخرق كما هو عليه القول بجسم غير جسمي . الجسم ، الكائن ، الجدل ، ان هذه التعابير ليست سوى تمايز مختلفة لنفس الواقع الواحد . ولا يمكن فصل الفكر عن المادة المفكرة ان المادة هي قوام . جميع التفيرات التي



تحدث . وكلمة لامتناه لا معنى لها اذا كانت لا تعني قدرة روحنا على الاضافة بلا نهاية الى مقدار ما معين وبما ان حواسنا لا تحس غير الاشياء المادية ، فاننا لا نعرف شيئاً عن وجود الله . فقط وجودي انا اكيد ، ثابت . وكل هوى انساني هو حركة آلية ، تبدأ او تنتهي . واغراض البواعث هي الخير والانسان خاضع لنفس القوانين التي تخضع لها الطبيعة . والقوة والحرية متماثلتان .

لقد جعل هوبس من الباكوية نهجا متناسقا ، ولكنه لم يقدم ادلة ادق لدعم مبدئه الاساسي القائل ان اصل المعارف والافكار هو في عالم الحواس . فجاء لوك وقدم الادلة لدعم مبدأ باكون وهوبس في مؤلفه حول اصل الادراك البشري (٣٧) واذا كان هوبس قد حطم تحطيماً ما تخلل مادية باكون من اوهام تتعلق بالاعتقاد بالتاليه الشخصي (٣٨) ، فان كولينز ، ودودويل ، وكوارد ، وهارتلي ، وبريستلي وغيرهم قد هدموا الحدود اللاهوتية الاخيرة في مذهب الحاسيين كما نادى به لوك (٣٩) وفي كل حال ، ليس التاليه السببي (٤٠) بنظر المادي ، سوى طريقة ملائمة ، سهلة ، للتخلص من الدين . .

هذا ما كتبه كارل ماركس بصدد منشأ المادية العصرية البريطاني فاذا كان انجلز اليوم غير مسرورين بخاصة من هذا الاعتراف بمآثر اجدادهم ، فهذا شأنهم ، ويا حيفهم ! غير انه ما يزال من الثابت مع ذلك ان باكون وهوبس ولوك كانوا آباء هذه المدرسة الرائعة من الماديين الفرنسيين الذين ، رغم ما

\* ماركس وانجلز . «العائلة المقدسة» ، فرانكفورت على الماين ، ١٨٤٥ ، ص ص ٢٠١-٢٠٤ .

أحرزه الألمان والإنجليز من انتصارات على الفرنسيين في البر والبحر ، جعلوا من القرن الثامن عشر القرن الفرنسي على الأغلب ، وذلك قبل تتوج نهايته بالثورة الفرنسية بزمن طويل ، بهذه الثورة التي لا تزال نحاول أن نكيف نتائجها ، أن نبليدها في إنجلترا وألمانيا .

وليس لنا أن ننكر هذا أن الأجنبي المثقف الذي كان يختار محل إقامته في إنجلترا ، في منتصف قرننا ، كانت تملكه الدهشة أشد ما يملكه - ولم يكن من الممكن أن يشعر بشعور آخر - أمام حماقة الطبقة المتوسطة الإنجليزية والمحترمة ، وأمام تظاهرها بالتقوى والتدين . في ذلك العهد ، كنا جميعاً ماديين أو ، على الأقل ، مفكرين أحراراً جداً متقدمين ، وكان من غير المعقول بنظرنا أن يصدق تقريباً جميع الناس المتعلمين في إنجلترا فتح أنواع المعجزات المستحيلة ، أو حتى أن يقدم الجيولوجيون ، مثل باكلايد وماتل ، على تشويه معطيات علمهما لكي لا تأتي متناقضة إلى درجة كبيرة جداً مع سفر التكوين كان يبدو من غير المعقول أنه ينبغي المضي إلى الأمام ، أو «الجواهر القذرة» ، كما كانوا يقولون آنذاك ، إلى العمال وبخاصة إلى الاشتراكيين ، اتباع لويين ، من أجل إيجاد أناس يجروون على الاستناد إلى إدراكهم بالذات في مسائل الدين .

ولكن إنجلترا «تمدنت» منذ ذلك . فان معرض ١٨٥١ (٤١) دق جرس نعي عزلتها الجزائرية . فقد غدت تدريجياً أممية من حيث الغذاء والسلوك والأفكار ، إلى حد أني أرتب أكثر فأكثر أن تنتقل بعض العادات وطرائق السلوك الإنجليزية إلى القارة وتطبق فيها بصورة شاملة كما طبقت بعض العادات القارية في إنجلترا هناك أمر واحد لا ريب فيه ، هو ، أن نشر زيت الزيتون (الذي

كانت تعرفه الايستقراطية وحدها قبل (١٨٥١) قد صحبه بصورة لا مناص منها انتشار التشكك القاري في مسائل الدين ؛ وقد بلغ الامر الى حد ان تقف العجزية ، فيما يتعلق بالاحترامية ، في نفس مستوى شيعة المعمودية تقريبا وفوق «جيشن الخلاص» (٤٢) بلا جدال ، وذلك رغم انها لا تعتبر بعد «شيئا ممتازا» مثلما هي عليه كنيسة الدولة الانجليزية . واني لا استطيع ان امنع نفسي عن التفكير في ان الكثيرين ممن تنصر قلوبهم حزنا واسفا بصدد التقدم الذي احرزه الجحود ويلعنونه ، سيجدون العزاء اذا ما علموا ان هذه «المفاهيم الحديثة» ليست اجنبية المنشأ ولا تحمل ماركة made in Germany . كما هو عليه الكثير من حاجيات الاستعمال اليومي ، بل انها انجليزية الاصل الى اعماق حد ، وان البريطانيين الذين وضعوها كانوا ، منذ مائتي سنة ، يمشون حقا الى ابعد بكثير مما يجرؤ عليه خلفاؤهم اليوم .

وبالفعل ، ما هي العجزية ان لم تكن مادية «خجلة» ، اذا استعملنا كلمة لنكشيرية بليغة التعبير ؟ فمفهوم العجزية عن الطبيعة مادي بكيته . فالعالم الطبيعي كله تحكمه قوانين ولا يقر بتدخل اي فعل خارجي . ولكن العجزية يضيف قائلا : نحن لا نملك الوسيلة التي تتيح لنا ان نؤكد او ان ندحض وجود كائن ما اهل ما وراء الكون المعروف من الممكن انه كانت لهذا القول قيمة ما في العهد الذي رد فيه الفلكي العظيم لابلاس باعتزاز على نابوليون حين ساله لماذا لم يذكر اسم خالق العالم في كتابه «الميكانيك السماوي» "Je n'avais pas besoin de cette hypothèse" . . . غير انه لم

• - من صنع المايا . الناشر

• • - ولم اكن بحاجة الى هذه الفرنسية . الناشر .

يبقى ثمة مكان اليوم ، اطلاقاً ، لخالق او لمنظم ، نظراً لمفهوما  
عن تطور الكون فان القول بكائن اسمى ، واقف خارج الكون  
الموجود كله ، هو بحد نفسه تناقض ، ناهيك بانه يبدو لي  
بمشابه اهانة بدون داع لمشاعر المؤمنين .

ان صاحبنا العجزي يقر ايضاً بان معرفتنا كلها تقوم على  
اساس المعطيات التي تقدمها حواسنا ؛ ولكنه يضيف من اين  
نعرف ان حواسنا تقدم لنا صوراً صحيحة عن الاشياء التي  
تحسها ؟ ويواصل قوله ويبلغنا انه ، حين يتحدث عن الاشياء او  
صفاتهما ، لا يقصد في الواقع هذه الاشياء او صفاتها التي لا يمكنه  
ان يعرف اي امر ثابت ، اكيد عنها ، انما يقصد فقط انطباعاتها  
على حواسه لا ريب ان هذه وجهة نظر من الصعب ، على ما  
يبدو ، دحضها بالحجج وحدها . ولكن قبل ان بدأ الناس بتقديم  
الحجج كانوا يعملون . "In Anfang war die That" . \* . وقد حل  
العمل الانساني هذه الصعوبة قبل ان يختلقها الفيلسوف الانساني  
بزمن طويل . البرهان على وجود الكمكة في اكلها . ففي اللحظة التي  
نستعمل فيها شيئاً ما لانفسنا وفقاً للصفات التي نحسها فيه -  
في هذه اللحظة بالذات نمتحن امتحاناً لا خطأ فيه ، صحة او عدم  
صحة احساساتنا الحسية . فاذا كانت هذه الاحساسات خاطئة ،  
كان رأينا في امكانية استعمال الشيء المعنى خاطئاً ايضاً ؛ وكان  
لا بد من ان تؤدي كل محاولة لمثل هذا الاستعمال الى الاخفاق  
ولكن ، اذا نجحنا في بلوغ هدفنا ، اذا تبين لنا ان الشيء ينطبق  
على فكرتنا عنه وانه يعطي النتيجة التي توقعناها من استعماله ،

\* - (في البدء كان العمل) (قولته) (فاوست) . القسم الاول ،  
المشهد الثالث (ومكتب فاوست) . الناشر .

كان ذلك الدليل الايجابي على ان احساساتنا بالشيء وصفاته تنطبق ضمن هذه الحدود على الواقع القائم خارجاً عنا . وحين نرى ، بالعكس ، اننا اخطانا ، فاننا نعرف ، بعد وقت قصير على الاغلب ، كيف نكتشف سبب هذا الخطأ ؛ فنجد ان الاحساس الذي كان اساس امتحاننا ، اما انه كان بعد نفسه سطحياً وغير كامل ، واما انه كان مرتبطاً بنتائج احساسات اخرى على نحو لا يبرره الواقع ؛ وهذا ما نسميه بالقياس الفاسد . وما دمنا نطور حواسنا ونستخدمها على نحو صحيح ، وما دمنا نحصر نشاطنا في الحدود التي رسمتها احساساتنا الحاصلة والمستخدمه على نحو صحيح ، فاننا سنجد دائماً ان نجاح اعمالنا يقدم البرهان على تطابق احساساتنا مع الطبيعة الموضوعية للاشياء المحسوسة . وحسب معرفتنا حتى الآن ، لم يحدث مرة ان تربت علينا ان نستنتج ان احساساتنا الحسية ، المراقبة علمياً ، تولد في عقلنا افكاراً عن العالم الخارجي تحيد بحكم طبيعتها عن الواقع ، او ان تنافراً لازماً يقوم بين العالم الخارجي واحساساتنا الحسية به

والآن ، يطل المجزي الكانطي الجديد ويقول من الممكن اننا نستطيع ان نحسّ على نحو صحيح صفات شيء من الاشياء ، ولكننا لا نستطيع ، باي اسلوب حسي او ذهني ، ان نعرف الشيء بعد ذاته ان هذا «الشيء بذاته» يقع خارج معرفتنا . وقد اجاب هيجل على هذا القول منذ زمن بعيد : اذا كنت تعرف جميع صفات شيء من الاشياء ، عرفت الشيء ذاته ؛ ولا يبقى من ثم الا مجرد واقع هو ان الشيء المذكور موجود خارج عنك ، وحين تثبت حواسك هذا الواقع ، تدرك كلياً وتاماً هذا «الشيء بذاته» ، هذا "Ding an sich" . المجهول الشهير الذي قال به كانط لا يسعنا في الوقت الحاضر الا ان نضيف الى ذلك ان معرفتنا

الاشياء الطبيعية كانت في زمن كانط غير متصلة الى حد انه كان بالامكان افتراض وجود «شيء بذاته» خفي خاص ، ما وراء القليل مما كنا نعرفه عن كل من هذه الاشياء . ولكن هذه الاشياء التي لا يمكن ادراكها قد ادركت ، منذ ذلك الحين ، الواحد بعد الاخر ، وحلت ، بل تم صنعها ايضا ، وكل ذلك بفضل منجزات العلم الجبارة فان ما نستطيع صنعه بانفسنا ، لا نستطيع ، بالطبع ، القول عنه انه يستحيل ادراكه . فالمواد العضوية مثلا كانت من هذه الاشياء الخفية بالنسبة لكيمياء النصف الاول من قرننا ، اما اليوم ، فيتسنى لنا ان نركبها اصطناعيا الواحدة بعد الاخرى ، من عناصرها الكيميائية ، دون وساطة اية عملية عضوية . ويؤكد الكيميائيون المعاصرون انه ، متى عرف التركيب الكيميائي لاي من الاجسام ، امكن تركيبه من عناصره صحيح اننا ما نزال بعيدين جدا عن المعرفة الدقيقة لتركيب المواد العضوية العليا ، ونعني بها الاجسام الاحينية ؛ ولكن ، ليس ثمة ما يدعو الى الاعتقاد اننا لن نستطيع بلوغ هذه المعرفة ، بعد قرون وقرون ، واننا لن نستطيع بواسطة هذه المعرفة انتاج الاحين الاصطناعي وحين نبلغ هذه النتيجة نكون قد صنعنا الحياة العضوية ، لان الحياة ، من ابسط اشكالها حتى اعلاها ، ليست سوى الطريقة العادية لكيونة الاجسام الاحينية .

ولكن ، ما ان بيدي صاحبنا المجزي تحفظاته الشكلية ، حتى يتكلم ويتصرف كاهرق الماديين ، كما هو في جوهر الامر فقد يقول : نظراً لما نعرف نحن ، لا يمكن خلق المادة والحركة - او الطاقة كما يقال في الوقت الحاضر - ولا يمكن ابادتهما ، بيد انه ليس لنا اي دليل على انهما لم تطلقا في وقت من الاوقات لهمله نحن . ولكن اذا حاولت ان توجه هذا الاعتراف ضده ، في حالة

خاصة ما من الحالات ، عجل في ختم المناقشة . واذا اقر بامكان الروحانية (٤٣) in abstracto ، رفض الاقرار او التحدث بوجودها in concreto . وقال لك حسب ما نعرف وما نستطيع ان نعرف ، ليس ثمة خالق او منظم للكون ؛ وحسب ما نعرف نحن ، لا يمكن كذلك لا خلق المادة والطاقة ولا ابادتهما ؛ وما الفكر ، بنظرنا ، الا شكل من اشكال الطاقة ، ووظيفة من وظائف الدماغ ؛ وكل ما نعرفه ، هو ان العالم المادي تحكمه قوانين ثابتة ، وهكذا دواليك . فهو اذن مادي ، بوصفه رجل علم ، بوصفه يعرف شيئاً ما ، ولكنه ، خارج علمه ، اي في الميادين التي لا يعرف فيها شيئاً ، يترجم جهله الى اليونانية ويسميه العجزية

وفي كل حال ، ثمة امر واحد لا ريب فيه : اني ، حتى ولو كنت عجزياً ، لما استطعت ان اطلق على المفهوم الوارد في هذا الكراس عن التاريخ ، اسم «العجزية التاريخية» . فان الناس المتدينين سيسخرون مني ، ويسألني العجزيون باستياء اذا كنت اريد الاستهزاء بهم . ولذا آمل الا تستاء الاحترامية الانجليزية خارق الاستياء اذا ما استعملت باللغة الانجليزية تعبير «المادية التاريخية» كما افعل في لغات اخرى كثيرة ، لكي اعني مفهوماً عن مجرى التاريخ العالمي يرى السبب الاول والقوة المحركة الحاسمة لجميع الاحداث التاريخية الهامة في تطور المجتمع الاقتصادي ، في تغيرات اسلوب الانتاج والتبادل ، في انقسام

• - بصورة مجردة الناشر

•• - بصورة ملموسة ، عملها . الناشر .

المجتمع الى طبقات مختلفة من جراء ذلك ، في الصراع بين هذه الطبقات

ولربما القى مزيداً من التساهل اذا ما برهنت ان المادية التاريخية تستطيع ان تفيد حتى الاحترامية البريطانية . ولقد سبق لي ان اشرت الى واقع ان الاجنبي المثقف الذي كان ، لنحو اربعين او خمسين سنة خلت ، ينتقل الى انجلترا ليقيم فيها ، كان يترك في نفسه اثرأ غير مستطاب ما كان لا بد ان يبدو له من جانب الطبقة المتوسطة المحترمة الانجليزية تظاهراً بالتقوى او حماقة ولكني سايين الان ان الطبقة المتوسطة الانجليزية المحترمة لم تكن في ذلك العهد حمقاء بالقدر الذي كانت تبدو فيه للمثقف الاجنبي . فلنزمات هذه الطبقة الدينية تفسيرها

عندما خرجت اوروبا من القرون الوسطى ، كانت الطبقة المتوسطة النامية في المدن تشكل العنصر الثوري في هذه القرون فان الوضع المعترف به الذي كانت هذه الطبقة قد اكتسبته في النظام الاقطاعي في القرون الوسطى ، غدا ضيقاً جداً لقدرتها على التوسع . وقد اصبح تطور الطبقة المتوسطة ، تطور البرجوازية ، غير متلائم مع النظام الاقطاعي ، ولذا كان لا بد ان يسقط النظام الاقطاعي .

ولكن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية كانت مركز الاقطاعية العالمي الكبير . فرغم جميع الحروب الداخلية ، كانت تضم اوروبا الغربية الاقطاعية كلها في كل سياسي كبير ، مضاد لعالم الروم الارثوذكسيين المنشقين (٤٤) وللعالم الاسلامي على السواء . وقد توجت النظام الاقطاعي بهالة من النعمة الالهية . ووضعت تسلسل المراتب الكهنوتية وفقاً للنموذج الاقطاعي ، وكانت اخيراً اكبر سيد اقطاعي ، لانها كانت تملك ما لا يقل عن ثلث الاراضي في البلدان



الكاثوليكية وقبل شن النضال الناجح ضد الاقطاعية الزمنية في كل بلد وفي مختلف مجالاتها ، كان ينبغي تحطيم منظماتها المركزية المقدسة هذه .

وال جانب نمو الطبقة المتوسطة ، كان العلم يتطور بخطى الصالقة ومن جديد ، عني بدراسة علم الفلك ، والميكانيك ، والفيزياء ، وعلم التشريح ، والفيزيولوجيا . وقد كانت البرجوازية ، لاجل تطوير صناعاتها ، بحاجة الى علم يبحث في خصائص الاجسام الطبيعية ومظاهر فعل قوى الطبيعة . وحتى ذلك الحين ، كان العلم خادم الكنيسة الوضيع ، كما ان الكنيسة لم تسمح له اطلاقا بتخطي الحدود التي رسمها الدين ؛ ولهذا السبب كان العلم اي شيء تشاء ، الا انه لم يكن علما . اما الآن فقد صار العلم على الكنيسة ؛ ولما كانت البرجوازية بحاجة الى العلم ، فقد اشتركت في هذه الثورة وهكذا ، لم اتناول الا نقطتين من النقاط التي كان لا بد

للطبقة المتوسطة النامية من ان تصطدم عندها بالكنيسة القائمة الا ان ذلك سيكون كافيا للبرهان ، اولا ، على ان هذه الطبقة بالذات وتعني بها البرجوازية كانت تشترك ، بصورة انشط من غيرها ، في النضال ضد مطامع الكنيسة الكاثوليكية ، وللبرهان ، ثانيا ، على ان كل نضال ضد الاقطاعية كان لا بد له ان يرتدي في ذلك العهد لباسا دينيا ، وكان لا بد ان يتجه ضد الكنيسة بالدرجة الاولى . ولكن اذا كان النداء الكفاحي قد ارتفع من الجامعات ومن التجار واصحاب الاعمال في المدن ، فقد كان يلاقي ، حتما ، صدى قويا بين جماهير سكان الريف ، بين الفلاحين ، الذين كانوا في كل مكان يخوضون نضالا ضاريا ضد اقطاعيهم الروحيين والزمنيين ، ناهيك باهه كان نضالا من اجل البقاء بالذات .

وقد بلغ نضال البرجوازية الأوروبية الطويل ضد الاقطاعية ذروته في ثلاث من المعارك الكبيرة الحاسمة .

المعركة الاولى هي ما يسمى بالاصلاح البروتستانتى في المانيا . فاستجابة لدعوة لوتر الى النضال ضد الكنيسة ، شبت انتفاضتان سياسيتان : في البدء انتفاضة النبلاء الصفار بقيادة فرانتس فون زيكينفن (عام ١٥٢٣) ، ثم حرب الفلاحين الكبيرة عام ١٥٢٥ . وقد قُصمت الانتفاضتان ، خصوصاً من جراء تذبذب برجوازية المدن ، اي الحزب الذي كانت له المصلحة الكبرى فيهما ؛ وليس بوسعنا ان نبحث هنا اسباب هذا التذبذب . ومد ذلك ، تحول النضال الى هراك بين الامراء المحليين والسلطة المركزية ، وانتهى بامحاء المانيا ، طوال قرنين ، من بين الامم الأوروبية التي تضطلع بدور سياسي نشيط . بيد ان الاصلاح اللوتري اقام فيها مع ذلك ديناً جديداً ، هو بالذات ذلك الدين الذي كانت الملكية المطلقة بحاجة اليه . ولم يعتنق الفلاحون في شمال شرقي المانيا اللوترية حتى تحولوا من اناس احرار الى اقلان .

ولكن كالفن احرز النصر حيث اخفق لوتر . فان عقيدة كالفن كانت تستجيب لمطالب القسم الاكثر جراً من البرجوازية في ذلك العهد . فان مذهبه القائل بالقضاء والقدر كان التعبير الديني لكون النجاح والافلاس في عالم التجارة والمزاحمة لا ينجمان عن نشاط الافراد او مهارتهم ، بل عن ظروف مستقلة عنهم . والشئ المحدد ليس ارادة او فعل اي فرد ، اما رحمة قوى اقتصادية جبارة الا انها مجهولة . وقد كان ذلك صحيحاً بخاصة في زمن الانقلاب الاقتصادي ، حين كانت جميع الطرق التجارية القديمة والمراكز التجارية القديمة تزدهر وتزدهر ومراكز جديدة ، وحين اكتشفت اميركا والهند ، وحين تدهام وانهار حق اقدس رمز للايمان

اقتصادي - وتعني به قيمة كل من الذهب والفضة . وبالإضافة الى ذلك كانت بنية كنيسة كالفن ديموقراطية وجمهورية اطلاقاً ؛ وحيث اضفي على مملكة الله طابع جمهوري ، هل كان ثمة بالامكان ان تبقى ممالك الارض امينة للملوك والاساقفة والاقطاعيين ؟ وحين اصحت اللوترية في المانيا اداة طيبة في ايدي الامراء ، اسست الكالفينية جمهورية في هولندا واحزاباً جمهورية نشيطة في إنجلترا ولا سيما في اسكتلنده .

ان الانتفاضة الكبرى الثانية التي قامت بها البرجوازية وجدت في الكالفنية مذهباً كفاحياً جاهزاً . وقد جرت هذه الانتفاضة في إنجلترا . وكانت الطبقة المتوسطة في المدن اول من اندفع فيها ، وقد انتصرت هذه الانتفاضة بفضل اشتراك الفلاحين المتوسطين في المناطق الريفية . ومن الطريف ان الفلاحين كانوا الجيش المقاتل في الانتفاضات البرجوازية الثلاث الكبرى جميعها ، وانهم هم بالذات كانوا الطبقة التي كانت تصاب حتماً بالخراب والدمار ، بعد الانتصار الذي ظفرت به ، من جراء عواقب هذا الانتصار الاقتصادي . وقد زال الفلاحون المتوسطون الانجليز كلياً تقريباً بعد كرومويل بقرن واحد . ولكن ، لولا تدخل هؤلاء الفلاحين المتوسطين وعنصر العامة في المدن ، لما امكن السير بالنضال الى نهايته الاخيرة الحاسمة ولما اعدم شارل الاول ، على المقصلة ، الامر الذي لم يكن يوسع البرجوازية وحدها القيام به يوماً . ولكي تستطيع البرجوازية ان تحصل ولو على ثمار الانتصار التي كانت آنذاك ناضجة تماماً لقطفها - كان ينبغي ان تتخطى الثورة هذا الهدف الى حد كبير ؛ تماماً كما في فرنسا عام ١٧٩٣ ، وفي المانيا عام ١٨٤٨ . ويبدو ان في هذا ، في الواقع ، قانوناً من قوانين تطور المجتمع البرجوازي .

وكان لا بد لهذا الغلو في النشاط الثوري ان تعقبه ردة رجعية تجاوزت بدورها النقطة التي لم يكن بوسعها هي ان تبقى وراءها وبعد جملة من الذبذبات ، استقر اخيراً مركز الثقل الجديد ، وغدا هذا المركز نقطة انطلاق للتطور اللاحق . وانتهت المرحلة الرائعة في التاريخ الانجليزي التي اطلقت الاحترامية عليها اسم «المصيان الكبير» والمعارك التي عقبته ، بحدث حقير نسبياً وقع في ١٦٨٩ ، ويسميه المؤرخون الليبيراليون «الثورة المجيدة» (٤٥)

كانت نقطة الانطلاق الجديدة مساومة بين الطبقة المتوسطة النامية وبين كبار ملاكي الاراضي الاقطاعيين السابقين ان هؤلاء الملاكين ، الذين ما يزال يطلق عليهم اليوم كما بالامس اسم الاريسقراطية ، كانوا منذ وقت طويل بسبيل ان يصبحوا ما لم يصبحه لويس فيليب في فرنسا الا بعد مرور حقبة طويلة من الزمن ، اي «البرجوازي الاول في المملكة» . ولحسن حظ انجلترا ان البارونات الاقطاعيين القدماء قد تذابحوا خلال حرب الوردتين (٤٦) اما اخلافهم ، الذين انحدروا بعامة من هذه الاسر القديمة ، فان فروعهم قد ابتعدت ، مع ذلك ، عن الاصل الى حد انهم شكلوا فئة جديدة تماماً ؛ وكانت عاداتهم ومطامحهم برجوازية اكثر بكثير مما هي اقطاعية كانوا يعرفون تمام المعرفة قيمة المال فشرعوا فوراً في زيادة الربح العقاري ، طاردين المئات من صفار المستاجرين من الارض ، ومستعيزين عنهم بالانعام ثم ان هنري الثامن خلق طائفة واسعة جداً من اسياد الاراضي الجدد من بين البرجوازيين عن طريق توزيع املاك الكنيسة بسخاء او بيعها بثمان بخص ؛ والى نفس النتيجة ادت المصادر التي لا عد لها للاملاك الكبيرة والتي استمرت حتى نهاية القرن السابع عشر ، وكانت هذه الاملاك تعطى من جديد لحديثي النعمة ، من كل شاكلة وطراز ، بمعنى

هذه الكلمة المباشر او المجازي . ولذا ، لم تعارض «الاريسقراطية» الانجليزية ، منذ عهد هنري السابع ، تطور الانتاج الصناعي ، بل سعت بالعكس الى الاستفادة منه بصورة غير مباشرة . وقد كان هناك ايضا على الدوام قسم من الملاكين العقاريين الكبار مستعد ، لاسباب اقتصادية او سياسية ، للتعاون مع زعماء البرجوازية المالية والصناعية وهكذا امكن ان تتم مساومة عام ١٦٨٩ بسهولة فقد تركت الغنيمة السياسية - المناصب الاربعة والدائمة - لملاكي الاراضي النبلاء ، شرط احترام ما للطبقة المتوسطة المالية والصناعية والتجارية من مصالح اقتصادية . وقد كانت هذه المصالح الاقتصادية قوية في ذلك العهد الى حد السيطرة على سياسة الامة العامة . كانت ثمة ، بالطبع ، مشاحنات حول هذه المسألة او تلك ، ولكن الطغمة الاريسقراطية كانت تدرك تمام الادراك ان ازدهارها الاقتصادي مرتبط بصورة لا تنفصم عراها بازدهار الطبقة المتوسطة الصناعية والتجارية

ومنذ ذلك الحين ، غدت البرجوازية جزءاً اصيلاً ، وضيعةً من الطبقات الحاكمة في انجلترا ، ولكنه جزء معترف به ، وله مع سائر الاجزاء مصلحة في الخضاع الجماهير الشعبية الكادحة الغفيرة . فالتاجر او الصناعي شغل مركز رب العمل او ، كما كان يقال في انجلترا منذ زمن غير بعيد ، «الرئيس الامر الطبيعي» ازاء مستخدميه وعماله وخدمه وكانت مصلحته تقضي عليه بان يبتز منهم اكبر قدر ممكن من العمل واحسنه بقدر الامكان ؛ ولهذا الغرض كان ينبغي له ان يعودهم على الرضوخ اللازم . وكان ، هو نفسه ، متديناً ؛ وكان دينه قد اعطاه راية تطلب تحتها على الملك والاسياد . وسرعان ما اكتشف ايضا في هذا الدين وسيلة لكي يكيف عقول رعاياه الطبيعيين ولكي يجعلهم طيعين لاوامر

ارباب العمل الذين وضعتهم عناية الله المجهولة فوقهم . وبايجاز ، أصبح البرجوازي الانجليزي منذ ذلك الوقت يشارك في قمع والفنات الدنيا - في اضهاد الجماهير الشعبية الضغرة المنتجة - وكان تأثير الدين وسيلة من الوسائل المستخدمة في هذه الاغراض وعمة امر آخر اسهم في تعزيز النزعة الدينية عند البرجوازية ، هو ازدهار المادية في انجلترا فان هذا المذهب الجديد لم يكن ليشر زعر الطبقة المتوسطة التقية وحسب ، بل انه اعلن نفسه ايضا ، في آخر المطاف ، الفلاسفة الوحيدة الملازمة للناس المتعلمين وللمثقفين العلمانيين ، وذلك على نقيض الدين الذي يصلح تماما للجماهير غير المتعلمة ، بما فيها البرجوازية ومع هوبس ، يبرز هذا المذهب على المسرح ، مدافعا عن الامتيازات الملكية وعن الحكم المطلق ، ودعا الملكية المطلقة الى ترويض هذا *puer robustus sed malitiosus* ، اي الى ترويض الشعب كذلك كان الامر مع اتباع هوبس ، مع بولينفروك ، وشافتسبري ، وغيرهما ؛ فان الشكل الجديد من المادية اي التاليه السببي ، ظل مذهباً اريستقراطياً ، مطلقاً خفياً ، ولذا كانت تكرهه الطبقة المتوسطة ، لا لهرطقاته الدينية وحسب ، بل ايضا لعلاقته بالاتجاه السياسي المعادي للبرجوازية . ولذا ، بوجه هذه المادية وهذا التاليه السببي الارستقراطيين ، تبين ان الشيع البروتستانتية بالذات ، التي كانت تقدم الراية والمحاربين في النضال ضد آل ستوارت ، كانت تقدم ايضا القوى المحاربة الرئيسية للطبقة المتوسطة التقدمية وما تزال تشكل اليوم العمود الفقري والحزب الليبرالي الكبير

• - هذا الولد القوي ، ولكنه الخبيث . من مقدمة هوبس لكتابه  
ومن المواطن . لتناهر .

خلال هذه الحقبة ، انتقلت المادية من انجلترا الى فرنسا حيث التقت مدرسة فلسفية مادية اخرى ، هي فرع من الفلسفة الكارتيزية (٤٧) ، والدمجت معها في بادى الامر ، ظلت المادية في فرنسا ايضا مذهباً اريستقراطياً بوجه الحصر ولكن طابعها الثوري برز بسرعة ولم يقصر الماديون الفرنسيون انتقادهم على حقل الدين ، بل انتقدوا ايضا كل تقليد علمي وكل مؤسسة سياسية في زمنهم . ولكي يشبتوا ان نظريتهم ذات تطبيق شامل ، اختاروا طريقاً مختصراً ، اذ طبقوها بشجاعة على جميع مواضيع المعرفة في مؤلف عملاق اخدوا اسمه ، هو «الانسيكلوبيديا» . وهكذا عدت المادية بهذا الشكل او ذلك من شكلها ، المادية السافرة او التاليه السببي ، - مذهب كل الشبيبة المتعلمة في فرنسا ، وكان نفوذ هذا المذهب كبيراً الى حد انه ، وهو الذي حضنه الملكيون في انجلترا ، قد اعطى الجمهوريين وانصار الازهاب الفرنسيين راية نظرية اثناء الثورة الكبرى ، وقدم نص «اعلان حقوق الانسان» (٤٨)

وقد كانت الثورة الفرنسية الكبرى الانتفاضة الثالثة التي قامت بها البرجوازية ، ولكنها كانت اول انتفاضة خلعت عن نفسها الزي الديني كلياً ، وجرى النضال فيها على صعيد سياسي سافر . وكانت ايضا اول انتفاضة سار النضال فيها حق النهاية بالفعل ، حق القضاء على احد الطرفين المتحاربين ، الاريستقراطية ، قضاء تاماً ، وحق انتصار الطرف الآخر ، البرجوازية ، انتصاراً نهائياً في انجلترا تجسدت الصلة المستمرة بين مؤسسات ما قبل الثورة وما بعدها ، والمساومة بين ملاكي الاراضي الكبار والرأسماليين ، في استمرار السوابق الحقوقية وفي الاحتفاظ باشكل القانون الاقطاعية باحترام واجلال . اما في فرنسا فقد

قطعت الثورة قطيعة نهائية مع تقاليد الماضي ، وكنتت آخر آثار  
الاقطاعية ، وكيفت في Code civil (٤٩) بمهارة على الاوضاع  
لرأسمالية المعاصرة القانون الروماني القديم - وهو تعبير كامل  
تقريباً عن العلاقات الحقوقية المطابقة لمرحلة التطور الاقتصادي  
التي يسميها ماركس بالانتاج البضاعي ، - بدرجة من المهارة لا  
تزال معها الآن ايضاً هذه المجموعة الثورية الفرنسية من القوانين  
قدوة ومثالا لاصلاح قوانين الملكية في جميع البلدان الاخرى ،  
بما فيها إنجلترا بيد انه يترتب علينا الا ننسى الامر التالي  
اذا كان القانون الانجليزي ما يزال يعبر عن علاقات المجتمع  
الرأسمالي الاقتصادية في هذه اللغة البربرية الاقطاعية التي تنطبق  
على الشيء المعبر عنه بالقدر الذي تنطبق به الكتابة الانجليزية  
على اللفظ الانجليزي - قال فرنسي : vous écrivez Londres et  
vous prononcez Constantinople . - فان هذا القانون  
الانجليزي نفسه هو ايضاً القانون الوحيد الذي حفظ عبر القرون  
بلا تشويه ونقل الى اميركا والى المستعمرات خير قسم من الحريات  
الالمانية القديمة - وهي الحرية الشخصية والحكم الذاتي المحلي ،  
والضمانة دون كل تدخل ، باستثناء تدخل المحاكم القضائية ، -  
بينما زالت تماماً هذه الحريات في القارة خلال عهد الملكيات  
المطلقة ، ولم تتم حتى الآن اعادتها بكاملها في اي مكان كان .  
ولكن ، لنعد الى صاحبنا البرجوازي البريطاني فان الثورة  
الفرنسية اتاحت له فرصة رائعة لتعطيم التجارة البحرية  
الفرنسية بمساعدة الملكيات القارية ، وللاستيلاء على المستعمرات  
الفرنسية ولسحق آخر مطامح فرنسا الى المنافسة البحرية .



وهذا سبب من الاسباب التي حملت البرجوازي البريطاني على محاربة هذه الثورة اما السبب الثاني ، فهو ان اساليب هذه الثورة لم تكن مرضيه اطلاقاً فلم يكن يرضيه لا ارهاب الثورة «القبيح» ، ولا محاولة الثورة لبسط سيطرة البرجوازية بصورة مطلقة . وما عسى ان يعمل البرجوازي البريطاني دون اريستقراطيته التي كانت تعلمه آداب المعاشرة ، - وهي آداب جديرة بعلمه ، - والتي كانت تفتخر له موضه ، وتقدم له ضباطا للجيش الذي يحافظ على النظام داخل البلاد ، وضباطا للاسطول الذي يستولي على مستعمرات جديدة واسواق جديدة في الخارج ؟ صحيح انه كانت ثمة اقلية تقدمية من البرجوازية لم تكن مصالحها تكسب كثيراً من المساومة . وهذه الاقلية ، المؤلفة بصورة رئيسية من فئات من الطبقة المتوسطة اقل يسراً ، عطفت على الثورة ، ولكنها كانت عاجزة في البرلمان

وهكذا ، كلما غدت المادية اكثر فاكثر رمز ايمان الثورة الفرنسية ، كلما تعاطم تمسك البرجوازي الانجليزي بدينسه ، وهو العائش في خوف الله . ألم يبين عهد سيطرة الارهاب ( ٥٠ ) في باريس الى ما تؤول الامور اذا فقد الشعب مشاعره الدينية ؟ وكلما انتشرت المادية وانتقلت من فرنسا الى البلدان المجاورة وعززتها تيارات نظرية مماثلة ، ولا سيما الفلسفة الالمانية ، وكلما غدت المادية وغدا الفكر الحر على العموم في القارة الصفتين المطلوبتين من كل انسان مثقف ، ازدادت الطبقة المتوسطة الانجليزية تمسكا بنحلها الدينية المتنوعة كانت هذه النحل مختلفة جداً ، الا انها كانت تتسم جميعها بطابع ديني ومسيحي واضح .

وبينما كانت الثورة قد امنت في فرنسا انتصار البرجوازية السياسي ، شرع واط واركرات وكارترات وغيرهم في انجلترا بثورة صناعية نقلت كليا مركز ثقل القوى الاقتصادية فقد اخذت ثروة البرجوازية تنمو الآن باسرع بما لا يقاس من نمو ثروة الاريستقراطية العقارية وفي صفوف البرجوازية نفسها ، قذف اصحاب الفبارك اكثر فاكثر بالاريستقراطية المالية واصحاب المصارف ، الخ ، الى المرتبة الثانية . ولم تبق مساومة ١٦٨٩ منطبقة على نسبة القوى بين المشتركين في هذه المساومة ، رغم ما طرأ عليها من تعديلات تدريجية في صالح البرجوازية . كذلك تعدل طابع المشتركين ؛ فان برجوازية ١٨٢٠ كانت تختلف اختلافا كبيرا عن برجوازية القرن السابق فان بقاء السلطة السياسية في ايدي الاريستقراطية التي كانت تستخدمها للوقوف بوجه مطامع البرجوازية الصناعية الجديدة ، لم يبق متلائما مع المصالح الاقتصادية الجديدة ولذا كان لا بد من استئناف النضال ضد الاريستقراطية ، وكان لا بد لهذا النضال من ان ينتهي بانتصار القوة الاقتصادية الجديدة . في بادى الامر اجري الاصلاح البرلماني (٥١) رغم جميع المعارضات ، وبفضل تأثير ثورة ١٨٢٠ الفرنسية . وقد اكسب هذا البرجوازية مكانة كبيرة ومعترفا بها في البرلمان . ثم الفيت القوانين على الحبوب ، مما امن الى الابد تفوق البرجوازية على الاريستقراطية العقارية ، ولا سيما تفوق قسمها الاوفر نشاطا ، اصحاب الفبارك وكان ذلك اعظم انتصار احرزته البرجوازية ، ولكنه كان ، في الوقت نفسه ، آخر انتصار احرزته في صالحها وحدها دون غيرها . فقد اضطرت ، فيما بعد ، الى ان تقسم جميع انتصاراتها الاخرى مع

قوة اجتماعية جديدة، كانت في البدء حليفة لها ، ثم غدت منافسة لها

ذلك ان الثورة الصناعية لم تؤد الى نشوء طبقة من اصحاب الفبارك الرأسماليين الكبار فحسب ، بل ادت ايضا الى نشوء طبقة من عمال الفبارك اوفر عدداً بكثير . وكانت هذه الطبقة تنمو عددياً بقدر ما كانت الثورة الصناعية تشمل فرعا تلو آخر من الانتاج . وكانت قوتها تزداد مع ازدياد عددها ، وقد برزت هذه القوة في عام ١٨٢٤ ، حين اجبرت برلمانا عنيداً متمتناً على إلغاء القوانين التي تحرم الجمعيات العمالية (٥٢) وخلال الدعاية من اجل الاصلاح ، شكل العمال الجناح الراديكالي في حزب الاصلاح وحاء قانون عام ١٨٣٢ وحرهم من حق الاقتراع ، فصاغوا مطالبهم في ميثاق الشعب (٥٣) ، وانتظموا في حزب مستقل ، هو الحزب الشارتي (٥٤) ، الذي كان اول حزب عمالي في ايامنا ، وذلك لمعارضة العصبة البرجوازية القوية التي طالبت بإلغاء القوانين على الحبوب

ثم انفجرت الثورات في القارة ، في شباط وآذار (فبراير ومارس) ١٨٤٨ ، وقد اضطلع العمال فيها بدور بارز ، وصاغوا فيها ، في باريس على الاقل ، مطالب كانت ، بكل تأكيد ، غير مقبولة من وجهة نظر المجتمع الرأسمالي . وعقب ذلك ، قامت ردة رجعية عامة كان من نتائجها اولا هزيمة الشارتيين في ١٠ نيسان (ابريل) ١٨٤٨ (٥٥) ، ثم سحق انتفاضة العمال الباريسييين في حزيران (يوليو) من نفس السنة ؛ ثم هزائم ١٨٤٩ في ايطاليا والمجر والمانيا الجنوبية ، واخيراً انتصار لويس بونابرت على باريس ، في ٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ (٥٦) . وهكذا امكن الخلاص من المطالب العمالية ، من

هذه الفزاعة الرهيبة ، وان لفترة من الزمن ، ولكن باي ثمن ! فاذا كان البرجوازي البريطاني قد اقتنع فيما مضى بانه ينبغي اخضاع الشعب البسيط بواسطة الدين ، فباي مزيد من القوة كان لا بد له من ان يشعر بضرورة ذلك بعد كل ما عاناه ! ولذا استمر البرجوازي البريطاني ينفق الآلاف وعشرات الآلاف ، وسنة اثر سنة ، في سبيل التبشير بالانجيل في صفوف الفئات الدنيا ، دون أن يتنازل ويلقي بالا لسفريات زملائه القاريين . ولم يكتف بآلته الدينية فاستنجد «بالاخ جوناتان» اي باحدق واكبر مضارب في حقل الدين واستورد من اميركا يقظة (revivalism) (٥٧) مودي وسالكي وامثالهما ، بل انه قبل اخيراً المساعدة الخطرة التي اسداها «جيش الخلاص» الذي يعيد اشكال للدهاية التي لجأت اليها المسيحية البدائية ، ويتوجه الى الفقراء بوصفهم اناسا اختارهم الله ، ويكافح الرأسمالية بطريقته الدينية ، ويطور بالتالي عناصر من النضال الطبقي المسيحي البدائي من شأنها ان تثير ذات يوم الكثير من القلق بين الاثرياء الذين يقدمون المال الآن لهذا الغرض .

يبدو ان من قوانين التطور التاريخي الا تتمكن البرجوازية ، في اي بلد من بلدان اوروبا ، من الاستيلاء على السلطة السياسية بلا منازع ، -لزمين طويل كفاية على الاقل- كما فعلت الاريستقراطية الاقطاعية في القرون الوسطى وحتى في فرنسا ، حيث استوصلت الاقطاعية من عميق جذورها ، لم تستول البرجوازية ، بوصفها طبقة ، على الحكم بكامله ، الا خلال حقبات قصيرة من الزمن . ففي عهد لويس فيليب ، (١٨٣٠-١٨٤٨) ، حكمت فئة صغيرة من البرجوازية ، وحرمت فئتها الاكثر عدداً بكثير من حقوق الاقتراع بواسطة نصاب انتخابي عال جداً . وفي

عهد الجمهورية الثانية (١٨٤٨-١٨٥١) ، حكمت البرجوازية بأسرها ، ولكن لمدة ثلاث سنوات فقط ؛ وقد ادى عجزها الى الامبراطورية الثانية والآن فقط ، في عهد الجمهورية الثالثة ، احتفظت طبقة البرجوازية بأسرها بالسلطة خلال عشرين سنة ؛ وها انه تبدو عليها الآن علائم انحطاط تجلب السرور وحتى الآن لم تستطع البرجوازية ان تبسط سيادتها لمدة طويلة الا في بلدان كأميركا ، حيث كانت الاقطاعية غير معروفة ، وحيث تشكل المجتمع ، منذ البدء ، على الاساس البرجوازي ولكن خلفاء البرجوازية ، العمال ، يقرعون الباب بشدة حتى في فرنسا وأميركا

ان البرجوازية لم تملك قط السلطة في إنجلترا دون منازع حتى ان انتصارها في عام ١٨٣٢ ترك في ايدي الارستقراطية جميع المناصب الحكومية الرئيسية تقريبا لقد استعصى علي فهم الضعة التي قبلت بها الطبقة المتوسطة الفنية هذا الوضع الى ان سمعت صناعيا ليبراليا كبيرا ، اسمه و . ا . فورستر ، يلقي خطابا امام الشباب في برادفورد ويتوسل فيه اليهم ان يتعلموا اللغة الفرنسية بوصفها وسيلة للمرء كي يشق طريقه في الحياة ؛ وقد استشهد بتجربته الخاصة وروى قصة اضطرابه وتلبكه عندما دخل فجأة ، بوصفه زيرا ، في مجتمع كانت اللغة الفرنسية ضرورية فيه على الاقل بقدر ما هي عليه اللغة الانجليزية ؛ وبالفعل ، كان ممثلو الطبقة المتوسطة الانجليزية عادة في ذلك العهد حديثي النعمة ، عديمي الثقافة تماما ، وكان لا بد لهم ، سواء شاؤوا ام ابوا ، ان يتركوا للارستقراطية جميع المناصب الحكومية العليا ، حيث كان من الضروري ان يتمتع المرء بصفات غير ضيق الفكر الجزائري والعجرفة

الجزائرية ، المجمعين بالمهارة في الاعمال • بل ان المناقشات اللامتناهية التي تجري اليوم على صفحات الجرائد حول التعليم البرجوازي (middle-class education) ، تثبت ان الطبقة المتوسطة الانجليزية لا تعتبر نفسها سالحة كفاية لتوفير ثقافة عالية ، وتطمع بشيء اكثر تواضعاً ولذا بدا من الطبيعي تماماً ، حتى بعد الغاء القوانين على الحبوب ، ان استبعد اولئك

\* ثم ان الفطرسة الشوفينية القومية هي نصيح رديء جداً في ميدان الاعمال ايضاً فحتى الآونة الاخيرة ، كان الصناعي الانجليزي العادي يعتبر انه من المهمين للانجليزي ان يتكلم بلغة غير لفته ، وكان يتفاخر الى حد ما بان (المساكين) الاجانب يقيمون في الجلترا ويعفونه من مؤونة تصريف منتجاته في الخارج . بل انه لم يلاحظ ان هؤلاء الاجانب ، الذين كانوا بمعظمهم من الالمان ، قد وضعوا يدهم ، بفضل ذلك ، على قسم كبير من التجارة الخارجية البريطانية ، سواء في حقل الصادرات ام في حقل الواردات ، وان التجارة الخارجية البريطانية المباشرة اخذت تفتقر تدريجياً على المستعمرات والصين والولايات المتحدة وامريكا الجنوبية وكذلك لم يلاحظ ان هؤلاء الالمان كانوا يتاجرون مع المان آخرين خارج الحدود ، وان هؤلاء الاخرين شكلوا مع مر الزمن شبكة كاملة من المستعمرات التجارية في عموم الكرة الارضية . ولكن عندما فرغت المانيا منذ اربعين سنة تنتج بصورة جدية من اجل التصدير ، قدمت لها هذه الشبكة من المستعمرات خدمة ممتازة لاجل تحويلها في اجل قصير جداً من بلد يصدر الحبوب الى بلد صناعي من الدرجة الاولى . ولذلك ، اي منذ عشر سنوات ، تملك القلق الصناعي الانجليزي في آخر المطاف ، فطلب من سفرانه وقناصله ان يبينوا له كيف حدث له انه لم يبق في مستطاهه ان يحتفظ بزبائنه فجاء الجواب بالاجماع : ١- انت لا تتعلم لغة زبائنك ، بل تطالب بان يتكلموا بلفتك ٢- انت لا تحاول ان تلبى حاجات زبائنك وعاداتهم واذواقهم ، وليس هذا وحسب ، بل تطالب ايضاً بان يعملوا بمنوجب حاجاتك وعاداتك واذواقك ، الانجليزية .

الذين استطاعوا احراز النصر ، من امثال كوبدن ، وبرايث وفورستر ، وغيرهم عن الاشتراك رسمياً في حكم البلاد ، الى ان جاء الاصلاح البرلماني الجديد (٥٨) بعد عشرين سنة وفتح لهم ابواب مكاتب الوزراء وما تزال البرجوازية الانجليزية متشعبة حتى اليوم بشعور دونيتها الاجتماعية الى حد انها تمول على حسابها وعلى حساب الشعب طائفة مزينة من الزنايب مهمتها تمثيل الامة تمثيلاً لانقاً في جميع المناسبات الرسمية ، وهي تعتبر انها حصلت على سامي الشرف حين يعتبر احد اعضائها جديراً بان يقبل في هذه الطائفة المختارة المميزة ، رغم انها صنعتها بنفسها

ولم تكد الطبقة المتوسطة الصناعية والتجارية تتوصل الى طرد الاريسقراطية العقارية من السلطة السياسية نهائياً ، حتى برز منافس جديد ، هو الطبقة العاملة الا ان الردة الرجعية التي اعقبت الحركة الشاربية والثورات القارية ، وكذلك ازدهار الصناعة الانجليزية بصورة لا سابق لها من عام ١٨٤٨ الى عام ١٨٦٦ (الازدهار المنسوب عادة الى تأميم حرية التجارة وحدها ، ولكنه الناجم ، الى حد اكبر بكثير ، من تطور السكك الحديدية والملاحة المحيطة ووسائط النقل بوجه عام تطوراً هائلاً) قد اخضعا العمال مرة اخرى لتبعية الحزب الليبرالي الذي شكلوا فيه جناحه الراديكالي كما في الايام التي سبقت الحركة الشاربية . الا ان مطلب حق الانتخاب للعمال غدا تدريجياً مطلباً لا يقاوم . وبينما كان الزعماء الويغ (٥٩) للحزب الليبرالي يجبنون ، اظهر دزرائيلي تفوقه ، اذ انه حمل التوري (٦٠) على استفلال الفرصة السانحة ، فادخل حق الاقتراع في الدوائر الانتخابية بالمدن لمستاجري المساكن (household suffrage) وعدل تقسيم

الدوائر الانتخابية وبعد فترة وجيزة جاء التصويت السري ؛ ثم ، في عام ١٨٨٤ ، شمل حق الاقتراع مستاجري المساكن في المقاطعات الريفية ، وطراً تعديل جديد هل تقسيم الدوائر الانتخابية جعلها متساوية نوعاً ما . وقد زادت كل هذه التدابير من القوة الانتخابية للطبقة العاملة زيادة كبيرة جداً الى حد ان العمال يشكلون الآن اكثرية المقترعين في ١٥٠ او ٢٠٠ دائرة انتخابية على الاقل ولكن ليست ثمة مدرسة لتعليم موقف الاحترام من التقاليد خيراً من النظام البرلماني ؛ فاذا كانت الطبقة المتوسطة تنظر باجلال واحترام الى ما كان يسميه اللورد جون مانرز مازحاً وطبقتنا النبيلة القديمة ، فان سواد العمال كانوا يتطلعون آنذاك باحترام وتقدير الى ما كان يسمى في ذلك الوقت «بخير الطبقات» ، اي الى الطبقة المتوسطة وبالفعل ، كان العامل البريطاني ، لخمسة عشر عاماً تقريباً ، العامل النموذجي الذي كان احترامه وتقديره لصاحبه وقناعاته وخجله عند المطالبة بحقوقه تصب البلمس الشامي على جراح اصحابنا الاقتصاديين الالمان من مدرسة اشتراكية الكرواسي (Katheder-Sozialismus) (٦١) الذين كانت تصيبهم بها النزعات الشيوعية والثورية المستعصية عند ابناء بلدهم ، اي عند العمال الالمان .

ولكن الطبقة المتوسطة الانجليزية كانت ابعد نظراً من الاضالدة الالمان ، اذ كانت تتألف من رجال اعمال اكثر براعة منهم ولم تتنازل عن قسم من سلطتها للعمال الا تحت ضغط الظروف فقد تعلمت خلال الحركة الشاربية فهم ما يستطيعه الشعب ، هذا *puer robustus sed malitiosus* ومثل ذلك اضطرت الى جعل جزء كبير من مطالب ميثاق الشعب قانوناً للمملكة المتحدة . فالان ، ينبغي ، اكثر من اي وقت مضى ،



اخضاع الشعب بوسائل معنوية واول وسيلة واهم وسيلة معنوية للتأثير في الجماهير كانت تروال الدين . ولهذا يسود القسم في اللجان المدرسية ، ولهذا تفرض البرجوازية على نفسها نفقات متزايدة من اجل تشجيع مذهب اليقظة بكل مظاهره وانواعه ابتداء من النظام الطقسي (٦٢) حتى « جيش الخلاص »

والآن ، احرزت الاحترامية البريطانية انتصاراً على الفكر الحر وظل الالمبالاة الدينية عند البرجوازي القاري فقد امتلأ العمال الفرنسيون والعمال الالمان بروح التمرد . واصيبوا جميعاً بوباء الاشتراكية ، وفضلا عن ذلك ، لم يكونوا يهتمون كثيراً ، لاعتبارات موزونة جداً ، بمراعاة القانون عند اختيار الوسائل للظفر بالسلطة . واخذ هذا *puer robustus* يوداد بالفعل *malitiosus* يوماً بعد يوم . فلم يبق امام البرجوازية الفرنسية والبرجوازية الالمانية من وسيلة ، الا رمي فكرهما الحر خلسة الى جانب ، كما يرمي الشاب بصورة غير ملحوظة الى البحر ، حين يصاب بالدوار ، السيكار المشتعل الذي كان يزهو به على متن الباخرة . فان المجدفين على الله اخلدوا ، الواحد تلو الآخر ، يتظاهرون بالتقوى ، ويتحدثون باحترام عن الكنيسة وعقائدها وطقوسها ، بل انهم اخلدوا يتقيدون بها لانه كان من المستحيل تجنبها . واكتفى البرجوازيون الفرنسيون *maigre* • ايام الجمعة واصفى البرجوازيون الالمان ، في صبر ، الى المواعظ البروتستانتية الطويلة ايام الاحاد وهم جالسون على مقاعدهم في الكنيسة . وحلت بالبرجوازيين مصيبة بسبب ماديتهم .

„Die Religion muss dem Volk erhalten werden“ - وينبغي الاحتفاظ بالدين من اجل الشعب - هذه هي الوسيلة الاخيرة والوحيدة

لانقاذ المجتمع من الهلاك التام . ولكنهم ، لسوء حظهم ، لم يكتشفوا ذلك الا بعد ان بذلوا قصارى جهودهم لتعطيم الدين الى الابد والآن ، جاءت اللحظة التي استطاع فيها البرجوازي البريطاني بدوره ان يسخر منهم ويهتف قائلاً : وايها الاغبياء ، كان بوسعي ان اقول لكم ذلك منذ مائتي سنة !

بيد اني اخشى ان لا تستطيع ، لا غباوة البرجوازي البريطاني الدينية ولا ارتداد البرجوازي القاري الى الدين *post festum*\* ، ان يقيما سداً بوجه مد البروليتاريا الصاعد اعلى فاعلى ان التقليد قوة كبيرة معوقة ، انه *vis inertiae*\*\* في التاريخ ؛ ولكن ، بما انه منفعل وحسب ، فمن المؤكد تعطيمه . ولذا فان الدين ايضا لا يسعه ان يكون سندا للمجتمع الرأسمالي مدة طويلة واذا كانت افكارنا الحقوقية والفلسفية والدينية هي نتائج ، قريبة او بعيدة الى هذا الحد او ذاك ، للعلاقات الاقتصادية السائدة في مجتمع معين ، فلا يمكن لهذه الافكار ان تبقى طويلا بعد تغير العلاقات الاقتصادية تغيراً تاماً . ولا بد لنا إما ان نؤمن بوحي ما فوق الطبيعة ، واما ان نقر بانه ما من عقيدة دينية تستطيع ان تنقل مجتمعا منهاراً

وبالفعل ، اخذ العمال في إنجلترا ايضا يتحركون من جديد . ولا ريب انهم مقيدون بشتى التقاليد اولا التقاليد البرجوازية ومنها هذا الوهم الواسع الانتشار والقائل انه لا يمكن ان يكون ثمة سوى حزبين ، حزب المحافظين والحزب الليبرالي ، وانه ينبغي للطبقة العاملة ان تتوصل الى تحررها بمساعدة الحزب الليبرالي

\* - بعد فوات الاوان (حرفياً ، بعد العيد) . الناشر .

\*\* - قوة الاستمرار . الناشر .

الكبير . ثانياً تقاليد العمال انفسهم ، الموروثة من ازمة المحاولات  
الوجلة الاولى ، محاولات قيام الطبقة العاملة بعمل مستقل : ومن  
هذه التقاليد فصل جميع العمال الذين لم يقضوا مدة التدريب  
المنتظم من التريديونيونات ( النقابات ) الكثيرة القديمة ، وهذا  
يعني فقط ان كلا من هذه النقابات تخلق لنفسها جماعة من كامري  
الاضرابات . ولكن الطبقة العاملة الانجليزية تتحرك الى الامام رغم  
كل ذلك ، حتى ان الاستاذ برينتانو ملزم بابلاغ هذا الامر ،  
باسف ، الى زملائه في Katheder-socialisten ان الطبقة العاملة  
تتحرك - ككل شيء في انجلترا - بخطى بطيئة متوترة ، هنا تتردد ،  
وهناك تتسكع وتقوم بمحاولات وجلة وعقيمة احيانا وهي هنا  
وهناك ، تتحرك بظلو في الحذر من كلمة «الاشتراكية» ، في حين  
انها تمتص تدريجياً جوهر الاشتراكية انها تتحرك ، وها هي  
حركتها تمتد وتشمل الفئات العمالية ، الواحدة تلو الاخرى . وقد  
هزت هذه الحركة في الوقت الحاضر فعلة ايست-اند (٦٣) في لندن  
وايقظتهم من خمودهم ، فرأينا اية دفعة رائعة اطلقتها هذه القوى  
الجديدة بدورها في الطبقة العاملة واذا كانت هذه الحركة لا  
تسير بالسرعة التي يرغب فيها بعضهم من فالدي الصبر ، فلا  
ينسون ان الطبقة العاملة هي التي تصون خير صفات الطبع  
الانجليزي القومي ، وانه حين تتم خطوة الى الامام في انجلترا ،  
فانها ، على العموم ، لا تذهب ابدأ هباء . واذا كان ابناء الشارتيين  
القدماء ، للاسباب المذكورة اعلاه ، غير ما كان من الممكن  
انتظاره ، فان احفادهم سيكونون ، على ما يبدو ، جديريين  
باجدادهم

بيد ان انتصار الطبقة العاملة الاوروبية لا يتوقف على  
انجلترا فقط : فلن يمكن احراز هذا الانتصار الا بتضافر جهود انجلترا

وفرنسا والمانيا (٦٤) على الاقل . فان الحركة العمالية في فرنسا  
 والمانيا تسبق كثيرا الحركة العمالية في انجلترا بل انه يمكن  
 تعيين موعد انتصارها في المانيا فان النجاحات التي احرزتها  
 هناك الحركة العمالية خلال السنوات الخمس والعشرين الاخيرة لا  
 سابق لها . فهي تتقدم بسرعة نامية ابدأ . واذا كانت الطبقة  
 المتوسطة الالمانية قد اظهرت حقارة يرئى لها ، وانعدام الكفاءات  
 السياسية والروح النظامي والجرأة والعزيمة والمثابرة ، فان  
 الطبقة العاملة الالمانية قد بينت تماما انها تملك جميع هذه الصفات  
 بصورة كافية . لقد كانت المانيا ، منذ اربعمئة سنة تقريبا ، نقطة  
 الانطلاق لاول انتفاضة كبيرة قامت بها الطبقة المتوسطة الأوروبية ؛  
 وفي الطور الذي بلغته الاحداث الآن ، هل من خارج حدود الامكان ان  
 تصبح المانيا ايضا مسرحا لاول انتصار كبير تحرزه البروليتاريا  
 الأوروبية ؟

ف . انجلس

٢٠ نيسان (ابريل) ١٨٩٢

يصدر حسب نص الكتاب . تمت  
 الترجمة نقلا عن الانجليزية

صدر في كتاب : Frederick Engels.  
 „Socialism Utopian and Scientific“.  
 London, 1892

ومع بعض الاختصارات بترجمة المؤلف  
 الى الالمانية في مجلة “Die Neue Zeit”  
 (ودي نويه زايته) ، المجلد ١ ،

العدد ١ و٢ ، ١٨٩٢-١٨٩٣

## الاشتراكية الطوبوية والاشتراكية العلمية

ان الاشتراكية العصرية ، من حيث مضمونها هي ، في المقام الاول ، نتيجة لملاحظة التناقضات الطبقيه السائدة في المجتمع العصري بين المالكين وغير المالكين ، بين الراسمالين والعمال الاجراء ، من جهة ، ولملاحظة الفوضى السائدة في الانتاج من جهة اخرى ولكن هذه الاشتراكية تبدو في البدء ، من حيث شكلها النظرى ، كأنها مجرد استمرار ، اكثر تطوراً وانسجاماً ، للمبادئ التي صاغها المنورون الفرنسيون الكبار في القرن الثامن عشر وكان لا بد لها ، ككل نظرية جديدة ، من ان تنطلق قبل كل شيء من المادة الفكرية المكدسة سابقاً ، رغم انها تمد جذورها عميقاً في ميدان الوقائع المادية الاقتصادية

ان الرجال العظام الذين اناروا الرؤوس في فرنسا من اجل الثورة التي كانت تقترب ، كانوا ايضاً ثوريين للغاية . فلم يقروا باي سلطة خارجية وخضع الدين ، والطبيعة ، والمجتمع ، ونظام الدولة - وكل شيء ، لاقصى ما يكون من الانتقاد ؛ واضطر كل شيء الى المشول امام محكمة العقل لكي يبرر وجوده او لكي يزول من الوجود . وغدا العقل المفكر المقياس الوحيد لكل ما

هو موجود . وكان ذلك في زمن انتصب فيه العالم على الرأس \* على حد قول هيغل ، اولا بمعنى ان الرأس والمبادئ التي توصل اليها عن طريق الفكر كانت تدعي انها وحدها جديرة بان تتخذ اساسا لكل اعمال الانسان ولكل العلاقات الاجتماعية ، وفيما بعد ، بمعنى اوسع ، بمعنى ان الواقع المخالف لهذه المبادئ قد قلب ، في واقع الامر ، رأسا على عقب . فان جميع اشكال المجتمع والدولة السابقة ، وجميع المفاهيم التقليدية قد اعتبرت غير معقولة وطرحت جانبا بوصفها عفاشة قديمة ؛ لقد سار العالم حتى ذلك وراء الاوهام وحدها ، وكل الماضي لا يستحق غير الشفقة والازدراء والآن بزغت الشمس للمرة الاولى وقامت سيادة العقل . فان الاوهام ، والجور ، والامتيازات ، والاضطهاد ،

\* ليكم ما يقوله هيغل عن الثورة الفرنسية وان فكرة الحق ، مفهومه ، قد احرزت الغلبة من الوهلة الاولى ، ولم يكن بوسع دهانم الاستبداد المتداعية ان تبدي بوجهها اي مقاومة وعلى فكرة الحق بني الدستور ، وعليها كان ينبغي ان يرتكز كل شيء من الآن وصاعداً ومنذ ان شرعت الشمس تشع في السماء وشرعت الكواكب تدور حولها ، لم ير احد انسانا ينتصب على رأسه ، اي يعتمد على الفكر ويبني الواقع تبعا للفكر ولقد كان انكساجوراس اول من قال ان Nbs اي العقل يدير العالم ، ولكن ما هو ذا الانسان يتوصل الآن للمرة الاولى الى الاعتراف بان الفكر هو الذي يتعين عليه ان يدير الواقع الروحي . كان ذلك بمثابة طلوع بديع للشمس . وبفرح وصرور حيث جميع الكائنات المفكرة مجيء العصر الجديد . وفي ذلك الوقت ساد ابتهاج سلم ، واحتر العالم كله بحماسة الروح كانا تصالح المبدأ الالهي للمرة الاولى مع العالم ، (هيغل ، وفلسفة التاريخ) ، عام ١٨٤٠ ، ص ٥٢٥) . — او لم يحن الحين ، في آخر الامر ، لتطبيق القانون بصدد الاشتراكيين (٦٥) ضد الخطر الذي يتهدد دهانم المجتمع من جراء تعاليم البروفسور الراحل هيغل ؟

كل ذلك يجب ان يغلي المكان من الآن وصاعداً للحقيقة الخالدة ،  
والعدالة الخالدة ، والمساواة النابعة من الطبيعة نفسها ، وحقوق  
الانسان الراسخة

الا اننا نعرف اليوم ان سيادة العقل هذه لم تكن سوى سيادة  
البرجوازية المصورة بصورة المثال الاعلى ، وان العدالة الخالدة  
تجسدت في العدالة البرجوازية ، وان المساواة تلخصت في المساواة  
المدنية امام القانون ، وان الملكية البرجوازية اعلنت اول  
حق من حقوق الانسان . وان دولة العقل - العقد الاجتماعي الذي  
وضعه روسو (٦٦) - قد رأت النور بشكل جمهورية ديموقراطية  
برجوازية ، ولم يكن بالامكان ان يحدث ذلك على غير هذا الشكل .  
فان كبار مفكري القرن الثامن عشر ، شأنهم شأن جميع اسلافهم ،  
لم يكن بوسعهم تخطي الحدود التي فرضها عليهم عصرهم .

ولكن ، الى جانب التناقض بين النبلاء الاقطاعيين والبرجوازية ،  
التي برزت كمثلة للمجتمع الباقي كله ، كان التناقض الشامل بين  
المستثمرين والمستثمرين ، بين الاغنياء الكسالى والفقراء  
الكادحين ان هذا الامر الاخير هو الذي اتاح لممثلي البرجوازية  
ان يظهروا انفسهم ، لا بمظهر ممثلي طبقة ما ، بل بمظهر  
ممثلي الانسانية المتألمة جمعاء وفضلا عن ذلك ، كانت  
البرجوازية مثقلة ، منذ نشوئها ، بتناقضها الخاص : فان  
الرأسماليين لا يستطيعون البقاء دون الصمال الاجراء ؛ وبقدر ما  
كان المعلم الحر في القرون الوسطى يتحول الى برجوازي  
عصري ، بقدر ما كان الصانع الحر في الاجير اليومي  
غير المنتسب الى الحرفة يصبحان بروليتاريين واذا كانت  
البرجوازية قد استطاعت ، بعامه ، ان تزعم ، ببعض الحق ، انها  
تمثل في الشمال ضد النبلاء مصالح مختلف الطبقات الكادحة في  
ذلك الحين ، فقد كانت تقوم ايضا ، الى جانب كل حركة برجوازية

كبيرة ، حركة مستقلة للطبقة التي كانت السالفة ، المتطورة الى هذا الحد او ذاك ، للبروليتاريا المصرية فهكذا كانت حركة المصمدايين الجدد (٦٧) وتوماس مونتزر اثناء الاصلاح وحرب الفلاحين في المانيا ، وحركة السوائيين الحقيقيين (٦٨) اثناء الثورة الانجليزية الكبرى ، وبابوف اثناء الثورة الفرنسية الكبرى هذه النضالات الثورية المسلحة التي كانت تقوم بها طبقة لم يكتمل تكوينها كانت تصحبها نظريات مناسبة اللوحات الطوبوية من النظام الاجتماعي الامثل في القرنين السادس عشر والسابع عشر (٦٩) ؛ نظريات شيوعية صريحة (موريلي ، مابل) في القرن الثامن عشر ولم يقتصر مطلب المساواة على الحقوق السياسية ، انما كان يشمل اوضاع الفرد الاجتماعية ؛ وأعطي البرهان لا على ضرورة الغاء الامتيازات الطبقة فحسب ، بل ايضاً على ضرورة الغاء الفوارق الطبقة . وكان اول شكل ارتداه المذهب الجديد هو شكل شيوعية متقشفة ، منسوخة عن سبارطه تحرم التمتع بجميع اطيب الحياة ثم ظهر الطوبويون الثلاثة الكبار : سان-سيمون ، الذي كان يقر لحد ما بالميول البرجوازية الى جانب الميول البروليتارية ، وفوريه ولوين ؛ وقد عاش اوين في البلد الذي تطور فيه الانتاج الرأسمالي اكثر مما في غيره من البلدان ؛ وبتأثير التناقضات الناجمة عن هذا الانتاج الرأسمالي ، وضع اوين اقتراحاته لالغاء الفوارق الطبقة بصورة نظام مرتبط بالمادية الفرنسية مباشرة

ويتصف هؤلاء المفكرون الثلاثة بصفة مشتركة ، هي كونهم لا يدعون بتمثيل مصالح البروليتاريا التي كانت قد تكونت تاريخياً في ذلك الوقت . وعلى غرار المنورين لا ينزهون الى تحرير طبقة اجتماعية معينة قبل غيرها ، بل الى تحرير الاساية بأسرها



دفعة واحدة . وعلى غرارهم ، يشاؤون ان يبسطوا سيادة العقل والعدالة الخالدة ؛ الا ان الفرق بين هذه السيادة وسيادة العقل عند المنورين كالفرق بين الثرى والثريا . فالعالم البرجوازي ، القائم على مبادئ هؤلاء المنورين ، جانر ومخالف للعقل مثل الاقطاعية وسائر الانظمة الاجتماعية السابقة ، ولذا ينبغي القذف به هو ايضا في مقلب النفايات . واذا كان العقل الحقيقي والعدالة الحقيقية لم يحكما العالم حتى الآن ، فلأنهما لم يفهما الفهم اللازم . ذلك بكل بساطة ، لان العبقري الذي كان لا بد له ان يكشف الحقيقة لم يظهر من قبل ، ولكنه ظهر الآن واكتشف الحقيقة . وظهر هذا العبقري الآن واكتشاهه للحقيقة الآن بالذات ، ليسا ابدأ نتيجة ضرورية لسير التطور التاريخي العام وحدثا محتوما ، اما هما من حسن الصدفة فقط فقد كان من الممكن تماما ان يولد هذا العبقري قبل ٥٠٠ سنة ، مثلا ، فيجنب الانسانية ٥٠٠ سنة من الاخطاء والنزاعات والالام

لقد رأينا كيف جعل الفلاسفة الفرنسيون في القرن الثامن عشر ، ممهدو طريق الثورة ، من العقل القاضي الاهل الوحيد لكل ما هو موجود . كان ينبغي ، بنظرهم ، بناء المجتمع والدولة على العقل ، وازالة كل ما هو مخالف للعقل الخالد بدون شفقة . وقد رأينا ايضا ان هذا العقل الخالد لم يكن في الواقع سوى الفهم المجهول مثاليا عند المواطن من الطبقة المتوسطة الذي كان آنذاك بالضبط بسبيل ان يصير برجوازيا . ولكن ، حين حققت الثورة الفرنسية مجتمع العقل هذا ودولة العقل هذه ، اتضح ان المؤسسات الجديدة ، وان جاءت عقلانية بالقياس الى النظام الماضي ، لم تكن معقولة اطلاقا فقد اخفقت دولة العقل اخفاقا تاما . وتحقق العقد الاجتماعي الذي وضعه روسو ، في عهد الارهاب ؛ وللخلاص

من هذا العهد ارتمت البرجوازية ، وقد فقدت الثقة بكفاءتها السياسية ، في لجة ارتشاء المدير يكتوار (٧٠) اولاً ، ثم استطلت ، في نهاية الامر ، كنف الاستبداد النابليوني . وتحول السلام الابدي الموهود به الى سلسلة لا نهاية لها من حروب الفتوحات . ولم يكن مصر مجتمع العقل بالمصر الافضل . فبدلاً من ان يجد التناقض بين الاغنياء والفقراء حلاً له في الرفاهية العامة ، تفاقم واستشري من جراء الغاء امتيازات الحرف وغيرها من الامتيازات التي كانت بمثابة جسر فوق هذا التناقض ، ومن جراء الغاء مؤسسات الكنيسة للبر والاحسان التي كانت تلتطف من شدته بعض الشيء ان وحرية المُلْكِيَّة من القيود القطاعية ، ان هذه (الحرية) التي تحققت الآن فعلاً قد اصبحت بالنسبة للبرجوازي الصغير والفلاح حرية بيع هذه الملكية الصغيرة التي تضغط عليها مزاحمة للرأسمال الكبير والملكية العقارية الكبيرة بشدة فائقة ، من هؤلاء الطواغيت بالذات ؛ وهكذا تحولت هذه (الحرية) بالنسبة للبرجوازيين الصغار وللأفلاحين الى حرية من الملكية . وجاء تطور الصناعة بسرعة على اساس رأسمال فجعل من فقر الجماهير الكادحة وآلامها الشرط الضروري لوجود المجتمع واخذ النقد يصبح اكثر فاكثراً ، على حد قول كارليل ، العنصر الجامع الوحيد لهذا المجتمع . وسنة بعد سنة ازداد عدد الجرائم . ومع ان العيوب القطاعية التي كانت تزهو وتتباهى فيما مضى في رابعة النهار ، لم يتم القضاء عليها ، الا انها اقصيت الى العتمة ؛ ومحلها ، ازدهرت العيوب البرجوازية التي كانت لا تعيش فيما مضى الا سراً ، وتشعبت بكثرة . وتحولت التجارة اكثر فاكثراً الى احتيال . وتجسد (الإخاء) الذي اعلنه الفقار الثوري (٧١) في الغش والحسد الناجمين من المزاحمة . وحلت الرشوة محل الاضطهاد بالعنف ،

وحلت النقود محل السيف بوصفها اهم وسيلة للسلطة الاجتماعية . وانتقل حق الليلة الاولى من الاقطاعيين الى البرجوازيين اصحاب الفبارك . والتشر البغاء بنسب غير معروفة حتى ذاك . وظل الزواج ، كما في السابق ، الشكل الشرهي ، الرداء الرسمي للبغاء ، واكتمل بفيض من الزناء الفاحش . وبكلمة ، ظهرت المؤسسات السياسية والاجتماعية التي اقامها «انتصار العقل» بمثابة مساهر مرة تخيب الآمال ، بالمقارنة مع وعود المنورين البراقة . ولم ينقص سوى من يتحققون من خيبة الامل ، وقد ظهر هؤلاء في عتبة القرن الجديد . ففي ١٨٠٢ ، اصدر سان-سيمون مؤلفه «رسائل من جينيف» ؛ وفي ١٨٠٨ ، اصدر فورييه مؤلفه الاول ، رغم ان اساس نظريته يعود الى عام ١٧٩٩ ؛ وفي اول كانون الثاني (يناير) ١٨٠٠ ، استلم روبرت لوين ادارة نيو-لنارك (٧٢)

ولكن ، في ذلك الحين ، كان الاسلوب الراسمالي للانتاج والتضاد بين البرجوازية والبروليتاريا لا يزالان في الالتمة . كانت الصناعة الكبيرة في اول خطواتها في انجلترا ، ومجهولة في فرنسا . والحال ان الصناعة الكبيرة هي وحدها التي تطور ، من جهة ، النزاعات التي تجعل من الضروري ضرورة قاهرة اجراء انقلاب في اسلوب الانتاج والغاء طابعه الراسمالي - وهذه النزاعات لا تقوم فقط بين الطبقات التي انشأتها هذه الصناعة الكبيرة ، بل تقوم ايضا بين القوى المنتجة وافعال التبادل التي ولدتها الصناعة الكبيرة ؛ ومن جهة اخرى ، تعطي هذه الصناعة الكبيرة ، خلال تطور القوى المنتجة تطوراً هائلا ، الوسائل اللازمة لحل هذه النزاعات فاذا كانت النزاعات الناجمة عن النظام الاجتماعي الجديد لم تكد ترى النور في عام ١٨٠٠ ، فبالاحرى الوسائل اللازمة لحلها . ومع ان الجماهير الباريسية غير المالكة

استولت على السلطة مدى لحظة ، اثناء عهد الارهاب ، واستطاعت بالتالي ان تؤدي بالثورة البرجوازية الى الانتصار على البرجوازية نفسها ، الا انها لم تفعل بذلك غير ان اثبتت انها لا تستطيع اطلاقا ان تسيطر مدة طويلة في ظل العلاقات القائمة في ذلك الوقت . فان البروليتاريا التي كانت قد برزت للتو من الجماهير غير المالكة بوصفها جنين طبقة جديدة والتي كانت عاجزة تماما عن العمل السياسي المستقل ، كانت تبدو مجرد فئة مظلومة ومعدمة ، ولا تمكن مساعدتها في خيرة الاحوال ، نظراً لعجزها عن مساعدة نفسها بنفسها ، الا من الخارج ، من عل

وقد حدد هذا الوضع التاريخي ايضا وجهات نظر مؤسسي الاشتراكية فان عدم نضوج الانتاج الرأسمالي وعدم نضوج العلاقات الطبقيه قد قابلتهما نظريات غير ناضجة فان حل المعاضل الاجتماعية ، الذي كان ما يزال في طيات العلاقات الاقتصادية التي لما تنضج وتكتمل ، قد لُفّق في الدماغ تليفياً ولم يكن النظام الاجتماعي حافلا بغير النواقص والعيوب ؛ فكانت ازلتها قضية العقل المفكر . ولذا كان ينبغي ابتداع نظام جديد ، ارقى ، للبنيان الاجتماعي ؛ وكان ينبغي فرض هذا النظام على المجتمع القائم من الخارج ، بالدهاية ، وبمثال التجارب البيانية ، حين يكون ذلك مستطاعا . ولذا كان محكوماً على هذه الانظمة الاجتماعية الجديدة مسبقاً الا تكون سوى طوبويات ؛ وكلما صيغت بمزيد من التفاصيل ، كان لا بد لها ان تزداد توغلا في ميدان الخيال الصرف .

بعد ما سبق قوله ، لن نتناول ابداً بمزيد من التفاصيل هذا الجانب من المسألة الذي هذا الآن كلياً في طيات الماضي لينقب البقالون الادباء برهو وخيلاء في هذه المستغربات التي

تحملنا اليوم على الابتسام ، وليعجبوا بصفاء ذهنهم هم بالقياس الى مثل هذا «الهوس» اما نحن ، فتفرحنا اكثر بكثير بدور الافكار العبقرية والخواطر العبقرية التي تشق طريقها عند كل خطوة ، عبر الغطاء الخيالي ، والتي لا يراها هؤلاء التافهون الضيقو الافق

كان سان-سيمون ابن الثورة الفرنسية الكبرى ؛ وكان لم يبلغ الثلاثين من العمر عندما نشبت . كانت الثورة انتصار الطبقة الثالثة (٧٣) ، اي اغلبية الامة المشغولة في الانتاج والتجارة ، على الطبقتين المتميزتين ، الباطلتين حق ذلك ، طبقة النبلاء وطبقة الاكليروس . ولكنه سرعان ما تبين ان انتصار الطبقة الثالثة ليس غير الانتصار قسم صغير من هذه الطبقة ، اذ انه اقتصر على الظفر بالسلطة السياسية من قبل الفئة المميزة اجتماعيا من الطبقة الثالثة ، اي من قبل البرجوازية المالكة . فضلا عن ذلك ، كانت هذه البرجوازية قد تطورت بسرعة في مجرى الثورة ، من جهة ، بالمضاربة على اراضي النبلاء والكنيسة ، المصادرة ثم الهباعة ، ومن جهة اخرى ، بغش الامة بالتسليمات الحربية فان سيادة هؤلاء المضاربين في ظل الديريكتوار هي التي سالت فرنسا والثورة الى شفير الهلاك واعطت بالتالي نابليون ذريعة للقيام بانقلابه وهكذا اتخذ التضاد بين الطبقة الثالثة والطبقتين المتميزتين ، في رأس سان-سيمون ، شكل تضاد بين «العمال» و«البطالين» . فالبطالون لم يكونوا ممثلي الطبقتين المتميزتين السابقتين وحسب ، بل ايضا جميع من يعيشون من ريعهم دون ان يشتركوا في الانتاج والتجارة اما «العمال» فلم يكونوا العمال الاجراء وحسب ، بل ايضا الصناعيين والتجار واصحاب المصارف ولم يكن هنالك اي شك في ان البطالين قد فقدوا القدرة على القيادة الفكرية وعلى

السيادة السياسية ، وهذا ما اكده الثورة نهائياً . اما ان المعدمين لم يكونوا يتحلون بهذه القدرة ، فذلك ، برأي سان-سيمون ، ما اثبتته تجربة عهد الارهاب . فمن ذا الذي كان لا بد له ، في هذه الحال ، ان يقود ويسود ؟ برأي سان-سيمون ، العلم والصناعة ، اللذان تجمع بينهما رابطة دينية جديدة ، ودين مسيحي جديد ، صوفي حتماً ، قائم على تسلسل مراتبي صارم ، ومدعو الى بعث وحدة المفاهيم الدينية ، التي تحطمت منذ عهد الاصلاح . ولكن العلم انما هو العلماء ؛ اما الصناعة فهي في المقام الاول البرجوازيون النشطاء ، الصناعيون والتجار واصحاب المصارف يقيناً انه كان ينبغي لهؤلاء البرجوازيين ان يصبحوا نوعاً من موظفين اجتماعيين ، من اناس يتمتعون بثقة المجتمع كله ، ولكنه كان ينبغي عليهم مع ذلك ان يحتفظوا ازاء العمال بوضع يخولهم اصدار الاوامر ويمنحهم امتيازات اقتصادية اما اصحاب المصارف فانهم هم الذين كان ينبغي عليهم ان يضبطوا كل الانتاج الاجتماعي بضبط التسليف . -وقد كانت هذه النظرة تناسب تماماً تلك المرحلة التي كانت فيها الصناعة الكبيرة في فرنسا ، ومعها التضاد بين البرجوازية والبروليتاريا ، لا يزالان بعد في طور النشوء . ولكن ما يشير اليه سان-سيمون بخاصة انما هو الامر التالي : ان ما يهيم في المقام الاول في كل مكان وزمان ، هو مصير والطبقة الاكثر عدداً والافند فقراً (« la classe la plus nombreuse et la plus pauvre »).

لقد سبق لسان-سيمون ان قرر في مؤلفه «رسائل من

جينيف» انه

وينبغي على جميع الناس ان يشتغلوا

واشار في هذا المؤلف الى ان سيطرة الارهاب في فرنسا كانت

سيطرة الجماهير غير المالكة .

وهتف سان-سيمون متوجها الى هذه الجماهير وانظروا الى ما جرى في فرنسا عندما سيطر هناك رفاؤكم فقد خلقوا المجاعة

ولكن ان يفهم المرء ، في عام ١٨٠٢ ، ان الثورة الفرنسية هي نضال طبقي ليس بين النبلاء والبرجوازية وحسب بل ايضا بين النبلاء والبرجوازية وبين غير المالكين ، الا ان هذا الفهم كان بمثابة اكتشاف عبقري من المرتبة العليا . وفي ١٨١٦ اعلن سان-سيمون ان السياسة هي علم الانتاج وتنبأ بامتصاص الاقتصاد للسياسة كليا ان الفكرة القائلة بان الازواح الاقتصادية هي اساس المؤسسات السياسية لا تبدو ، هنا ، الا بمثابة بذرة

غير ان سان سيمون عرض هنا بوضوح تام الفكرة القائلة بان حكم الناس سياسيا يجب ان يتحول الى ادارة للاشياء والى قيادة لعمليات الانتاج ، اي الفكرة القائلة (بالغاء الدولة) والتي اثبتت حولها ضجة كبرى في الاونة الاخيرة . وفي ١٨١٤ ، بعد دخول الحلفاء الى باريس فوراً . وايضاً في ١٨١٥ ، خلال حرب المئة يوم (٧٤) ، اعلن سان-سيمون ، بنفس التفوق في الآراء على معاصريه ، ان الضمانة الوحيدة للتطور السلمي والازدهار في اوروبا هي التحالف بين فرنسا وانجلترا ، وبين هذين البلدين والمانيا . يقينا انه كان لا بد من قدر كبير من الشجاعة والبصيرة التاريخية لدعوة الفرنسيين في عام ١٨١٥ الى التحالف مع المنتصرين في واترلو (٧٥)

وإذا كنا نجد عند سان-سيمون سعة عبقرية في الآراء ، تتيج لنا ان نستشف فيها بلور الافكار غير الاقتصادية الصرف التي عرضها الاشتراكيون بعده ، ان نرى بلور جميع هذه الافكار

تقريباً ، فاننا نجد عند فوريه انتقاداً للنظام الاجتماعي القائم ، انتقاداً يجمع بين حدة الذكاء الفرنسي الاصيل والعمق الكبير في التحليل . فهو يتمسك بتلابيب البرجوازية ، وانبياؤها الملهمين ما قبل الثورة ومتملقها المرتشين ما بعد الثورة ، ويكشف النقاب بلا رحمة عن بؤس العالم البرجوازي ، المادي والمعنوي ؛ ويقارن هذا البؤس بوعود المنورين السابقين الخلافة : وعودهم بمجتمع يسود فيه العقل وحده ، بحضارة توفر السعادة للجميع ، وبآرائهم عن قابلية الانسان اللامتناهية للتزقي والاكتمال ؛ ويفضح فراغ تعابير وصيغ الايديولوجيين المعاصرين له الرنانة الزاهية ، ويبين اي واقع بائس يقابل تعابيرهم الرنانة ، ويصب جام سخريته على افلاس هذه التعابير التام . ان فوريه ليس بناقد وحسب ، بل انه ايضاً ، لتفاؤل طبيعته ، هجاء ساخر ، وحتى من اكبر الهجانين في كل العصور . فهو يرسم بكلمات لاذعة ساخرة دقيقة احتمالات المضاربة التي ازدهرت بعد انحطاط الثورة ، كما يرسم الروح التجارية الخسيسة التي اتصفت بها كل التجارة الفرنسية في زمنه ، وانه لاشد لدماء الانتقاد الذي سلطه على الشكل البرجوازي للعلاقات الجنسية ووضع المرأة في المجتمع البرجوازي وهو اول من اعلن ان درجة التحرر العام في كل مجتمع معني تقاس بدرجة تحرر المرأة ، ولكن حينما يبدو فوريه بكل عظمته ، انما في مفهومه عن تاريخ المجتمع فهو يقسمه الى اربع مراحل من التطور : الوحشية ، البطريكية ، البربرية ، المدنية ؛ وانمرحلة الاخيرة من هذا التطور تطابق عنده ما يسمى اليوم بالمجتمع البرجوازي اي النظام الاجتماعي الذي تطور منذ القرن السادس عشر ويبين فوريه ان

والنظام المتمدن يرفع كل رذيلة ، تمشت عليها البربرية ، من



النمط البسيط الى نمط مركب ، مزدوج المعنى ، منافق ، ريائي ، وان المدنية تتحرك ضمن «حلقة مفرغة» ، ضمن تناقضات تعيد انتاجها بلا انقطاع ، دون ان تتمكن من التغلب عليها ، ولهذا السبب تتوصل دائما الى عكس ما كانت تسعى اليه او ما كانت تدعي السعي اليه . فهكذا ، مثلا ،

د ان الفكر ينشأ عن الوفرة نفسها في المدنية ،

وهكذا نرى ان فوريه متمكن من الديالكتيك تمكن معاصره هيزل منه . وخلافاً للتعابير الطنانة حول قابلية الانسان اللامتناهية للترقي والاكتمال ، يؤكد فوريه بصورة ديالكتيكية ايضاً ان لكل طور تاريخي مرحلة صعود تليها مرحلة هبوط ، ويطبق وجهة النظر هذه على مستقبل البشرية جمعاء . وكما ان كانط ادخل في علم الطبيعة فكرة زوال الكرة الارضية في المستقبل ، كذلك ادرج فوريه في مفهوم التاريخ فكرة زوال الانسانية في المستقبل .

وبينا عاصفة الثورة المطهرة تجتاح فرنسا ، كان يجري في انجلترا انقلاب ، اقل صخباً وضجيجاً ، ولكنه ليس اقل قوة وشدة . فان البخار وآلات العمل الجديدة قد حولت المانيفاكتورية الى صناعة كبيرة عصرية ، ونفخت روح الثورة في جميع اسس المجتمع البرجوازي فسير التطور الكسول في عهد المانيفاكتورية تغير وتحول الى مرحلة حقيقية من العواصف والاضغوط في الانتاج . وبسرعة متنامية بلا انقطاع ، انقسم المجتمع الى رأسماليين كبار والى بروليتاريين معدمين ؛ وبينهم ، بدلا من المرعبة المتوسطة المستقرة في الأزمنة القديمة ، يعيش الآن حياة غير مستقرة ، جمهور متغير من الحرفيين وصغار التجار ، هذا القسم الاكثر ميوعة من السكان بيد ان اسلوب الانتاج الجديد لم يكن الا في البداية من مرحلة تطوره المساعدة ، كان ما يزال اسلوب الانتاج العادي ،

الصحيح ، الاسلوب الممكن الوحيد بالنظر الى الظروف القائمة ومع ذلك ، كان قد ادى الى نشوء مصائب اجتماعية صارخة تكدر السكان الذين لا ماوى لهم ، في الاطراف الرهيبة القذرة من المدن الكبيرة ؛ انحلال جميع اواصر الاصل الموروثة عن الماضي ، والنمط البطريركي والعائلة ؛ تمديد يوم العمل بشكل رهيب للغاية ، ولا سيما بالنسبة للنساء والاطفال ؛ التفسخ الشامل في معنويات الطبقة الكادحة التي كذف بها فجأة في اوضاع جديدة كل الجدة : من القرية الى المدينة ، من الزراعة الى الصناعة ، من ظروف الحياة المستقرة الى الظروف المتضرة يوميا وغير المضمونة .

وانذاك ، ظهر مصطلح ، ظهر صناعي في التاسعة والعشرين من عمره ، ظهر رجل كان يجمع بين صفاء الطفل وبله وبين قدرة على قيادة الناس لم يملكها الا قلة من الناس . كان روبرت اوين قد استوعب مذهب المنورين الماديين وتبناه ، وهو المذهب القائل ان طبع الانسان هو ، من جهة ، نتاج تركيبه الجسماني منذ ولادته ، ومن جهة اخرى ، نتاج الظروف التي تحيط به اثناء حياته وبخاصة اثناء مرحلة نموه ان معظم اخوته في المنزلة الاجتماعية لم يروا في الثورة الصناعية سوى بلبلة وفوضى ، تتيحان لهم الاصطياد في الماء العكر والاثراء بسرعة . اما هو ، فقد رأى في هذه الثورة الصناعية فرصة مناسبة لادخال النظام في هذه الفوضى ، وذلك بتطبيق فكرته المفضلة . وكان قد قام بتجربة تطبيقها في مانشستر ، في معمل يضم اكثر من ٥٠٠ عامل وكان هو مديره ، وحالفه التوفيق في تجربته هذه ومن ١٨٠٠ الى ١٨٢٩ كان يدير معملا كبيراً لغزل القطن في نيولانارك ، باسكتلندة ، وقد عمل هنا ، بوصفه مديراً وشريكاً ، في نفس الاتجاه ، ولكن بمزيد من الحرية وبنجاح سرعان ما جعل اسمه مشهوراً في اوروبا كلها .

فقد حول سكان نيو-لنارك الذين بلغ عددهم تدريجياً ٢٥٠٠ شخص وتآلفوا في البداية من عناصر شتى ، معظمها من العناصر المتفسخة المنهارة معنوياتها ، الى مستعمرة نموذجية لا تعرف السكر والبوليس والقضاء الجنائي والدعاوى والجمعيات الخيرية والحاجة الى الاحسان الفردي وقد توصل الى ذلك لانه وضع الناس في ظروف اجدر بالانسان ، ولانه اعتنى على الخصوص بتربية الجيل الناشئ تربية صالحة . وفي نيو-لنارك اقيمت لأول مرة مدارس للاطفال الصغار وكانت من بنات افكار اوين . كانت هذه المدارس تقبل الاطفال ابتداء من الثانية من العمر ، وفيها كانوا يمضون الوقت بدرجة من المتعة بحيث كان من الصعب اعادتهم الى البيت وقد خفض اوين ساعات العمل في نيو-لنارك الى ١٠ ساعات ونصف الساعة بينما كان مزاحموه يجبرون العمال على العمل ١٣ و١٤ ساعة في اليوم . وخلال ازمة قطنية توقف الانتاج من جرائها اربعة اشهر ، ظل اوين يدفع لعماله غير المشغولين اجرة كاملة . ومع ذلك زادت قيمة المؤسسة الى اكثر من الضعفين وظلت تدر لاصحابها ، طوال الوقت ، ارباحاً طائلة .

غير ان اوين لم يكتف بكل ذلك فان ظروف الحياة التي وفرها لعماله كانت ، في نظره ، ابعد من ان تكون جديرة بالانسان . وقد قال :

« كان هؤلاء الناس عبيدي » ،

فالظروف الملائمة نسبياً التي احاط بها عمال نيو-لنارك كانت ما تزال ابعد من ان تتيح تطور طبائعهم وعقولهم تطوراً كاملاً عقلانياً وابعد بالاحرى من ان تتيح النشاط الحيوي الحر .

ومع ذلك كان القسم الكادح من هؤلاء ٢٥٠٠ انسان ينتج من الثروة الفعلية للمجتمع قدر ما كان يوسع ٦٠٠ انسان ان ينتجوه منذ اقل من نصف قرن . ولقد تساءلت : اين صار الفرق بين الثروة

التي يمتلكها هؤلاء ٢٥٠٠٠ و بين الثروة التي كان سيستملكها  
 ١٦٠٠٠٠٠٠

كان الجواب واضحاً فقد ذهب هذا الفرق لدفع فائدة  
 قدرها ٥ بالمئة لاصحاب المعمل لقاء الرأسمال الموظف في هذا  
 المعمل ، بالإضافة الى ربح زاد على ٣٠٠ جنيه سترليني  
 (٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ مارك) . وما كان صحيحاً بالنسبة لمعمل نيولانارك

كان صحيحاً بالاحرى بالنسبة لجميع معامل إنجلترا  
 ولولا هذه الثروة الجديدة التي خلقتها الآلات ، لما كان بالإمكان  
 خوض الحروب لاسقاط نابليون ، وفي سبيل الحفاظ على مبادئ تنظيم  
 المجتمع الارستقراطية . والحال ان هذه القوة الجديدة كانت من صنع  
 الطبقة الكادحة\* .

ولذا ، كان ينبغي ان تعود ثمار هذه القوة الى الطبقة  
 الكادحة ان القوى المنتجة الجديدة الجبارة التي لم تقم حتى ذاك  
 الا باغناء الاقلية وباستعباد الجماهير ، غدت تكوُن ، بنظر اوين ،  
 الاسس اللازمة لاعادة تنظيم المجتمع ، وكان المطلوب منها ان  
 تعمل فقط في سبيل رفاهية الجميع العامة بوصفها ملك الجميع  
 من هذه الاسس العملية الصرف ، التي هي ، اذا جاز القول ،  
 نتيجة حساب تجاري ، ولدت شيوعية اوين . وقد حافظت دأماً  
 وفي كل مكان على طابعها العملي هذا ففي ١٨٢٣ ، مثلاً ، وضع  
 اوين مشروعا لازالة البؤس الارلندي بانشاء مستعمرات شيوعية ،  
 وارفق هذا المشروع بحسابات مفصلة حول الرأسمال الذي يجب

\* من مذكرة اسمها «الثورة في العقول وفي التطبيق» ، وجهت الى  
 جميع الجمهوريين الحمر ، الشيوعيين والاشتراكيين في اوروبا ، وارسلت  
 الى الحكومة الموقرة الفرنسية في عام ١٨٤٨ ، وكذلك الى الملكة فكتوريا  
 ومستشاريها المسؤولين .

توظيفه والنفقات السنوية ، والمداخيل المحتملة وقد وضع اوين مشروعه النهائي للنظام المقبل بكل التفاصيل التكنيكية ، بما فيها المسقط الافقي والواجهة والمنظر من الجو ، بقدر من المعرفة العملية ، الى حد اننا ، اذا سلمنا بطريقته لتحويل المجتمع ، لا نجد الا تفاصيل قليلة جداً يمكن الاعتراض عليها ، حتى من وجهة نظر الاختصاصي .

كان انتقال اوين الى الشيوعية نقطة الانعطاف في حياته فطالما اقتنع بدور المحب والمحسن للبشر ، كان جناه الثروة والشهرة ، والاجلال والتحبيد كان الرجل الاوفر شعبية في اوروبا . فلم يكن اخوته في المنزلة الاجتماعية وحدهم يصغون اليه ، بل كان رجال الدولة والملوك ايضاً يصغون اليه بعطف ولكن ما ان تقدم بنظرياته الشيوعية حتى تغير الامر تماماً كان يرى ان ثلاث عقبات كبيرة تحول دون تحويل المجتمع ، هي الملكية الخاصة ، والدين ، والشكل الحالي للزواج . وعندما اخذ يقارع هذه العقبات ، كان يعرف ما ينتظره : نبذه عن المجتمع الرسمي ، وفقدان مركزه الاجتماعي . ولكن هذه الاعتبارات لم تستطع ان توقف اوين ولم تضعف عزيمته في هجومه الباسل . وكل ما توقعه حصل . فقد اقصي عن المجتمع الرسمي ، وحاكت الصحافة حوله مؤامرة الصمت وضحي بكل ثروته في تجاربه الشيوعية الفاشلة في اميركا ، وكان نصيبه منها الخراب والافلاس فتوجه مباشرة الى الطبقة العاملة وواصل نشاطه في بيئة هذه الطبقة مدة ثلاثين سنة اخرى . وكانت جميع الحركات الاجتماعية التي تحققت لمصلحة الطبقة العاملة في انجلترا وجميع منجزاتها الحقيقية ترتبط باسم اوين . ففي ١٨١٩ ، بعد خمس سنوات من جهوده ، سن اول قانون يحدد ساعات عمل النساء والاطفال في المعامل . ورأس

اول مؤتمر اتحدث فيه تريديونيونات انجلترا كلها في نقابة عامة واحدة كبيرة (٧٦) وبمشابة تدابير انتقالية تؤدي الى النظام الاجتماعي الشيوعي التام ، نظم ، من جهة ، جمعيات الانتاج والاستهلاك التعاونية التي اثبتت على الاقل عمليا ، فيما بعد ، انه من الممكن تماما الاستغناء عن التجار والصناعيين على السواء ؛ ومن جهة اخرى ، اسواقا عمالية من اجل تبادل منتجات العمل بواسطة لوراق العمل النقدية التي كانت وحدة قيمتها ساعة من وقت العمل (٧٧) . كان لا بد لهذه الاسواق ان تمنى حتما بالاخفاق ، ولكنها كانت سابقة لمصرف التبادل (٧٨) الذي قال به برودون فيما بعد بوقت طويل ، وكانت تختلف عن هذا المصرف بكونها لم تعرض بوصفها الدواء الثاني الشامل لجميع الشرور الاجتماعية ، بل بوصفها الخطوة الاولى نحو تحويل المجتمع بصورة اكثر جذرية بكثير .

وكان نمط تفكير الطوبويين يعلو وقتا طويلا على الآراء الاشتراكية في القرن التاسع عشر وما يزال متفوقا جزئيا حتى الآن . فحق الآونة الاخيرة ظل جميع الاشتراكيين الفرنسيين والانجليز متمسكين به وكذلك الشيوعية الالمانية السابقة بمن فيها ويتلينغ . فالاشتراكية بنظرهم جميعا هي التعبير عن حقيقة مطلقة ، هي التعبير عن العقل والعدالة ؛ ويكفي اكتشافها حتى تقهر العالم كله بقوتها نفسها . ولكن بما ان الحقيقة المطلقة ليست رهنا بالزمان والمكان وتطور الانسانية التاريخي ، فان معرفة زمان ومكان اكتشافها امر متروك للصدفة . هذا فضلا عن ان مؤسسي المدارس لا ينظرون للنظرة نفسها الى الحقيقة المطلقة والعقل والعدالة ؛ فالشكل الخاص الذي تبرز فيه الحقيقة المطلقة والعقل والعدالة عند كل من مؤسسي المدارس مشترط بطريقة تفكره

الذاتية وشروط معيشتة ومدى معارفه ودرجة تطور فكره . فاذا ما تجابهت مثل هذه الحقائق المطلقة ، فلا يمكن حل النزاع فيما بينها الا بالتخفيف من حدة تناقضاتها . ولذا لم يكن بالامكان ان يؤدي كل ذلك الا الى اشتراكية اختيارية غامضة لا تزال سائدة فعلا حتى الآن في اذهان معظم العمال الاشتراكيين في فرنسا وانجلترا وهذه الاشتراكية الاختيارية عبارة عن خليط من ملاحظات انتقادية اكثر اعتدالا ، وموضوعات ومفاهيم اقتصادية يقول بها مختلف مؤسسي الشيع حول المجتمع المقبل - خليط يسمح بوجود تلاوين مختلفة للغاية ، ومن السهل الحصول عليه خصوصا وان عناصره تفقد في مجرى المجادلات والمناظرات العديدة زواياها الحادة والناثئة كالحصى في مسيل من الماء . فلاجل تحويل الاشتراكية الى علم كان ينبغي قبل كل شيء وضعها على صعيد واقعي .

## ٢

وفي خلال ذلك ، نشأت الى جانب الفلسفة الفرنسية من القرن الثامن عشر وعلى اثرها ، الفلسفة الالمانية الحديثة التي تتوجت بهيغل . ومآثرها الكبرى انها عادت الى الديالكتيك بوصفه الشكل الاعلى للفكر لقد كان الفلاسفة اليونانيون القدماء جميعهم ديالكتيكيين عفويين وبالقطرة ، وقد سبق لارسطو ، وهو اوسعهم معرفة واطلاعا ، ان حلل الاشكال الاساسية للفكر الديالكتيكي اما الفلسفة الجديدة ، رغم ان الديالكتيك وجد له فيها ممثلين لامعين ( مثلا ، ديكرت وسبينوزا ) ، فقد كانت تفرق اكثر فاكثر ، ولا سيما تحت تاثير الفلسفة الانجليزية ، في طريقة التفكير المسماة بالطريقة الميتافيزيائية ، التي سادت بوجه الحصر تقريبا بين

الفرنسيين في القرن الثامن عشر ، على الأقل في مؤلفاتهم الفلسفية  
الصرف الا انهم استطاعوا هم ايضا ، في خارج نطاق الفلسفة  
بعد ذاتها ، ان ينتجوا تحفاً ديكالكتيكية ، - ولن نذكر منها غير  
«ابن اخ رامو» لديدرو و«الخطاب حول منشا التفاوت بين الناس  
واسسه» لروسو- ، وفيما يلي نعطي لوحة موجزة عن جوهر  
هاتين الطريقتين في التفكير .

عندما نخضع الطبيعة ، او تاريخ البشر ، او نشاطنا الروحي ،  
للمراقبة الفكرية ، فان ما يبدو امامنا بادي بدء ، انما هو صورة  
تشابك غير متناه لاتصالات وترابطات ، حيث لا يبقى اي شيء  
ساكناً ، غير متغير ، بل حيث كل شيء يتحرك ، ويتحول ،  
ويصير ، ويزول . وعلى هذا النحو ، نرى لولا لوحة عامة لا  
تزال تتراجع فيها التفاصيل بهذا القدر لو ذاك الى المؤخرة ، فنولي  
الحركة والانتقالات والروابط من الانتباه اكثر مما نوليه لها  
يتحرك وينتقل ويترايط . ان هذه الطريقة في رؤية العالم ، هي  
طريقة بدائية ، ساذجة ، ولكنها صحيحة في الاساس ، انها طريقة  
الفلسفة اليونانية القديمة . وكان هيراكليت اول من صاغها بوضوح :  
كل شيء موجود وغير موجود ، لان كل شيء يتحول ، لان كل  
شيء في تغير ابدى ، في صيرورة ابدية ، في زوال ابدى . ولكن ،  
رغم ان هذه الطريقة في رؤية العالم تعبر بصورة صحيحة عن الطابع  
العالم لكل لوحة الظاهرات ، الا انها غير كافية لتفسير التفاصيل  
التي تتكون منها هذه اللوحة ؛ وطالما لا نعرف هذه التفاصيل ،  
لا نرى اللوحة العامة بوضوح فلاجل معرفة هذه التفاصيل ،  
نضطر الى ان ننتزعها من علاقتها الطبيعية او التاريخية ، والى  
ان نحللها كلا بمفرده ، من حيث صفاتها واسبابها ومفاعيلها ،  
الخ . وتلك هي ، قبل كل شيء ، مهمة علم الطبيعة والدراسة



التاريخية ، اي مهمة فرعين من العلم لم يكونا يشغلان ، لاسباب جد وحيهة ، الا المرتبة الثانية عند اليونانيين في الازمنة الكلاسيكية ، اذ كان ينبغي على هؤلاء باديء بدء ان يجمعوا المواد اللازمة فلم يكن من الممكن الشروع بالاختيار الانتقادي والمقارنة ، والتقسيم بالتالي الى طبقات واصناف وانواع الا بعد ان يتم ، بدرجة معينة ، جمع المواد المتعلقة بعلم الطبيعة والتاريخ ولهذا فان بواكير دراسة الطبيعة دراسة دقيقة لم يطورها ، لأول مرة ، الا اليونانيون في العهد الاسكندردي (٧٩) ، وفيما بعد ، العرب في القرون الوسطى . اما بداية علم الطبيعة الحقيقي فلا تعود الا الى النصف الثاني من القرن الخامس عشر ، وقد تقدم مد ذلك بسرعة متزايدة . وقد كان تقسيم الطبيعة الى اجزائها المنفردة ، وتقسيم مختلف الظواهر والاشياء الطبيعية الى فئات معينة ، ودراسة التركيب الداخلي للاجسام العضوية حسب اشكالها التشريحية المتنوعة ، كل هذا كان الشرط الاساسي للنجاحات الهائلة التي احرزت ، خلال الاربعمئة سنة الاخيرة ، في ميدان معرفة الطبيعة . ولكن طريقة الدراسة هذه خلفت لنا عادة دراسة الاشياء والظواهر الطبيعية منعزلة ، منفردة ، خارج علاقتها الكبرى العامة ، كما خلفت ، بالتالي ، عادة النظر الى الاشياء والظواهر ، لا من حيث حركتها ، بل من حيث سكنوها ، لا من حيث انها متغيرة في الاساس ، بل من حيث هي مستقرة ابدأ ودائماً ، لا من حيث حياتها ، بل من حيث موتها . وعندما حدث ان انتقلت طريقة النظر هذه من العلوم الطبيعية الى الفلسفة بفضل باكون ولوك ، ادت لهذه الطريقة الى ضيق الافق الذي امتازت به القرون الاخيرة ، ادت الى طريقة التفكير الميتافيزيائية . ان الاشياء وانعكاساتها الفكرية ، اي المفاهيم ، هي ، بنظر الميتافيزيائي ، اغراض منفردة ، ثابتة ، جامدة ، اعطيت مرة

واحدة وبصورة نهائية ، اغراض تنبهي دراستها الواحد بعد الآخر ، الواحد دون الآخر . وهو يفكر بموضوعات متضادة مجردة من كل موضوعة وسيطة . انه يقول : نعم - نعم ، لا - لا ؛ وما زاد على ذلك - فهو من الشرير \* . وحسب رأيه ، يكون الشيء موجوداً لو غير موجود ، ولا يمكن للشيء ان يكون في آن واحد هو بالذات وفيها آخر ؛ والسلبى والايجابى ينفي احدهما الآخر ، بصورة مطلقة . والسبب والمفعول في تضاد جامد احدهما للآخر ان طريقة التفكير هذه تبدو لنا ، من اول نظرة ، في أقصى حدود المعقول ، لانها طريقة تلازم العقل البشرى السليم . ولكن العقل البشرى السليم ، هذا الرفيق الجدير بالاحترام البالغ ما دام قابعا في مقر داره ، يمر بمضامرات طريفة جداً ما ان يتجرأ ويخرج الى ارحاب الدراسة . ورغم ان طريقة التفكير الميتافيزيائية طبيعية ، وحتى ضرورية في عدد من الميادين المتفاوتة الاتساع وفقاً لطابع الغرض ، الا انها تصل ، عاجلاً ام آجلاً ، الى حد تضاد معه ، اذا تجاوزته ، وحيدة الجانب ، ضيقة الافق ، مجردة ، وتضيق في تناقضات لا حل لها . وهي ، اذ تتامل الاشیاء المنفردة ، لا ترى علاقاتها المتبادلة ، واذ تتامل وجودها لا ترى سيرورتها وزوالها ، وتنسى حركتها لانها ساكنة ، فالاشجار تمنعها من رؤية الغاية . انا نعرف ، مثلاً ، في الحياة اليومية ونستطيع ان نقول ، بما فيه الكفاية من الثقة ، اذا كان حيوان ما موجوداً ام لا . ولكن التعمق في البحث يرينا ان هذه القضية هي في كثير من الحالات ، من اشد القضايا تعقيداً وغموضاً ، كما يعرف ذلك جيداً جداً

\* الكتاب المقتبس . العهد الجديد . انجيل متى ، الفصل ٥ ، الآية

الحقوقيون الذين بذلوا هبثا قصارى جهدهم لايجاد حد عقلاني يصبح فيما وراءه القضاء على طفل في بطن امه جريمة قتل كذلك يستحيل تحديد لحظة الوفاة لان علم الفيزيولوجيا يثبت ان الوفاة ليست بظاهرة فورية ، آنية ، بل عملية طويلة الامد . كذلك كل كائن عضوي هو ، في كل لحظة معينة ، ذاته وكائن آخر ؛ فهو في كل لحظة ، يهضم مواد يتلقاها من الخارج ويفرز مواد اخرى ، وفي كل لحظة ، تموت خلايا من جسمه وتولد خلايا اخرى ؛ وبعد فترة قد تطول او تقصر ، تتجدد مادة جسمه بكليتها ، وتحل محلها ذرات اخرى من المادة ولهذا السبب كان كل كائن عضوي هو دائما ذاته وغير ذاته . واذا نظرنا الى الامور بمزيد من الامعان ، تبين لنا ان قطبي تضاد واحد- الايجابي والسلبي مثلا- لا ينفصل احدهما عن الآخر بقدر ما هما متضادان ، وانهما يتداخلان ويتشابكان رغم كلى تضادهما ثم نرى كذلك ان السبب والمفعول تصوران لا قيمة لهما الا عند تطبيقهما على حالات منزهة معينة ؛ ولكن ، ما ان ننظر الى هذه الحالة المنزهة في علاقاتها العامة مع باقي الكون ، حتى يختلطان ويتشابكان في تفاعل متصلسل شامل ، حيث السبب والمفعول يغيران مكالهما باستمرار ، حيث ما كان سببا في مكان معين ولحظة معينة يقدو مفعولا في مكان آخر ولحظة اخرى ، والعكس بالعكس .

ان جميع هذه التفاعلات وجميع طرائق التفكير هذه لا تدخل في نطاق الفكر الميتافيزيائي . اما الديالكتيك ، الذي يتلخص الامر الجوهري بالنسبة له في انه يرى الى الاشياء وانعكاساتها الذهنية ، بصورة رئيسية ، من حيث صلاتها المتبادلة ومن حيث تشابكها ، من حيث حركتها ، من حيث صيرورتها وزوالها- فان التفاعلات المذكورة اعلاه لا تثبت ، بالعكس ، الا طريقته الخاصة في

الدراسة . والطبيعة هي محك الديالكتيك ؛ وينبغي علينا ان نقول ان العلوم الطبيعية الحديثة قدمت لهذا المحك مواد جيدة تتزايد يوماً بعد يوم ، وانها اثبتت بواقعة هذه المواد ان الديالكتيك ، لا الميتافيزياء ، هو الذي ، في آخر تحليل ، يسود في الطبيعة ، وان الطبيعة لا تتحرك في حلقة وحيدة الشكل الى الابد وتكرر ابدأ ودائماً ، بل تمر بتاريخ فعلي . وهنا تجدر الاشارة قبل كل شيء الى داروين الذي سدد ضربة في غاية الشدة الى النظرة الميتافيزيائية الى الطبيعة حين برهن ان العالم العضوي الحالي كله ، اي النباتات والحيوانات ، وبالتالي الانسان ايضاً ، هو نتاج تطور مستمر منذ ملايين السنين . ولكن ، لما كان علماء الطبيعة الذين تعلموا كيف يفكرون بصورة ديالكتيكية يعدون على الاصابع ، فان هذا النزاع بين النتائج الحاصلة وبين طريقة التفكير التقليدية يفسر تماماً الفوضى البالفة التي تسود في نظريات علم الطبيعة وتبعث اليأس في نفوس الاساتذة والطلاب على السواء ، في نفوس الكتاب والقراء على السواء .

وهكذا ، فان تصور الكون وتطوره وتطور الانسانية وكذلك انعكاس هذا التطور في عقول الناس تصوراً دقيقاً لا يمكن القيام به الا عن طريق الديالكتيك ، الا عن طريق اجراء مراقبة دائبة للتفاعلات العامة بين الضرورة والزوال ، بين التقدم والانحطاط في هذا السبيل بالذات ، دخلت الفلسفة الالمانية الحديثة منذ البدء . وقد بدأ كائط نشاطه العلمي بان حول النظام الشمسي الذي قال به نيوتن ، النظام الثابت ، السرمدى ، وغير المتغير - بعد الدفعة الاولى المزعومة - الى عملية تاريخية الى عملية نشوء الشمس وجميع الكواكب من كتلة ضبابية في دوران . وفي الوقت نفسه ، قاده نشوء النظام الشمسي الى الاستنتاج انه لا بد لهذا

النظام ان يزول يوماً من الايام . وقد اثبت لابلاس صحة وجهة النظر هذه بصورة رياضية ، بعد نصف قرن ؛ ثم جاء المطياف ، بعد نصف قرن آخر ، فاثبت وجود كتل غازية متأججة مماثلة في الفضاء ، ومختلفة من حيث درجة التكاثف .

وهذه الفلسفة الالمانية الحديثة وجدت خاتمتها في منهج هيغل ، الذي تتلخص مآثرته الكبرى في انه صور العالم بأسره ، الطبيعي والتاريخي والروحي ، للمرة الاولى ، على انه عملية ، اي حركة دائمة وتحول دائم وتطور دائم ، وفي انه قام بمحاولة اكتشاف الصلة الداخلية لهذه الحركة وهذا التطور . ومن وجهة النظر هذه ، لم يعد التاريخ البشري يبدو خليطاً وفوضى من اعمال الضف الخرقاء التي لا تستحق غير الشجب والنسيان السريع امام محكمة العقل الفلسفي الذي نضج الآن ، بل برز ، بالعكس ، بمثابة تطور الانسانية نفسها ، وهدت قضية الفكر تتقوم الآن في اتباع سير هذا التطور في جميع مراحلها المتتالية عبر جميع انحرافاته وتعرجاته وفي تقديم الدليل على وجود قانونه الداخلي بين جميع المصادفات الظاهرية .

الآن يكون منهج هيغل قد حل هذه القضية التي طرحها امام نفسه ، فذلك امر لا يهمننا ؛ فان مآثرته التاريخية هي انه طرح هذه القضية ان هذه القضية هي من القضايا التي لن يستطيع اي فرد ان يحلها بمفرده . وبالرغم من ان هيغل كان ، مع سان سيمون ، اوفر اهل زمانه معرفة وعلماً واطلاماً ، الا انه كان مع ذلك ضيق الافق ، اولا من حيث مدى معارفه المحدود بالضرورة ، وثانياً من حيث مدى معارف ونظرات عصره ، المحدودة ايضاً سعة وعمقا . وفضلاً عن ذلك ، كان هيغل مثالياً ، اي ان افكاره راسنا لم تكن ، في نظره ، انعكاسات للاشياء والعمليات

الواقعية مجردة نوعاً ، بل ، بالعكس كانت الاشياء وتطورها ، في نظر هيغل ، انعكاسات متجسدة ولفكرة» ما كانت موجودة قبل نشوء العالم في مكان ما وبذلك قلب كل شيء رأساً على عقب وشوهت تماماً الصلة الفعلية بين ظاهرات الكون . ولهذا كان لا بد لمنهج هيغل ، رغم تفهمه بفائق الصحة والعبقرية بعض الصلات الفردية بين الظاهرات ، من ان يبدو حتماً في كثير من جوانبه ، للاسباب المنوه بها ، متكلفاً ، مصطنعاً ، ملفقاً ، اي مشوهاً . فكان منهج هيغل ، بوصفه منهجاً ، طرحاً هائلاً ، ولكنه الطرح الاخير من نوعه . وفضلاً عن ذلك ، كان هذا المنهج ينطوي على تناقض داخلي لا شفاء له . فمن جهة ، كانت مقدمته الجوهرية تتلخص في النظر الى تاريخ الانسانية بوصفه عملية تطور لا يمكن لها ، بحكم طبيعتها بالذات ، ان تبلغ خاتمها العقلية في اكتشاف حقيقة مطلقة مزهومة ؛ ولكن منهجه يدعي ، من جهة اخرى ، بان يكون خاتمة هذه الحقيقة المطلقة . ان منهجاً لمعرفة الطبيعة والتاريخ يشمل كل شيء وموضوعاً مرة واحدة بصورة نهائية يتناقض مع قوانين الفكر الديالكتيكي الاساسية ، الامر الذي لا ينفي ، بل يفترض ، بالعكس ، ان معرفة العالم الخارجي قاطبة ، بدأب وانتظام ، يمكن لها ان تخطو خطوات الجبايرة الى امام من جيل الى جيل .

ان ادراك الواقع التالي وهو ان المثالية الالمانية القائمة هي كاذبة تماماً ، قد ادى ، لا محالة ، الى المادية ؛ ولكن تجب الاشارة الى انها لم تكن مجرد مادية القرن الثامن عشر الميتافيزيائية ، والميكانيكية بوجه الحصر . فخلافاً لمجرد نبد التاريخ السابق كله بصورة ثورية ساذجة ، ترى المادية الحديثة في التاريخ عملية تطور الانسانية ، وتعتبر انه يترتب عليها ان تكتشف قوانين هذه

العملية لقد كان فرلسيو القرن الثامن عشر ، وكذلك هيغل ، تصورون الطبيعة كلا لا يتغير ، كلا يتحرك ضمن حلقات ضيقة تبقى هي ذاتها ، كلا ذا اجرام سماوية خالدة ، كما يعلم نيوتن ، وذا انواع لا تتغير من الكائنات العضوية ، كما يعلم لينه . وخلافا لهذا التصور عن الطبيعة ، تصمم المادية الحديثة المكتسبات الاخيرة في العلوم الطبيعية التي تقول ان للطبيعة ايضا تاريخها في الزمن ، وان الاجرام السماوية تنشأ وتزول مثلما تنشأ وتزول جميع الانواع من الاجسام العضوية التي تعيش في هذه الاجرام اذا توافرت الشروط الملائمة ، وان حلقات الدوران ، اذا وجدت ، تتسع الى ما لا يقاس . والمادية الحديثة ، في الحالتين ، دياكتيكية من حيث الجوهر والاساس ، ولا تحتاج الى فلسفة قائمة فوق جميع العلوم الاخرى . وما ان يضطر كل علم من العلوم الى تحديد مكانه في الصلة العامة للاشياء والمعارف عن هذه الاشياء ، حتى يفتدو العلم الخاص بهذه الصلة العامة لا لزوم له . وحينذاك لا يبقى ، من الفلسفة السابقة كلها ، غير مذهب واحد مستقل هو مذهب الفكر وقوانينه - المنطق الاستقرائي والديالكتيك . اما الباقي كله فيدخل في العلم الايجابي عن الطبيعة والتاريخ .

وبينا الانقلاب في المفهوم عن الطبيعة لم يستطع ان يجري الا بقدر ما كانت الابحاث تقدم المواد الايجابية لاجل المعرفة - طرات احداث تاريخية قبل ذلك بكثير ، ادت الى انقلاب حاسم في المفهوم عن التاريخ . ففي ١٨٢١ ، نشبت اول انتفاضة عمالية في ليون ؛ ومن ١٨٢٨ الى ١٨٤٢ ، بلغت اول حركة وطنية عمالية ، حركة الشارتيين الانجليز ، الذروة . وبرز النضال الطبقي بين البروليتاريا والبرجوازية على مقدمة المسرح في تاريخ اكثر البلدان الاوروبية تطوراً ، وذلك بقدر ما كانت تتطور فيها ، من

جهة ، الصناعة الكبيرة ، ومن جهة اخرى ، السيطرة السياسية التي احزتها البرجوازية حديثا وجاءت الوقائع تظهر بصورة اوضح فاوضح كل كذب مذهب الاقتصاد السياسي البرجوازي القائل بوحدة مصالح الرأسمال والعمل ، والانسجام الشامل ، ورفاه الشعب العام المتولدين عن حرية المزاومة ولم يكن بالمستطاع تجاهل كل هذه الوقائع ، ولا تجاهل الاشتراكية الفرنسية والانجليزية التي كانت ، رغم نواقصها وعيوبها ، التعبير النظري عن هذه الوقائع ولكن المفهوم المثالي القديم الذي كان ما يزال قائما حول التاريخ ، لم يكن يعرف ، لا النضال الطبقي القائم على مصالح مادية ، ولا اية مصلحة مادية ؛ ولم يذكر الانتاج وجميع العلاقات الاقتصادية الا بصورة عابرة ، الا بوصفها العناصر الثانوية ولتاريخ المدنية»

وقد فرضت الوقائع الجديدة القيام بدراسة جديدة لكل التاريخ الماضي ، وحينذاك تبين ان التاريخ الماضي كله ، باستثناء الحالة البدائية ، لم يكن سوى تاريخ النضال بين الطبقات ، وان هذه الطبقات الاجتماعية المتناضلة كانت ، في كل لحظة معينة ، نتاجات علاقات الانتاج والتبادل ، اي نتاجات العلاقات الاقتصادية في عصرها ؛ وتبين ، بالتالي ، ان التركيب الاقتصادي للمجتمع في كل مرحلة معينة يشكل الاساس الفعلي الذي يفسر به ، في نهاية الامر ، كل البناء الفوقي من المؤسسات الحقوقية والسياسية والآراء الدينية والفلسفية وغيرها من الآراء الملازمة لهذه المرحلة التاريخية المعنية . وقد حرر هيغل مفهوم التاريخ من الميتافيزياء ، وجعله دياكتيكيا ، ولكن فهمه هو للتاريخ كان من حيث الجوهر مثاليا اما الآن ، فقد طردت المثالية من ملجئها الاخير ، من مفهوم التاريخ ؛ ووضع مفهوم مادي للتاريخ ، ووجد الطريق



لتفسير تفكير الناس بطريقة حياتهم ، بدلا من تفسير حياتهم بطريقة تفكيرهم ، كما جرى حتى ذلك الحين .

ولهذا لم تعد تبدو الاشتراكية الآن اكتشافا حققه من قبيل الصدفة هذا العقل البقري او ذلك ، بل صارت تبدو نتيجة ضرورية للنضال بين الطبقتين الناشئتين تاريخيا ، البروليتاريا والبرجوازية . ولم تبق مهمتها ابتداع نظام اجتماعي على اكثر ما يمكن من الكمال ، بل غدت دراسة التطور الاقتصادي التاريخي الذي ادى بالضرورة الى نشوء هاتين الطبقتين والى نشوء الصراع بينهما ، وايجاد الوسائل في الوضع الاقتصادي الناجم عن هذا التطور ، من اجل تسوية النزاع . ولكن الاشتراكية السابقة لم تكن متلائمة مع هذا الفهم المادي للتاريخ مثلما كان فهم الماديين الفرنسيين للطبيعة غير متلائم مع الديالكتيك ومع علم الطبيعة الحديث صحيح ان الاشتراكية السابقة كانت تنتقد اسلوب الانتاج الرأسمالي القائم وعواقبه ، ولكنها لم تكن تستطيع ان تفسره ، ولذا لم يكن بوسعها ان تتغلب عليه - فلم يكن بوسعها الا ان تعلن انه غير صالح اطلاقا . ولكن ، بقدر ما كان يشتد استياء هذه الاشتراكية لاستثمار الطبقة العاملة المحتم في ظل اسلوب الانتاج هذا ، بقدر ما كان يزداد عجزها عن تفسير قوام هذا الاستثمار واسباب نشوئه تفسيراً واضحاً ولكن القضية كانت تقوم اولاً في تفسير حتمية نشوء اسلوب الانتاج الرأسمالي في علاقته التاريخية ، واثبات ضرورته في مرحلة تاريخية معينة ، وبالتالي حتمية زواله ؛ وكانت القضية تقوم ثانياً في الكشف عن الطابع الداخلي الذي يصف اسلوب الانتاج هذا والذي لا يزال مخفياً . وقد تم ذلك باكتشاف القيمة الزائلة . فقد اعطي الدليل على ان الاستثمار بالعمل غير المدفوع الاجر هو الشكل الاساسي

لاسلوب الانتاج الرأسمالي ولاستثمار العمال الملازم له ؛ وعلى ان الرأسمالي ، حتى حين يشتري قوة العمل حسب قيمتها الكاملة في السوق بوصفها بضاعة ، انما يبتز مع ذلك منها قدرأ من القيمة يفوق ما دفعه في سبيل الحصول عليها ، وعلى ان هذه القيمة الزائدة تشكل ، في آخر المطاف ، مجموع القيم التي تنجم عنها كمية الرأسمال النامية بلا انقطاع ، والمتراكمة في ايدي الطبقات المالكة . وعلى هذا النحو ، وجدت عملية الانتاج الرأسمالي تفسيراً لها ، وكذلك انتاج الرأسمال .

ان هذين الاكتشافين العظيمين ، ونعني بهما المفهوم المادي عن التاريخ ، والكشف عن سر الانتاج الرأسمالي بواسطة القيمة الزائدة ، انما نحن مدينون بهما لهاوكس . فبفضل هذين الاكتشافين اصبحت الاشتراكية علماً ، وتتلخص القضية الآن ، قبل كل شيء ، في صياغته باطراد بجميع تفاصيله وعلاقاته المتبادلة .

## ٢

ان الفهم المادي للتاريخ ينطلق من الموضوعة القائلة ان انتاج المنتجات اولا ، ثم تبادلها ، يشكلان اساس كل نظام اجتماعي ، وانه في كل مجتمع معني يدخل حلبة التاريخ يتحدد توزيع المنتجات ، ومعه انقسام المجتمع الى طبقات او الى فئات ، بما يجري انتاجه وبكيفية انتاجه وبكيفية تبادل هذه المنتجات . ولذا اذا شئنا ان نجد الاسباب التي تحدد التفجرات الاجتماعية والانقلابات السياسية ، وجب علينا ان نبحث عنها ، لا في رؤوس الناس ، لا في معرفتهم المتنامية عن الحقيقة والعدالة المخالدين ، بل في تحولات اسلوب الانتاج والتبادل ؛ اي انه يجب

ان نبحث عن هذه الاسباب ، لا في الفلسفة ، بل في الاقتصاد المعنى . واذا ما اخذ المرء يفهم ان المؤسسات الاجتماعية القائمة هي غير عقلانية وغير عادلة ، وان « ما كان من صنع العقل غدا مخالفاً للعقل ، وان ما كان نعمة غدا عذاباً » . فان هذا يعني انه قد طرات ، خلسة ، تحولات على اساليب الانتاج واشكال التبادل لم يعد ينطبق عليها النظام الاجتماعي المكيف وفقاً لوضع اقتصادية قديمة . وينجم عن ذلك ايضاً انه ينبغي لعلاقات الانتاج المتحولة ان تنطوي ، بدرجات متفاوتة من التطور ، على الوسائل اللازمة لازالة ما يبرز من ضرور . ولذا لا ينبغي اختراع هذه الوسائل من الرأس ، بل ينبغي اكتشافها بواسطة الرأس في وقائع الانتاج المادية الموجودة .

فما هو اذن موقف الاشتراكية الحديثة ؟

يعترف الجميع تقريباً ان النظام الاجتماعي الحالي هو من صنع الطبقة السائدة حالياً ، من صنع البرجوازية . فان اسلوب الانتاج الخاص بالبرجوازية ، والذي اطلق عليه ماركس اسم اسلوب الانتاج الرأسمالي ، لم يكن يتلاءم مع امتيازات المناطق ، والفئات الاجتماعية ، ومع العلاقات الشخصية المتبادلة في النظام الاقطاعي . فحطمت البرجوازية النظام الاقطاعي ، لكي تقيم ، على انقاضه ، النظام الاجتماعي البرجوازي ، وسيادة حرية المزاحمة ، وسيادة حرية التنقل ، وسيادة المساواة امام القانون بين مالكي البضائع اي بكلمة سيادة جميع لطافات البرجوازية . ومنذ ذلك ، افتتح الطريق امام تطور اسلوب الانتاج الرأسمالي تطوراً حراً وما

\* قوله « فاوست » ، القسم الاول ، المعهد الرابع ( ومكتب فاوست ) الناشر .

ان حول البخار وآلات العمل الجديدة المانيفاكتورة القديمة الى صناعة كبيرة حتى اخذت القوى المنتجة ، التي نشأت تحت قيادة البرجوازية ، تتطور بسرعة واتساع لا سابق لهما وكما ان المانيفاكتورة ، والحرف التي تطورت بتاثيرها دخلت ، في حينها ، في نزاع مع القيود القطاعية الناجمة عن نظام الحرف ، كذلك تدخل الصناعة الكبيرة ، حين يكتمل تطورها ، في نزاع مع الاطار الضيق الذي يحصرها فيه اسلوب الانتاج الرأسمالي . وهذا النزاع بين القوى المنتجة واسلوب الانتاج ليس نزاعاً متولداً في رؤوس الناس - كالنزاع بين الخطيئة الاصلية والعدالة الالهية - ، فهو موجود في الواقع ، موضوعي ، خارج عنا ، مستقل حتى عن ارادة وسلوك الناس الذين اوجدوه . وليست الاشتراكية الحديثة سوى انعكاس هذا النزاع الواقعي في الفكر ، انعكاسه المثالي ، اولاً ، في رؤوس ابناء الطبقة التي تتالم مباشرة من هذا النزاع وتعني بها الطبقة العاملة .

ما هو قوام هذا النزاع ؟

في القرون الوسطى - قبل ظهور الانتاج الرأسمالي ، كان الانتاج الصغير قائماً في كل مكان ، واماسه ملكية الماملين الخاصة لوسائل انتاجهم زراعة صغار الفلاحين ، الاحرار او الاقنان ، في الريف ، والحرف في المدن كانت وسائل العمل - الارض والادوات الزراعية ، المشاغل والادوات الحرفية - تخص الافراد ولم تكن مكيفة الا للاستعمال الفردي ، ولذا كانت بالضرورة ، صغيرة ، حقيرة ، محدودة ؛ ولكن لهذا السبب على وجه الدقة كانت تخص بعامة المنتج فكان لا بد من مركزة وسائل الانتاج هذه الصغيرة ، المبعثرة وتكبيرها ، وتحويلها الى

دوافع جبارة حديثة للانتاج - وذلك ، على وجه الدقة ، كان الدور التاريخي الذي اضطلع به اسلوب الانتاج الرأسمالي ، ومخرجه الى المسرح ، البرجوازية اما كيف قامت البرجوازية بهذا الدور تاريخيا ، ابتداء من القرن الخامس عشر ، في درجات الانتاج الثلاث المختلفة : التعاون البسيط ، الماييفاكتورة ، الصناعة الكبيرة - فهو وارد بجميع تفاصيله في القسم الرابع من كتاب ماركس « رأس المال » . ولكن البرجوازية ، كما اثبت ماركس في هذا القسم ايضا ، لم تستطع ان تحول وسائل الانتاج المحدودة هذه الى قوى منتجة جبارة دون ان تحولها من وسائل انتاج يستعملها الافراد الى وسائل إجتماعية للانتاج يستعملها جمهور من الناس بصورة مشتركة . فاخلى دولا ب المفضل ، والنول ، ومطرقة الحداد المكان لالة الفول وللنول الميكانيكي وللمطرقة البخارية ؛ واخل المشغل الفردي المكان للمعمل الذي يتطلب عمل المئات والالوف من العمال بصورة مشتركة . وكما تحولت وسائل الانتاج ، تحول الانتاج نفسه من جملة من الاعمال الفردية الى جملة من الاعمال الاجتماعية ، وتحولت المنتجات من منتجات مختلف الافراد الى منتجات اجتماعية فان الخيطان والاقمشة والسلع المعدنية التي اخذت تخرج الآن من المصانع والمعامل كانت نتاج عمل مشترك قام به عدد كبير من العمال يبذلون جهودهم على صنعها في تعاقب معين حتى انجازها وليس في وسع احد ان يقول عنها : « انا الذي صنعت هذا ، وهذا نتاجي انا »

ولكن حيث كان التقسيم العفوي للعمل في المجتمع قد نشأ تدريجيا بدون اي منهاج ، وكان الشكل الاساسي للانتاج ، كان هذا التقسيم للعمل يضمن حتما على المنتجات شكل بضائع يتيح تبادلها بالشراء والبيع للمتبعين الفرديين تلبية مختلف حاجاتهم .

هكذا كان الحال في القرون الوسطى . فان الفلاح ، مثلا ، كان يبيع الحرفي المنتوجات الزراعية ويشترى منه المصنوعات الحرفية والى هذا المجتمع من المنتجين الفرديين ، من منتجي البضائع ، تسرب اسلوب الانتاج الجديد فاقام في وسط تقسيم العمل العفوي ، غير المخطط ، السائد في المجتمع بأسره ، تقسيم العمل المخطط ، المنظم في كل مصنع بمفرده ؛ والى جانب انتاج المنتجين الفرديين ، ظهر الانتاج الاجتماعي . وكانت منتوجات هذا وذاك تباع في الاسواق نفسها ، وبالتالي بأسعار متساوية تقريبا على كل حال . ولكنه تبين ان التنظيم المخطط اقوى من تقسيم العمل العفوي ؛ ففي المصانع التي لجأت الى العمل الاجتماعي كانت كلفة الانتاج اقل مما لدى صغار المنتجين المتشتتين فاقصي انتاج المنتجين الفرديين من ميدان بعد اخر ، وطبع الانتاج الاجتماعي بطابعه الثوري اسلوب الانتاج القديم كله ولكن هذا الطابع الثوري للانتاج الاجتماعي ظل غير معروف الى حد انه أُدخل بالعكس كوسيلة لانماء وتشجيع الانتاج البضاعي وقد انبثق على صلة مباشرة ببعض من حوافز انتاج وتبادل البضائع كانت قائمة قبل انبثاقه ، وهي الرأسمال التجاري والحرف والعمل الماجور . وبما انه ظهر كشكل جديد من اشكال الانتاج البضاعي ، فان اشكال التملك الملازمة للانتاج البضاعي ظلت سارية المفعول تماما بالنسبة له ايضا

في ظل شكل الانتاج البضاعي الذي تطور في القرون الوسطى ، لم يكن من الممكن حتى ان يدور الكلام لمعرفة من ذا الذي يجب ان تعود اليه منتوجات العمل فعلى العموم كان يصنعها المنتج الفردي من خامات تخصه وكان احيانا كثيرة ينتجها بنفسه وبادواته هو ويديه هو لو بايدي افراد عائلته . فلم يكن ثمة داع يدعو

هذا المنتج الى تملك منتوجه ، لأن منتوجه كان يخضع بطبيعة الحال . ولذا كان حق ملكية المنتج يرتكز على العمل الشخصي . وحق حيث كانوا يلجأون الى معونة الغير ، كانت هذه المعونة لا تضطلع ، على العموم ، الا بدور ثانوي وكانت تلقى احيانا كثيرة ، علاوة على الاجرة ، مكافأة اخرى : فان المتدرب والصانع كانا لا يعملان من اجل الماكل والاجرة بقدر ما كانا يعملان من اجل تحصيل المهنة واعداد نفسيهما لنيل لقب المعلم . ولكن انداك بدأ تمركز وسائل الانتاج في المشاغل الكبيرة والمانيفاكورات ، وتحولها من حيث جوهر الامر الى وسائل انتاج اجتماعية . بيد انهم ظلوا يعتبرون وسائل الانتاج والمنتجات الاجتماعية هذه ، كانما بقيت كما من قبل ، وسائل انتاج ومنتجات الافراد . فمن قبل كان مالك وسائل العمل يستملك المنتج لأنه كان ، على العموم ، منتوجه بالذات ، ولأن اضافة عمل الغير كانت استثنائية . اما الآن ، فان مالك وسائل العمل ظل يستملك المنتجات رغم انها لم تكن نتاج عمله هو ، بل نتاج عمل الغير فقط . وهكذا لم يكن يستملك منتجات العمل الاجتماعي اولئك الذين حركوا بالفعل وسائل الانتاج وصنعوا بالفعل هذه المنتجات ، بل كان يستملكها الرأسمالي . لقد غدت وسائل الانتاج والانتاج بالذات اجتماعية من حيث الاساس ولكنها ظلت خاضعة لشكل تملك يفترض وجود الانتاج الشخصي للمنتجين الفرديين ، ويملك فيه بالتالي كل فرد منتوجه ويعمله الى السوق . وقد خضع اسلوب الانتاج لهذا الشكل من التملك رغم انه حطم اساس هذا التملك . ولكن

\* لا داهي الى ان نوضح هنا انه اذا كان شكل التملك يبقى كما كان عليه ، فان ظاهج التملك يتعرض من جراء العملية الموصوفة اعلاه

في هذا التناقض الذي يضيف على أسلوب الانتاج الجديد طابعه الرأسمالي ، تكمن بدور جميع التناقضات العالية . وبقدر ما كانت تزداد سيطرة أسلوب الانتاج الجديد في جميع فروع الانتاج الرئيسية وجميع البلدان السائدة اقتصادياً ، وبقدر ما كانت تزيح انتاج المنتجين الفرديين الى حد حصره في بقايا تافهة لا وزن لها ، بقدر ما كان يشتد بالفروقة التنافر بين الانتاج الاجتماعي والتملك الرأسمالي .

ان الرأسماليين الاول قد وجدوا ، كما سبق ورأينا ، شكل العمل المأجور قائماً ولكن العمل المأجور لم يكن سوى شغل استثنائي ، ثانوي ، اضافي ، انتقالي . فالحارث ، الذي كان يشتغل من حين الى آخر بالمياومة ، يملك قطعة ارضه التي تكفيه ، في اسوأ الحالات ، لسد حاجاته وكانت الحرف منظمة بصورة يصبح معها صانع اليوم معلم الغد . ولكن ، ما ان غدت وسائل الانتاج اجتماعية ، وما ان تمركزت في ايدي الرأسماليين ، حتى تغير كل ذلك . فان قيمة وسائل انتاج ومنتجات المنتج الصغير الفردي اخذت تهبط اكثر فاكثراً ، ولم يبق له من مخرج غير ان يعمل اجيراً في خدمة الرأسمالي . والعمل المأجور ، الذي كان فيما مضى استثناءً واضافياً ، امسى قاعدة كل الانتاج وشكله الاساسي :

لتاثير ثوري لا يقل عن التاثير الذي يتعرض له طابع الانتاج نفسه ان تملكى لمنتوجي بالذات وتملكي لمنتوج عمل الغير ، انما هما بالطبع نوعان مختلفان جداً من التملك ونلاحظ مرصاً ان العمل المأجور الذي ينطوي على بدور أسلوب الانتاج الرأسمالي كله ، كان قائماً منذ قديم الازمنة ؛ فنحن نجد به بصورة منعزلة وصدفية في سياق مئات السنين الى جانب الرق . ولكن هذه البدور لم يكن بوسعها ان تتطور وتصبح أسلوب الانتاج الرأسمالي الا عندما نشأت الممهديات التاريخية اللازمة .



كان شغلا ثانويا فيما مضى ، اما اليوم فقد استأثر بكل وقت عمل المنتج . والاجبر الموقت غدا اجبراً كل حياته . ناهيك بان جمهور العمال الاجراء مدى الحياة قد ازداد زيادة خارقة من جرّاء تطورات حدثت في آن واحد هي انهيار النظام الاقطاعي ، وانحلال حواشي الاسباد الاقطاعيين ، وطرد الفلاحين من مزارعهم ، الخ وتمت القطيعة بين وسائل الانتاج المتمركزة في ايدي الرأسماليين من جهة ، وبين المنتجين الذين لم يبق لهم ما يملكونه سوى قوة عملهم ، من جهة اخرى . وهكذا ظهر التناقض بين الانتاج الاجتماعي والتملك الرأسمالي بوصفه تناحراً بين البروليتاريا والبرجوازية .

لقد رأينا ان اسلوب الانتاج الرأسمالي تسرب الى وسط مجتمع متالف من منتجي البضائع ، من منتجين فرديين ، كانت صلاتهم الاجتماعية فيما بينهم تقوم في تبادل منتجاتهم بيد ان كل مجتمع يقوم على انتاج البضائع يتصف بكون المنتجين يفقدون سيطرتهم على علاقاتهم الاجتماعية المتبادلة فكل فرد ينتج على حدة ، بوسائل الانتاج العرضية التي يستطيع الحصول عليها ، لاجل حاجاته الفردية الى التبادل . وما من احد يعرف اي كمية من المنتج الذي ينتجه ستظهر في السوق ، واي عدد من الشارين يمكنه ، بعامة ، ان يجد في السوق ؛ وما من احد يعرف ما اذا كانت ثمة حاجة فعلية الى المنتج الذي ينتجه وما اذا كان سيستعيد نفقات انتاجه ، وما اذا كان سيبيعه على وجه العموم فالفوضى تسود في الانتاج الاجتماعي ولكن الانتاج البضاعي ، ككل شكل آخر من اشكال الانتاج ، له قوانينه الخاصة والملازمة له ، وهذه القوانين تشق الطريق لنفسها رغم الفوضى وبواسطة الفوضى وهي تظهر في الشكل الوحيد الباقي للصلة الاجتماعية ، اي في التبادل - وتؤثر على المخرجين الفرديين كقوانين

قسرية للمزاحمة والمنتجون انفسهم يجهلون هذه القوانين في البدء ، ويحتاجون الى تجربة طويلة لكي يتوصلوا الى اكتشافها الواحد بعد الآخر . فهي تشق الطريق لنفسها ، اذن ، دون معرفة المنتجين وخدمهم ، كقوانين طبيعية لشكل انتاجهم مفعولها اعمى . فالمنتج يسيطر على المنتجين .

في مجتمع القرون الوسطى ولا سيما في القرون الاولى كان الانتاج موجهاً اساساً نحو الاستهلاك الشخصي ، وكان لا يلي على الاغلب الا حاجات المنتج الشخصية وحاجات عائلته . وحيث كانت ثمة علاقات تبعية شخصية ، كما في الريف مثلاً ، كان الانتاج يسد ايضاً حاجات الاقطاعي ولذا لم يكن ثمة تبادل ولم تكن المنتجات لتردي شكل بضائع كانت عائلة الفلاح تنتج تقريباً كل ما تحتاجه ، سواء الادوات والالبسة ام الاغذية ولم تبدأ تنتج من اجل البيع الا حينما توصلت الى انتاج فائض عن استهلاكها وعن الفرائض العينية المترتبة عليها للاقطاعي . وهذا الفائض المعروض للتبادل الاجتماعي ، المعد للبيع ، غذا بضاعة . صحيح ان الحرفيين في المدن قد اضطروا منذ البدء الى الانتاج بقصد التبادل ، ولكنهم هم ايضاً كانوا يمدون القسم الاكبر من حاجات استهلاكهم بعملهم الشخصي : فقد كانوا مالكي احواض للخضراوات وحقول صغيرة ؛ وكانوا يرسلون ماشيتهم ترمى في الغاب المشامي حيث كانوا ايضاً يحتطبون للتدفئة والبناء ؛ وكانت النساء يفرلن الكتان والصوف الخ . . وهكذا نرى ان الانتاج بقصد التبادل ، ان الانتاج البضامي كان ما يزال في المهد . ولذا كان التبادل محدوداً ، والسوق ضيقة ، واسلوب الانتاج مستقراً ؛ وكانت العرلة المحلية

من العالم الخارجي ، وكان الاتحاد داخل النطاق المحلي ، فكان المارك \* في الريف وكانت الحرف في المدن . ومع ازدياد الانتاج البضائي ولا سيما مع ظهور اسلوب الانتاج الرأسمالي ، شرعت قوانين الانتاج البضائي ، التي كانت راقدة قبل ذلك ، تفعل فعلها بمزيد من السفور والتسلط فتراخت الروابط القديمة ، وتحطمت الحواجز السابقة ، واخذ المنتجون يتحولون اكثر فاكثر الى منتجي بضائع منزولين ومستقلين وتكشفت فوضى الانتاج الاجتماعي وراحت تتفاقم اكثر فاكثر ولكن الاداة الرئيسية التي استخدمها اسلوب الانتاج الرأسمالي لتثديد هذه الفوضى في الانتاج الاجتماعي ، اما كانت على وجه الدقة عكس الفوضى كانت تنظيم الانتاج الذي غدا اجتماعياً ، والذي ينمو بلا انقطاع في كل مؤسسة انتاجية بمفردها وبواسطة هذا التنظيم وضع اسلوب الانتاج الرأسمالي حداً للاستقرار السابق الهادي ففي كل فرع صناعي دخله ، طرد منه اساليب الانتاج السابقة . وحيثما استولى على حرفة حطمها . وغدا ميدان العمل ميدان معركة . وجاءت الاكتشافات الجغرافية الكبيرة ( ٨٠ ) وما اعقبها من استعمار توسع ميدان التصريف مرات عديدة وتسرع تحول الحرف الى مانيفاكتورات ولم يحتدم النضال بين منتجي نفس المحلة الفرديين وحسب ، بل ان النضالات المحلية نمت ايضاً وتحولت الى نضالات بين الامم ، فكانت الحروب التجارية ( ٨١ ) في القرنين السابع عشر والثامن عشر . وفي آخر

\* راجع الملحق في النهاية . هنا يستشهد انجلس ببحثه والمارك . الثامن .

المطاف ، اضفت الصناعة الكبيرة ونشوء السوق العالمية طابعاً شاملاً على هذه النضالات ، ودمغها بطابع من العنف لم يسمع بمثله من قبل . واذا امتلاك الشروط الملائمة للانتاج ، طبيعية كانت ام اصطناعية ، هو الذي يبت في مسألة وجود رأسماليين منفردين ، كما يبت في مسألة وجود فروع انتاجية وبلدان برمتها فيزاح المغلوبون ويبعدون بلا شفقة وذلك هو الصراع من اجل البقاء ، الذي قال به داروين ، وقد نقل من الطبيعة الى المجتمع وطبع بطابع من العنف المتفالم . واذا سلوك الحيوانات الطبيعي يبدو كأنه آخر ما توصل اليه التطور البشري . واتخذ التناقض بين الانتاج الاجتماعي والتملك الرأسمالي شكلاً تصاد بين تنظيم الانتاج في كل مصنع على حدة وفوضى الانتاج في المجتمع بأكمله .

فضمن هذين الشكلين من التناقض الملازم لاسلوب الانتاج الرأسمالي بحكم منشئه ، يتحرك اسلوب الانتاج هذا ، دون ان يخرج منه ، ويرسم هذه «الحلقة المفرغة» التي اكتشفها فيه فوريه . ولكن فوريه لم يكن ليستطيع ، بالطبع ، ان يرى في زمنه ان هذه الحلقة تتقلص بصورة تدريجية ، وان حركة الانتاج ترمس بالاحرى خطأ حلزونيا ينتهي عند مركز دورانه ، شأنها شأن حركة الكواكب ان القوة المحركة الكامنة في فوضى الانتاج الاجتماعية هي التي تحول ، اكثر فاكثراً ، اغلبية الناس الى بروليتاريين ، وهذه الجماهير البروليتارية هي التي ستفزع بدورها ، في نهاية الامر ، حداً لفوضى الانتاج . وان نفس القوة المحركة الكامنة في فوضى الانتاج الاجتماعية هي التي تحول امكانية ادخال تحسينات لامتناهية على الآلات المستعملة في الصناعة الكبيرة الى قانون الزامي يفرض على كل رأسمالي صناعي ،

تحت طائلة الخراب ، ان يحسن ويتقن آلهه بلا انقطاع . ولكن اتقان الآلات يجعل كمية معينة من العمل الانساني امراً نافلا واذا كان ادخال وتكثير الآلات قد اديا الى الاستعاضة عن الملايين من ذوي العمل اليدوي بعدد قليل من العمال الذين يخدمون الآلات ، فان اتقان الآلات يؤدي الى ازاحة عدد متزايد ابدأ من ذوي العمل الآلي ، ويؤدي ، في نهاية الامر ، الى ايجاد عدد متزايد من الايدي العاملة تحت التصرف ، تفيض عن متوسط حاجة الرأسمال اليها ويكون جمهور العمال العاطلين جيشاً صناعياً احتياطياً حقيقياً كما سميته في ١٨٤٥ . يكون تحت تصرف الانتاج في الفترة التي يشتغل فيها بملء طاقته ويرمى به الى الشارع حين تنفجر الازمة المحتومة التي تعقب كل انتعاش ؛ وهذا الجيش الذي هو ، في كل زمن ، بمثابة غل في عنق الطبقة العاملة اثناء النضال الدائر بينها وبين الرأسمال ، يقوم بدور منظم لاجرة يبقيها في مستوى منخفض وفقاً لحاجة الرأسمال وينجم بالتالي ، على حد قول ماركس ، ان الآلة تصبح امضى سلاح في يد الرأسمال في نضاله ضد الطبقة العاملة ، وان وسيلة العمل تنتزع على الدوام من العامل وسائل معيشته ، وان نتاج العامل يمسي اداة لاستعباده . . . وينجم ايضاً ان التوفير في وسائل العمل يتصف منذ البداية بافد ما يكون من تبيد قوة العمل وباوقح ما يكون من التقتير على شروط العمل العادية

\* وحالة الطبقة العاملة في انجلترا ، ص ١٠٩ (راجع كاول ماركس وفريديريك انجلس . المؤلفات ، الطبعة الروسية الثانية ، المجلد ٢ ، ص ٢٢٠ . الناشر .)

\*\* راجع كاول ماركس . ورأس المال ، المجلد الاول . الناشر .

الطبيعية • ، وان الآلة ، هذه الوسيلة الاقوى لاختصار وقت العمل ، تصبح آمن وسيلة لتحويل كل حياة العامل وكل حياة عائلته الى وقت عمل كامن من اجل زيادة قيمة الراسمال ولذلك يؤدي العمل الزائد الذي يقوم به قسم من الطبقة العاملة الى بطالة قسمها الباقي بطالة تامة ، كما ان الصناعة الكبيرة ، التي تجوب الكرة الارضية سعياً وراء المستهلكين ، تفرض على الجماهير العمالية في بلادها حداً ادنى من العيش يتاخم المجاعة ، وتحطم بالتالي بيديها سوقها الداخلية . وان القانون الذي يوازن بين فيض السكان النسبي او الجيش الصناعي الاحتياطي وبين مقادير وتقدم تراكم الراسمال ، يسمر العامل على لوحة الراسمال بصورة اشد وامتن مما سمر بها هيفايستوس بروميته بمطرقته على الصخرة . وهذا القانون يؤدي الى تراكم البؤس بقدر تراكم الراسمال . ولذا فان تراكم الثروة في قطب يعني في الوقت نفسه تراكم الفقر والم العمل والعبودية والجهل والخشونة والانحطاط المعنوي في القطب المضاد اي عند الطبقة التي تنتج منتوجها بالذات بوصفه راسمالاً (ماركس ، ورأس المال) ، ص (٦٧١) . ولئن تطلب من اسلوب الانتاج الراسمالي توزيعاً آخر للمنتجات ، كانك تطلب من قطبي بطارية كهربائية الا يفسخا الماء ، ويرسلا الاوكسيجين الى القطب الايجابي والهيدروجين الى القطب السليبي ، طالما القطبان موصولان لقد راينا كيف ان امكان تحسين الآلات الحديثة يتحول ، اذا ما استغل لآخر درجة ، وتحت ضغط فوضى الانتاج في المجتمع ، الى قانون الزامي يجبر الراسمالي الصناعي على اتقان

• راجع كارل ماركس . ورأس المال ، المجلد الاول ، ص ٤٧٢ .

الآله باستمرار وعلى انماء مردودها بلا انقطاع ان مجرد  
الامكانية المتوافرة للرأسمالي الصناعي لتوسيع انتاجه تتحول ،  
بالنسبة اليه ، الى قانون آخر الزامي . فان قوة الامتداد والتوسع  
الهائلة الكامنة في الصناعة الكبيرة ، والتي ليست قوة امتداد  
وتوسع الغاز سوى لعبة اطفال بالنسبة اليها ، تتخذ الآن شكل  
هاجة الى توسيع هذه الصناعة ، كيميا وكيميا ، تتحدى كل  
مقاومة . والمقاومة هنا هي الاستهلاك ، التصريف ، الاسواق  
لمنتجات الصناعة الكبيرة ولكن قدرة الاسواق على الامتداد  
والتوسع ، من حيث المدى والكثافة ، تسيرها قوانين مختلفة  
وذات مفعول اقل حزمًا بكثير . فان توسع الاسواق لا يمكن ان  
يلحق بتوسع الانتاج . ولذا كان الاصطدام محتوماً لا مناص  
منه ، وبما ان هذا الاصطدام لا يستطيع حل النزاع الا اذا حطم  
الاسلوب الرأسمالي للانتاج ، فانه يصبح دورياً ان الانتاج  
الرأسمالي يولد (حلقة مفرغة) جديدة

لمنذ ١٨٢٥ ، حين انفجرت اول ازمة عامة ، والعالم  
الصناعي والتجاري كله ، والانتاج والتبادل عند جميع الشعوب  
المتمددة وكذلك عند الشعوب التابعة لها والبربرية الى هذا الحد  
او ذاك ، تختل وتنتقض مرة كل عشر سنوات تقريباً فتركد  
التجارة ، وتردح الاسواق بالمنتجات الكاسدة ، وتختفي النقود  
من التداول ، ويتوقف التسليف ، وتطلق المصانع ابوابها ،  
ويحرم العمال من وسائل المعيشة لانهم انتجوا من هذه الوسائل  
اكثر من اللزوم بكثير ، ويتوالى الافلاس تلو الافلاس ، والبيع  
الاجباري تلو البيع الاجباري . وخلال سنوات ، يستمر الكساد ،  
وتتبدد القوى المنتجة والمنتجات وتتلغ بكميات كبيرة ، الى  
ان تصرف مخزونات البضائع بفضل تخفيض الاسعار الى هذا

الحد او ذاك ، الى ان يستعيد الانتاج والتبادل سيرهما بصورة تدريجية . و شيئاً فشيئاً تتسارع الوتيرة ، وتغدو خيباً ، والخيب الصناعي يصبح عدواً ، ويبلغ السرعة القصوى لسباق حواجز عام تشارك فيه الصناعة والتجارة والتسليف والمضاربة ، وبعد ان يقوم باخطر القفزات ، يهوى في آخر الامر من جديد في هوة الازمة ودائماً ينبغي البدء من جديد لقد اجتزنا خمس ازمات منذ ١٨٢٥ وها نحن نجتاز السادسة في الوقت الحاضر ( في ١٨٧٧ ) وقد برز طابع هذه الازمات بوضوح بالغ الى حد ان فوريه وصفها كلها بتسميته الازمة الاولى - crise plé-thorique ، ازمة وفرة وغزارة

ففي الازمات ، ينفجر بعنف التناقض بين الانتاج الاجتماعي والتملك الرأسمالي فيتوقف تبادل البضائع مؤقتاً ، وتصبح وسيلة التداول ، العملة ، عقبة امام التداول ؛ وتنقلب جميع قوانين الانتاج وتبادل البضائع رأساً على عقب ويبلغ التصادم الاقتصادي ذروته : ان اسلوب الانتاج يتمرد على اسلوب التبادل .

لقد رأينا ان التنظيم الاجتماعي للانتاج في داخل المعامل قد تطور الى حد انه لم يعد يتلاءم مع فوضى الانتاج في المجتمع القائمة الى جانب هذا التنظيم والسيطرة عليه ؛ وهذا الواقع يفرض نفسه على فهم الرأسماليين انفسهم وذلك من جراء مركزة الراسمائل بعنف خلال الازمات ، مركزة تتحقق عن طريق خراب عدد كبير من كبار الرأسماليين وخراب عدد اكبر من صغارهم واذا جهاز اسلوب الانتاج الرأسمالي برمته يتهاوى تحت ضغط القوى المنتجة التي خلقها هذا الجهاز بنفسه فلم يعد بإمكانه تحويل كل كتلة وسائل الانتاج الى رأسمال ؛ فتبقى دون



استعمال ، ولهذا السبب يضطر الجيش الصناعي الاحتياطي ، هو ايضا ، الى التعطل . وسائل انتاج ، وسائل معيشة ، عمال تحت تصرف الراسمال - جميع عناصر الانتاج والرخاء العام موجودة بوفرة ولكن «الوفرة تصبح مصدر العوز والبؤس» (فوريه) لانها هي التي تمنع وسائل الانتاج والمعيشة من ان تتحول الى راسمال ذلك لان وسائل الانتاج في المجتمع الراسمالي لا يمكن ان تعمل الا بعد ان تتحول الى راسمال ، الى وسيلة لاستثمار قوة عمل الانسان ان ضرورة تحويل هذه الوسائل الى راسمال تنتصب كشبح بين العمال من جهة وبين وسائل الانتاج والعيش من جهة اخرى . وهي وحدها التي تمنع الاتصال بين روافع الانتاج المادية وبين روافع الانتاج الشخصية ؛ وهي وحدها التي تمنع وسائل الانتاج عن العمل وتحرم العمال من العمل والعيش وهكذا تبين اذن ، اولاً ، ان اسلوب الانتاج الراسمالي غدا عاجزاً عن ان يقود بعد اليوم القوى المنتجة . وتبين ، ثانياً ، ان هذه القوى المنتجة نفسها تندفع بالحاح متزايدة ابدأ نحو الغاء هذا التناقض ، نحو تحرير نفسها من كل ما يلازمها بوصفه راسمالاً ، نحو الاعتراف **الفعل** بطابعها كقوى منتجة اجتماعية .

ان رد الفعل هذا من جانب القوى المنتجة النامية بلا انقطاع ، ضد صفتها كراسمال ، ان هذه الضرورة المتعاطمة القاضية بالاعتراف بطابعها الاجتماعي ، تجبر طبقة الراسماليين انفسهم اكثر فاكثر ، وبقدر ما تسمح به العلاقات الراسمالية ، على اعتبار القوى المنتجة قوى منتجة اجتماعية . وان فترات الحمى الصناعية مع ما يرافقها من تضطيم التسليف الى الحد الاقصى ، وكذلك الازمات نفسها التي تحطم مؤسسات راسمالية

كبيرة ، تؤدي الى شكل من اعضاء الطابع الاجتماعي على كميات كبيرة من وسائل الانتاج نجده في مختلف الانواع من الشركات المساهمة فان بعضاً من وسائل الانتاج ووسائل المواصلات هذه ، قد بلغت درجة من الضخامة تنفي ، كالكسك الحديدية مثلا ، كل شكل آخر من اشكال الاستثمار الرأسمالي ولكن هذا الشكل يصبح غير كاف هو ايضا ، عند درجة معينة من التطور : فان جميع المنتجين الكبار في الفرع الصناعي نفسه في البلد المعني يتحدون في «تروست» واحد ، في اتحاد ، بقصد ضبط الانتاج فهم يحددون مجمل ما يجب انتاجه ويوزعونه فيما بينهم ، ويفرضون سعر البيع الذي يقررونه سلفاً ولكن لما كانت هذه التروستات تتفسخ بمعظمها لدن اول عقبة في اعمالها ، فانها تدفع بالتالي الى اعضاء صفة الملكية الاجتماعية بمزيد من التركيز : فان الفرع الصناعي يتحول برمته الى شركة مساهمة عملاقة واحدة موحدة ، وتخلي المزاحمة داخل البلد المكان لاحتكار هذه الشركة داخل البلد المعني . هكذا حدث في عام ١٨٩٠ لاتناج القل الانجليزي ، اذ انتقل ، بعد اندماج المصانع الكبرى الـ ٤٨ كلها ، الى يد شركة واحدة يديرها مركز واحد ويبلغ رأسمالها ١٢٠ مليون مارك .

وفي ظل التروستات ، تتحول المزاحمة الحرة الى احتكار ، ويستسلم الانتاج غير المخطط في المجتمع الرأسمالي امام الانتاج المخطط في المجتمع الاشتراكي المقبل صحيح ان ذلك يتحقق باوى الامر لما فيه غير ومصصلحة الرأسماليين وحدهم ولكن الاستثمار بشكله هذا يوداد وضوحاً الى حد انه لا بد له ان ينهار . وما من شعب يتحمل زمناً طويلاً انتاجاً تشرف عليه

التروستات ، واستثماراً سافراً وقفاً للمجتمع بأسره من قبل حفنة ضئيلة من الافراد يعيشون من قص الكوبونات . وعلى كل حال ، يترتب \* في آخر الامر على الممثل الرسمي

\* القول «مترقب» لان تحويل وسائل الانتاج او المواصلات الى ملكية الدولة لن يكون تقدماً اقتصادياً ، لن يكون خطوة جديدة في الطريق الى امتلاك المجتمع لجميع القوى المنتجة الا حين تصبح وسائل الانتاج او المواصلات كبيرة لئلا الى حد ان يفسدو من المتصدر على الشركات المساهمة ان تديرها ، الا حين يصبح تحويلها الى ملكية الدولة ضرورة اقتصادية لا مناص منها ، حتى وان قامت به الدولة العصرية . ولكنه ظهر في الآونة الاخيرة ، منذ ان اندفع بيسمارك في طريق الاستدالة (التحويل الى ملكية الدولة) ، نوع خاص من الاشتراكية المزيفة ينحط في بعض الاماكن الى ضرب فريد من الاستخذاء الاختياري ، ويعلم قطعاً وصرحة ان كل تحويل ، وان بيسماركياً لوسائل الانتاج الى ملكية الدولة هو تحويل اشتراكي . فاذا كان احتكار الدولة للتبغ يعني الاشتراكية ، فلا ريب انه يجب بالتالي تصنيف نابليون ومترليخ في خداد مؤسسي الاشتراكية وعندما اقدمت الحكومة البلجيكية على بناء السكك الحديدية الكبرى بنفسها لاعتبارات سياسية ومالية عادية تماماً ، وعندما حول بيسمارك الى ملكية الدولة اهم السكك الحديدية البروسية دون اي مبرر اقتصادي ، بل لمجرد سهولة تنظيمها واستخدامها في زمن الحرب ، ولاجل تاديب موظفي السكك الحديدية وتحويلهم الى لطيف مطيح يصوت الى جانب الحكومة ، ولا سيما لاجل تأمين مصدر جديد للدخل ، مستقل عن البرلمان ، - فان كل هذا لم يكن على الاطلاق خطوة نحو الاشتراكية ، لا مباشرة ولا غير مباشرة ، لا واعية ولا غير واعية . والا ، كان لا بد من الاقرار بان *Seehandlung* الملكي (٨٢) والماينفاكتورية الملكية لانتاج البورسلين وحتى مشاغل الخياطة في سرايا في الجيش ، او حتى الاستدالة التي اقترحتها بكل حد احد الاذكياء في الثلاثينيات في عهد فريدريك غليوم الثالث . . . لبيوت الدماره ، - هي مؤسسات اشتراكية .

لمجتمع الرأسمالي ، الدولة ، ان يتسلم قيادة الانتاج ، سواء  
 اكانت هناك تروستات ام لا . هذه الضرورة ، ضرورة التحويل الى  
 ملكية الدولة ، تبرز اولا بالنسبة لوسائط المواصلات الكبيرة  
 البريد والبرق والسكك الحديدية

وإذا كانت الازمات قد اثبتت عجز البرجوازية عن قيادة  
 القوى المنتجة الحديثة بعد اليوم ، فان تحول المؤسسات الكبيرة  
 للانتاج ووسائل المواصلات الى شركات مساهمة وتروستات والى  
 ممتلكات للدولة يبين ان البرجوازية قد غدت من نوافل الامور  
 في هذا المجال فان جميع وظائف الرأسماليين الاجتماعية يقوم  
 بها الآن مستخدمون اجراء . ويقتصر دور الرأسماليين الاجتماعيين  
 على قبض الواردات وقص الكوبونات ، واللعب في البورصة ،  
 حيث يتنازعون بعضهم بعضاً رساميلهم فيما مضى ، كان  
 اسلوب الانتاج الرأسمالي يزج بالعمال في خضم الجيش الصناعي  
 الاحتياطي ؛ اما الآن ، فانه يزج بالرأسماليين ايضاً ، ولكن  
 ليس بعد في هذا الجيش ، بل في فئة السكان الزائدين .

ولكن ، لا انتقال القوى المنتجة الى ايدي الشركات المساهمة  
 والتروستات ولا تحولها الى ملكية الدولة يقضي على صفتها  
 الرأسمالية وهذا الامر جلي تماماً بالنسبة للشركات المساهمة  
 والتروستات فالدولة الحديثة ليست سوى الهيئة التي يخلقها  
 المجتمع البرجوازي لنفسه لكي تصون جميع الشروط الخارجية  
 العامة لاسلوب الانتاج الرأسمالي من تطاولات العمال والرأسماليين  
 الفرديين على السواء ان الدولة الحديثة ، ايا كان شكلها ، هي ،  
 في الاساس ، آلة رأسمالية ، هي دولة الرأسماليين ، هي  
 الرأسمالي الجماهي المثالي وكلما استأثرت الدولة بالقوى  
 المنتجة ، كلما تحولت الى رأسمالي جماهي واستثمرت هدداً

اكبر من المواطنين . وسيبقى العمال عمالا اجراء ، بروليتاريين . فالعلاقات الرأسمالية لا تزول ، بل ، بالعكس ، تتفاقم وتبلغ الذروة فاذا بلغت الذروة ، انقلبت وهوت ان تملك الدولة للقوى المنتجة لا يحل النزاع ، بل ينطوي على وسيلة شكلية لحله ، على امكانية لحله

وهذا الحل لا يمكن ان يكون سوى الاعتراف العملي بطابع القوى المنتجة العالية الاجتماعي ، اي بجعل اسلوب الانتاج والتملك والتبادل منطبقاً مع الطابع الاجتماعي لوسائل الانتاج ولن يبلغ المجتمع هذا الهدف الا اذا اقدم علينا ، ودون لف ودوران ، على امتلاك القوى المنتجة التي بلغت حداً من القوة لا تتحمل معه اية ادارة اخرى غير الادارة الاجتماعية ان الطابع الاجتماعي الذي تتصف به وسائل الانتاج والمنتجات ، والذي يصبو اليوم رأس حربته ضد المنتجين انفسهم ، ويهز اسلوب الانتاج والتبادل بصورة دورية شاقاً لنفسه طريقاً كقانون من قوانين الطبيعة يفعل فعله بصورة عمياء ، عنيفة ومدمرة ، - ان هذا الطابع الاجتماعي سيستغله آنذاك المنتجون بكامل المعرفة والوعي وسيتحول من سبب لظواهر التشوش والازمات الدورية الى القوى رافع للانتاج بالذات

ان القوى الاجتماعية تتصرف تماماً كقوى الطبيعة ، فهي قوى عمياء ، هوجاء ، مدمرة ما دمنا لا نعرفها ولا نحسب لها الحساب اما متى عرفناها وفهمنا فعلها واتجاهها وتأثيرها ، فحينئذ لا يتوقف الا علينا ان نخضعها اكثر فاكثر لارادتنا وان نبليغ بفضلها اهدافنا . وهذا يصح ، بصورة خاصة ، على القوى المنتجة الجبارة العالية . فما دمنا نرفض بعناد ان نفهم طبيعتها وصفتها - وهذا الفهم يناهضه اسلوب الانتاج الرأسمالي والمدافعون

عنه - فان هذه القوى المنتجة تعمل بالرغم منا ، وضدنا ، وتسيطر علينا ، كما بينا آنفاً بالتفصيل اما حين تفهم طبيعتها ، فانه يمكن ان تتحول في ايدي المنتجين المتعاونين من سيدات مستبدات الى خادמות وديعات والفرق هنا كالفرق بين قوة الكهرباء المدمرة في برق العاصفة وبين الكهرباء المروضة في جهاز التلفزيون والقوس الكهربائي ، والفرق بين الحريق وبين النار حين تجعل في خدمة الانسان وان الوقوف من القوى المنتجة الحالية موقفاً يتفق وطبيعتها بعد معرفتها ، في آخر المطاف ، يعني ان فوضى الانتاج الاجتماعية يحل محلها تنظيم للانتاج مبرمج اجتماعياً وفقاً لحاجات المجتمع ، كما لحاجات كل فرد . وهكذا ، ان طريقة التملك الرأسمالية التي يستعبد فيها المنتج المنتج اولا ، ثم الممتلك نفسه ، يستعاض عنها بطريقة جديدة لتملك المنتوجات تقوم على طبيعة وسائل الانتاج الحديثة نفسها من جهة ، تملك اجتماعي مباشر كوسيلة للمحافظة على الانتاج ولتطويره ، ومن جهة اخرى ، تملك فردي مباشر كوسيلة للعيش والتمتع

وبقدر ما يحول اسلوب الانتاج الرأسمالي اكثر فاكثر السواد الاعظم من السكان الى بروتاريين ، يخلق القوة التي لا بد ان تهلك هلاكاً او ان تقوم بهذا الانقلاب . وبقدر ما يجبر اسلوب الانتاج الرأسمالي اكثر فاكثر على تحويل وسائل الانتاج الكبرى ، التي جعلت ملكيتها اجتماعية ، الى ملكية للدولة ، يشير بنفسه الى الطريق اللازم اتباعه للقيام بهذا الانقلاب فيبعد ان تستولي البروتاريا على سلطة الدولة تحول ، قبل كل شيء ، وسائل الانتاج الى ملكية الدولة . ولكنها بذلك تقضي على نفسها بنفسها بوصفها بروتاريا وتقضي على جميع الفوارق الطبقيّة

وجميع التضادات الطبقيه ، وتهدم بالتالي الدولة بوصفها دولة . ان المجتمع الذي قام ولا يزال قائما حتى الآن في اطار التضادات الطبقيه كان بحاجة الى الدولة ، اي الى منظمة للطبقة المستثمرة ، بنية تأمين الشروط الخارجية اللازمة للانتاج ، ولا سيما بنية العمل بالقوة على استبقاء الطبقة المستثمرة مقيدة بشروط الخضوع (الرق ، القنائة او التبعية الاقطاعية ، العمل المأجور) التي كان يتطلبها اسلوب الانتاج القائم . واذا كانت الدولة فيما مضى قد مثلت المجتمع بأسره رسمياً وجسده في هيئة ، في جسم منظور ، فانها لم تقم بهذا الدور الا طالما كانت دولة الطبقة التي تمثل وحدها المجتمع بأسره في حينها في الازمنة القديمة كانت دولة مالكي العبيد - مواطني الدولة ، وكانت في القرون الوسطى دولة النبلاء الاقطاعيين ، وهي في زمننا دولة البرجوازية . ولكن ، ما ان تصبح الدولة فعلا ممثلة المجتمع بأسره حتى تسمى ولا حاجة اليها . وحين لا تبقى طبقة اجتماعية ينبغي استبقاؤها في حالة الخضوع ، وحين تزول ، مع زوال السيطرة الطبقيه والنضال في سبيل البقاء الناجم عن الفوضى الحالية في الانتاج ، الاصطدامات والنزاعات الناجمة عن هذا النضال ، فلن يبقى من ينبغي قمعه وردعه ولن تكون حاجة الى قوة خاصة لاجل القمع والردع ، اي الدولة . ان اول عمل تقوم به الدولة كممثلة حقيقية للمجتمع بأسره - وهو استملاك وسائل الانتاج باسم المجتمع - سيكون في الوقت نفسه آخر عمل مستقل تقوم به كدولة ان تدخل سلطة الدولة في العلاقات الاجتماعية يفتدو نافلا في ميدان بعد آخر ، ويتوقف من تلقاء ذاته . ومحل حكم الاشخاص محل ادارة الاشياء وقيادة عمليات الانتاج . ان الدولة لا «تلقى» بل «تفهم» . وعلى هذا الاساس يجب تقييم تعبير

والدولة الشعبية الحرة» ، الذي كان له ما يبرر وجوده مؤقتا كوسيلة للتحرير والذى كان باطلا في آخر المطاف من الناحية العلمية . وعلى هذا الاساس يجب كذلك تقييم مطلب من يسمون بالفوضويين ، ونعني به مطلب الغاء الدولة بين عشية وضحاها منذ ظهور اسلوب الانتاج الرأسمالي في مسرح التاريخ ، كان استملاك المجتمع جميع وسائل الانتاج يبدو في احيان كثيرة مثالا اعلى للمستقبل ، ضبابيا ، غامضا الى هذا الحد او ذاك ، امام عيون افراد او شيع بكاملها . ولكنه لم يقد ممكنا ، لم يستطع ان يبرز كضرورة تاريخية الا حينما توافرت الشروط الفعلية لتطبيقه عمليا . انه ككل تقدم اجتماعي آخر ، يقدو ممكن التطبيق ، لا لمجرد الاقتناع بان وجود الطبقات مخالف للعدالة والمساواة وهكذا دواليك ، لا لمجرد ارادة الغاء الطبقات ، بل لتوافر شروط اقتصادية جديدة ان انقسام المجتمع الى طبقتين ، مستثمرة ومستثمرة ، مسيطرة ومظلومة ، قد كان النتيجة الحتمية لضعف تطور الانتاج في الماضي . فحيث لا يقدم العمل الاجتماعي الاجمالي الا كمية من المنتجات ما تكاد تفيض عما هو ضروري اطلاقاً لبقاء المجتمع ، وحيث يستوهب العمل ، بالتالي ، كل وقت الاغلبية الكبرى من الافراد الذين يتألف منهم المجتمع ، او تقريبا كل وقتهم ، كان هذا المجتمع منقسما بالضرورة الى طبقات والى جانب هذه الاغلبية الكبرى المنصرفه بوجه الحصر الى العمل القسري ، تتكون طبقة معفاة من العمل المنتج مباشرة ومكلفة بشؤون المجتمع العامة ادارة العمل ، والشؤون السياسية ،

\* راجع هذه الطبعة ، الجزء الثاني ، ص ص ٢٦٠-٢٦٥ ،  
٢٧٤-٢٧٥ . القاهرة .



والقضاء ، والعلوم ، والفنون ، الخ . . ولذا كان قانون تقسيم العمل هو الذي يكمن في اساس انقسام المجتمع الى طبقات ، الامر الذي لا ينفي اطلاقاً استعمال العنف والسلب والحيلة والغش لدى تشكل الطبقات ؛ الامر الذي لا يمنع كذلك الطبقة المسيطرة ، بعد ان تستولي على السلطة ، عن توطيد وضعها على حساب الطبقات الكادحة ، وعن تحويل قيادة المجتمع الى استثمار للجماهير بصورة مشددة

ولكن اذا كان للانقسام الى طبقات بعض ما يبرره تاريخياً ، فليس ذلك الا لفترة معينة ، الا في ظل اوضاع اجتماعية معينة . لقد اشترطته عدم كفاية الانتاج ، وسيكنسه تطور القوى المنتجة الحديثة الكامل وبالفعل ، يفترض الفناء الطبقات الاجتماعية بلوغ درجة في التطور التاريخي يغدو معها وجود هذه الطبقة المسيطرة او تلك ، بله وجود كل طبقة مسيطرة على العموم ، وبالتالي انقسام المجتمع الى طبقات ، بقية من بقايا الماضي وظاهرة من الظواهر ولي زمنها ان الفناء الطبقات يفترض ، اذن ، ان تطور الانتاج قد بلغ درجة لا يغدو معها استملاك طبقة من الطبقات الاجتماعية لوسائل الانتاج والمنتجات - وبالتالي للسيطرة السياسية واحتكار الثقافة والقيادة الفكرية - من الامور النافلة وحسب ، بل يغدو ايضاً عائقاً امام التطور الاقتصادي والسياسي والفكري ، وقد تم اليوم بلوغ هذه الدرجة فان افلاس البرجوازية السياسي والفكري لم يبق تقريباً سراً عليها ، وافلاسها الاقتصادي يتكرر بانتظام كل عشر سنوات . وفي كل ازمة ، يخترق المجتمع تحت ضغط القوى المنتجة والمنتجات التي خلقها المجتمع نفسه والتي لم يعد يعرف كيف يستعملها . ويقف المجتمع عاجزاً امام هذا التناقض الاخرق :

لا يستطيع المنتجون ان يستهلكوا لانه ينقص مستهلكون ان قوة الامتداد والتوسع الملازمة لوسائل الانتاج الحديثة تحطم القيود التي كبل بها اسلوب الانتاج الرأسمالي هذه الوسائل وخلص وسائل الانتاج من هذه القيود هو الشرط التمهيدي الوحيد الضروري لتأمين تطور القوى المنتجة باستمرار وبسرعة متزايدة ابدأ ، اي لتأمين تنامي الانتاج نفسه الى ما لا حد له ولكن ليس ذلك كل ما في الامر . ان الاستملاك الاجتماعي لوسائل الانتاج لا يزيل فقط العقبات الاصطناعية التي ما تزال تغل الانتاج ، بل يضع حداً ايضاً لتبديد وتدمير القوى المنتجة والمنتجات ، اللذين يلبغان الدرورة ابان الازمة وفضلا عن ذلك ، يحتفظ هذا الاستملاك للمجتمع بكمية هائلة من وسائل الانتاج والمنتجات ، اذ يقطع على الطبقات السائدة حالياً وممثليها السياسيين دابر بدخهم وتبذيرهم الجنوني . ان بإمكان الانتاج الاجتماعي ان يؤمن لجميع اعضاء المجتمع ، لا ظروف معيشة مادية تكفي تماماً وتتضمن يوماً بعد يوم وحسب ، بل ايضاً حرية تطوير وممارسة مواهبهم الجسدية والفكرية على نحو كامل ، وهذه الامكانية قد تحققت الآن لأول مرة وانها موجودة الآن فعلاً .

فما ان يمتلك المجتمع وسائل الانتاج ، حتى يزول الانتاج

---

\* ان بضعة ارقام قد تعطي فكرة تقريبية عما تتميز به وسائل الانتاج المعصرية من قدرة هائلة على الامتداد والتوسع حتى تحت النير الرأسمالي . فبموجب احداث حسابات جيفن ، بلغ مجمل جميع الثروات في بريطانيا العظمى وارلنده ، باعداد مبسطة :

البضاي وتزول معه سيطرة المنتج على المنتجين . ومحل الفوضى داخل الانتاج الاجتماعي ، يحل تنظيم واح منهجي ويحول النضال في سبيل البقاء الفردي واذ ذلك فقط يمكن القول ، بمعنى ما ، ان الانسان قد خرج نهائيا من عالم الحيوان ، واستبدل بشروط معيشته الحيوانية شروطا انسانية فعلا اذ ذلك ، ستخضع شروط المعيشة التي تحيط بالناس والتي سيطرت عليهم من قبل ، لسيطرة ورقابة الناس الذين يصبحون للمرة الاولى اسياد الطبيعة بالفعل وعن وعي ، لانهم يصبحون اسياد اتحادهم هم في المجتمع . واذ ذلك سيطبقون بدراية تامة القوانين التي توجه نشاطهم الاجتماعي ، والتي كانت حتى الآن تقوم بوجه الناس كقوانين للطبيعة غريبة عنهم ومسيطرة عليهم ، وبالتالي سيسيطرون عليها . كما ان الشكل الذي ينتظم به الناس في مجتمع - وقد كان ينتصب في وجههم حتى الآن كانما فرضته عليهم الطبيعة والتاريخ - سيصح حينذاك من صنع الناس ، وبدافع من مبادرتهم الحرة . والقوى الموضوعية ، الغريبة ، التي وجهت التاريخ حتى الان ستخضع حينذاك لرقابة الناس وحينذاك فقط سيصنع الناس تاريخهم بانفسهم بدراية تامة ، وحينذاك فقط ستبدأ العوامل الاجتماعية التي يحركونها تحدث ، على الاغلب وبمقياس

في عام ١٨١٤-٢٢٠٠ مليون جنيه سترليني-٤٤ مليار مارك  
 في عام ١٨٦٥-٦١٠٠ مليون جنيه سترليني-١٢٢ مليار مارك  
 في عام ١٨٧٥-٨٥٠٠ مليون جنيه سترليني-١٧٠ مليار مارك  
 اما فيما يخص اعادة وسائل الانتاج والمنتجات في زمن الازمات ، فقد تبين في المؤتمر الثاني للصناعيين الالمان ( في ٢١ شباط - فبراير ١٨٧٨ في برلين ) ان الخسائر الاجمالية التي منيت بها صناعة الحديد الالمانية وحدها بلغت اiban الازمة الاخيرة ٤٥٥ مليون مارك .

متعاطم على الدوام ، المفاعيل المقصودة . وهذه هي قفزة الانسانية من سيادة الضرورة الى سيادة الحرية

وختاماً نوجز ببعض كلمات سير التطور الذي عرضناه  
 ١- مجتمع القرون الوسطى : انتاج صغير فردي وسائل انتاج مكيفة للاستعمال الفردي وبالتالي بدائية ، صغيرة ، محدودة المفعول . انتاج للاستهلاك المباشر ، اما لاستهلاك المنتج ، واما لاستهلاك سيده الاقطاعي . فقط حيث يتوافر فائض من المنتجات على الاستهلاك المباشر ، يعرض هذا الفائض للبيع ويدخل في التبادل ؛ الانتاج البضاعي في خطواته الاولى ، ولكنه يحوي ، حتى في ذلك الوقت ، بذرة فوضى الانتاج الاجتماعي

٢- الثورة الرأسمالية : انقلاب في الصناعة ، اولا عن طريق التعاون البسيط والمانيفاكشور . مركزة وسائل الانتاج في مشاغل كبيرة بعد ان كانت مشتتة ، مبعثة ، اي تحويل وسائل الانتاج الفردية الى وسائل اجتماعية - تحويل لا يمس شكل التبادل ابداً ، وبالتالي بقاء اشكال التملك السابقة ويظهر الرأسمالي : انه مالك وسائل الانتاج ، ولذا فهو الذي يستملك المنتجات ويجعلها بضائع . ويفقد الانتاج عملاً اجتماعياً ؛ غير ان تبادل المنتجات ، ومعه تملكها ، يظان عملين فرديين اي يقوم بهما الافراد يستملك الرأسمالي الفردي منتوج العمل الاجتماعي . وهذا تناقض اساسي ، وينبوع جميع التناقضات التي يتحرك المجتمع الحالي في اطارها والتي تتضح بجلاء خاص في الصناعة الكبيرة

١- انفصال المنتج عن وسائل الانتاج الحكم على العامل بالعمل بالاجرة مدى الحياة . تضاد بين البروليتاريا والبرجوازية .

ب- ازدياد بروز وفعل القوانين التي تسيطر على الانتاج  
البضاعي صراع المزاومة بلا رادع **تناقض بين التنظيم  
الاجتماعي في كل مصنع بمفرده وبين الفوضى الاجتماعية في مجمل  
الانتاج .**

ج- من جهة ، تحسين الآلات ، وقد جعلته المزاومة قانونا  
الزامياً على كل صناعي ويعني ، في الوقت نفسه ، استبعاد العمال  
من المصانع بصورة متزايدة على الدوام **نشوء جيش صناعي  
احتياطي .** ومن جهة اخرى ، توسع الانتاج الى ما لا حد له ،  
وقد جعلته المزاومة قانوناً الزامياً ايضاً على كل صناعي ومن  
الجهتين ، تطور القوى المنتجة تطوراً لم يسمع بمثله من قبل ،  
زيادة العرض على الطلب ، فيض في الانتاج ، اكتظاظ الاسواق ،  
ازمات تتكرر كل عشر سنوات ، حلقة مفرغة : **هنا ، فيض من  
وسائل الانتاج والمنتجات ، وهناك ، فيض من عمال بلا عمل  
وبلا وسائل معيشة غير ان هذين الرافعين للانتاج وللرفاهية  
الاجتماعية لا يمكن لهما ان يجتمعا ، لان شكل الانتاج الراسمالي  
يمنع القوى المنتجة عن العمل ، والمنتجات عن التبادل ، الا اذا  
تحولت اولاً الى رأسمال - الامر الذي يحول دونه فيضها بالذات  
ويبلغ هذا التناقض حد الخراقة : **يتهدد اسلوب الانتاج على شكل  
التبادل .** ويتجلى بالتالي عجز البرجوازية عن ادارة قواها المنتجة  
الاجتماعية بعد اليوم**

د - الاعتراف جزئياً بطابع القوى المنتجة الاجتماعي ، وفرض  
هذا الاعتراف على الرأسماليين انفسهم ؛ استملاك المؤسسات  
الكبرى للانتاج والمواصلات من قبل شركات مساهمة اولاً ، ثم  
من قبل التروستات ، ثم من قبل **الدولة** ايضاً ويتضح ان  
البرجوازية غدت طبقة زائدة ، اذ ان المستخدمين الاجراء يقومون  
الآن بجميع وظائفها الاجتماعية .

٢- الثورة البروليتارية ، حل التناقضات تستولي البروليتاريا على السلطة الاجتماعية ، وبواسطة هذه السلطة تحول وسائل الانتاج الاجتماعية المنزقة من ايدي البرجوازية الى ملكية المجتمع بأسره . وبهذا العمل تحرر وسائل الانتاج من كل ما كانت تتصف به بوصفها رأسمالا ، وتطلق لطابعها الاجتماعي حرية التطور الكاملة . ومن الآن وصاعداً يصبح من الممكن تنظيم الانتاج الاجتماعي وفق برنامج موضوع سلفاً ان تطور الانتاج يجعل من استمرار وجود الطبقات الاجتماعية المختلفة ظاهرة ولي زمنها . ومع زوال فوضى الانتاج الاجتماعي ، تزول سلطة الدولة السياسية . ويضدو الناس في آخر الامر اسياذ كيانهم الاجتماعي ، وبهذا يصبحون اسياذ الطبيعة ، اسياذ انفسهم - احراراً

ان الرسالة التاريخية الموضوعة امام البروليتاريا الحالية هي القيام بهذا العمل الذي يحور العالم اما رسالة الاشتراكية العلمية التي هي التعبير النظري عن الحركة البروليتارية ، فهي تحليل شروط هذا الانقلاب التاريخية وتوضيح طابعه الخاص ، وحمل الطبقة المدعوة الى القيام بهذا العمل ، الطبقة المظلومة اليوم ، على ادراك شروط عملها وطبيعته ادراكاً تاماً

كتبه انجلس في كانون الثاني-النصف الاول من آذار ١٨٨٠ صدر في مجلة "Revue socialiste" ، الاعداد ٢ ، ٤ ، ٥ ؛ ٢٠ آذار ، ٢٠ نيسان ، ٥ ايار ١٨٨٠ ، وصدر بكراس على حدة باللغة الفرنسية : "Socialisme utopique et socialisme scientifique".  
F. Engels. "Socialisme utopique et socialisme scientifique".  
Paris, 1890

يصدر حسب نص الطبعة الالمانية عام ١٨٩١

## الجلس

## كلمة على قبر ماركس

في ١٤ آذار (مارس) ، عند الساعة الثالثة الا ربعا بعد الظهر ، كف عن التفكير اعظم مفكر بين المفكرين المعاصرين لقد تركوه وحده لمدة دقيقتين فقط ؛ وعندما دخلنا الى الغرفة ، وجدناه نائما في كرسيه بهدوء ولكن الى الابد هذه المرة

ان وفاة هذا الرجل هي بالنسبة للبروليتاريا المناضلة في اوروبا واميركا ، بالنسبة لعلم التاريخ ، خسارة لا تقاس وعمّا قريب ، سيظهر اثر الثغرة التي تشكلت بعد وفاة هذا العملاق .

وكما ان داروين اكتشف قانون تطور العالم العضوي ، كذلك اكتشف ماركس قانون تطور التاريخ البشري وهو هذا الواقع البسيط ، الذي ظل محجوبا حتى الآونة الاخيرة تحت الحجب الايديولوجية ومفاده انه يجب على الناس في المقام الاول ان ياكلوا ويشربوا ويسكنوا ويكتسوا قبل ان يغدو في مستطاعهم الانصراف الى السياسة والعلم والفن والدين ، الخ .؛ وان انتاج الخيرات المادية المباشرة للحياة وبالتالي كل درجة معينة من تطور الشعب او العهد في الحقل الاقتصادي يؤلفان بالتالي الاساس الذي تنشأ منه مؤسسات الدولة ، والمفاهيم الحقوقية ، والفن ،

وحق التصورات الدينية عند جماعة معينة من الناس ، والذي يجب لهذا السبب تفسيرها به ، لا على العكس ، كما كان الحال حتى الآن .

ولكن هذا ليس كل ما في الامر فان ماركس قد اكتشف كذلك القانون الخاص بحركة اسلوب الانتاج الرأسمالي المعاصر وبالمجتمع البرجوازي الذي اوجده هذا الاسلوب فمع اكتشاف القيمة الزائدة ساد الوضوح دفعة واحدة في هذا المضمار ، بينا البحوث السابقة التي نشرها الاقتصاديون البرجوازيون والنقاد الاشتراكيون على السواء كانت ضلالا في الظلام

ان مثل هذين الاكتشافين يكفيان لحياة واحدة بل انه سعيد ذاك الذي يتوفق ويحقق اكتشافاً واحداً فقط من هذا النوع ولكن ماركس حقق اكتشافات خاصة في كل ميدان درسه ، - وحق في ميدان الرياضيات ، - وهذه الميادين كانت كثيرة جداً ، ولم يهتم باي منها اهتماماً سطحياً

هكذا كان رجل العلم هذا ولكن هذه الصفة لم تكن ابداً بصفته الرئيسية فاعلم كان بنظر ماركس قوة ثورية ، محرمة تاريخياً وايا كان الفرح الذي يغمره به كل اكتشاف جديد في اي من العلوم النظرية لم يكن من الممكن احياناً حتى استشفاف تطبيقه العملي ، كان فرحه يختلف تماماً عندما كان الامر يتعلق باكتشاف يمارس على الفور تأثيراً ثورياً في الصناعة ، وفي التطور التاريخي بوجه عام . فقد تتبع بالتفصيل ، مثلاً تطور الاكتشافات في ميدان الكهرباء وكذلك ، في الآونة الاخيرة ، اكتشافات مارسيل دوبريه .

لان ماركس كان ثورياً قبل كل شيء الاشتراك بهذا الشكل او ذاك في ذلك المجتمع الرأسمالي ومؤسسات الدولة التي



انشاها ، والاسهام في قضية تحرير البروليتاريا المعاصرة التي كان هو بالذات اول من اتاح لها ادراك وضعها الخاص ومطالبها وادراك شروط تحريرها ، - ذلك ما كان يشكل بالفعل رسالته في الحياة كان مفطوراً على النضال ولقد ناضل بحماسة وعناد ونجاح لا يناضل بها غير القلة . ان "Rheinische Zeitung" الاولى عام ١٨٤٢ و "Vorwärts!" الباريسية عام ١٨٤٤ (٨٢) ، و "Deutsche-Brüsseler-Zeitung" عام ١٨٤٧ ، و "Neue Rheinische Zeitung" ١٨٤٨-١٨٤٩ ، و "New-York Daily Tribune" ١٨٥٢-١٨٦١ ، فضلا عن الكثرة من الكرايس الكفاحية ، والعمل في المنظمات في باريس وبروكسل ولندن ، الى ان اثبتت اخيراً كتنويج لكل هذا ، جمعية الشغيلة العالمية (٨٤) ، - كل هذا كان حقاً عملاً يمكن ان يعتز به كل من قام به ، حتى وان لم يقم باي شيء آخر

ولهذا كان ماركس ذلك الرجل الذي كرهوه اشد من كرهوا ، وافتروا عليه اكثر ما افتروا فالحكومات ، - المستبدة منها والجمهورية على السواء ، - نفته ، والبرجوازيون ، - المحافظون منهم والديموقراطيون المتطرفون على السواء - تنافسوا فيما بينهم لصب سيول الافتراءات واللعنات عليه . ولكنه كنس كل هذا من طريقه كما يكنس شبك العنكبوت ، دون ان يعيره اي اهتمام ، دون ان يرد الا في حال الضرورة القصوى . ولقد مات محترماً ، محبوباً ، يبكيه الملايين من رفاقه الثوريين بالفكر والكفاح في كل اوربا واميركا ، من المناجم السيبيرية حتى كاليفورنيا ، وبوسمي ان اقول بجرأة : كان من الممكن ان يكون

له اخصام كثيرون ، ولكنه من المشكوك فيه ان كان له على  
 الاقل عدو شخصي واحد .  
 ان اسمه وقضيته خالداً !

تصدر حسب نص الجريدة  
 تمت الترجمة نقلاً عن الالمانية

لقى انجلس هذه الكلمة في مدفن هايفيت  
 في ١٧ آذار (مارس) ١٨٨٢ بالالفه  
 الانجليزية صدرت بالالفه الالمانية في  
 جريدة "Der Sozialdemokrat"  
 (وسوسيالديموقراط) العدد ١٢ ،  
 في ٢٢ آذار (مارس) ١٨٨٢

## الجلس

## حول تاريخ عصبة الشيوعيين (٨٥)

منذ الحكم على الشيوعيين في كولونيا عام ١٨٥٢ ، انتهت المرحلة الاولى من الحركة العمالية الالمانية المستقلة وهذه المرحلة لفها النسيان كليا تقريبا في الوقت الحاضر ، مع انها امتدت من عام ١٨٢٦ الى عام ١٨٥٢ ، ومع ان هذه الحركة انتشرت في البلدان المثقفة جميعها تقريبا بقدر ما كان ينتشر العمال الالمان في الخارج . ولكن هذا ليس كل ما في الامر . فان الحركة العمالية العالمية الحالية هي ، من حيث الجوهر ، تنمة مباشرة للحركة العمالية الالمانية في تلك المرحلة ، لهذه الحركة التي كانت على العموم اول حركة عمالية عالمية والتي طلعت منها شخصيات كثيرة قامت فيما بعد بدور قيادي في جمعية الشغيلة العالمية ( الاممية الاولى ) وان المبادئ النظرية الواردة في «البيان الشيوعي» والتي رسمتها عصبة الشيوعيين على رايها في عام ١٨٤٧ تشكل في الوقت الحاضر امتن صلة اممية بالنسبة للعموم الحركة البروليتارية في اوروبا واميركا وحتى الآن يوجد مصدر اساسي واحد فقط لأجل تاريخ هذه الحركة المتصل ، وهو ما يسمى بالكتاب الاسود من تأليف

• راجع هذه الطبعة ، الجزء الاول ، ص ٤١-٩٦ . الناشر .

فرموت وشتيرير والمؤامرات الشيوعية في القرن التاسع عشر ، برلين ، جزآن ، عام ١٨٥٢ و عام ١٨٥٤ ان هذا الكتاب الكاذب ، الحافل بتزييفات وتزويرات لفقها عمداً وقصداً اثنان من اخس الاوغاد البوليسيين في قرتنا ، لا يزال حتى الان بمثابة مصدر اولي لجميع المطبوعات غير الشيوعية التي تتناول تلك المرحلة

وما استطيع ان اعطيه هنا ، هو مجرد خطوط كبرى ، ناهيك بانها لن تكون الا بالقدر الذي يدور فيه الكلام حول العصبية ذاتها ، وبانها لن تقدم الا ما هو ضروري اطلاقاً لأجل فهم «الاضواء» . وآمل بان تسنح لي الفرصة ذات يوم لمرض المادة الغنية التي جمعناها ماركس وانا بصدد تاريخ هذه المرحلة المجيدة من شباب الحركة العمالية العالمية

\* \* \*

عن عصبية «المنبوذين» المرية الديمقراطية الجمهورية التي أسسها المهاجرون الالمان في باريس في عام ١٨٢٤ ، انفصلت عام ١٨٢٦ العناصر الاكثر تطرفاً ، لبروليتارية بمعظمها ، وشكلت عصبية سرية جديدة هي عصبية العادلين . اما العصبية الاولى التي لم يبق فيها غير العناصر البطالة من طراز يعقوب فينيدي ، فسرعان ما انطفت تماماً فعندما عثر البوليس في عام ١٨٤٠ على اثر بعض فروعها في المانيا ، لم يبق منها غير الظل او يكاد . اما العصبية الجديدة ، فقد نمت ، على العكس ، بسرعة نسبية . في البدء كانت فرعا المانيا للشيوعية العمالية الفرنسية التي كانت تتبع

\* ماركس واطواء على محاكمة الشيوعيين في كولونيا ، المهروب .

نقايد بابوف (٨٦) والتي تكونت آنذاك في باريس ؛ فان العصبة تقدمت بمطلب شيوعية الاموال بوصفها نتيجة لازمة و«للمساواة» وكانت اهدافها نفس اهداف الجمعيات السرية الباريسية آنذاك . كانت العصبة بنصفها جمعية دعائية ، وبنصفها الاخر جمعية تأمرية ، مع العلم ان باريس كانت تعتبر دائماً مركزاً للنشاط الثوري ، رغم ان هذا لم يكن ينفي اعداد الانتفاضات في المانيا ايضاً حين تمنح الفرصة ولكن بما ان باريس ظلت مسرحاً للمعارك الحاسمة ، فان العصبة ظلت عملياً آنذاك مجرد شعبة المانية للجمعيات السرية الفرنسية ، وعلى وجه الدقة ، للجمعية السرية الفرنسية التي يقودها بلانكي وباريس Société des saisons\* والتي كانت العصبة على صلة وثيقة بها في ١٢ ايار (مايو) ١٨٢٩ ، ثار الفرنسيون ؛ وانضمت فروع العصبة اليهم ، ومنيت بالتالي معهم بهزيمة مشتركة (٨٧)

وقد اعتقل كارل شابر وهنريخ باور فيمن اعتقل من الالمان واكتفت حكومة لويس فيليب بطردهما من البلد بعد اعتقالهما زمناً طويلاً فذهب كلاهما الى لندن . وكان شابر قد ولد في فيلبورغ بمقاطعة ناساو وعندما كان طالباً في معهد زراعة الغابات في هيسن ، اتسبب في عام ١٨٢٢ الى جمعية تأمرية أسسها غيورغ بوخنر ، واشترك في ٣ نيسان (ابريل) ١٨٢٣ في الهجوم على مركز البوليس في فرانكفورت (٨٨) وفر الى الخارج ، واشترك في شباط (فبراير) ١٨٢٤ في زحف مازيني على سافوا (٨٩) كان عملاق القامة ، شديد العزم ، قوي الارادة ، مستعداً دائماً للمجازفة بنصم

الحياة وبالحياء ذاتها ، فكان بهذه الصفات مثال الثوري المحترف الذي لعب دوراً معروفاً في الثلاثينيات . وكما يبين تطوره من «ديماغوجي» (٩٠) الى شيوعي ، لم يكن من المتعذر عليه اطلاقاً ، رغم بعض البطء في التفكير ، ان يتفهم القضايا النظرية تفهماً عميقاً ، فكان بالاحرى يتشبت بمزيد من الصلابة بما اقتنع به مرة . ولهذا السبب بالذات ، كانت حماسه الثورية تناقض احياناً عقله ، ولكنه كان دائماً يلاحظ اخطائه فيما بعد ويعترف بها صراحة وعلناً كان انساناً كاملاً ، وما فعله لأجل المنظمة الاولى للحركة العمالية الالمانية لن يلفه النسيان ابداً .

وكان هنريخ باور سكاراً من فرانكونيا كان فتي نشيطاً ، مقداماً ، ذكياً ، يكمن في جسمه الصغير ، مع ذلك ، قدر كبير من العلق والحزم .

جاء هنريخ باور الى لندن حيث كان شابراً يحصل على اسباب عيشه بتعليم اللغات في حين انه كان يعمل في باريس صفيحاً في مطبعة ؛ وفي لندن ، اعادا معاً الصلات المقطوعة وجعلا من لندن مركزاً للعصبة . وهنا - ولربما قبل ذلك ، في باريس - انضم اليهما الساعاتي من كولونيا يوسف هول ؛ كان شديد القوة ، متوسط القامة ، - كم مرة زاد بنجاح مع شابر عن ابواب القاعة ضد مئات الاخصام الساعين الى اقتحام القاعة ، وكان رحلاً لا يقل على كل حال عن رفيقيه من حيث الحزم والحزم ، ويتفوق عليهما من حيث الذكاء . ولم يكن ديبلوماسياً بالفطرة وحسب ، الامر الذي اثبتته نجاحات رحلاته العديدة بتكليفات مسؤولة ، بل كانت المسائل النظرية ايضاً اسهل منالا عليه وقد تعرفت على الثلاثة جميعهم في لندن عام ١٨٤٣ وكانوا اوائل من رأيتهم من البروليتاريين الثوريين . ومهما كانت

نظراتنا آنذاك تختلف في بعض نواحيها ، - لأنني كنت آنذاك لا ازال اعارض شيوعيتهم. السوائية \* المحدودة بقدر غير قليل من التعالي الفلسفي المحدود بالدرجة نفسها ، - فاني لن انسى ابدأ مع ذلك الانطباع الشديد الذي تركه في نفسي هؤلاء الرجال الحقيقيون الثلاثة في الوقت الذي كنت لا ازال اريد فيه فقط ان اصبح رجلا

وفي لندن ، كما في سويسرا بدرجة اقل ، قدمت لهم حرية الجمعيات والاجتماعات خدمة طيبة ففي ٧ شباط (فبراير) ١٨٤٠ ، تأسست جمعية العمال الالمان التثقيفية العلنية التي لا تزال قائمة حتى الآن (٩١) . وقد كانت هذه الجمعية بالنسبة للعصبة مكانا لكسب الاعضاء الجدد ؛ وبما ان الشيوعيين ، كما هو الحال دائما ، كانوا انشط واقفوا اعضاء الجمعية ، فمن المفهوم بداهة ان قيادتها كانت في يد العصبة . وبعد فترة وجيزة ، اصبح للعصبة في لندن بضع روابط او «مخاض» ، كما كانوا يسمونها آنذاك وهذا التكتيك المفهوم بداهة طبق هو ايضا في سويسرا وفي بلدان اخرى وحيثما كان من الممكن تأسيس جمعيات عمالية ، استغلوها بالطريقة ذاتها اما حيث كانت القوانين تمنع ذلك ، فان اعضاء العصبة كانوا ينتسبون الى جمعيات الفناء والجمباز وما مائلها من الجمعيات وكانت الصلات تقوم اساسا بواسطة اعضاء العصبة الالبيين والداهيين على الدوام والذين كانوا يعملون كذلك بصفة رسل حيث يقتضي الامر . وفي هذا الحال وذاك ، كانت العصبة تلتقي

\* بالشيوعية السوائية ، القصد بكل بساطة ، كما قيل اعلاه ، الشيوعية التي تركز بوجه الحصر او في الاغلب ، على مطلب المساواة .

مساعدة كبيرة بفضل حكمة الحكومات التي كانت بنفيها كل عامل لا يناسبها، - ومن كل عشرة عمال كان تسعة اعضاء في العصبة ، - تحوله على هذا النحو الى رسول

انتشرت العصبة المبعوثة انتشاراً كبيراً ففي سويسرا مثلاً ، انشا ويتلينغ واوغست بيكر ( وهو رجل ذو ذكاء خارق جداً ، ولكنه هلك مثله مثل كثيرين من الالمان ، بسبب تقلقله الداخلي ) وغيرهما منظمة قوية حافظت الى هذا الحد او ذاك على اخلاصها للنظام الشيوعي الذي رسمه ويتلينغ . وليس المجال هنا مجال انتقاد شيوعية ويتلينغ اما فيما يتعلق بتلك الاهمية التي اتسمت بها بوصفها اول حركة نظرية مستقمة للبروليتاريا الالمانية ، فاني اوافق الآن ايضاً على اقوال ماركس المنشورة في "Vorwärts" ( وفورفارتس ) الباريسية عام ١٨٤٤ واين يوجد عند البرجوازية ( الالمانية ) ، مع فلاسفتها وعلمائها ، مؤلف حول **تحرور البرجوازية** - حول تحررها السياسي - يشبه كتاب ويتلينغ وضمانات الألفة والحرية ؟ حسبنا ان نقارن ثقافة الادب السياسي الالمانى وصحته وجبانه ببداية العمال الالمان هذه الباهرة والتي لا نظير لها ، حسبنا ان نقارن هذه الاحذية الطفولية العملاقة لدى البروليتاريا بالاحذية السياسية المشوهة البالية القزمية لدى البرجوازية حتى نتنبأ لهذه البنية الصغيرة بقامة مصارع في المستقبل ، \* ان قامة المصارع هذه تنتصب امامنا في الوقت الحاضر رغم انها لا تزال ابعد من ان تبلغ درجة النمو التام .

\* راجع كارل ماركس . وملاحظات انتقادية على مقالة ( البروسي ) والملك البروسي والاصلاح الاحتمائي ، . الناشر .



وفي ألمانيا كانت توجد أيضاً فروع عديدة ، وكانت عرضية بحكم الظروف بالذات ، ولكن عدد الفروع الناشئة منها كان يربو كثيراً على عدد المنهارة وبعد سبع سنوات فقط ، في أواخر ١٨٤٦ ، اكتشف البوليس آثار العصبة في برلين (منتل) وفي ماغديبورغ (بك) ، ولكنه لم يستطع ان يتتبعها الى ابعد وفي باريس ، جمع ويتلينغ أيضاً من جديد العناصر المبعثرة ، وذلك في عام ١٨٤٠ عندما كان لا يزال مقيماً هناك ، وقبل ان يمضي الى سويسرا .

كان الخياطون نواة العصبة فقد كان الخياطون الالمان في كل مكان : في سويسرا وفي لندن وفي باريس . وفي هذه المدينة الاخيرة ، هيمنت اللغة الالمانية في حرفة الخياطة الى حد اني عرفت هناك ، في عام ١٨٤٦ ، خياطاً نرويجياً جاء الى فرنسا بجرأ من درونهم رأساً ، ولم يتعلم تقريباً اي كلمة فرنسية في غضون ثمانية عشر شهراً ، ولكنه تعلم الكلام بالالمانية بصورة رائعة . وبين المحافل الباريسية ، كان اثنان يتألفان في عام ١٨٤٧ من الخياطين على الاغلب ، وواحد من النجارين صانعي المفروشات

ومنذ ان انتقل مركز الثقل من باريس الى لندن ، برز الى المرتبة الاولى العنصر التالي ، وهو ان العصبة تحولت تدريجياً من عصبة ألمانية الى عصبة ألمانية فعلاوة على الشغيلة الالمان والسويسريين ، انتسب أيضاً الى جمعية الشغيلة ممثلو جميع تلك القوميات التي كانت تستعمل ، على الغالب ، اللغة الالمانية لأجل التفاهم مع الاجانب ، وتعني بهم السكالدينافيين ، والهولنديين ، والمجريين ، والتشيكيين ، والسلافيين الجنوبيين ، وكذلك الروس والالزاسيين . وفي ١٨٤٧ ، كان جندي بريطاني

من الحرس بلباسه العسكري زائراً دائماً في عداد الزوار وبعد فترة وجيزة اخذت الجمعية تسمى نفسها بجمعية العمال الثقيفة الشيوعية وسجلت على بطاقات العضوية شعار وجميع الناس اخوة ، بعشرين لغة على الاقل ، - ولم يغفل الامر ، حقاً ، من الاخطاء في الكتابة هنا وهناك . وبعد فترة وجيزة ، اخذت العصبة السرية ، شأنها شأن الجمعية العلنية ، تكتسب طابعاً امياً ابرز فابروز ؛ صحيح ان ذلك كان في البدء بمعنى الكلمة الضيق : عملياً ، بحكم تنوع قوميات اعضائها ، ونظرياً بحكم الاعتقاد انه لا بد لكل ثورة ان تكون اوروبية لكي تحرز النصر . وأنداك ، كانوا لم يتجاوزوا بعد هذا الحد ، ولكن الاساس كان قد ارسى .

اقامت العصبة صلة وثيقة مع الثوريين الفرنسيين بواسطة المهاجرين في لندن ، بواسطة الرفاق في الانتفاضة المشتركة في ١٢ ايار (مايو) ١٨٤٩ . وبالطريقة نفسها ، كانت العصبة على صلة بالبولونيين الراديكاليين ايضاً . وغني عن البيان ان الجالية البولوية الرسمية مثلها مثل مازيني ، كانت خصماً اكثر منها حليفاً . وكان الشارتيون البريطانيون ، بحكم طابع حركتهم البريطاني الصرف ، الخاص ، موضوعين على الهامش باعتبارهم بعيدين عن الثورة . ولم يقم قادة العصبة المقيمون في لندن صلة معهم الا فيما بعد ، بواسطتي .

كذلك تغير طابع العصبة في جوانب اخرى مع مجرى الاحداث . صحيح انهم كانوا لا يزالون ينظرون الى باريس - وبكامل الحق والصواب في ذلك الوقت - نظرتهم الى وطن الثورة ، الا ان التبعية حيال المتأمرين الباريسيين زالت . ومع نمو العصبة ، نما وعيها . واصبح من المحسوس ان الحركة تمد جذوراً اعمق فاعمق في صفوف الطبقة العاملة الالمانية وان العمال الالمان

مدهون بحكم التاريخ الى ان يكونوا حملة الراية بالنسبة لعمال أوروبا الشمالية والشرقية . وكان لديهم في شخص ويتلينغ نظري للشيوعية كان يمكن وضعه بجرأة في مصف منافسيه الفرنسيين في تلك الحقبة . واخيراً بينت تجربة ١٢ ايار ( مايو ) انه ينبغي العدول مؤقتاً عن محاولات الانتفاض ، واذا كانوا قد ظلوا يفسرون كل حدث بوصفه بشير العاصفة الزاحفة ، واذا كانوا قد احتفظوا على العموم بالنظام الداخلي نصف التأمري ، فقد كان الذنب في ذلك بصورة رئيسية ذنب هناد الثوريين القدامى الذي طفق يصطدم بنظرات اصح اخذت تشق طريقاً لنفسها .

وفضلاً عن ذلك ، كان مذهب العصبة الاجتماعي ، رغم كل غموضه ، يتميز بنقص كبير كان يمد جذوره مع ذلك في تربة العلاقات الاجتماعية بالذات ، فان اعضاء العصبة كانوا حرفيين حقيقيين بوجه الحصر تقريباً ، هذا اذا كانوا عمالاً على العموم فان الشخص الذي كان يستثمرهم ، حتى في المراكز العالمية الكبرى ، كان في اغلب الحالات رب العمل الصغير فقط . وان الاستثمار ، حتى في حرفة الخياطة الكبيرة المقاييس ، فيما يسمى الآن صناعة الالبسة الجاهزة ، التي تكونت بتحويل حرفة الخياطة الى صناعة منزلية تعمل من اجل الرأسمالي الكبير ، كان قد ولد للتو آنذاك ، حتى في لندن . فمن جهة كان رب العمل الصغير مستثمر هؤلاء الحرفيين ؛ ومن جهة اخرى ، كانوا هم جميعهم يأملون ان يصبحوا في آخر المطاف ارباب عمل ناهيك بان الحرفي الالمانى كانت لا تزال تلازمه في ذلك الوقت كثرة من التصورات الحرفية المتوارثة هناك طرف يمنح هؤلاء الحرفيين اعظم الشرف ، وهو انهم استطاعوا ان يستشفوا بالفريزة تطورهم المقبل ويتشكلوا كحزب بروليتاري وان يكن بعد بصورة غير

واعية تماما ، وذلك رغم انهم كانوا لم يصبحوا بعد بروليتاريين حقيقيين ، ورغم انهم لم يكونوا غير ذلك الجزء من البرجوازية الصغيرة الذي انتقل للتو الى صفوف البروليتاريا العصرية ولم يقف بعد في صف معارض للبرجوازية وجهاً لوجه ، اي معارض للرأسمال الكبير ولكنه كان من المحتم كذلك ان تغدو اوهام الحرفيين القديمة بالنسبة لهم حجر عثرة كلما كان المقصود انتقاد المجتمع القائم انتقاداً ملموساً ، اي كلما كان المقصود دراسة الوقائع الاقتصادية . واننا لا اعتقد انه كان في العصبه بأسرها آنذاك شخص واحد على الاقل قرا كتاباً واحداً على الاقل في الاقتصاد السياسي ولكن هذا لم يضر اي شيء فان «المساواة» و«الاخوة» و«المعادلة» كانت تساعد في الاستيلاء على الذرى النظرية على اختلافها

ولكن الى جانب شيوعية العصبه وويتلينغ ، نشأت شيوعية اخرى تتميز بصورة جوهرية عن الاولى . وعندما كنت اعيش في مانشستر ، اصطلمت بانفي ، اذا جاز القول ، بالامر التالي وهو ان الوقائع الاقتصادية التي لا تضطلع حتى الآن بساي دور في المؤلفات التاريخية او تضطلع بدور حقير ، تمثل القوة التاريخية الحاسمة ، بالنسبة للعالم المعاصر على الاقل ؛ وانها توفى الاساس الذي تنبثق عليه المتضادات الطبقيه العاليه ؛ وان هذه المتضادات الطبقيه تشكل بدورها ، في جميع البلدان التي بلغت فيها طورها الكامل بفضل الصناعة الكبيرة ، وبالتالي في بريطانيا على الاخص ، اساماً لأجل تكوين الاحزاب السياسية ولأجل النضال الحزبي وبالتالي لأجل التاريخ السياسي كله ان ماركس لم يتوصل الى هذه النظرات ذاتها وحسب ، بل عممها في «العولية الالمانية-الفرنسية» ( عام ١٨٤٤ ) بمعنى ان الدولة لا تشتترط ولا تحدد

المجتمع المدني على العموم ، بل ان المجتمع المدني هو الذي يشترط ويحدد الدولة ، وانه يجب بالتالي تفسير السياسة وتاريخها بالعلاقات الاقتصادية وتطورها ، وليس العكس وعندما زرت ماركس في باريس في صيف ١٨٤٤ ، اتضح اتفاقنا التام في جميع الميادين النظرية ، ومد ذلك بدأ عملنا المشترك . وعندما تقابلنا من جديد في بروكسل في ربيع ١٨٤٥ ، كان ماركس ، انطلاقاً من الموضوعات الاساسية المشار اليها اعلاه ، قد انجز ، من حيث الخطوط الكبرى ، تطوير نظريته المادية في التاريخ ، فعكفنا على صياغة هذه المفاهيم الجديدة بالتفصيل باكثر الاتجاهات تنوعاً

ولكن هذا الاكتشاف الذي احدث انقلاباً في علم التاريخ والذي كان اساساً ، كما نرى ، من صنع ماركس والذي لا يستطيع ان انسب لنفسه فيه غير قسط صغر جداً ، قد اتم باهمية مباشرة بالنسبة للحركة العمالية المعاصرة له فان الشيوعية عند الفرنسيين والالمان ، والشارية عند البريطانيين لم تعدا تبدوان صدفة كان من الممكن بالقدر نفسه من النجاح الا تقع فبعد الآن ، ظهرت هاتان الحركتان حركتين للطبقة المظلومة المعاصرة ، اي البروليتاريا ، وشكلين متطورين الى هذا الحد او ذاك لنضالها المحتم تاريخياً ضد الطبقة السائدة ، اي ضد البرجوازية ، شكلين لنضال طبقي يتميز مع ذلك عن كل النضال الطبقي السابق بكون الطبقة المظلومة المعاصرة ، اي البروليتاريا ، لا تستطيع ان تتحرر دون ان تحرر في الوقت نفسه المجتمع بأسره من الانقسام الى طبقات وبالتالي من النضال الطبقي . ومن الآن وصاعداً لم تعد الشيوعية لتعني اختلاقاً خيالياً لمثال اعلى اجتماعي ارقى ما يمكن ، بل اصبحت تعني فهم طبيعة وظروف

النضال الذي تخوضه البروليتاريا ، والاهداف العامة التي تتبع من طبيعة هذا النضال وظروفه

ونحن لم نعتمد قط ان نحدث العالم والعلمي» الصرف عن النتائج العلمية الجديدة بعرضها في كتب ضخمة بل بالعكس فقد كنا ، نحن الاثنين ، دخلنا عميقاً في الحركة السياسية ، وكسبنا عدداً معيناً من الاتباع بين المثقفين ، ولا سيما في ألمانيا الغربية ، واقمنا صلات واسعة نسبياً مع البروليتاريا المنظمة . فكان من واجبنا ان نعلل نظراتنا علمياً ، ولكنه لم يكن اقل شأناً بالنسبة لنا ان نقنع البروليتاريا الأوروبية ، والبروليتاريا الألمانية في المقام الاول ، بصحة عقائدنا وما ان اوضحنا كل شيء لأنفسنا بانفسنا ، حتى انصرفنا الى العمل فاسمنا في بروكسل رابطة العمال الالمان واخذنا نتصرف بـ "Deutsche-Brüsseler-Zeitung" (والجريدة الألمانية البروكسيلية) فظلت لسان حالنا حتى ثورة شباط (٩٢) . واقمنا صلة مع القسم الثوري من الشارتيين البريطانيين بواسطة جوليان غارني ، رئيس تحرير لسان الحال المركزي لهذه الحركة ، جريدة "The Northern Star" (ونجمة الشمال) (٩٣) التي حاولت فيها . وكنا كذلك على نوع من الائتلاف مع الديمقراطيين البروكسليين (كان ماركس نائب رئيس الرابطة الديمقراطية (٩٤) ومع الديمقراطيين الاجتماعيين الفرنسيين من جريدة "Réforme" (والاصلاح) (٩٥) التي كنت ارسل لها الاخبار عن الحركة البريطانية والحركة الألمانية . وبكلمة ، كانت صلاتنا مع المنظمات والصحف الراديكالية والبروليتارية على خير ما يرام .

اما مع عصبة العادلين ، فقد كانت علاقتنا على النحو التالي . لقد احطنا علماً بوجود العصبة ، وهذا امر مفهوم . ففي

١٨٤٢ ، مرض شابر عليّ ان التمسب الى العصبية ، ولكني ، طبعا ، رفضت آنذاك بيد اننا لم نواصل التراسل باستمرار مع المقيمين في لندن وحسب ، بل ظللنا ايضا نوثق العلاقات اكثر فاكتر مع الدكتور ايفربك الذي كان آنذاك قائد المحافل الباريسية . ولم تكن نتدخل في شؤون العصبة الداخلية ، ولكننا كنا نعرف جميع الاحداث الهامة فيها . ومن جهة اخرى ، كنا نؤثر شفويا وكتابيا وبواسطة الصحف في المفاهيم النظرية لدى ابرز امضائها كذلك كانت تبتغي الغرض نفسه مختلف التعاميم المطبوعة هل الحجر التي كنا نرسلها الى اصدقائنا ومراسليننا في شتى انحاء المعمورة في الاحوال الخاصة ، اي عندما كان الامر يتعلق بالشؤون الداخلية للحزب الشيوعي الجاري تكوينه وكانت هذه التعاميم تتطرق احيانا الى العصبة نفسها مثلا مضى الطالب الشاب من ويستفاليا ، فرمان كريغه ، الى اميركا وشرع يعمل هناك بصفته رسولا للعصبة ، واتصل بالمجنون هارو هارينغ بغية استشارة انقلاب في اميركا الجنوبية بواسطة العصبة ؛ واسس جريدة • اخذ يروج فيها ، باسم العصبة ، لشيوعية عاطفية معسولة ، مبنية على «الحب» ، وحافلة بالحب . فوقفنا ضده في تعميم ما لبث ان اعطى ثماره ••• فقد اختفى كريغه من مسرح العصبة

وفيما بعد ، جاء ويتلينغ الى بروكسل . ولم يكن آنذاك ، كما من قبل ، خياطا صانعا شابا سادجا ، مزهوا بموهبته

• "Der Volks-Tribun" ( ومنبر الشعب ) ( ٩٦ ) التناشري  
•• راجع كول ماركس وفريدريك انجلس . وتعميم ضد كريغه .  
التناشري .

بالذات ، ويحاول ان يوضح لنفسه المظهر الذي يجب ان يظهر به المجتمع الشيوعي في المستقبل ؛ بل كان رجلا عظيماً يلاحقه الحساد لتفوقه ، وتلازمه الهواجس في كل مكان من الخصوم والاعداء السريين والدسائس . وكان ، وهو النبي المطارد من بلد الى بلد ، يحمل في جيبه وصفة جاهزة لتحقيق ملكوت السماء في الارض ، وكان يتصور ان كل انسان لا يفكر الا بسرقة هذه الوصفة منه . وقد سبق لويتلينغ ان تشارج في لندن مع اعضاء العصبة ؛ كذلك لم يستطع ان يتفاهم مع احد في بروكسل حيث عامله ماركس وزوجته بصبر فوق طاقة البشر تقريبا ولهدا سرعان ما سافر الى اميركا ليحاول القيام هناك بدور نبي .

وجميع هذه الظروف أسهمت في الانقلاب الذي جرى في العصبة بصورة غير ملحوظة ولا سيما بين القادة المقيمين في لندن . فان نقص المفاهيم الشيوعية القائمة حتى ذاك ، سواء منها مفاهيم الشيوعية السوانية البدائية الفرنسية ام مفاهيم شيوعية ويتلينغ ، اخذ يتضح لهم اكثر فاكثر وبسبب من الصلة التي اقامها ويتلينغ بين الشيوعية والمسيحية الباكرة ، ورغم كل عبقرية بعض الموضوعات في كتابه «اتجيل الخاطى الفقير» ، وقعت الحركة بمعظمها في سويسرا اولا في ايدي الحمقى مثل البريخت ، ثم في ايدي الابطياء الدجالين الجشعين مثل كولمان . و«الاشتراكية الصحيحة» التي روج لها بعض الادباء - وهي ترجمة للاختلافات الاشتراكية الفرنسية الى لغة المانية هيغلية مشوهة ، وهديان عاطفي عن الحب ( انظر في «البيان الشيوعي» القسم المتعلق بالاشتراكية الالمانية او «الاشتراكية الصحيحة» )



هذه الاشتراكية التي تسربت الى العصبة بفضل كريفه ومطالعة الأدب المناسب ، كان لا بد لها ان تثير بعجزها ورخاوتها اشمئزاز الثوريين القدماء في العصبة . ونظراً لبطلان التصورات النظرية السائدة حتى ذلك وللأخطاء العملية الناجمة عنها ، اخذوا في لندن يقتنعون اكثر فاكثر بان نظريتنا الجديدة نحن ، ماركس وانا ، صحيحة . ولا ريب انه اسهم في تفهم هذه النظرة وجود رجلين الآن بين الزعماء المقيمين في لندن يتفوقان كثيراً على المذكورين اعلاه بقدرتهما على الفهم النظري ؛ هذان الرجلان هما الرسام كارل بفندر من هيلبرون والخطاط غيورغ ايكارايوس من تورينزيا \*

بايجاز نقول ان مول جاء في ربيع ١٨٤٧ الى بروكسل ، لمقابلة ماركس ، وبعد ذلك على الفور اليّ في باريس ، ليدعونا مرة اخرى باسم رفاقه الى الانتساب الى العصبة واكد لنا انهم على اقتناع سواء بصحة مفاهيمنا على العموم ام بضرورة تحرير العصبة من التقاليد والاشكال التأميرية القديمة . فاذا رغبتنا في الانتساب الى العصبة ، فانه سيفسح امامنا المجال لكي نعرض في مؤتمر العصبة شيوعيتنا الانتقادية بشكل بيان ينشر بعد ذلك

\* منذ نحو ثمان سنوات ، توفي بفندر في لندن كان انسانا دقيق الذكاء ، اصيله ، يتحل بموهبة الفطنة والسخرية والديالكتيك اما ايكارايوس ، فقد كان فيما بعد ، خلال سنوات عديدة ، كما هو معروف ، امينا عاما لجمعية الشغيلة العالمية التي كان يضم مجلسها العام ، فيمن يضم ، اعضاء عصبة الشيوعيين القدماء ايكارايوس ، بفندر ، ليسنر ، لوخنر ، ماركس وانا وفيما بعد ، كرس ايكارايوس نفسه بوجه الحصر للحركة النقابية البريطانية .

بوصفه بيان العصبية . وفي الوقت نفسه ، سيفسح امامنا المجال لكي نسهم في الاستعاضة عن تنظيم العصبية القديم بتنظيم جديد ، اصوب وملائماً لاحوال الزمن

اما انه كان لا بدّ للطبقة العاملة الالمانية منظمة لاغراض الدعاية على الاقل وان هذه المنظمة لا يمكن ان تكون ، حتى في خارج المانيا ، الا منظمة سرية لأنها لن تتم بطابع محلي صرف ، فهذا ما لم يكن عندنا اي شك بصدده . والحال كانت العصبية بالذات تمثل منظمة من هذا النوع . وما كنا نعتبره حتى الآن من نواقص العصبية كان ممثلوها أنفسهم مستعدين الآن لازالته بل انهم دعونا الى الاشتراك في اعادة تنظيم العصبية فهل كان يوسعنا ان نجيب بالرفض ؟ كلا ، طبعاً . وهكذا ، انتسبنا الى العصبية . وقد نظم ماركس محفل العصبية في بروكسل من اقرب اصدقائنا ، بينا زرت انا في الوقت نفسه ثلاثة محافل قائمة في باريس .

في صيف ١٨٤٧ ، انعقد في لندن اول مؤتمر للعصبية ؛ وفيه مثل ولهم فولف محافل بروكسل ومثلت انا محافل باريس . وفي هذا المؤتمر ، اعيد تنظيم العصبية قبل كل شيء . وكل ما كان لا يزال باقياً فيها من الاسماء السرية القديمة ، الموروثة من ازمان التآمر ، قضي عليه ايضاً . ومنذ المؤتمر ، تألفت العصبة من محافل ودوائر ودوائر قيادية ومن اللجنة المركزية والمؤتمر ، ومنذ ذلك ، اخلدت تسمى «بعصبية الشيوعيين» وهدف العصبية هو اسقاط البرجوازية ، سيادة البروليتاريا ، القضاء على المجتمع القديم ، البرجوازي ، القائم على التناحر بين الطبقات ، تأسيس مجتمع جديد بدون طبقات وبدون ملكية خاصة . هكذا

تنص المادة الاولى • وكان التنظيم نفسه مفعماً كلياً بالديموقراطية ويشتمل على لجان منتخبة يمكن في كل لحظة استبدالها ؛ وكان هذا وحده يقطع الطريق امام كل مسعى تأمري يتبغي الديكتاتورية ، وتحولت العصبة ، - على الاقل بالنسبة لزمع السلم العادي ، - الى جمعية للدعاية بوجه الحصر . وقد احيل هذا النظام الداخلي الجديد الى المحافل لأجل بحثه ، - فهكذا قضت ديموقراطية الاحكام الجديدة ، - وبعد ذلك ، اعيد النظر فيه وتمت المصادقة عليه نهائياً في المؤتمر الثاني في ٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٤٧ وقد صدر عند فرموت وشتير ، الجزء الاول ، الصفحة ٢٣٩ ، الملحق العاشر

انعقد المؤتمر الثاني في اواخر تشرين الثاني (نوفمبر) وفي اوائل كانون الاول من العام نفسه . وقد حضره ماركس فيمن حضره ، ودافع فيه عن نظرية جديدة اثناء المناقشات المديدة ( فقد دام المؤتمر عشرة ايام على الاقل ) . وفي آخر المطاف ازيلت جميع الخلافات والشكوك ، وتمت المصادقة على المبادئ الجديدة بالاجماع وعهد الى ماركس والي بوضع بيان ، فقمنا بذلك في اقرب وقت ؛ وقبل ثورة شباط (فبراير) ببضعة اسابيع ، ارسل «البيان» •• الى الطبع في لندن . ومد ذلك ، طاف العالم كله ، وترجم الى جميع اللغات تقريباً . ولا يزال الآن مرشحاً للحركة البروليتارية في شتى البلدان وعوضاً عن شعار العصبة القديم «جميع الناس اخوة» ، حل النداء الكفاحي الجديد «يا عمال العالم ، اتحدوا !» ، الذي ينادي امام الملا بصفة النضال

• راجع كارل ماركس وفريدريك انجلس المؤلفات ، الطبعة الروسية الثانية ، المجلد ٤ ، ص ٥٢٤ ( والنظام الداخلي لعصبة الشيوعيين ) . الناشر .

•• راجع هذه الطبعة ، الجزء الاول ، ص ص ٤١-٩٦ . الناشر .

العالمية . وبعد سبعة عشر عاماً ، دوى هذا الشعار في العالم اجمع كنداء كفاحي لجمعية الشغيلة العالمية ؛ وفي الوقت الحاضر ، سجلته البروليتاريا المناضلة في جميع البلدان على راياتها وانفجرت ثورة شباط . فقررت اللجنة المركزية اللندنية القائمة حتى ذلك ان تحيل صلاحياتها فوراً الى الدائرة القيادية في بروكسل . ولكن هذا القرار وصل الى بروكسل عندما كانت تسودها عملياً الاحكام العرفية وعندما كان قد اصبح من المستحيل على الالمان ان يعقدوا الاجتماعات في مكان ما . وكنا قد عزمنا جميعنا على السفر الى باريس ، ولهذا السبب اتخذت اللجنة المركزية الجديدة ايضاً قراراً بحل نفسها ، واحالت جميع صلاحياتها الى ماركس وخولته تشكيل اللجنة المركزية الجديدة على الفور في باريس . وما كاد الاشخاص الخمسة الذين اتخذوا هذا القرار ( في ٣ آذار - مارس ١٨٤٨ ) يتفرقون ، حتى اقتحم البوليس غرفة ماركس واعتقله واجبره في اليوم التالي بالذات على السفر الى فرنسا ، اي الى حيث بالضبط اراد ان يذهب وفي باريس التقينا جميعنا من جديد بعد فترة وجيزة . وفي باريس وضعت الوثيقة التالية التي وقمها اعضاء اللجنة المركزية الجديدة وجرى توزيعها في جميع ارجاء المانيا والتي لا يزال في وسع الكثيرين ان يستخلصوا منها في الوقت الحاضر الكثير من الدروس :

### مطالب الحزب الشيوعي

#### في المانيا (٩٧)

- ١ - تملن المانيا كلها جمهورية واحدة موحدة لا تتجزأ
- ٢ - يتقاضى ممثلو الشعب تعويضاً لكي يكون في امكان العامل الاشتراك في برلمان الشعب الالمانى .

- ٤- تسليح الشعب تسليحاً عاماً
  - ٧- اراضي الملوك وما اليها من الممتلكات الاقطاعية ،  
وجميع المناجم على اختلافها ، وما الى ذلك تصبح ملك الدولة  
وفي هذه الأراضي ، تدار الاعمال الزراعية في مصلحة المجتمع  
باسره على نطاق كبير وبواسطة احداث الاساليب  
العلمية
  - ٨- تعلن الرهونات على اراضي الفلاحين ملكاً للدولة يدفع  
الفلاحون فوائد هذه الرهونات للدولة
  - ٩- في المقاطعات التي يقوم فيها استئجار الاراضي ، يدفع  
ريح الارض او بدل الايجار للدولة بصورة ضريبة
  - ١١- تأخذ الدولة في يدها جميع وسائل النقل المسكك  
الحديدية والقنوات والبواخر والطرق ومحطات البريد ، الخ  
تصبح هذه ملك الدولة وتوضع تحت تصرف الطبقة غير  
المالكة
  - ١٤- تحديد حق الوراثة
  - ١٥- اقرار ضرائب تصاعدية عالية والغاء الضرائب على  
سلع الاستهلاك .
  - ١٦- تاسيس مشاغل وطنية تضمن الدولة لجميع العمال  
وسائل العيش وتأخذ على عاتقها امر العناية بالعاجزين عن  
العمل .
  - ١٧- التعليم العام المجاني
- السمي بكل العزم الى تطبيق الاجراءات المذكورة اعلاه في  
مصلحة البروليتاريا الالمانية والبرجوازية الصغيرة والفلاحين  
الصغار لأن الملايين التي لا تزال تستثمرها في المانيا حفنة  
ضئيلة من الافراد والتي سيحاولون اضطهادها في المستقبل ايضاً

لن تتمكن من التوصل الى حقوقها والى السلطة التي تلائمها بوصفها  
صانعة جميع الثروات الا بتطبيق هذه الاجراءات .

اللجنة :

كلول ماديس ، كلول شابر ، هنريغ باور ،  
فريديريك انجلس ، يوسف مول ، ولهم فولف

وآنذاك كانت تسود في باريس هواية الفيالق الثورية  
فقد اتحد الاسبانيون والايطاليون والبلجيكيون والهولنديون  
والبولونيون والالمان في فصائل لكي يمضوا ويحرروا اوطانهم  
وكان الفيلق الالمانى برناسة هرفغ وبورنشتيدت وبورنشتين  
وبما ان جميع العمال الاجانب لم يحرموا من العمل بعد الثورة  
على الفور وحسب ، بل اصبحوا ايضاً عرضة للمضايقات من جانب  
الجمهور المحلى ، فقد كان التدفق على هذه الفيالق كبيراً . وقد  
اعتبرت الحكومة الجديدة هذه الفيالق وسيلة للتخلص من العمال  
الاجانب وقدمت لها l'étape du soldat اي الشقات في طريقها وماهية  
نقدية قدرها ٥٠ سنتيماً في اليوم حتى الحدود ، وهناك كان وزير  
الخارجية اللقاع لامارتين ، المستعد دائماً لسكب الدموع ،  
يترصده الفرص لتسليم هذه الفيالق لحكوماتها المعنية

وقد وقفنا باشد الحزم ضد هذا اللعب بالثورة . فان اقتحام  
المانيا في اوج الغليان الجارى آنذاك هناك لأجل فرض الثورة  
عليها من الخارج بالعنف كان يعنى تقويض قضية الثورة في المانيا  
ذاتها وتقوية الحكومة وتسليم افراد الفيالق - الامر الذي كان  
يهتم به لامارتين - بلا سلاح الى القوات الالمانية ومع انتصار  
الثورة في فيينا وفي برلين ، اصح تنظيم الفيلق عقيماً تماماً .  
ورغم ذلك ، لم يتوقف اللعب ما دام قد بدأ .

فأسسنا نادياً شيوعياً ألمانياً (١٩٨) وفيه اقتننا العمال بعدم الانضمام الى الفيلق ، وبالعودة الى الوطن فرادى والعمل هناك في صالح الحركة ثم ان صديقنا القديم فلوكون ، الذي كان عضواً في الحكومة الموقته ، قد استحصل من اجل العمال الذين نرسلهم على نفس تسهيلات السفر التي وعد بها رجال الفيالق . وبهذه الوسيلة ، اعدنا الى ألمانيا ثلاثمئة - اربعمئة عامل كان اعضاء العصبة يؤلفون اغلبية ضخمة بينهم .

وحيال تساعد حركة الجماهير الشعبية الآن ، تكشفنا العصبة ، كما كان من السهل استشفاف ذلك ، اداة للتأثير في غاية الضعف . فان ثلاثة ارباع اعضاء العصبة ممن كانوا يعيشون من قبل في الخارج قد غيروا امكنة اقامتهم بعد هودتهم الى الوطن ؛ والمحافل التي كانوا ينتسبون اليها حتى الآن حلت بمعظمها من جراء ذلك ، وانقطعت كل صلة لهم بالعصبة . بل ان اوفرهم غروراً لم يحاولوا ان يعيدوا هذه الصلة ، ولكن كلا منهم شرع بمفرده وعلى عهده ينشئ في مكان اقامته حركة منفصلة صغيرة واخيراً كانت الظروف في كل دويلة صغيرة بمفردها ، وفي كل اقليم وفي كل مدينة مختلفة الى حد انه لم يكن بوسع العصبة ان تعطي غير توجيهات عامة للغاية ؛ وهذه التوجيهات كان من الافضل بكثير نشرها في الصحف . وبكلمة نقول انه منذ ان زالت الاسباب التي جعلت العصبة السرية ضرورية ، فقدت العصبة السرية ذاتها ، بوصفها عصبة سرية ، كل شأن . وهذا ما كان بوسعنا ، اقل من اي شيء آخر ، ان يدهش اولئك الذين حرروا للتو هذه العصبة السرية ذاتها من آخر رواسب طابعها التأمري .

ولكنه تبين الآن ان العصبة كانت مدرسة ممتازة للنشاط الثوري . ففي راين حيث كانت (الجريدة الرينانية الجديدة)

تمثل مركزاً مؤثوقاً ، وفي ناساو وفي هيسن الريفانية ، الخ . ، في كل مكان ، كان اعضاء العصبة على رأس الحركة الديمقراطية الاكثر تقدماً . وكان الامر نفسه في هامبورغ . وفي المانيا الجنوبية حالت دون ذلك هيمنة الديمقراطية البرجوازية الضعيفة . وفي بريسلافل ، كان ولهم فولف يعمل بنجاح كبير حتى صيف ١٨٤٨ وقد حصل في سيليريا كذلك على تفويض بشغل مركز وكيل نائب في برلمان فرانكفورت (١٩٩) . واخيراً ، ان صفاء الحروف اسطغان بورن ، الذي كان عضواً نشيطاً في العصبة في بروكسل وباريس ، أسس في برلين «اخوية عمالية» انتشرت انتشاراً كبيراً ودامت حتى عام ١٨٥٠ . الا ان بورن ، وهو الشاب الموهوب ، صرح كثيراً في انتهاج نهج رجل سياسي . و«فتاخي» مع خليط من العناصر المتباينة لمجرد ان يجمع حوله جمهوراً من الناس . فلم يكن مطلقاً من عداد اولئك الذين يستطيعون ان يوحدا بين النزعات المتناقضة ويلقوا النور في البلبلة والفوضى . ولذا نقع في المنشورات الرسمية التي اصدرتها «اخويته» على تشويش ومزيج من مفاهيم «البيان الشيعوي» مرفوقة بذكريات ورفاغاب حرفية ومقرونة بمزق من الافكار الماخوذة عن لويس بلان وبرودون ومشفوعة بدفاع عن مذهب حماية الصناعة الوطنية ، الخ . ، اي بكلمة ان هؤلاء القوم كانوا يريدون ارضاء الجميع . وكانوا يهتمون على الاخص بتنظيم الاضرابات والنقابات والتعاونيات ، ناسين ان المقصود بالدرجة الاولى هو الاستيلاء بانتصار سياسي على الارض التي يمكن فيها وحدها لهذه الاغراض ان تتحقق بشبات وامانة . وعندما حملت انتصارات الرجعية زعماء «الاخوية» على الشعور بضرورة الاشتراك المباشر في النضال الثوري ، كان من البديهي ان يتخلى عنهم الجمهور المخدوع الملتف حولهم . لقد اشترك بورن في انتفاضة درسدن في ايسار (مايو) ١٨٤٩ ولم



ينج الا بفعل الصدفة اما والاخوية الصمالية ، فانها بقيت في معزل عن الحركة السياسية الكبيرة للبروليتاريا ، كجمعية منعزلة ، موجودة بخاصة على الورق ، وتضطلع بدور ثانوي الى حد ان الرجعية لم تر من الضروري الغاءها الا في عام ١٨٥٠ ولم تغلق فروعها الا بعد بضع سنوات . ولكن بورن ، واسمه الحقيقي بوترميلخ ، لم يتمكن قط من ان يصبح رجلا سياسياً كبيراً ، انما اصبح استاذاً سويسرياً صغيراً يترجم الآن ، لا ماركس باللغة الحرفية ، بل رينان الطيب بلغته ، بلغة المانية سكرية

بتفريق المظاهرة في باريس في ١٣ حزيران ( يونيو ) ١٨٤٩ ، وبهزيمة التفاضات ايار ( مايو ) في المانيا وبقمع الثورة المجرية على يد الروس ، انتهت مرحلة كاملة من ثورة ١٨٤٨ ولكن انتصار الرجعية لم يكن بعد على الاطلاق انتصاراً نهائياً وكان لا بدّ من اعادة تنظيم القوى الثورية المشتتة ، وكذلك قوى العصبة . وكما قبل عام ١٨٤٨ ، جعلت الظروف من المستحيل قيام اي تنظيم علني للبروليتاريا . فكان ينبغي بالتالي اللجوء الى التنظيم السري .

في خريف ١٨٤٩ ، اجتمعت اغلبية اعضاء اللجان المركزية والمؤتمرات السابقة في لندن من جديد . وغاب شابر ومول فقط فقد كان شابر معتقلا في فيسبادن ؛ وبعد تبريره ، جاء هو ايضا الى لندن في ربيع ١٨٥٠ اما مول الذي قام بجملته من اخطر الاسفار لاداء مهام خطيرة وتحقيق اهداف تحريضية ، - في الآونة الاخيرة اهتم بتجنيد مدفعيين خيالة من الجيش البروسي في اقليم الراين لأجل مدفعية البالاتينا ، - فقد انضم الى سرية عمال بيزانسون في فصيله ويلينخ وقتل برصاصة في رأسه اثناء معركة مورغه امام جسر روتنفل . ولكن ، بالمقابل ،

ظهر ويلينغ على المسرح . كان ويلينغ واحداً من اولئك الشيوعيين بمشاعرهم ، الذين يلتقي بهم المرء احياناً كثيرة للغاية في المانيا الغربية ابتداء من عام ١٨٤٥ ، وكان بحكم ذلك وحده يجد نفسه بالضرورة في معارضة خفية لاتجاهنا الانتقادي ولكنه كان ، بالإضافة ، نبياً حقيقياً ، مقتنعاً بأنه كتب له ان يصبح محور البروليتاريا الالمانية ؛ وبهذه الصفة ادعى صراحة بالديكتاتورية السياسية والعسكرية سواء بسواء . وعليه ظهر ، الى جانب الشيوعية المسيحية البدائية التي روّج لها ويتلينغ من قبل ، شيء يشبه الاسلام الشيوعي . وفي هذا الصدد نقول ان الدعاية لهذا الدين الجديد لم تتجاوز بعد حدود كنة المهاجرين التي يامرها ويلينغ .

وهكذا اميد تنظيم العصبة ، وصدرت «الرسالة» في آذار (مارس) ١٨٥٠ . في ملحق (٩ ، العدد الاول (١٠٠)) وأرسل هنريخ باور الى المانيا كرسول . ان هذه «الرسالة» التي حورناها ماركس وانا ، تتم باهمية في الوقت الحاضر ايضاً لأن الديموقراطية البرجوازية الصغيرة لا تزال الآن ايضاً ذلك الحزب الذي لا بدّ له حتماً هند وقوع اقرب هزة اوروبية - ولا بدّ ان تقع قريباً (الفترات بين الثورات في اوروبا - ١٨١٥ ، ١٨٢٠ ، ١٨٤٨ - ١٨٥٢ ، ١٨٧٠ - تتراوح في قرننا بين ١٥ سنة و ١٨) - ان يصل في المانيا الى الحكم باذى ذي بدء بوصفه منقلد المجتمع من العمال الشيوعيين . ولذا يصح الكثير مما قيل فيها على الطرف الراهن ايضاً . وقد تكلفت مهمة هنريخ باور بالنجاح

\* راجع كارل ماركس وفرديريك انجلس . رسالة اللجنة المركزية الى عصبة الشيوعيين . آذار ١٨٥٠ . التافس .

التام . فان هذا السكاف الصغير المرح كان ديبلوماسياً بالفطرة . وقد جمع من جديد في منظمة نشيطة اعضاء العصبة السابقين الذين انصرف قسم منهم عن العمل او عمل قسم آخر على مسؤوليته كذلك اجتذب على الخصوص زعماء والاخوية العمالية في ذلك الحين . واصبحت العصبة تضطلع بالدور القيادي في الجمعيات العمالية والفلاحية والجمبازية بقدر اكبر بكثير مما قبل عام ١٨٤٨ ، بحيث امكن ان تلاحظ «الرسالة» الدورية (مرة كل ثلاثة اشهر) الموجهة الى المحافل في حزيران (يونيو) ١٨٥٠ . ان الطالب شورس من بون (الذي سيصبح وزيراً امريكياً سابقاً) الذي جاب في ربوع المانيا بتكليف من الديموقراطية البرجوازية الصغيرة ، ووجد جميع القوى الصالحة في يد العصبة» (راجع الملحق ، ٩ ، العدد ٢) فمن المؤكد ان العصبة كانت المنظمة الثورية الوحيدة التي لها شأن في المانيا . اما ما كان ينبغي ان تحققه هذه المنظمة ، فقد كان يتوقف بصورة رئيسية على ما اذا كانت ستحقق الآمال في نهوض ثوري جديد . ولكن هذا امسى في غضون عام ١٨٥٠ اقل فاقلاً احتمالاً وحتى مستحيلاً فقد ولت الازمة الصناعية التي نشبت في ١٨٤٧ وهيأت ثورة ١٨٤٨ ؛ وبدأ ازدهار صناعي جديد لم يسمع بمثله من قبل . ولكل من كانت له عينان ليرى بهما ويستعملهما ، كان ينبغي ان يصبح من الواضح ان العاصفة الثورية التي هبت في ١٨٤٨ تضاءلت وزالت تدريجياً . وفي مثل هذا الازدهار العام الذي تتنامى في ظله قوى المجتمع البرجوازي المنتجة بفرارة ووفرة بقدر ما يمكن ذلك

\* راجع كارول ملوكس وفريدريك الجلس . ورسالة اللجنة المركزية الى عصبة الشيوعيين . حزيران ١٨٥٠ . القاهر .

عموماً في نطاق العلاقات البرجوازية ، لا يمكن حتى الكلام عن ثورة فعلية . فان هذه الثورة لا تصبح ممكنة الا في المراحل التي يدخل فيها هذان العاملان ، اي القوى المنتجة الحالية واشكال الانتاج البرجوازية ، في تناقض بينهما . وان المشاحنات التي ينصرف اليها بلا نهاية ممثلو مختلف كتل حزب النظام القاري ، مسئين بعضهم لسمعة بعض ، لا تفضي البته الى ثورات جديدة ، بل بالعكس ؛ فان هذه المشاحنات ليست ممكنة الا لأن اساس العلاقات الاجتماعية في الطرف الراهن متين وكذلك ( وهذا ما لا تعرفه الرجعية ) برجولزي . فان جميع المحاولات الرجعية لوقف التطور البرجوازي ستتخطم بلا ريب على هذا الاساس بنفس الشدة التي ستتخطم فيها عليه جميع انفجارات غضب الديموقراطيين الاخلاقي وجميع نداءاتهم الثورية . هكذا كتبنا ماركس وانا في واستعراض لمرحلة ايار - تشرين الاول ( مايو - اكتوبر ) ١٨٥٠ ، في "Neue Rheinische Zeitung. Politisch-ökonomische Revue" ( والجريدة الرينانية الجديدة . عرض سياسي " ١٨٥٠ ، واقتصادي ) ، المجلد ٥ - ٦ ، هامبورغ ، عام ١٨٥٠ ، ص ١٥٢ .

ولكن هذا الادراك السليم للوضع بدا لكثيرين ضرباً من لهطقة في وقت كان فيه ليدرولان ولويس بلان ومازيني وكوشوت ، وكذلك روغه وكينكل وغيغ من الجهادة الالمان الاقل شأناً ، ومن لف لفهم يولفون في لندن الحكومات الموقته المقبلة بالدزينات ، لا لاوطانهم وحسب ، بل ايضاً لعموم اوروبا ،

\* راجع كارل ماركس وفريدريك انجلس . رسالة اللجنة المركزية الى عصبة الشيوعيين . حزيران ١٨٥٠ . التاليف .

وفي وقت كان فيه كل شيء يقتصر على امر واحد فقط ، هو الحصول في اميركا ، بواسطة قرض ثوري ، على الوسائل انضورية لتحقيق الثورة الاوروبية ، وكذلك - وهذا غني عن البيان - لانشاء جملة من مختلف الجمهوريات في طرفه عين . فمن ذا الذي يمكن ان يدعشه ان يكون انسان مثل ويلينج قد افتتن بهذا وان يكون شابر ، الذي تملكه الحماسة الثورية القديمة ، قد اغتر بهذا ، وان تكون اغلبية العمال المقيمين في لندن والمتألفة بصورة رئيسية من المهاجرين قد سارت وراءهما الى معسكر «صانعي» الثورة البرجوازيين الديمقراطيين ؟ هذا يعني ان الاحتراس الذي دافعنا عنه لم يكن من ذوق هؤلاء الناس كان ينبغي ، برايمهم ، الشروع بصنع الثورة ؛ فرفضنا هذا ببالح الحزم فوقع الانشقاق . اما ما جرى فيما بعد ، فتمكن معرفته من مطالعة «الاضواء» . ثم اعتقل نوتيونغ اولاً ، ومن بعده اعتقل هاوبت في هامبورغ ؛ وقد غدا هذا الاخير خائناً اذ خان اعضاء اللجنة المركزية في كولونيا ، وكان ينبغي له ان يظهر في المحاكمة بصفته الشاهد الرئيسي . ففضل اقرباؤه تجنب هذا العار وارسلوه الى ريو دي جانيرو حيث اخذ فيما بعد يتعاطى التجارة ، وعين ، تقديراً لخدماته ، قنصلاً عاماً لروسيا اولاً ، ثم لالمانيا . وهو الآن في اوروبا من جديد .

\* راجع كاول هاوكس واضواء على محاكمة الشيوعيين في كولونيا . الناشر .

\*\* تولى شابر في اواخر الستينيات في لندن واشترك ويلينج في الحرب الاهلية في اميركا ونال الاوسمة . وفي معركة مورفيسبورو

ولفهم «الاضواء» على نحو افضل ، اورد قائمة بالمتهمين في كولومبيا : ١- ب . غ . روزر ، العامل في صناعة السجائر ؛ ٢- هنريخ بورغرس ، وقد توفي فيما بعد نائباً تقديمياً (١٠١) في اللانداغ ؛ ٣- بيتر نوتيونغ ، الخياط ، وقد توفي منذ بضع سنوات في بريسلاف حيث كان يعمل مصوراً ؛ ٤- و . ي . ريف ؛ ٥- الدكتور غرمان بيكر ، وهو الآن رئيس بلدية كولومبيا وعضو مجلس الاسياد ؛ ٦- الدكتور رولاند دانيليس ، الطبيب وقد توفي بعد المحاكمة ببضع سنوات بداء السل الذي اصيب به في السجن ؛ ٧- كارل اوتو ، الكيماوي ؛ ٨- الدكتور ابراهام ياكوبي ، وهو الآن طبيب في نيويورك ؛ ٩- الدكتور ي . ي . كلين ، وهو الآن طبيب ونائب في الادارة الذاتية بمدينة كولومبيا ؛ ١٠- فرديناند فريليضرات ، الذي كان آنذاك في لندن ؛ ١١- ي . ل . ارهاردت ، البياح ؛ ١٢- فريديريك ليستر ، الخياط ، وهو يعيش الآن في لندن . ومن بينهم حكمت محكمة المحلفين ، التي استمرت جلساتها العلنية من ٤ تشرين الاول ( اكتوبر ) الى ١٢ تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٨٥٢ ، بتهمة الخيانة العظمى ، على روزر وبورغرس ونوتيونغ بالسجن في القلعة ٦ سنوات ، وعلى ريف واوتو وبيكر ، ٥ سنوات ،

(تينيسي ، امريكا) - وكان قد اصبح قائد لواء - ، اصيب بجراح في صدره ، ولكنه شفئ منها . وقد توفي منذ نحو عشر سنوات في امريكا . - اما فيما يتعلق بالاشخاص المذكورين الآخرين ، فاني اشير ايضاً الى ان هنريخ باور سافر الى اوستراليا حيث انقطعت اخباره ، وان ويتلينغ وايفربك توفيا في امريكا .

وعل ليمنر ٣ سنوات ؛ وبرات دانيلس وكلين وياكوبسي وارهاردت .

وبمحاكمة كولونيا تنتهي المرحلة الاولى من الحركة العمالية الشيوعية الالمانية . فبعد الحكم على الفور ، حللنا عصبتنا وبعد بضعة اشهر ، توفي ايضاً زوندربروند ( ١٠٢ ) ويليخ-شاير .

\* \* \*

ان جيلا كاملا يفصلنا عن ذلك الزمن آنذاك كانت المانيا بلد الحرفة والصناعة المنزلية القائمة على العمل اليدوي ؛ اما الآن ، فهي بلد صناعي كبير تجري فيه التحولات الصناعية بلا انقطاع آنذاك كان ينبغي البحث عن العمال الذين يعون وضعهم الطبقي وتناقضهم الاقتصادي والتاريخي مع الرأسمال وابعادهم واحداً واحداً ، لأن هذا التناقض نفسه كان آنذاك قد ظهر للتو وحسب . اما الآن ، فينبغي تعريض البروليتاريا الالمانية بأسرها لفعل القوانين الاستثنائية لمجرد ان تعيق ، وان قليلا ، مجرى تطورها نحو بلوغ الوعي التام لوضعها كطبقة مظلومة آنذاك كان ينبغي على اولئك القلائل الذين توصلوا الى فهم دور البروليتاريا التاريخي ان يعملوا بصورة سرية ويجتمعوا خفية في محافل صغيرة يتراوح عدد اعضائها بين ثلاثة وعشرين عضواً اما الآن فان البروليتاريا الالمانية تستطيع حتى ان تستغني عن التنظيم الرسمي سواء منه العلني ام السري ؛ فان الصلة البسيطة ، البديهية ، بين رفاق في الطبقة يفكرون بالطريقة ذاتها تكفي لأجل هز الامبراطورية الالمانية كلها بدون اي انظمة

داخلية ولجان وقرارات وما مائلها من الاشكال المحسوسة ان بيسمارك هو حكم في اوروبا ، خارج المانيا ؛ ولكن ، داخل البلد ، ينمو يوماً بعد يوم سداف البروليتاريا الالمانية الضليع الذي تشتد رهبته اكثر فاكثر والذي سبق ان استشفه ماركس في عام ١٨٤٤ ، ينمو عملاق يصبح بالنسبة له ضيقاً للغاية صرح الامبراطورية المعد للتافه الضيق الافق ، عملاق تشتد بنيته القوية وكتفاه المريضان يوماً بعد يوم الى ان ياتي يوم حسبه فيه ان ينهض من مكانه حتى يحول صرح الامبراطورية كله الى انقاض . فضلاً عن ذلك ، بلغت الآن الحركة العالمية للبروليتاريا الاوروبية والاميركية درجة من القوة اصبح معها ، لا شكلها الضيق الاول - العصبية السرية - وحسب ، بل ايضاً شكلها الثاني الاوسع من الاول الى ما لا يقاس - جمعية الشغيلة العالمية العلنية - قيداً بالنسبة لها يكفي الشعور البسيط بالتضامن القائم على فهم تشابه الوضع الطبقي ، لانشاء حزب كبير واحد للبروليتاريا من العمال على اختلاف بلدانهم ولغاتهم ولصيانه لحيته وان المذهب الذي كانت العصبية تمثله من عام ١٨٤٧ الى عام ١٨٥٢ ، والذي كان الحكماء التافهون الضيقو الافق ينظرون اليه آنذاك ، هازين اكتافهم ، نظرتهم الى هذيان وهذر مجانين ، نظرتهم الى مذهب سري لبضعة متشيعين منفردين ، هذا المذهب يملك الآن اتباعاً لا عدّ لهم في جميع البلدان المتمدنة ، بين السجناء العاملين في مناجم سيبيريا وبين الباحثين عن الذهب في كاليفورنيا ؛ اما مؤسس هذا المذهب ، الرجل الذي كان يكرمه معاصروه اشد من غيره ويفترون عليه اكثر من غيره ، واعني به كارل ماركس ، فقد كان حتى وفاته ، بالنسبة لبروليتاريا



العالم القديم والجديد ، ذلك النصيح الذي كانوا يعودون اليه على الدوام والذي كان لا يتمتع ابدأ من تقديم معونته .

لندن ، ٨ تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٨٨٥

### فريدريك إنجلس

يصدر حسب نص الكتاب . تمت  
الترجمة نقلا عن الالمانية

صدر في كتاب Karl Marx.  
„Enthüllungen über den Kommunisten-  
Prozeß zu Köln“. Hottingen-Zürich,  
1885

وفي جريدة „Der Sozialdemokrat“  
( وسوسيال-ديموقراط ) ، الاعداد ٤٦-  
٤٨ ، في ١٢ و ١٩ و ٢٦ تشرين الثاني  
١٨٨٥

## الجنس

## اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة ( ١٠٢ )

ملقمة الطبعة الاولى

عام ١٨٨٤

الفصول الواردة ادناه هي ، الى حد ما ، تنفيذ لوصية فان كارل ماركس بالذات هو الذي كان قد اعترم ان يعرض نتائج ابحاث مورغان بالارتباط مع معطيات دراسته - واستطيع ان اقول ، ضمن حدود معينة ، دراستنا - المادية للتاريخ وان يوضح على هذا النحو وحسب كل اهميتها . ذلك ان مورغان قد اكتشف من جديد في اميركا وعلى طريقته المفهوم المادي عن التاريخ ، الذي سبق واكتشفه ماركس منذ اربعين سنة ، وعلى هدها توصل ، في النقاط الرئيسية ، عند مقارنته البربرية والحضارة ، الى نفس النتائج التي توصل اليها ماركس . وكما ان اقتصادي المانيا الرسميين استنسخوا «راس المال» بجهد يوازي عنادهم في لزوم الصمت حوله ، كذلك بالضبط سلك ممثلو علم «ما قبل التاريخ» في انجلترا حيال «المجتمع القديم» لمورغان . وكل ما يستطيعه

„Ancient Society, or Researches in the Lines of Human Progress from Savagery through Barbarism to Civilization“. By Lewis H. Morgan. London, Macmillan and Co. 1877 ( والمجتمع القديم ، او البحث

في خطوط التقدم البشري من الوحشية عبر البربرية الى الحضارة » بقلم لويس هـ . مورغان لندن ، ماكميلان وشركاه ، سنة ١٨٧٧ ) صدر الكتاب في اميركا ، ومن الصعب للغاية الحصول عليه في لندن . توفي مورغان مند بضعة اعوام .

عملي ، هو ان يعوض ، بصورة ضعيفة ، عما لم يكتب لصديقي الراحل القيام به . ولكنه توجد عندي في عداد ملخصاته المسهبة من مورغان \* ملاحظات انتقادية اوردها هنا بقدر ما تتعلق بالموضوع

حسب المفهوم المادي ، يشكل انتاج وتجديد انتاج الحياة المباشرة ، في آخر تحليل ، العامل الحاسم في التاريخ . ولكنه هو ذاته ، مع ذلك ، ذو طبيعة مزدوجة . فمن جهة ، انتاج وسائل الحياة سلع التغذية ، الالبسة ، المسكن ، والادوات الضرورية لهذا ؛ ومن جهة ثانية ، انتاج الانسان نفسه ، مواصلة النوع وان النظم الاجتماعية التي يعيش في ظلها اهل عهد تاريخي معين وبلد معين يشترطها مظهرا الانتاج درجة تطور العمل من جهة ، ودرجة تطور العائلة من جهة ثانية فبقدر ما يكون العمل اقل تطوراً وكمية منتوجاته ، وبالتالي ثروة المجتمع ، اضيق حدوداً ، بقدر ما تتجلى بسمية النظام الاجتماعي للعلاقات العشائرية بمزيد من القوة . هذا مع العلم ان انتاجية العمل تتطور اكثر فاكثر على الدوام في نطاق بنية المجتمع هذه ، القائمة على العلاقات العشائرية ، ومعها تتطور الملكية الخاصة ، والتبادل ، والفوارق في الممتلكات ، وامكانية الاستفادة من قوة عمل الغير ، ويتطور بالتالي اساس التناقضات الطبقيه العناصر الاجتماعية الجديدة التي تحاول على مر الاجيال ان تكيف النظام الاجتماعي القديم للظروف الجديدة الى ان يؤدي ، في آخر الامر ، التنافر

\* راجع كارل ماركس وملخص كتاب لويس هـ مورغان والمجتمع القديم ، ( ارفيف ماركس وانجلس ، الطبعة الروسية ، المجلد ٩ ، عام ١٩٤١ ، ص ص ١-١٩٢ ) . الناشر .

بين القديم والجديد ، الى انقلاب تام فان المجتمع القديم ، القائم على الاتحادات العشائرية ، يتفجر بفعل اصطدام الطبقات الاجتماعية المتشكلة حديثا ؛ ومكانه يحل مجتمع جديد ، يتشكل في دولة ، ولم تبق الاتحادات العشائرية حلقاته الدنيا ، بل اصبحتها الاتحادات الاقليمية ، مجتمع يخضع فيه النظام البائلي كليا لعلاقات الملكية ، وتتطور فيه بكل حرية من الآن وصاعدا التناقضات الطبقية والنضال الطبقي التي تؤلف مضمون التاريخ المكتوب كله حتى ايامنا هذه .

ومأثرة مورغان الكبرى انه اكتشف هذا الاساس من قبل التاريخ لتاريخنا المكتوب وبمسه بخطوطه الكبرى ، ووجد في العلاقات العشائرية للهنود الحمر في اميركا الشمالية المفتاح لفض اهم الغاز التاريخ القديم ، الاغريقي والروماني والجرماني ، غير المفضوذة حتى الآن . ومؤلفه ليس عمل يوم واحد فقط . فقد درس مادته زهاء اربعين سنة الى ان استوعبها تماما ولكن كتابه جاء بالمقابل واحداً من مؤلفات زمننا القليلة التي تشكل عهداً .

وفي العرض الوارد ادناه ، من السهل تماما وكليا على القارى ان يميز بين ما يخص مورغان وبين ما اضعفته انا ففي القسمين التاريخيين عن اليونان وروما ، لم اکتف بمعطيات مورغان ، بل اضعفت ما كان تحت تصرفي اما القسمان عن السلت والجرمان ، فهما يخصانني اساسا ؛ فان مورغان كان يملك هنا مواد اخذها كلها تقريبا من مصادر اخرى ، ولم يكن يملك عن الجرمان - باستثناء تاقيطس - الا تزييفات السيد فريمان الليبيرالية الرديئة . والتعليقات الاقتصادية التي كانت كافية للاهداف التي ابتناها مورغان ، وغير كافية ابدأ للاهداف التي ابتغيتها انا ، اما اعدت صياغتها كلها

من جديد . واخيراً ، بديهي اني مسؤول عن جميع الاستنتاجات التي عرضتها دون الرجوع مباشرة الى مورغان .

كتبت نحو ٢٦ ايار (مايو) ١٨٨٤ تصدر حسب نص الطبعة صدرت في كتاب : F. Engels. الالمانية الرابعة لعام ١٨٩١  
„Der Ursprung der Familie, des Privateigentums und des Staats.“  
Hottingen-Zürich, 1884

## مقدمة الطبعة الألمانية الرابعة

عام ١٨٩١

مساهمة في تاريخ العائلة البدائية

( باهوفن ، ماكـلـينان ، مورغان )

الطبعات السابقة من هذا الكتاب التي صدرت باعداد كبيرة قد نفذت كلياً منذ حوالي نصف سنة ؛ ومن زمان ، طلب مني الناشر • اعداد طبعة جديدة . وحتى الآن حالت دوني والقيام بذلك اعمال عاجلة . ومنذ صدور الطبعة الاولى ، تصرمت سبع سنوات ، وفي هذه السنوات تحققت نجاحات كبيرة في دراسة الاشكال البدائية للعائلة . ولهذا كان من الضروري ادخال اصلاحات واضافات دقيقة هنا خصوصاً وان نية طبع النص الحالي نقلا عن الكليشيات تحرمني لفترة من الوقت امكانية اجراء التعديلات اللاحقة وهكذا اعدت النظر في النص كله بدقة وانتباه ، وادخلت جملة من الاضافات اخذت فيها بالحسبان بقدر كاف ، كما آمل ، حالة العلم في الوقت الحاضر . ثم اني اورد ادناه ، في هذه المقدمة ، لمحة موجزة عن تطور النظرات الى تاريخ العائلة ، ابتداء من باهوفن حتى مورغان ؛ واني افعل ذلك بصورة رئيسية لأن مدرسة التاريخ البدائي الانجليزية ذات الميول الشوفينية تبدل كل ما في وسعها ، كما من قبل ، لكي تلزم الصمت حول الانقلاب الذي حققته اكتشافات مورغان في حقل النظرات الى التاريخ البدائي ،

دون أن تستحي ، مع ذلك ، من ان تنسب لنفسها النتائج التي توصل اليها مورغان ناهيك بانهم هنا وهناك في البلدان الاخرى يتبعون هذا المثال الانجليزي بغائق الحمية .

لقد ترجم عملي الى مختلف اللغات الاجنبية بادى ذي بدء الى الايطالية واصل العائلة والملكية الخاصة والدولة ، ترجمة باسكواله مارتينييتي ومراجعة المؤلف ، دار بينيفنتو ، عام ١٨٨٥ ثم الى الرومانية واصل العائلة والملكية الخاصة والدولة ، ترجمة يون نيديجده ؛ صدرت الترجمة في مجلة ياسي "Contemporanul" (١٠٤) من ايلول (سبتمبر) ١٨٨٥ الى ايار (مايو) ١٨٨٦ ؛ ثم الى الدانماركية : واصل العائلة والملكية الخاصة والدولة ، وقد أعدّ غرسون تريو الطبعة . كوبنهاغن ، عام ١٨٨٨ ؛ والترجمة الفرنسية بقلم هنري رافه ، نقلنا عن هذه الطبعة الالمانية ، هي قيد الطبع

\* \* \*

قبل بداية الستينيات ، لم يكن من الممكن ان يتناول الكلام تاريخ العائلة فان علم التاريخ في هذا الميدان كان لا يزال بعد بكليته خاضعا لتاثير اسفار موسى الخمسة (التوراة) . فان شكل العائلة البطريركي ، الموصوف هناك باسهاب اكثر مما في اي مكان آخر ، لم يعتبروه قطعاً اقدم شكل وحسب ، بل اعتبروه ايضاً مماثلاً تماماً - باستثناء تعدد الزوجات - لشكل العائلة البرجوازية المعاصرة ؛ وعليه لم يطرأ حقاً وفعلاً ، حسب زعمهم ، اي تطور تاريخي على العائلة . واكثر ما أجازوه ، هو امكان وجود مرحلة من العلاقات الجنسية غير المنظمة في الازمنة البدائية . - صحيح انهم كانوا يعرفون ايضاً ، علاوة على شكل الزواج الاحادي ، شكل

تعدد الزوجات الشرقي وشكل تعدد الأزواج الهندي التيبتي ؛ ولكنه كان من المستحيل وضع هذه الأشكال الثلاثة في تعاقب تاريخي ، فظهرت بعضها الى جانب بعض دون اي صلة متبادلة . اما ان النسب عند بعض شعوب العالم القديم ، كما عند بعض الشعوب المتوحشة التي لا تزال موجودة ، لم يكن الى الاب بل الى الام ، وان خط الام كان يعتبر بالتالي الخط الوحيد الذي له شأن ؛ وان الزواج ممنوع عند كثير من الشعوب المعاصرة داخل جماعات معينة ، كبيرة الى هذا الحد او ذلك ، لم تتناولها الدراسة بعد باسهاب وتفصيل ، وان هذه العادة لا تزال قائمة في جميع مناطق الدنيا ، - فان هذه الوقائع كانت ، حقاً وفعلاً ، معروفة ، وكانت الامثلة من هذا الطراز تتراكم اكثر فاكثر . ولكن احداً لم يكن يعرف كيف يتناولها ويدرسها ، بل انها تظهر ببساطة ، حتى في وابحاث في تاريخ البشرية البدائي ، الخ . ٠٠ مؤلفه ١ . ب تايلور (١٨٦٥) ، بمثابة «عادات غريبة» الى جانب تحريم بعض المتوحشين للمس حطبة مشتملة باداة حديدية ، وغير ذلك من الترهات الدينية .

ان دراسة تاريخ العائلة تبدأ منذ عام ١٨٦١ ، عندما صدر عمل باهوفن «حق الام» فقد تقدم المؤلف في هذا العمل بالموضوعات التالية : ١ - في البدء كانت توجد عند البشر علاقات جنسية غير محدودة ، اطلق عليها التعبير غير الموفق «الهيترية» ("Hétérisme") ؛ ٢ - ان هذه العلاقات تنفي كل امكانية لتقديم الدليل الاكيد على الابوة ، ولهذا لم يكن من الممكن تقرير النسب الا حسب خط الام - بموجب حق الام ، - كما كان الحال في البدء عند جميع شعوب الازمنة الغابرة ؛ ٣ - من جراء هذا ، تمتعت النساء ، بوصفهن امهات ، بوصفهن الواليدات الوحيدات المعروفات بكل



ثقة وتأکید للجيل الفتى ، بقدر كبير من الاحترام والتقدير ، بلغ ، برأي باهوفن ، حد سيادة النساء التامة ( والجينيكوقراطية ) Gynécocratie اي (حكم النساء) ؛ ٤ - ان الانتقال الى الزواج الاحادي الذي تخص المرأة بموجه رجلا واحدا لا غير كان ينطوي على مخالفة لوصية دينية متقدمة العهد ( اي على مخالفة عملية لعق الرجال الآخرين المزمع في هذه المرأة ) ، مخالفة كان ينبغي التكفير عنها او كانت تجاز بشرط التعويض عنها ، اي انه كان ينبغي على المرأة في خلال فترة معينة ان تضاجع غير زوجها من الرجال .

والادلة على هذه الموضوعات يجدها باهوفن في استشهادات عديدة ، مجموعة بفائق الدقة والعناية ، من ادب الازمنة الغابرة الكلاسيكي . وان التطور من «الهيتيرية» الى احادية الزواج ، ومن حق الام الى حق الاب يجري ، برأيه - ولا سيما عند الاغريق ، - اثر تطور التصورات الدينية المطرد ، اثر تنصيب آلهة جدد ، يمثلون المفاهيم الجديدة ، في مجموعة الالهة التقليدية التي تمثل المفاهيم القديمة ، الامر الذي يؤدي الى زحزحة هذه المفاهيم القديمة اكثر فاكثر الى المؤخرة من قبل المفاهيم الجديدة . وعليه ، ليس تطور الظروف الفعلية لحياة الناس ، بل الانعكاس الديني لهذه الظروف في رؤوس هؤلاء الناس بالذات هو الذي افضى ، برأي باهوفن ، الى التخفيزات التاريخية في وضع الرجل والمرأة الاجتماعي المتبادل . وتبعاً لذلك ، يفسر باهوفن ثلاثية «اوريسيتية» المسرحية لاسخيلوس على انها تصوير درامي للصراع بين حق الام الهالك وحق الاب الذي انبثق في العهد البطولي وانتصر فان كليتمنسترا ، ارضاء لعشيقها ايفيست ، قد قتلت زوجها الهمنون بعد عودته من حرب طروادة ؛ ولكن

اوريست ، ابنا وابن اغمنون ، يقتل امه انتقاما لمقتل ابيه ونظراً لذلك ، تطارده الايرينيّات (Erinnyes) الحاميات الشيطانيّات لحق الام ، الذي يعتبر قتل الام افدح جريمة ، وجريمة لا تفتقر . ولكن ابولون الذي اقنع اوريست ، بوسيط الوحي ، باقتراف هذا العمل ، واثينا التي يدعونها للقضاء في هذه المسألة ، - وهذا الاله وهذه الالهة يمثلان كلاهما هنا النظام الجديد القائم على حق الاب ، - يحميان اوريست ؛ وتستمع اثينا الى الطرفين ان كل موضوع النزاع وارد بايجاز في المناقشات التي تجري بين اوريست والايرونيّات فان اوريست يستند الى كون كليتمسترا قد ارتكبت امّا مزدوجاً بقتلها زوجها هي ووالده هو في الوقت نفسه . فلماذا تلاحقه اذن الايرينيّات ولم يلاحقنها هي ، المذبذبة اكثر منه بكثير ؟ الجواب مدهل :

«لم تكن مع الزوج الذي قتلته في قرابة الدم» . \*

ان قتل امرى لا تربطه بالقاتل رابطة الدم ، حتى وان كان زوج المرأة التي قتلته ، تمكن فديته ؛ ولا علاقة ابدأ للايرينيّات بهذا الامر . فشانهن الاّ يلاحقن جريمة القتل الا عندما تقع وسط الاقرباء بالدم ، وجريمة قتل الام هي ، في هذه الحال ، بموجب حق الام ، افدح جريمة لا يمكن افتداؤها بشيء . ولكن ها هو ذا ابولون ياخذ جانب الدفاع عن اوريست ؛ وتطرح اثينا المسألة على التصويت امام اعضاء «الايروباغ» - اي امام المحلفين الاثينيين ؛ فانقسمت الاصوات قسمين متعادلين ، قسم يؤيد التبرير وقسم يؤيد المعاقبة ؛ اذناك صوتت اثينا بوصفها رئيسة المحكمة في صالح اوريست واعلنت براءته . وهكذا اتصر حق

\* اسطيلاوس . واوريستية . الايرينيّات . الثاثير .

الاب على حق الام ، وتغلب «آلهة الجيل الاصغر» ، كما تسميهم الايرينيات ذاهن ، على الايرينيات ؛ وفي آخر المطاف ، تنتقل الايرينيات ايضاً الى خدمة النظام الجديد آخذات على انفسهن واجبات جديدة

ان هذا التفسير الجديد ، ولكن الصحيح تماماً لثلاثية «اوريسية» المسرحية هو من ارواح واحسن الاماكن في كل كتاب باهوفن ، ولكنه يثبت في الوقت نفسه ان باهوفن يؤمن على الاقل بالاييرينيات وابولون واينا كما كان يؤمن بهم اسخيلوس في زمنه اي انه يؤمن بانهم اجترحوا معجزة في العهد البطولي الاغريقي : فقد دكوا الحق الامي واحلوا محله الحق الابوي . وواضح ان هذا المفهوم الذي يقول ان الدين يقوم بالدور الفاصل في تاريخ العالم يؤدي في آخر المطاف الى الصوفية الصرف . ولهذا كانت دراسة كتاب باهوفن - وهو عبارة عن مجلد ضخيم كبير القطع - عملاً صعباً وابعد من ان يكون دائماً مشمراً . ولكن هذا لا يقلل من منزلة باهوفن بوصفه بحائث شق سبيلاً جديداً فهو اول من نبذ الكلام الفارغ عن الحالة البدائية المجهولة المرفقة بعلاقات جنسية شاذة ، وقدم البرهان على وجود شواهد كثيرة في الادب الكلاسيكي القديم تؤكد ان الاغريق والشعوب الآسيوية قد عرفت بالفعل قبل الزواج الاحادي حالة لم يكن فيها الرجال وحسب يدخلون في علاقات جنسية مع بضع نساء بل كآت فيها النساء ايضاً يدخلن في علاقات جنسية مع بضعة رجال ، دون ان يشكل ذلك مخالفة للعادة ، سواء من جانب الرجل او المرأة واثبت ان هذه العادة قد خلف زوالها اثرًا تجل في واجب المرأة ، المحصور ضمن اطار معين ، بافتداء حقها في الزواج الاحادي بمضاجعة رجال آخرين ؛ وانه ، لهذا السبب ، لم يكن من الممكن

في البداية حساب الاصل الا تبعاً للخط النسائي ، اي من ام ال  
ام ؛ وان اهمية الخط النسائي الاستثنائية هذه قد بقيت زماً  
طويلاً حتى في مرحلة الزواج الاحادي ، عندما اصبحت الابوة ثابتة  
او عندما صارت ، على كل حال ، تلقى اعترافاً ؛ وأثبت أخيراً  
ان وضع الامهات الاولي هذا بوصفهن الوالدات الوحيدات الأكيدات  
لاولادهن قد كفل لهن ، وللنساء على العموم في الوقت نفسه ،  
منزلة اجتماعية عالية لم يشغلنها قط مذ ذاك . صحيح ان باهوفن  
لم يضع هذه الموضوعات بمثل هذا الوضوح ؛ فقد اعاقته من  
ذلك نظرتة الصوفية الى العالم . ولكنه قدم البرهان عليها ، وكان  
هذا في عام ١٨٦١ بمثابة ثورة كاملة .

كتب باهوفن كتابه الضخم باللغة الالمانية اي بلغة امة  
كانت في ذلك الحين تهتم ، اقل ما تهتم ، بما قبل تاريخ العائلة  
الحديثة . ولهذا بقي الكتاب مجهولاً . بل ان اقرب وريث لباهوفن  
تناول الموضوع ذاته في عام ١٨٦٥ لم يسمح به .

هذا الوريث كان ج . ف . ف . ماك-لينان ، النقيض المباشر السافر  
لسلفه . فعوضاً عن الصوفي العبقري ، نجد امامنا حقوقياً جافاً ؛  
وعوضاً عن الخيال الشعري الجامح ، نجد مطالعات محام امام  
المحكمة مبنية وموزونة بدقة وامعان . فان ماك-لينان يجد عند  
كثير من الشعوب المتوحشة والبربرية وحتى المتمدنة في الزمن  
القديم والجديد شكلاً لعقد الزواج كان يترتب بموجبه على العريس  
ان يتصرف كأنما يخطف بالقوة ، هو وحده او مع اصدقائه ،  
العروس من عند اهلها . وهذه العادة ، هل ما يبدو ، هي بقية  
عادة اقدم عهداً ، كان بموجبها رجال احدى القبائل يخطفون  
فعللاً بالقوة لأنفسهم الزوجات من خارج قبيلتهم ، من عند القبائل  
الاخرى . فكيف ظهر اذن هذا (الزواج-الخطف) ؟ طالما كان في

مستطاع الرجال ان يجدوا ما يكفي من النساء في قبيلتهم بالذات ، لم يكن ثمة داع لمثل هذا الزواج . ولكننا نجد في عدد كبير مماثل من الحالات انه توجد عند الشعوب غير المتطورة جماعات معينة ( في عام ١٨٦٥ كآتوا لا يزالون يعتبرونها في احيان كثيرة من عداد القبائل ) كان الزواج في داخلها ممنوعاً ، ولذا كان الرجال مضطرين الى اخذ نساء لهم ، والنساء مضطرات الى اخذ رجال لهن ، من خارج الجماعة المعنية ؛ ناهيك بانه توجد عند شعوب اخرى عادة تقضي بالا ياخذ الرجال من جماعة معينة نساء لهم الا من داخل جماعتهم بالذات ويسمي مالمـلينان الجماعات الاولى بجماعات (الزواج الخارجي) Exogamos والجماعات الثانية بجماعات (الزواج الداخلي) Endogamos ؛ ولكنه سرعان ما يشير ، بدون اي تحليل ، الى التناقض الحاد بين «قبائل» الزواج الخارجي و«قبائل» الزواج الداخلي ورغم ان دراسته الخاصة بالذات للزواج الخارجي تقوده الى الاصطدام رأساً بالواقع التالي ، وهو ان هذا التناقض لا يوجد في كثير من الحالات ، ان لم يكن في اغلبيتها او حتى في جميعها ، الا في مخيلته ، فانه يبني مع ذلك كل نظريته على اساسه . وحسب نظريته ، لا يستطيع رجال قبائل الزواج الخارجي ان ياخذوا زوجات لهم الا من القبائل الاخرى ، وهذا لم يكن من الممكن تحقيقه في حالة الحرب الدائمة بين القبائل في مرحلة الوحشية الا عن طريق الخطف .

وبعد هذا ، يتساءل مالمـلينان : من اين جاءت عادة الزواج الخارجي هذه ؟ ان التصورات بصدد القرابة بالدم والاختلاط بالدم لا تمت الى ذلك باي صلة ؛ فهما عبارة عن ظاهرات لم تظهر وتتطور الا بعد حقبة كبيرة . اما عادة قتل الاولاد من الاناث فور ولادتهن ، - وهي عادة واسعة الانتشار بين المتوحشين ، - فهي

مسألة اخرى . فمن جراء هذه العادة ، يظهر في كل قبيلة بمفردها فيض من الرجال تكون عاقبته الاولى ، بصورة لا لدحة عنها ، تشارك بضعة رجال في امتلاك زوجة واحدة ، اي شكل تعدد الأزواج . ومن هنا ، برأي مالك-لينان ، ينجم ان ام الولد كانت معروفة بينما كان ابوه غير معروف ، ولهذا لم يكن يجري حساب القرابة الا بموجب الخط النسائي ، لا بموجب الخط الرجالي وهذا ما كانه الحق الامي . اما الماقبة الثانية لنقص النساء داخل القبيلة - وهو نقص يخفف منه تعدد الأزواج ولكنه لا يزيله - فقد كانها خطف نساء القبائل الاخرى بالقوة باستمرار

وبما ان الزواج الخارجي وتعدد الأزواج يظهران بفعل السبب الواحد نفسه ، - اي عدم تساوي الجنسين عددياً - ، فانه ينبغي لنا ان نقر بان تعدد الأزواج كان موجوداً في البدء عند جميع العروق ذات الزواج الخارجي . ولهذا يجب ان نعتبر مما لا جدال فيه ان اول نظام للقرابة بين العروق ذات الزواج الخارجي كان ذلك النظام الذي لم يعرف علاقات الدم الا من جانب الامم (مالك-لينان ودراسات في التاريخ القديم ، ١٨٨٦ ، والزواج البدائي ، ص ١٢٤ )

ومائرة مالك-لينان انه اشار الى الاهمية الكبيرة لما اسماه هو بالزواج الخارجي والى انتشاره في كل مكان انه لم يكتشف على الاطلاق واقع وجود جماعات الزواج الخارجي ، وهو ، على كل حال ، لم يفهمه . وفضلا عن مختلف الملاحظات التي ادلى بها قبل ذلك كثيرون من المراقبين ، - وهم بالذات الذين كانوا مصادر مالك-لينان - وصف ليتام (والاتنولوجيا الوصفية ، عام ١٨٥٩ ) بصورة دقيقة وصحيحة هذه المؤسسة عند الماغار الهنود (١٠٥)

واعرب عن رأي مفاده ان هذه المؤسسة منتشرة في كل مكان وانها موجودة في جميع مناطق العالم ، - وهذا ما يستشهد به مالكليان نفسه ثم ان صاحبنا مورغان ذاته سبق له في عام ١٨٤٧ في رسائله عن الايروكوا ( المنشورة في «امريكان ريفيو» - «المجلة الامريكية» - "American Review" ) وفي عام ١٨٥١ في عمله «عصبة الايروكوا» ان قدم الدليل على وجود مؤسسة مماثلة عند هذه المجموعة من القبائل واعطى وصفا صحيحا عنها ، في حين ان عقل المحامي عند مالكليان ، كما سنرى ، قد ادخل هنا من التشوش اكثر بكثير مما ادخله الخيال الصوفي عند باهوفن في ميدان الحق الامي ومائة مالكليان الاخرى انه اعتبر نظام الاصل حسب الحق الامي هو الاول ، رغم انه اعترف بنفسه فيما بعد بان باهوفن قد سبقه في هذا الصدد . ولكننا نجد هنا ايضا بعض الغموض عنده ؛ فهو يتكلم على الدوام عن «القرباة حسب الخط النسائي وحده» (kinship through females only) ؛ يستخدم دائما هذا التعبير الصحيح بالنسبة لدرجات ابكر كذلك لدرجات لاحقة في سلم التطور ، عندما كان الاصل وحق الوراثة لا يزالان يحسبان بموجب الخط النسائي بوجه الحصر ، بينما كانت القرباة تُحدّد ويُعتَرَف بها بموجب الخط الرجالي ايضا . وهذه محدودية الحقوقي الذي يخلق لنفسه تعبيرا حقوقيا ثابتا ويواصل استعماله بشكل لا يتغير ويطبقه على ظروف لم بعد يصلح لتطبيقه عليها

ولكن نظرية مالكليان ، رغم كل متانتها ورسوخها ، بدت لصاحبها نفسه ، على ما يظهر ، غير معللة تحليليا كافيا . وهو ذاته ، على كل حال ، لفت الانتباه الى

وذلك الواقع الواسع الدلالة وهو ان الشكل الاوضح تعبيراً لخطف النساء (الظاهري) ومنتشر على وجه الدقة عند الشعوب التي «الأسود» بينها القرابة الرجالية» (اي الاصل حسب الخط الرجالي) (ص ١٤٠)

ثم قال :

ومن الغريب ان قتل الاولاد ، بقدر ما نعرف ، لا يمارس ابداً بدأب وانتظام حيث يوجد جنباً الى جنب الزواج الخارجي واقدم شكل للقرابة» (ص ١٤٦)

هذان الواقعان يتناقضان بكل جلاء مع طريقة تفسيره بالذات ، فلا يسهه ان يعارضهما الا بفرضيات جديدة ، اكثر غموضاً وتشوشاً .

ومع ذلك حظيت نظريته في بريطانيا بحار التحديد وواسع الصدى ؛ وكان الجميع هنا يعتبرونه مؤسس تاريخ العائلة والحجة الاولى في هذا الميدان . وان معارضته «قبائل» الزواج الخارجي «بقبائل» الزواج الداخلي قد بقيت ، رغم ثبوت بعض الاستثناءات والتفخيرات ، اساساً معترفاً به من الجميع للمفاهيم السائدة ، وتحولت الى غمامة حالت دون اي دراسة غير متحيزة للميدان المدروس ، وحالت بالتالي دون اي خطوة حازمة الى الامام وخلافاً لاستعظام مآثر مالـكـلينان في بريطانيا ، وكذلك في بلدان اخرى اقتداء ببريطانيا ، تجدر الاشارة الى انه ، بمعارضته «قبائل» ازواج الخارجي «بقبائل» الزواج الداخلي ، الناجمة من مجرد سوء فهم ، قد احدث من الضرر اكثر مما جلب من النفع بدراساته

ولكنه سرعان ما اخلت تتكشف اكثر فاكثر وقائع لا تتوضح في اطار نظريته الاثني الضيق . ذلك ان مالـكـلينان لم يعرف سوى



ثلاثة اشكال للزواج : تعدد الزوجات ، وتعدد الأزواج ، والزواج الاحادي . ولكن بما ان الانتباه قد وُجِهَ الى هذه الناحية ، فقد شرعوا يجدون اكثر فاكثر من الادلة على انه كانت توجد عند الشعوب المتخلفة اشكال للزواج كان بضعة رجال في ظلها يملكون بضع نساء بصورة مشتركة . وقد اقر ليبوك ( واصل الحضارة ) ، عام ١٨٧٠ ) بهذا الزواج الجماعي ( Communal marriage ) كواقع تاريخي .

وبعد ذلك ، اي في عام ١٨٧١ ، تقدم مورغان بمادة جديدة وفاصلة في كثير من النواحي . فقد اقتنع بان نظام القرابة الطريف السازي المفعول عند الايروكوا كان ملازماً لجميع السكان الاصليين في الولايات المتحدة وبانه كان بالتالي منتشراً في عموم القارة ، رغم انه كان يناقض مباشرة درجات القرابة ، التابعة عملياً من نظام الزواج المعمول به هناك . وقد دفع مورغان الحكومة الاتحادية الاميركية الى جمع المعلومات عن انظمة القرابة عند مختلف الشعوب حسب الجداول ومجموعة الاسئلة التي وضعها بنفسه ، فتبين له من الاجوبة : ١ - ان نظام القرابة المعمول به عند الهنود الحمر في اميركا موجود كذلك عند عدد كبير من القبائل في آسيا ، وبشكل مختلف نوعاً في افريقيا واورستاليا ؛ ٢ - ان هذا النظام يجد تفسيراً كاملاً له في ذلك الشكل من الزواج الجماعي ، الذي هو على وجه الدقة في طور الاضمحلال في جزر هاواي وفي الجزر الاسترالية الاخرى ؛ ٣ - انه يوجد مع ذلك ، الى جانب هذا الشكل من الزواج ، وفي الجزر نفسها ، نظام آخر للقرابة لا يمكن تفسيره الا بشكل اقدم للزواج الجماعي لم يبق له وجود في الوقت الحاضر وقد نشر مورغان المعلومات المجموعة مع استنتاجاته منها في مؤلفه « انظمة القرابة والنسب » ، الصادر في

عام ١٨٧١ ، وبذلك نقل النقاش الى مجال ارحب بما لا يقاس . وعلى اساس انظمة القرابة ، بعث ما يناسبها من اشكال العائلة ، وبذلك فتح طريقاً جديداً امام البحث ، ووفر امكانية النظر بمزيد من التعمق الى ما قبل تاريخ البشرية ان انتصار هذه الطريقة كان من شأنه ان يبدد تلفيقات ماركس لينان البديعة هباء ولهذا هب ماركس لينان الى الدفاع عن نظريته في الطبعة الثانية لمؤلفه «الزواج البدائي» (دراسات في التاريخ القديم) ، عام ١٨٧٦) . وهو يبني تاريخ العائلة بصورة مصطنعة الى اقصى حد ، معتمداً على الفرضيات وحسب ، ويتطلب في الوقت نفسه من ليبوك ومورغان لا البرهين على كل من اقوالهما وحسب ، بل ايضاً براهين دامغة قاطعة كالتى لا يقبل غيرها في المحكمة الاسكوتلندية . هكذا بالذات يسلك ذلك الرجل الذي يستند الى وجود صلة وثيقة بين اخ الام وابن الاخت عند الجرمان ( تاقيطس ، وجرمانيا ، الفصل ٢٠ ) والى حكاية قيصر القائلة ان لكل عشرة رجال لو اثني عشر رجلاً من قبائل السلت زوجات مشتركات والى حكايات الكتاب القدامى الاخرى عن شيوعية النساء عند البرابرة ، فيستنتج ، دون اي تردد ، ان تعدد الأزواج هو الذي كان سائداً عند جميع هذه الشعوب ! يخيل للمرء انه يسمع مدعياً عاماً مستعداً لأن يسمح لنفسه بالتصرف على هواه عند توجيه التهمة ، ولكنه يطالب جهة الدفاع بان تقدم برهاناً قاطعاً على كل كلمة له قوة البرهان القانوني .

ان الزواج الجماعي مجرد تلفيق . هكذا يقول ماركس لينان ، فيبدو بالتالي بعيداً وراء باهوفن . وبراي ماركس لينان ان نظام القرابة عند مورغان هو عبارة عن قواعد بسيطة للتهديب الاجتماعي ، وهذا ما يشبهه الواقع التالي وهو ان المنود الحمر

يخاطبون الغرباء ايضاً - اي البيس - بكلمة : اخ لو والد . وهذا يعني كما لو ان احداً يحاول ان يزعم ان اسماء الاب والام والاخ والاخت هي مجرد اشكال للمخاطبة لا تعني شيئاً ، لأن رجال الدين الكاثوليك ورئيسات الاديرة الكاثوليكية يسمونهم بالآباء والامهات ، ولأن الرهبان والراهبات وحتى الماسونيين واهضاء الجمعيات الحرفية البريطانية يخاطبون بعضهم بعضاً في الجلسات الاحتفالية بكلمتي : اخ واخت . وهكذا كان دفاع مارك-لينان في اقصى الضعف .

ولكنه بقيت هناك نقطة كان فيها منيعاً لا يطال . فان التضاد بين «قبائل» الزواج الخارجي و«قبائل» الزواج الداخلي ، الذي ارتكز عليه كل نظامه ، لم يتزعزع ، وليس هذا وحسب ، بل حتى انه اعتبر ايضاً في كل مكان حجر الزاوية في كل تاريخ العائلة . صحيح انهم قالوا ان التفسير الذي حاول مارك-لينان ان يعطيه من هذا التضاد غير مقنع كفاية ، وانه يناقض الوقائع التي اوردها بنفسه . ولكن هذا التضاد ذاته ، - اي وجود نوعين ينفي احدهما الآخر من قبائل منزلة ومستقلة كانت قبائل احد النوعين تأخذ لنفسها زوجات من داخل القبيلة ، بينما كان ذلك ممنوعاً منعاً باتاً على قبائل النوع الثاني ، - كان يعتبر بمثابة حقيقة انجيلية لا لدحض . قارن ، مثلاً ، جير-طولون ، «اصل العائلة» (١٨٧٤) وحتى ليبوك ، «اصل الحضارة» (الطبعة الرابعة ، ١٨٨٢) .

و ضد هذه النقطة ، وجه مورغان مؤلفه الرئيسي والمجتمع القديم» (١٨٧٧) ، - وهذا المؤلف اتخذناه اساساً لعملائنا هذا . فان ما حزره مورغان بغموض وحسب في عام ١٨٧١ ، معروض هنا الآن بوضوح تام . فان الزواج الخارجي والزواج الداخلي لا يشكلان ابداً تضاداً ؛ ووجود «قبائل» الزواج الخارجي لم يعط منه حتى الآن البرهان في اي مكان كان . ولكن عندما كان الزواج

الجماعي لا يزال سائداً ، - وهو ، على الأرجح ، قد ساد في كل مكان في وقت من الاوقات ، - كانت القبيلة منقسمة الى جملة من جماعات وعشائر مرتبطة بعضها ببعضها بقراءة الدم حسب خط الام ، والزواج في داخلها ممنوع منعاً باتاً ، ولذا كان الرجال من عشيرة معينة يستطيعون ان ياخلوا زوجات لهم من داخل القبيلة ، وكانوا على العموم يفعلون ذلك ، ولكنه كان يتعين عليهم ان يخلوهن من خارج عشيرتهم . وعليه ، اذا كانت العشيرة خاضعة تماماً لنظام الزواج الخارجي ، فان القبيلة التي تشمل مجمل العشائر كانت هي ايضاً خاضعة تماماً لنظام الزواج الداخلي . وهذا ما دحض نهائياً آخر بقية من تلفيقات مالـلينان المصطنعة .

بيد ان مورغان لم يكتف بهذا . فان عشيرة الهنود الحمر الامريكيين اعطته فيما بعد اساساً للقيام بالخطوة الحاسمة الثانية الى الامام في الميدان الذي يدرسه . ففي هذه العشيرة المنظمة حسب الحق الامي ، اكتشف الشكل الاولي الذي نشأت منه وتطورت فيما بعد العشيرة المنظمة حسب الحق الابوي ، - اي تلك العشيرة التي نجدها عند الشعوب المتحضرة في الزمن القديم . فان العشيرة اليونانية والرومانية التي كانت قبل ذلك لغزاً على جميع المؤرخين ، قد وجدت تفسيراً لها في عشيرة الهنود الحمر ، ووُجد بالتالي اساس جديد لكل التاريخ البدائي .

ان هذا الاكتشاف الجديد للعشيرة الاولية ، المرتكزة على الحق الامي ، بوصفها مرحلة سبقت العشيرة المرتكزة على الحق الابوي عند الشعوب المتحضرة ، يتسم بالنسبة للتاريخ البدائي بنفس القدر من الاهمية الذي تتسم به نظرية داروين حول النشوء والارتقاء بالنسبة للبيولوجيا والذي تتسم به نظرية ماركس حول القيمة الزائدة بالنسبة للاقتصاد السياسي . وقد اتاح هذا الاكتشاف

لمورغان ان يرسم للمرة الاولى لوحة من تاريخ العائلة كانت تحتوي ، بقدر ما سمحت المادة المعروفة حتى الآن ، الخطوط الكبرى لدرجات التطور ، المثبتة مسبقاً ، الكلاسيكية على الاقل وواضح لكل امرئ ان عهداً جديداً في دراسة التاريخ البدائي يفتح بذلك . فان العشرة المرتكزة على الحق الاممي اصبحت ذلك المحور الذي يدور حوله كل هذا العلم ؛ ومنذ اكتشافها ، صار مفهوماً في اي اتجاه يجب توجيه الدراسة وما تنبغي دراسته وكيف يتعين تصنيف النتائج الحاصلة وتبعاً لذلك ، يحرزون الآن النجاحات في هذا الميدان بصورة اسرع بكثير مما قبل صدور كتاب مورغان .

وفي بريطانيا ايضاً اعترف الان جميع مؤرخي المجتمع البدائي باكتشافات مورغان او ، بالاصح ، استاثروا بها . ولكننا لا نجد هند اي منهم تقريباً اعترافاً صريحاً بانهم مدينون لمورغان بالذات بهذه الثورة في النظرات . وفي بريطانيا يلزمون الصمت المطبق قدر الامكان حول كتابه ؛ ولكنهم يتخلصون منه بمجرد مديح متعال على اعماله السابقة ؛ وينقبون ببالغ الجهد في مختلف تفاصيل عرضه ، ولكنهم يلزمون الصمت بعناد حول اكتشافاته الكبيرة حقاً وفعلاً . لقد نفذت الطبعة الاولى من كتابه «المجتمع القديم» ؛ اما في اميركا ، فان امثال هذه الاشياء لا تجد ما يليق بها من التصريف ؛ وفي بريطانيا ، تجاهلوا على الدوام هذا الكتاب ، حسبما يبدو ؛ والطبعة الوحيدة التي لا تزال قيد البيع لهذا المؤلف الذي يشكل دهرأ ، هي ترجمة المانية .

فاين يكمن سبب هذا التحفظ الذي يصعب عدم استشفاف مؤامرة الصمت فيه ، خصوصاً اذا لم يغضب عن البال ما يبرقش مؤلفات خيرانا المعترف بهم في التاريخ البدائي من استشهادات

عديدة يوردونها بدافع اللطف والتهديب ومن ادلة اخرى على احترام الزملاء ؟ ألا يكمن في ان مورغان اميركي وانه من غير المستطاب ابدأ لمؤرخي المجتمع البدائي البريطانيين انهم ، رغم كل ما بذلوه من جهود تستحق كل تقدير من اجل جمع المواد ، قد اضطروا الى الاقتباس من اجنبيين عبقريين هما باهوفن ومورغان عندما تعلق الامر بالموضوعات الاساسية العامة الضرورية لأجل تصنيف وتبويب هذه المواد ، اي بايجاز ، عندما تعلق الامر بالافكار الضرورية لهم ؟ لقد كان من الممكن القبول بالالمانى ، اما بالاميركي ! فحيال الاميركي ، يصبح كل بريطاني وطنياً متحمساً ، ولقد رأيت في الولايات المتحدة امثلة مضحكة على ذلك (١٠٦) ناهيك بان مالك-لينان كان ، كما يقال ، معترفاً به رسمياً مؤسساً ورئيساً لمدرسة التاريخ البدائي البريطانية وفي هذا الميدان ، اصبح من المستحسن نوعاً التكلم فقط بأعظم الاجلال من بنائه التاريخي المصطنع ، الذي يؤدي من قتل الاولاد عبر تعدد الأزواج والزواج-الخطف الى العائلة المركزة على الحق الامنى ؛ وكانوا يعتبرون اقل شك في وجود «قبائل» الزواج الخارجي و«قبائل» الزواج الداخلي التي تنفي بعضها بعضاً بصورة مطلقة ، ضرباً من الهرطقة الواضحة ؛ وعلى هذا النحو ، اقترب مورغان ، بتبديده كالدخان جميع هذه العقائد المقدسة ، ضرباً من التدليس والتنجيس للقدسيات . ناهيك بانه بددها بحجج كان حسبه ان يدلي بها حتى تصبح على الفور جليلة للجميع ؛ وهكذا كان لا بدّ لمداحي مالك-لينان ، العاجزين حتى الآن من الخلاص من التناقض بين الزواج الخارجي والزواج الداخلي ، من ان يلطموا جباههم او يكاد ويهتفوا كيف امكنا ان نكون اغبياء الى حد اننا لم نكتشف هذا بانفسنا من زمان بعيد !

وإذا كانت حق هذه الجرائم غير كافية لكي تقف المدرسة الرسمية من مورغان موقفاً غير موقف الانصراف عنه ببرودة وجفاء ، فقد جعل الكاس يطفح بكونه لم يقتصر على التقاد الحضارة - اي مجتمع الانتاج البضاعي ، الشكل الاساسي لمجتمعنا المعاصر - انتقاداً يحمل على تذكر فوريه ، بل تحدث ايضاً عن التحولات المقبلة التي ستطرا على هذا المجتمع بتعاير كان من الممكن ان يلجا اليها كارل ماركس . ولهذا نال مورغان ما يستحقه عندما لاه ماركـلـينان بسخط على ونفوره التام من الطريقة التاريخية ، وعندما أكد البروفسور السيد جـيـرو-طولون من جنيف هذا اللوم في عام ١٨٨٤ ايضاً . مع انه سبق لهذا السيد جـيـرو-طولون نفسه ان ضل في عام ١٨٧٤ ( واصل العائلة ) ، عاجزاً ، ضعيفاً ، في متاهات الزواج الخارجى المالكـلـبـناني التي لم يخرجها منها الا مورغان !

ولا داعي الى البحث هنا في النجاحات الاخرى التي يدين بها التاريخ البدائي لمورغان ؛ فكل ما يلزم بهذا الصدد يمكن ايجاده في الاماكن المناسبة من كتابي . ثم ان السنوات الاربع عشرة التي تصرمت منذ صدور عمل مورغان الرئيسي ، قد اغنت كثيراً ما لدينا من مواد في تاريخ المجتمعات البشرية البدائية ؛ فالانثروبولوجيين والرحالة ومؤرخي المجتمع البدائي المحترفين انضم الحفويون الذين يهتمون بالحق المقارن والذين اعطوا جزئياً مادة جديدة وتقدموا جزئياً بوجهات نظر جديدة . وهذا ما ادى الى زعومة بعض من فرضيات مورغان وحق الى دحضها . ولكن المادة المجمومة حديثاً لم تؤد في اي مكان الى ضرورة الاستعاضة عن موضوعاته الجوهرية بموضوعات ما اخرى ان النظام الذي حمله الى التاريخ البدائي لا يزال حتى الان يحتفظ بقوته من

حيث خطوطه الكبرى . بل انه يمكن القول انه يظفر اكثر فاكثر بالاعتراف العام ، وذلك بنفس القدر الذي يحاولون به ان يخفوا انه هو واضح الحجر الاساسي لهذا التقدم العظيم .

ندن ، في ١٦ حزيران ( يوليو ) ١٨٩١

### فريدريك إنجلس

صدرت في مجلة "Die Neue Zeit" ( ودي نوييه زايته ) المجلد ٢ ، العدد ٤١ ، ١٨٩٠-١٨٩١ وفي كتاب : Friedrich Engels. „Der Ursprung der Familie, des Privateigentums und des Staats“, Stuttgart, 1891

تصدر حسب نص الكتاب بعد  
مقارنته بنص المجلة تمت  
الترجمة نقلا عن الالمانية

\* في طريق هودني من ليوبوروك ، في ايلول ( سبتمبر ) ١٨٨٨ ، التقيت بنائب سابق في الكونغرس من دائرة روتشستر الانتخابية ، كان يعرف لويس مورغان . ومع الأسف ، لم يستطع ان يحدثني عنه الا قليلا . كان مورغان يعيش في روتشستر كفرد عادي منصرفا الى عمله العلمي فقط . وكان اخوه كولويلا يخدم في وزارة الحرية في واشنطن ؛ وبمعمولة اخيه ، استطاع ان يثير اهتمام الحكومة بابحاثه وان يصدر بعض مؤلفاته باموال الدولة ؛ ثم ان محدثي ، كما قال لي ، سمى هو ايضا غير مرة من اجله عندما كان نائبا في الكونغرس .



## اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة

لمناسبة ابحاث لويس هنرى مورغان

١

### اطوار الحضارة ما قبل التاريخ

كان مورغان اول من حاول ، عن علم ومعرفة بالامر ، ان يدخل على ما قبل تاريخ البشرية نظاما معيناً ؛ وما دام اتساع المادة الكبير لا يجبر على ادخال تعديلات ، فان التقسيم المرحلي الذي اقترحه سيبقى ، بلا ريب ، ساري المفعول .

وغني عن البيان ان ما يشغل باله من العهود الرئيسية الثلاثة - الوحشية ، والبربرية ، والحضارة - انما هما فقط الاولان والانتقال الى الثالث . وهو يقسم كلاً من هذين العهدين الى درجة دنيا ومتوسطة وعليا وفقاً للتقدم في انتاج وسائل العيش ، وذلك ، كما يقول ، لأن

وللمهارة في هذا الانتاج الاهمية الفاصلة بالنسبة لدرجة تفوق وسيطرة البشر على الطبيعة ؛ فبين جميع الكائنات الحية ، كان الانسان وحده هو الذي افلح في احراز سيطرة غير محدودة تقريباً على انتاج المواد الغذائية ان جميع العهود الكبرى في التقدم البشري تصادف الى هذا الحد او ذاك عهود توسع مصادر العيش . \*

\* راجع كذلك «ارليف ماركس والجلس» ، الطبعة الروسية ، المجلد ٩ ، ص ٤ . الناشر .

والى جانب ذلك ، يجري تطور العائلة ، ولكنه لا يعطي مثل هذه العلامات المميزة لأجل الفصل بين المراحل

## ١ - الموحشية

١ - **الطور الأدنى** . طفولة النوع البشري كان الناس لا يزالون بعد في اماكن اقامتهم الاولى ، في الغابات الاستوائية او شبه الاستوائية . كانوا يعيشون ، على الاقل جزئياً ، على الاشجار ؛ وبهذا وحده يمكن تفسير بقائهم بين وحوش كاسرة كبيرة . وكانت الثمار والجوز والجذور غذاءهم . والانجاز الرئيسي في هذه المرحلة هو نشوء النطق . ومن بين جميع الشعوب التي اصبحت معروفة في المرحلة التاريخية ، لم يبق اي منها في هذه الحالة البدائية ورغم ان هذه الحالة استمرت ، اغلب الظن ، الالاف والالاف من السنين ، الا اننا لا نستطيع ان نثبت وجودها بادلة مباشرة ؛ ولكننا اذ نعرف بنشوء الانسان من مملكة الحيوان ، لا بد لنا ان نفترض ونقبل هذه الحالة الانتقالية

٢ - **الطور المتوسط** . يبدأ باستعمال الغذاء السمكي ( وفي عداده تصنف كذلك السراطين والرخويات وسائر الحيوانات المائية ) وباستعمال النار . وهذا وذلك مترابطان ، لأن الغذاء السمكي لا يصبح صالحاً تماماً للاستهلاك الا بفضل النار ولكن البشر اصبحوا ، بفضل هذا الغذاء الجديد ، مستقلين عن المناخ والمكان ؛ وبالسير مع تيار الأنهر وعلى سواحل البحار كان في وسعهم ان ينتشروا حتى في الحالة الوحشية على القسم الاكبر من سطح الارض . فان الأدوات الحجرية غير المصقولة ، المشغولة بفظاظه ، من العصر الحجري الباكر ، المسماة بالادوات الباليوليتية palaeolithos

( ادوات العصر الحجري القديم ) والتي تعود بكليتها او باغلبها الى هذه المرحلة ، منتشرة في جميع القارات ، وهي دليل بليغ على هذه التنقلات ان الاقامة في اماكن جديدة ، والسعي النشط الدائم الى البحث والتفتيش ، بالاضافة الى امتلاك النار عن طريق الحك ، كل هذا اوجد وسائل جديدة للتغذية ، هي الجدرينات والدريبات التي تحتوي على النشاء ، والمشوية في الرماد الحار او في الحفر الفرية ( الافران المحفورة في الارض ) ، وكذلك الطريدة التي اصبحت ، بفضل اختراع الاسلحة الاولى ، الهراوات والرماح ، غذاء اضافياً يمكن الحصول عليه حسب الصدق ، بين الفينة والفينة . ولم توجد قط شعوب صيادة بوجه الحصر ، كما توصف في الكتب ، اي شعوب تعيش من الصيد فقط . فلم يكن من الممكن او يكاد التعويل على حاصل الصيد لأجل العيش . ونظراً لاستحالة تأمين موارد دائمة للتغذية ظهر في هذا الطور ، اغلب الظن ، اكل البشر ، واستمر مذ ذاك زمناً طويلاً وان الاوستراليين وكثيرين من البوليسيزيين لا يزالون اليوم ايضاً في هذا الطور المتوسط من الوحشية .

٣- الطور الاعلى . يبدأ مع اختراع القوس والسهم ، اللذين بفضلهما غدت الطريدة طعاماً دائماً ، والصيد احد فروع العمل العادية . واخذ القوس والوتر والسهم تشكل الآن اداة معقدة جداً يفترض اختراعها خبرة مكدسة زمناً طويلاً وكفاءات فكرية اكثر تطوراً ، وتفترض بالتالي الاطلاع في الوقت نفسه على كثرة من الاختراعات الاخرى وعندما نقارن بين الشعوب التي صارت تعرف القوس والسهم ، ولكنها لم تعرف بعد الفن الفخارى ( ويعتبره مورغان بداية الانتقال الى البربرية ) ، نجد بالفعل بعض العلامات الاولى للسكن في القرى ، ودرجة معينة لامتلاك ناصية انتاج وسائل

العيش الآتية واللوازم المنزلية الخشبية ، والحياسة اليدوية ( بدون اداة حياكة ) من الياق الشجر ، والسلال من الألياف اللبية او من القصب ، والادوات الحجرية المصقولة ( النيوليتية - من العصر الحجري الحديث neolithos ) كذلك اخذت النار والفاس الحجرية تتيحان عادة صنع الزوارق من شجرات كاملة ، كما اخذتا تتيحان في بعض الانحاء اعدادا جلوج مشدبة والواح لأجل بناء المساكن ونحن نجد جميع هذه المنجزات ، مثلا ، عند الهنود الحمر في شمال غربي اميركا الذين كانوا يعرفون القوس والسهم ولكنهم كانوا يجهلون صنع الفخار . ان القوس والسهم قد كانا بالنسبة لعهد الوحشية نفس ما اصبحه السيف الحديدي بالنسبة لعهد البربرية ، والسلاح الناري بالنسبة لعهد الحضارة ، - اي السلاح الحاسم

## ٢ - البربرية

١ - الطور الأدنى . يبدأ مع ظهور الفن الفخاري . وفي الوسع تقديم البرهان على انه مدين بظهوره ، في كثر من الحالات ، واغلب الظن ، في كل مكان ، لطلي الآتية المجدولة او الخشبية بالطين بنية جعلها قابلة لمقاومة الحرارة . وسرعان ما وحدوا ان الطين المقولب يؤدي الغرض نفسه دون حاجة الى اناء داخلي حتى الآن ، استطعنا ان ننظر في سير التطور بوصفه سيرا ذا طابع شامل تماما ، ساري المفعول في مرحلة معينة بالنسبة لجميع الشعوب ، بصرف النظر عن مكان اقامتها . ولكننا مع حلول عهد البربرية ، وصلنا الى درجة يكتسب فيها الفرق بين الاحوال الطبيعية في القارتين الكبيرتين شائنا ووزنا . وفي مرحلة البربرية

يشكل تدجين الحيوانات وتربيتها وتربية النباتات عنصراً مميزاً موصوفاً . وكانت القارة الشرقية ، اي ما يسمى بالعالم القديم ، تملك تقريباً جميع الحيوانات التي يمكن تدجينها وجميع اصناف الحبوب الصالحة للتربية باستثناء صنف واحد ؛ اما القارة الغربية ، اي امريكا ، فكانت تملك من بين جميع الحيوانات الثديية القابلة للتدجين ، اللاما فقط ، وفي قسم واحد فقط من الجنوب ، ومن بين جميع الحبوب الزراعية ، صنفاً واحداً فقط ولكنه افضلها هو الذرة . وبسبب من هذا الفرق في الاحوال الطبيعية ، اخذ سكان كل من نصفي الكرة الارضية يتطورون منذ ذلك بسيلهم الخاص ، واخذت علامات الحدود بين مختلف درجات التطور تختلف في صف من الكرة الارضية عما في نصفها الآخر .

٢- الطور المتوسط . يبدأ في الشرق بتدجين الحيوانات البيتية ، وفي الغرب بتربية النباتات الصالحة للأكل بواسطة الري وباستعمال «الأدب» ( الأجر الطري المجفف في الشمس ) والحجارة لأجل البناء

ونبدأ بالغرب لأن الناس هنا لم يتجاوزوا هذه الدرجة في اي مكان ما قبل استيلاء الاوروبيين على امريكا فان الهنود الحمر الذين كانوا في الطور الأدنى من البربرية (واليهم ينقسم جميع من كانوا يعيشون شرقي نهر الميسيسيبي ) ، كانوا يعرفون ، قبيل زمن اكتشافهم ، وسيلة لتربية الذرة في المياض ، وكذلك ، اغلب الظن ، لتربية القرع والشمام وغيرهما من النباتات البقلية التي كانت تشكل جزءاً كبيراً جداً من غذائهم ؛ وكانوا يعيشون في بيوت خشبية وفي قرى مسيجة بالاوئاد وكانت القبائل الشمالية الغربية ولا سيما منها الساكنة في حوض نهر كولومبيا ، لا تزال بعد في الطور الأعلى من الوحشية ولم تكن

تعرف لا الفن الفخاري ولا اي طريقة لتربية النباتات . اما الهنود الحمر ، الذين ينتسبون الى ما يسمى البويبلو في المكسيك الجديدة (١٠٧) ، والمكسيكيون وسكان اميركا الوسطى وسكان البيرو ، فقد كانوا ، على العكس ، قبيل زمن فتح اميركا ، في الدرجة المتوسطة من البربرية : كانوا يعيشون في بيوت من «الأدوب» او الحجارة تشبه الحصون ، ويرون في احواض مروية الذرة ولباتات اخرى صالحة للأكل ، تختلف حسب اختلاف المكان والمناخ ، وتشكل موارد غذائهم الرئيسية ، بل انهم كانوا قد دجنوا بعض الحيوانات : فالمكسيكيون دجنوا الديوك الهندية وغيرها من الطيور ، وسكان البيرو اللاما . فضلا عن ذلك كانوا يعرفون معالجة المعادن ، باستثناء الحديد ، ولهذا كانوا لا يزالون غير قادرين على الاستغناء عن الاسلحة والادوات الحجرية . وجاء الفتح الاسباني يقطع حبل تطورهم المستقل .

اما في الشرق ، فقد بدأ الطور المتوسط من البربرية بتدجين الحيوانات التي تعطي الحليب واللحم ، في حين ان تربية النباتات ظلت هنا ، على ما يبدو ، زمتا طويلا جدا غير معروفة في سياق هذه المرحلة . ويبدو ان تدجين الماشية وتربيتها وتشكيل قطعان كبيرة منها كانت سبب تميز الآريين والساميين عن سواد البرابرة ثم ان اسماء الحيوانات البيتية كانت مشتركة عامة عند الآريين الاوروبيين والاسيويين ؛ اما النباتات الزراعية فلم تكن لها اسماء مشتركة تقريبا .

ادى تشكيل القطعان الى حياة الرعي في الاماكن الصالحة لهذا الغرض عند الساميين في السهوب المعشبة طول نهري الفرات ودجلة ، وعند الآريين في الاودية المعشبة في الهند وكذلك طول النهر اوكموس وياكسارت (١٠٨) والدون والديبير . ويبدو ان

تدجين الحيوانات قد تحقق للمرة الاولى على حدود مثل هذه المناطق الصالحة للرعي . ولهذا خيّل للاجيال اللاحقة ان شعوب الرعاة نشأت في انحاء لم يكن من الممكن بالفعل ان تكون مهد البشرية ، وليس هذا وحسب ، بل كانت على العكس غير صالحة تقريبا للعيش بالنسبة لاجدادها المتوحشين وحتى بالنسبة للناس الذين بلغوا الطور الأدنى من البربرية . ولكن الحال بالعكس . فان هؤلاء البرابرة الذين بلغوا الطور المتوسط ، بعد ان اعتادوا حياة الرعي ، لم يكن من الممكن اطلاقا ان يخطر في بالهم العودة بملء اختيارهم من الودية النهرية المعشبة الى المناطق الغابية التي كان يسكنها اجدادهم . وحتى عندما أقصي الساميون والآريون الى ابعد باتجاه الشمال والغرب ، لم يكن بوسعهم بلوغ الانحاء الغابية في اوروبا وفي آسيا الغربية قبل ان توفر لهم تربية الحبوب امكانية اطعام ماشيتهم ، ولا سيما في الشتاء ، في هذه التربة التي هي اقل ملاءمة . ومن المؤكد تقريبا ان تربية الحبوب انما استدعتها هنا قبل كل شيء الحاجة الى العلف من اجل الماشية ولم تصبح مصدراً هاماً لغذاء الناس الا فيما بعد .

والى غذاء الآريين والساميين الوفير من اللحم والالبان ، ولا سيما الى تأثيره الملائم في نمو الاطفال ، يجب ، اغلب الظن ، ان نعيد نمو هذين العرقين بمزيد من النجاح . فانا نجد بالفعل ان الدماغ عند الهنود الحمر البويبلو في المكسيك الجديدة المضطرب الى الاغتذاء بالماكولات النباتية وحدها تقريبا هو اقل مما عند الهنود الحمر الذين بلغوا الطور الأدنى من البربرية والذين يقتاتون اكثر ما يقتاتون باللحم والسّمك . وعلى كل حال ، يزول تدريجياً اكل البشر في الطور الثاني من البربرية ولا يبقى الا بوصفه طقساً دينياً او بوصفه طقساً سحرياً - والامران سيان تقريبا هنا .

٢- **الطور الأعلى** ، يبدأ بصهر فلز الحديد وينتقل الى عهد الحضارة نتيجة لاختراع الكتابة الحرفية ولاستعمالها لاجل تسجيل الابداع الكلامي ان هذا الطور الذي لم يجر بصورة مستقلة الا في النصف الشرقي من الكرة الارضية ، كما قيل اعلاه ، هو اغنى بالنجاحات في ميدان الانتاج من جميع الاطوار السابقة مأخوذة معا . واليه ينتسب اليونانيون من العهد البطولي ، والقبائل الايطالية من قبل تاسيس روما بفترة قصيرة ، وجرمان تاليطس ، والنورمنديون من زمن الفيكينغ (١٠٩)

وقبل كل شيء ، نجد هنا للمرة الاولى المحراث ذا السكة الحديدية والمائية البيتية كقوة للجر ، وبفضل هذا ، اصبح من الممكن ممارسة الاهمال الزراعية على نطاق كبير ، اصبح من الممكن حراثة الحقول ، وغدا من الممكن في الوقت نفسه زيادة الاحتياطات من المؤن الغذائية زيادة غير محدودة عمليا في احوال ذلك الزمن ؛ ثم استئصال الغابات وتحويلها الى اراض محروثة ومروج ، الامر الذي كان يستحيل القيام به على مدى واسع بدون الفاس الحديدية والرفش الحديدي وفي الوقت نفسه ، اخذ عدد السكان كذلك ينمو بسرعة ، ويؤداد كثافة في مساحات غير كبيرة . وقبل ظهور حراثة الحقول ، كان لا بد ان تتجمع ظروف استثنائية تماما لكي يستطيع نصف مليون من الناس ان يتحدوا تحت قيادة مركزية واحدة ؛ الا ان هذا ، اغلب الظن ، لم يحدث البتة

ان ذروة ازدهار الطور الاعلى من البربرية تتكشف امامنا في قصائد هوميروس ، ولا سيما في «الايادة» الادوات الحديدية المتقنة ومنفاخ الحدادة ، والطاحونة اليدوية ، ودولاب الفاخوري ، وصنع الزيت والنبيل ، وفصل المعادن المتطور وبسبيل التحول الى



حرفة فنية ، العربية البضاعية والعربية القتالية ، وبناء السفن من الجذوع والالواح الخشبية ، وبداية المعمار بوصفه فنا ، والمدن المحاطة بأسور مسننة وابراج ، والملحمة الهوميرية ، والميثولوجيا كلها ، - ذلك هو التراث الرئيسي الذي نقله اليونانيون من البربرية الى الحضارة . واذا اجرينا مقارنة بين هذا وبين الوصف الذي اعطاه قيصر وحق تاقيطس عن الجرمان الذين كانوا في بداية طور الثقافة الذي كان يستعد اليونانيون الهوميريون للانتقال منه الى درجة اعلى ، لرأينا اي غنى من المنجزات في حقل تطور الانتاج يشملها الطور الاعلى من البربرية .

ان اللوحة التي رسمتها هنا ، استناداً الى مورغان ، عن تطور البشرية عبر عهد الوحشية وعهد البربرية الى منابع الحضارة ، غنية كفاية بخطوط جديدة ناهيك بانه لا جدال فيها ، لأنها مأخوذة مباشرة من الانتاج . ومع ذلك تبدو هذه اللوحة شاحبة وحقيرة بالقياس الى اللوحة التي تتكشف امام انظارنا في آخر مطافنا ؛ وعند ذلك فقط سيكون بالمستطاع توضيح الانتقال

من البربرية الى الحضارة والتضاد المدهش بينهما توضيحاً تاماً اما الآن ، ففي وسعنا ان نعمم كما يلي تقسيم مورغان للمراحل : الوحشية ، المرحلة التي يهيمن فيها امتلاك المنتوجات الطبيعية الجاهزة ، المنتوجات التي يصنعها الانسان تشكل اساساً ادوات تساعد في هذا الامتلاك البربرية ، مرحلة بداية تربية الماشية والزراعة ، مرحلة تحصيل الطرائق لزيادة المنافع المنتوجات الطبيعية بفضل النشاط البشري . الحضارة ، مرحلة استمر فيها تعلم معالجة المنتوجات الطبيعية ، مرحلة الصناعة بالادوات ومرحلة الفن .

## العائلة

ان مورغان الذي امضى القسم الاكبر من حياته بين الايروكوا الذين لا يزالون يعيشون اليوم في ولاية نيويورك ، والذي تبنته احدى قبائلهم ( قبيلة سينيكا ) ، قد اكتشف عندهم نظاماً للقرابة يتناقض مع علاقاتهم العائلية الفعلية فقد كان يسود عندهم ذلك الزواج الاحادي ، الذي يسهل على كل من الطرفين المعنيين حله ، والذي يسميه مورغان « بالعائلة الثنائية » ولهذا كانت ذرية هذين الزوجين معروفة ومعترف بها من الجميع : فلم يكن الممكن ان يقوم اى شك فيما يتعلق بالاشخاص الذين ينبغي اطلاق اسماء الاب والام والابن والابنة والاخ والاخت عليهم . ولكن استعمال هذه التعابير في الواقع يناقض هذا الامر . فان الايروكوي لا يسمي اولاده بالذات وحسب بابنائهم وبناته ، بل ايضاً اولاد اخوته ، وهؤلاء يسمونه بوالدهم اما اولاد اخواته ، فيسميهم بابناء وبنات اخواته ، وهؤلاء يسمونه بخالهم وعلى العكس ، تسمي الايروكوية اولاد اخواتها ، مثل اولادها بالذات ، بابنائها وبناتها ؛ واولاد اخواتها يسمونها بامهم اما اولاد اخوتها ، فتسميهم بابناء وبنات اخوتها ، وتسمى هي عمه . واولاد الاخوة يسمون بعضهم بعضاً بالاخوة والاخوات ، شأنهم شأن اولاد الاخوات . وعلى العكس ، يسمي اولاد المرأة واولاد اخيها بعضهم بعضاً « بالاخوة والاخوات من المرتبة الثانية » ( اي بابناء وبنات الخال والعمة ) وليست هذه مجرد اسماء لا معنى لها ولا اهمية ، بل تعابير عن النظرات القائمة فعلا الى القرابة والبعده ، والى المساواة وعدم المساواة في قرابة الدم ؛ وهذه النظرات تشكل

اساس نظام للقرابة موضوع بصورة كاملة ، وبوصفه ان يعكس  
 بضع مئات من مختلف علاقات القربى لدى فرد واحد . فضلا  
 من ذلك ، لا يسري مفعول هذا النظام كليا عند جميع الهنود  
 الحمر الاميركيين وحسب (وحى الآن لم يظهر اي استثناء له )  
 بل يسود ايضا بدون تمييز تقريبا عند اقدم سكان الهند ، اي  
 عند قبائل «ديكان» الدرافيدية وقبائل غاوورا (١١٠) في  
 هندوستان ان اسماء القرابة عند قبائل «تاميل» في الهند  
 الجنوبية وعند الايروكوا من قبيلة سينيكا في ولاية نيويورك  
 لا تزال حتى الآن متماثلة فيما يتعلق باكثر من مائتين من مختلف  
 علاقات القرابة . وعلاقات القرابة ، الناجمة من شكل العائلة القائم ،  
 تناقض كذلك نظام القرابة سواء عند هذه القبائل الهندية ام عند  
 جميع الهنود الحمر الاميركيين

كيف نفسّر هذا ؟ نظراً للدور الحاسم الذي تضطلع به  
 القرابة في النظام الاجتماعي عند جميع الشعوب المتوحشة  
 والبربرية ، لا يمكن بمجرد الجمل ازالة اهمية هذا النظام المنتشر  
 هذا الانتشار الواسع وان نظاما يسود في كل مكان من اميركا  
 ويوجد كذلك في آسيا عند شعوب من عرق آخر تماما ، ويقوم  
 بكثرة باشكال معدلة الى هذا الحد او ذاك في كل مكان من افريقيا  
 واستراليا ، ان نظاما كهذا يتطلب تفسيرا تاريخيا ، ولا يمكن  
 التهرب منه بالكلمات ، كما حاول ان يفعل ذلك ، مثلا ،  
 مالفيلينان ان اسماء الاب والولد والاخ والاخت ، ليست مجرد  
 القاب فخرية ، بل تستتبع واجبات متبادلة معددة تماما ، وجدية  
 جدا ، يشكل مجموعها قسما جوهريا من النظام الاجتماعي عند  
 هذه الشعوب وقد وجد التفسير ففى جزر السندويتشى  
 (هاواي) ، كان لا يزال يوجد في النصف الاول من القرن الحالي ،

القرون التاسع عشر ، شكل للعائلة يقوم فيه آباء وامهات واخوة واخوات وابناء وبنات واخوال وخالات واعمام وعمات وابناء وبنات اخ او اخت كالذين يقتضيهم نظام القرابة في اميركا وفي الهند القديمة . ولكن ، يا للفرابة ! فان نظام القرابة الساري المفعول في جزر هاواي لم يكن يتطابق هو ايضا مع شكل العائلة الموجود هناك فضلا فالواقع ان جميع اولاد الاخوة والاخوات بلا استثناء يعتبرون هناك اخوة واخوات واولاداً مشتركين لا لامهم واخواتها وحسب او لوالدهم واخوته ، بل ايضا لجميع اخوة واخوات والديهم بلا تمييز . ولذا ، اذا كان نظام القرابة الاميركي يفترض شكلا للعائلة اكثر بدائية لم يعد له وجود في اميركا ولا نزال نجده بالفعل في جزر هاواي ، فان نظام القرابة الهاواي يشير ، من جهة اخرى ، الى شكل للعائلة اقدم عهداً من ذلك ، لم يعد بامكاننا في الوقت الحاضر ، والحق يقال ، ان نجده في اي مكان ، ولكنه كان من كل يد موجوداً والا لما كان من الممكن ان يتشا نظام القرابة المناسب .

يقول مورغان :

وان العائلة عنصر نشيط : فعال فهي لا تبقى ابدأ كما هي عليه بدون اي تغيير ، بل تنتقل من شكل ادنى الى شكل اعلى بقدر ما يتطور المجتمع من درجة دنيا الى درجة عليا اما انظمة القرابة ، فهي ، على العكس ، خاملة ، غير نشيطة وهي لا تسجل ، الا بعد مرور حقبات طويلة من الزمن ، ذلك التقدم الذي تحققه العائلة في خلال هذه الحقبات ، ولا تطرا عليها اي تغيرات جذرية الا عندما تكون العائلة قد تغيرت بصورة جذرية .

ويضيف ماركس قائلا وكذلك هي الحال بالضبط فيما يتعلق بالانظمة السياسية والحقوقية والدينية والفلسفية على العموم . . . فبينما العائلة تواصل تطورها ، يتحجر نظام القرابة ؛ وبينما هذا الأخير يظل قائما بحكم العادة ، تتجاوز العائلة حدوده . ولكن بنفس اليقين الذي استطاع كوفيه ان يستنتج به من نظام جرابية الشكل لهيكل حيوان وجدها في ضواحي باريس بان هذا الهيكل هو هيكل حيوان جرابي وبانه كانت تعيش هناك فيما مضى حيوانات جرابية انقرضت بعد ذلك ، - بنفس هذا اليقين نستطيع نحن ان نستنتج من نظام القرابة الذي وصل الينا عبر التاريخ ، انه كان يوجد شكل للعائلة زال اليوم من الوجود وكان مناسباً له . ان انظمة القرابة واشكال العائلة ، التي ذكرناها آنفاً ، تختلف عن الانظمة والاشكال السائدة حالياً بوجود عدة ابناء وامهات للولد الواحد . فبموجب نظام القرابة الاميركي الذي تناسه العائلة الهاوايية ، لا يمكن للاخ والاخت ان يكونا والد وام الولد نفسه . ولكن نظام القرابة الهاواي يفترض عائلة كان فيها ذلك ، بالعكس ، هو القاعدة . وهنا نواجه جملة من اشكال العائلة تناقض مباشرة الاشكال التي كانت تعتبر عادة حتى الآن الاشكال الوحيدة ان المفهوم التقليدي لا يعرف غير الزواج الاحادي ، والى جانبه تعدد زوجات الرجل ، وبالإضافة اليه عند اللزوم ، تعدد ازواج المرأة ، ولكنه ، فضلا عن ذلك ، يلزم الصمت ، كما يليق بالتأفة الضيق الافق الواعظ ، حول ان الممارسة تتعدى الحدود التي رسمها المجتمع الرسمي ، وتعداها خلصة ، ولكن بدون تكلف وعلى

\* راجع وارثيف ماركس والجلس ، الطبعة الروسية ، المجلد ٩ ، ص ٢١ . التاريخ .

العكس ، تبين لنا دراسة التاريخ البدائي ظروفًا يعيش فيها الرجال في حالة تعدد الزوجات وتعيش فيها زوجاتهم في الوقت نفسه في حالة تعدد الأزواج ، ويعتبر فيها ، لهذا السبب ، اولاد هؤلاء واولئك اولاداً مشتركين لهم جميعهم ، ظروفًا طرأت عليها بدورها سلسلة كاملة من التغيرات قبل ان تندمج نهائياً في الزواج الاحادي وهذه التغيرات هي على نحو بحيث ان الحلقة التي نضمها عرى الزواج المشتركة ، والتي كانت في البدء واسعة جداً ، اخذت تنقلص اكثر فاكثر الى حد انه لم يبق ، في آخر المطاف ، غير الزوج المتميز الذي يهيمن في الوقت الحاضر .

ان مورغان ، وقد بحث على هذا النحو تاريخ العائلة بتسلسل معكوس ، يخلص الى القول ، بالاتفاق مع غالبية زملائه ، بانه كان يوجد وضع بدائي كانت فيه العلاقات الجنسية غير المحدودة تصود داخل القبيلة بحيث ان كل امرأة كانت تخص كل رجل وبحيث ان كل رجل كان يخص كل امرأة . ومنذ القرن الماضي ، اخلوا يتحدثون عن هذا الوضع البدائي ، ولكنهم كانوا يكتفون بالجمل والتعابير العامة ؛ الا ان باهوفن - وهنا تقوم احدي مآثره الكبيرة - نظر الى هذه المسألة نظرة جدية وشرح يبحث عن آثار هذا الوضع في الحكايات التاريخية والدينية ونحن نعرف الآن ان هذه الآثار التي وجدها لا تعود بنا البتة الى طور اجتماعي من علاقات جنسية غير منظمة ، بل الى شكل ظهر بعد ذلك بوقت كبير ، الى الزواج الجماعي . اما الطور الاجتماعي البدائي المنوه به هنا ، - هذا اذا كان قد وجد فعلاً - فانه يعود الى عهد بعيد هنا الى حد انه يستحيل علينا تقريباً ان نأمل باننا سنجد بين الدفائن الاجتماعية ، وبين المتوحشين المتخلفين ، براهين مباشرة على

وجوده فيما مضى . ومأثرة باهوفن تتلخص على وجه الضبط في كونه طرح بحث هذه المسألة في المرتبة الاولى . .  
 وفي الآونة الاخيرة ، اصبح من الدارج انكار هذا الطور الاولي من حياة الناس الجنسية فالمقصود انقاذ البشرية من هذا «العار» . ولهذا الفرض ، لا يستشهدون بعدم وجود اي برهان مباشر وحسب ، بل يركزون ايضا بوجه خاص على مثال بقية العالم الحيواني ؛ وفي هذا الميدان ، جمع ليتورنو (وتطور الزواج والعائلة ، ١٨٨٨ ) وقائع كثيرة تبين ان العلاقات الجنسية غير المنظمة اطلاقا تلازم ، هنا ايضا ، درجة دنيا من التطور . ولكن كل ما استطيع استخلاصه من هذه الوقائع ، هو انها لا تحت اي شيء على الاطلاق فيما يخص الانسان وظروف حياته البدائية .  
 فان المساكنة الزوجية الطويلة الامد عند الفقاريات تفسرها بصورة كافية الاسباب الفيزيولوجية : فعند الطيور ، مثلا ، تفسرها حاجة الانثى الى المساعدة والحماية في مرحلة حضانة البيض والافراخ ؛

• لقد بين باهوفن ، بتسميته هذا الوضع البدائي «بالهيتيرية» انه قلما فهم ما اكتشفه هو نفسه ، او بالاصح ، ما عسره فان اليونانيين كانوا يقصدون «بالهيتيرية» عندما استنبطوا هذا التعبير ، العلاقات بين الرجال ، العازبون منهم والعائشون في زواج احادي ، وبين نساء غير متزوجات ؛ ان هذا التعبير يفترض دائما وجود شكل معين للزواج تقوم خارجه العلاقات المنوه بها ، ويفترض وجود البقاء ، على الاقل بوصفه امرا ممكنا ثم ان هذا التعبير لم يستعمل ابدأ بمعنى آخر ، وبهذا المعنى استعمله انا ويستعمله مورغان ان باهوفن قد اضفى على اكتشافاته الفائقة الاهمية هالة من الصوفية جعلتها غير معقولة لانه يتصور بان مصدر العلاقات التي نشأت بين الرجل والمرأة خلال التاريخ انما كانته على الدوام تصورات الناس الدينية ، وليس ظروف حياتهم الفعلية .

وان امثلة على متانة احادية الزواج عند الطيور لا تثبت شيئا فيما يتعلق بالناس لان الناس لا يتحدرون من الطيور . واذا كانت احادية الزواج الصرف ذروة كل فضيلة ، فان قصب السبق في هذا المجال يعود عن حق واستحقاق الى الدودة الشريطية التي يوجد في كل من عقدها لو مفاصلها ٥٠٠ الى ٢٠٠٠ ، جهاز تناسلي كامل للذكر والانثى ، والتي تقضي حياتها كلها في مضاجعة نفسها بنفسها في كل من عقدها هذه . اما اذا اقتصرنا على الضريعات ، فاننا نجد عندها جميع اشكال الحياة الجنسية العلاقات غير المنظمة ، واشكالا مماثلة للزواج الجماعي ، وتعدد الزوجات ، والزواج الاحادي ؛ ولا ينقص غير تعدد الأزواج ، الذي لم يستطع ان يبلغه غير البشر . وحتى عند اقرب اقربائنا القروود ، يظهر جمع الذكور والاناث بجميع الاشكال الممكنة ؛ واذا اخذنا نطاقا اضيق ، واذا لم نأخذ بالحسبان غير الانواع الاربعة من القروود الشبيهة بالانسان ، فان كل ما يستطيع ليتورنو ان يقوله لنا في هذا الصدد ، هو اننا نجد عندها احادية الزواج تارة وطورا تعدد الزوجات ، في حين ان سوسور يؤكد ، بالاستناد الى جيمر- طولون ، انها احادية الزواج . ثم ان تأكيدات فسترمارك الحديثة (تاريخ الزواج البشري) ، لندن ، ١٨٩١ ) حول احادية الزواج عند القروود الشبيهة بالانسان هي ايضا ابعد من ان تشكل برهانا وبكلمة ، ان المعطيات المتوفرة لعلى نحو بان الفاضل والنزيه ليتورنو يعترف بانه :

ولا توجد ابدأ ، مع ذلك ، عند الضريعات ، مطابقة دقيقة بين درجة التطور العقلي وشكل العلاقات الجنسية .

اما ايسبيناس (وفي المجتمعات الحيوانية) ، ١٨٧٧) فيقول

صراحة :



والقطيع هو اعلى جماعة اجتماعية يمكننا ان نراقبها عند الحيوانات .  
وهي تتالف ، على ما يبدو ، من عائلات ، ولكن العائلة والقطيع في تناحر  
منذ بادى بدء ، وكل منهما يتطور باتجاه معاكس لتطور الآخر ،

وهكذا ، كما يتبين مما قيل اعلاه ، نحن لا نعرف تقريبا اي  
شيء دقيق عن الجماعات العائلية وغيرها من المجموعات العائشة  
معا من القرود الشبيهة بالانسان ؛ والمعطيات المتوافرة يناقض  
بعضها بعضا تماما ولا غرابة فما اشد التناقض حتى بين  
المعطيات المتوافرة لنا عن القبائل البشرية في طور الوحشية وما  
اكثر ما تحتاج الى التحليل والدراسة والغربة بعين نقادة !  
والحال ، ان مراقبة مجتمعات القرود اصعب بكثير من مراقبة  
المجتمعات البشرية ولذا ينبغي لنا ان ننبد كل استنتاج  
مستخلص من هذه المعطيات المشكوك فيها اطلاقا ، طالما لم نحصل  
على معطيات اوضح واوسع

اما فكرة ايسبيناس التي استشهدنا بها انفا ، فانها ، على  
العكس ، تعطينا نقطة ارتكاز اتمن فان القطيع والعائلة عند  
الحيوانات العليا لا يكملان بعضهما بعضا ، بل يناقض بعضهما  
بعضا ويبين ايسبيناس جيدا جدا كيف تضعف غيرة الذكور ،  
اثناء فترة الهيجان ، لحمة القطيع او تقضي عليها موقتا

وحيث العائلة وثيقة اللحمه ، لا يتشكل القطيع الا بصورة  
استثنائية جدا ولكن القطيع يتشكل ، على العكس ، من تلقاء نفسه  
تقريبا حيث تسود اما المجامعة الجنسية الحرة واما تعدد الازواج  
ولكي يتشكل القطيع ، كان لا بد ان تضعف الروابط العائلية وان  
يستعيد الفرد حرته ولهذا نادرا جدا ما ترى اسرابا منظمة عند  
الطيور ... اما عند الضريعات ، فاننا نجد ، على العكس ، مجتمعات

منظمة الى درجة ما ، وذلك على وجه الضبط لأن الفرد هنا لا يتلمه العائلة ... ولهذا لا يمكن ان يجابه الشعور بجماعية القطيع لدن نشوئه عدواً اكبر من الشعور بجماعية العائلة ونقول صراحة اذا كان قد قام وتطور شكل اجتماعي اعلى من العائلة ، فان ذلك لم يحدث الا لان هذا الشكل قد اذاب في داخله العائلات التي طرأت عليها تغيرات جذرية ، مع العلم انه ليس من المستبعد ان يكون ذلك على وجه الضبط ما اتاح فيما بعد للعائلات ان تتشكل من جديد في ظروف اكثر ملاءمة الى ما لا حد له ( ايسبيناس المرجع المذكور فقرة اوردها جير-وطولون في مؤلفه *واصل الزواج والعائلة* ، عام ١٨٨٤ ، ص ص ٥١٨ - ٥٢٠ ) .

ومن هنا نرى ان للمجتمعات الحيوانية قيمة ما بالنسبة للاستنتاجات التي يجب استخلاصها منها بصدد المجتمعات البشرية ، ولكن هذه القيمة سلبية فقط . فعند الفقاريات العليا ، حسبما نعرف ، لا يوجد غير شكلين من العائلة : تعدد الزوجات ، والمعايشة ازواجا منفردة ؛ وكل من الشكلين لا يجيز سوى ذكر واحد واحد ، سوى زوج واحد . ان غير الذكر التي تشد عرى العائلة الحيوانية وتحدها في آن واحد تجعل العائلة مضادة للقطيع . واذا القطيع ، وهو شكل اعلى للمعايشة ، يزول احيانا بسبب هذه الغيرة و احيانا يفقد لحمته او ينحل اثناء فترة الهيجان ، او يتوقف تطوره ، في افضل الاحوال . وهذا وحده يكفي لتقديم البرهان على ان العائلة الحيوانية والمجتمع البشري البدائي شيتان لا يتفقان ، وان الناس البدائيين الذين تخلصوا من الحالة الحيوانية (بفضل العمل) ، اما انهم لم يعرفوا العائلة على الاطلاق واما انهم ، في افضل الاحوال ، عرفوا عائلة غير موجودة عند الحيوانات . فان الحيوان غير المسلح ، كما كان عليه الانسان

بسبيل التكون ، كان بوسعه ، اغلب الظن ، ان يبقى بعدد غير كبير حق في حالة العزلة التي كان اهل شكل للمعايشة فيها هو شكل المعاشية ازواجاً كالذي تعيش فيه ، على حد قول فسترمارك بالاستناد الى حكايات الصيادين ، قرود الغوريلا والشمبانزي . ولكن لاجل الفروج في سياق التطور من الحالة الحيوانية ولاجل تحقيق التقدم الاكبر الذي تعرفه الطبيعة ، كان لا بد من عنصر آخر كان ينبغي احلال قوة القطيع الموحدة واعماله الجماعية محل نقص قدرة الفرد على الدفاع . وانه ليستحيل اعطاء تفسير للانتقال من هذه الظروف التي تعيش فيها حالياً القرود الشبيهة بالانسان الى الحالة البشرية فان هذه القرود تظهر بالاحرى بمظهر خطوط جانبية منحرفة محكوم عليها بالاندثار تدريجياً وبسبيل الانحطاط والزوال على كل حال وهذا وحده يكفي للامتناع عن اجراء اي مقارنات بين اشكال العائلة عندها وعند الانسان البدائي . ذلك ان التساهل المتبادل بين الذكور الراشدين والعدم الفيرة كانا الشرط الاول لنشوء جماعات اكثر اتساعاً واطول عمراً لم يكن من الممكن ان يتحقق تحول الحيوان الى انسان الا في وسطها . وبالفعل ، اي شيء نجده بوصفه اقدم وابكر شكل للعائلة ، بوصفه الشكل الذي تقدم الدليل المفهم على وجوده في التاريخ والذي يمكننا ان ندرسه في الوقت الحاضر ايضاً هنا وهناك ؟ الزواج جماعات جماعات (الزواج الجماعي) ، شكل الزواج الذي كانت بموجبه جماعات كاملة من الرجال وجماعات كاملة من النساء تخص بعضها بعضاً بصورة متبادلة والذي كان يترك مجالاً صغيراً جداً للفيرة . وفيما بعد ، في درجة لاحقة من التطور ، نجد شكلاً استثنائياً كما هو عليه شكل تعدد الازواج الرجال الذي يناقض ، تناقضاً صارخاً ، بالتأكيد ، كل شعور

بالغيرة ، والذي هو بالتالي غير معروف عند الحيوانات ولكن الاشكال التي نعرفها من الزواج الجماعي تقترن بشروط متشابكة ومعقدة الى حد انها تشير بالضرورة الى اشكال للمعاشرة الجنسية ابكر عهداً واكثر بساطة ، وتشير في الوقت نفسه ، في آخر المطاف ، الى مرحلة من العلاقات الجنسية غير المنظمة تناسب الانتقال من الحالة الحيوانية الى الحالة البشرية ؛ ولهذا تعود بنا الاستشهادات باشكال الزواج عند الحيوانات الى نفس النقطة التي كان يجب ان تبعدها عنها مرة واحدة والى الابد

فماذا يعني تعبير : العلاقات الجنسية غير المنظمة ؟ انه يعني ان القيود المانعة السارية المفعول في زمننا او في زمن اسبق لم تكن سارية المفعول آنذاك وقد سبق لنا وراينا سقوط القيد الذي تشترطه الغيرة ومن الثابت ان الغيرة شعور تطور في مرحلة لاحقة نسبياً ويمكن قول الشيء نفسه بصدد مفهوم سفاح القربى فان الاخ والاخت كانا في المرحلة البدائية زوجاً وزوجة ، وليس هذا وحسب ، بل ان شعوباً كثيرة لا تزال في الوقت الحاضر تجيز العلاقة الجنسية بين الآباء والاولاد . ويشهد بانكروفت ( والعروق الاصلية في ساحل المحيط الهادي من اميركا الشمالية ) ، عام ١٨٧٥ ، المجلد الاول ) على وجود مثل هذه العلاقات عند الكافياك المقيمين عند سواحل مضيق بيرينغ وعند سكان جزيرة كاديالك في جوار الاسكا وعند التينيه المقيمين في القسم الداخلي من اميركا الشمالية البريطانية ؛ ويعطي ليتورنو موجزاً لمثل هذه الوقائع عند الهنود الحمر الشيبوي وعند الكوكوس في التشيلي ، وعند الكاريبيين (١١١) وعند الكارين في شبه جزيرة الهند الصينية ؛ هذا بالإضافة الى حكايات قدماء اليونانيين والرومانيين عن البارثيين والفرس والسقيثيين والهون

وغيرهم . وقبل اكتشاف سفاح القربي ( وهذا اكتشاف حقا وفعلا ،  
 بله اكتشاف فائق القيمة ) ، لم يكن من الممكن ان تثير العلاقة  
 الجنسية بين الآباء والأولاد نفورا اكبر من ذاك الذي تثيره العلاقة  
 الجنسية بين اشخاص آخرين ينتمون الى اجيال مختلفة ؛ والحال ،  
 لا يزال يحدث هذا الآن في اكثر البلدان تفاعا وابتدالا دون ان  
 يثير شديد الازمئزاز ؛ فحقق «الإنسات» العوانس ممن تجاوزن  
 الستين من العمر يتزوجن احيانا ، اذا كن غنيات ، من شبان  
 في الثلاثين من العمر اما اذا طرحنا عن ابكر اشكال العائلة ،  
 التي نعرفها ، مفاهيم سفاح القربي المقرونة بها - وهي مفاهيم تختلف  
 تماما عن مفاهيمنا ، وتناقضها كليا احيانا كثيرة - لوجدنا شكلا من  
 العلاقات الجنسية لا يمكن تعته الا باه غير منظم غير منظم ،  
 لان القيود التي فرضها العرف والعادة فيما بعد لم تكن قد ظهرت  
 بعد . ولكنه لا ينجم ابدأ من هنا ان التشوش التام في ممارسة  
 هذه العلاقات يوميا كان امرا محتما فان المعاشية الموقته بين  
 بعض الأزواج لم تكن ابدأ مستبعدة اذ ان حالاتها غدت الآن  
 اغلبية الحالات حتى في ظل الزواج الجماعي . واذا كان فسترمارك ،  
 وهو احدث البحاثة الذين ينكرون مثل هذا الوضع البدائي ، ينعت  
 بالزواج كل حالة يبقى فيها الجنسان (الرجل والمرأة) متحدتين  
 في مساكنة زوجية حتى ولادة نسل منهما ، فانه ينفي القول  
 انه كان من الممكن ان يقوم مثل هذا النوع من الزواج في ظل  
 العلاقات الجنسية غير المنظمة ، دون ان يناقض ابدأ حالة انعدام  
 التنظيم ، اي حالة انعدام القيود التي يفرضها العرف والعادة على  
 العلاقات الجنسية . صحيح ان فسترمارك ينطلق من النظرة القائلة ان  
 «انعدام التنظيم يفترض خلق الميول الفردية» ، ولذلك وكان  
 البقاء اصح اشكاله .

اما انا ، فيخيل اليّ ، على العكس ، انه يستحيل فهم الظروف البدائية طالما ينظرون اليها حسب مفهوم بيوت الدعارة . وسنعود الى هذه المسألة عند دراسة الزواج الجماعي .

واليكم ، حسب مورغان ، اي تطور طرأ في زمن باكر جداً ، حسب كل احتمال ، على هذه الحالة البدائية للعلاقات غير المنظمة :

١ - عائلة قريبي الدم - الطور الاول من العائلة . هنا تنقسم الجماعات الزوجية حسب الاجيال : فان جميع الجدود والجدات في نطاق العائلة هم ازواج وزوجات فيما بينهم ، فانهم شأن اولادهم ، اي الآباء والامهات ؛ وعلى النحو نفسه ، يشكل اولاد الآخريين الحلقة الثالثة من الازواج المشتركين ، ويشكل اولادهم ، اي اولاد احفاد الاولين الحلقة الرابعة . وفي هذا الشكل من العائلة ، لا تنتفي الحقوق والواجبات الزوجية المتبادلة ( اذا تكلمنا بلغة عصرنا ) الا بين الاسلاف والاخلاف ، بين الآباء والاولاد اما الاخوة والاخوات من الدرجة الاولى والثانية والثالثة وما يليها ، فانهم جميعاً اخوة واخوات فيما بينهم ، وهم لهذا السبب بالذات ازواج وزوجات فيما بينهم . وفي هذا الطور من العائلة تشمل علاقة القربى بين الاخ والاخت العلاقة الجنسية فيما بينهما كشيء بديهي .

\* اعرب ماركس في رسالة كتبها في ربيع ١٨٨٢ ( ١١٢ ) بأحد التعابير من رايه في نص "Nibelungen" ( ونيبلونج ) لفاغنر ، الذي يشوه كلياً العصر البدائي . وهل سمح يوماً ان الاخ يعاقب اخته كانها زوجته ؟ ( ١١٢ ) وبصدد هذه «الآلهة الشهوانية» الفاغنرية التي تضيء بطريقة صرية تماماً على مساعيها الفرامية قدراً اكبر من الحرافة واللدغ بردها ببعض من سفاح القربى ، لاحظ ماركس قائلاً ( في العصر البدائي كانت الاخت زوجة ، وكان ذلك امراً اخلاقياً مشروهاً . (ملاحظة المجلس لطبعة ١٨٨٤ .)

ولذا يتألف الشكل المثالي لهذه العائلة من ذرية زوج واحد ( رجل وامرأة ) يكون الجميع فيها في كل جيل من الاجيال المتعاقبة اخوة واخوات فيما بينهم ، وبالتالي ازواج وزوجات فيما بينهم .

ان واحداً من اصدقاء فانغر الفرنسيين ( بوليه ) ومن المعجبين به لم يوافق على هذه الملاحظة وأشار الى اننا نجد في وايداً الكبرى ، التي يستند اليها فانغر ان لوكي يوجه في واغيسدريكام ( ١١٤ ) الى فريا اللوم التالي : ولقد عانت اخاه بالذات بحضور الالهة فكأنه ينجم من هنا ان الزواج بين الاخ والاخت كان آنذاك محرماً ولكن واغيسدريكام تعكس ذلك الزمن الذي كان فيه الايمان بالاساطير القديمة قد تحطم تماماً ؛ فهي تسطر بالالهة على طريقة لوليانوس تماماً واذا كان لوكي يوجه هنا ، على فرار ميغستو ، مثل هذا اللوم الى فريا ، فان هذا يشكل بالاحرى دليلاً ضد فانغر . ناهيك بان لوكي يقول لنيورد بعد بضعة ابيات ومع اختك ولدت انت ابناً ( كهذا ) « *vidh systur thinni gaztu silkan mög* صحيح ان نيورد ليس آساً *Ase* بل فانا Vane وانه يقول في واونغلينغا ساغا ( ١١٥ ) *Junglinga Saga* ان

الزواج بين الاخوة والاختوات امر عادي في بلاد الفان Vanaland ، بينما لم يكن كذلك عند الآس *Ases* . قد يدل هذا على ان الفان آلهة اقدم من الآس . وعلى كل حال ، يعيش نيورد بين الآس على قدم المساواة ، ولهذا ثبت واغيسدريكام بالاحرى ان الزواج بين الاخوة والاختوات ، عند الالهة على الاقل ، في عهد ظهور الاساطير التروجية من الالهة ، لم يكن يستثير بعد اي نفور واشمزاز اما اذا كان المقصود تبرير فانغر ، فلعله من الافضل الاستشهاد بفتوه لا بوايداً ، لان غوته يقترف في قصيده من الاله والراقصة الهندية خطأ مماثلاً فيما يتعلق بواجب المرأة الديني بالاستسلام والمضاجعة في المعابد ، ويقرب هذه العبادة كثيراً جداً من الدعارة المصرية . ( إضافة انجلس الى طبعة ( . ١٨٩١ )

وقد زالت عائلة قربي الدم . وحق عند اوحش الشعوب التي ذكرها التاريخ ، يستحيل ايجاد مثال واحد لا مرأه فيه . ولكنه **كأن لا بد** لهذه العائلة ان تكون موجودة ؛ وهذا ما يحملنا على الاقرار به نظام القرابة الهاواي الذي لا يزال حالياً ساري المفعول في عموم بولينيزيا والذي يعرب عن درجات من قرابة الدم لا يمكن ان تنشأ الا في ظل هذا الشكل من العائلة كذلك يحملنا على الاقرار بذلك كل تطور العائلة اللاحق الذي يفترض وجود هذا الشكل بوصفه درجة اولية لا غنى عنها

٢ - العائلة البونالوانية . اذا كانت الخطوة التقدمية الاولى في تنظيم العائلة قد تلخصت في تحريم العلاقة الجنسية بين الآباء والاولاد ، فقد تلخصت الخطوة الثانية في تحريم العلاقة الجنسية بين الاخوات والاخوة . وقد كانت هذه الخطوة ، نظراً للقدر الاكبر من المساواة في العمر بين ذوي العلاقة ، اهم من الاولى بما لا حد له ، ولكنها كانت ايضاً اصعب منها . فهي لم تتحقق دفعة واحدة ، بل تدريجياً ، بادئة ، حسب كل احتمال ، من تحريم العلاقة الجنسية بين الاخوة والاخوات الاخفاف ( اي من ناحية الام فقط ) ؛ وقد شمل هذا التحريم اولاً حالات منفردة ثم اصبح تدريجياً قاعدة ( وفي جزر هاواي ، كانت لا تزال هناك شواذات على القاعدة في قرننا ) ، وانتهى بتحريم الزواج حق في خطوط القرابة المنحرفة ، اي ، حسب تعابيرنا الحالية ، بتحريمه بين اولاد واحفاد واولاد احفاد الاخوة والاخوات وهذا التقدم كان ، برأي مورغان ،

ومثالا بياييا ممتازاً على الطريقة التي يسري بها مفعول مبدأ

الاصطفاء الطبيعي .



ولا ريب في انه كان لا بد للقبائل التي كان فيها سفاح القربى محدوداً بفضل هذه الخطوة ان تتطور بصورة اسرع واكمل مما تطورت القبائل التي بقي فيها الزواج بين الاخوة والاخوات قاعدة وواجباً اما اي تأثير قوي كان لهذه الخطوة ، فثبته المؤسسة التي نجمت عنها مباشرة والتي تجاوزت كثيراً غايتها الاولى ، وهي مؤسسة العشيرة التي تشكل اساس النظام الاجتماعي عند اغلبية الشعوب البربرية في الارض ، ان لم يكن عند جميعها ، والتي تنتقل منها مباشرة في اليونان وروما الى عصر الحضارة

وكان لا بد ان تنقسم كل عائلة بدائية بعد بضعة اجيال لا اكثر فان الاقتصاد المنزلي المشترك الشيوعي البدائي الذي ظل سائداً بلا منازع قبل ازدهار الدرجة المتوسطة من البربرية كان يعين ابعاداً قصوى للمشاعة العائلية تتغير تبعاً للظروف ، ولكنها ثابتة الى هذا القدر او ذلك في كل محلة بعينها . ولكن ما ان ظهرت فكرة عدم جواز العلاقة الجنسية بين اولاد ام واحدة حتى اضطلمت بدورها بالضرورة عند انقسام المشاعات المنزلية القديمة وعند تأسيس مشاعات منزلية جديدة ( كانت لا تتطابق حتماً مع الجماعة العائلية ) فقد كانت مجموعة او بضع مجموعات من الاخوات تصبح نواة مشاعية واحدة . وكان اخوتهم الاخياف يصبحون نواة مشاعية اخرى . وعلى هذا النحو او بنحو مماثل ، نجم من عائلة قربي الدم شكل للعائلة اسماء مورغان بالشكل البونالواني

وحسب العادة الهاوية ، كان عدد معين من الاخوات من اخوات من ام واحدة او على علاقة قربي ابعد ( بنات خالات و احوال واعمام وعمات من الدرجة الاولى والثانية ، الخ . ) زوجات مشتركات لازواجهن المشتركين ، ولكن باستثناء اخوتهم ؛ ولم يعد هؤلاء الرجال يسمون بعضهم بعضاً بالاخوة ، فضلاً عن انه لم يعد من

الواجب ان يكونوا اخوة ، بل «بونالوا» Punalua وكلمة بونالوا تعني رفيقا قريبا او associe . اذا جاز القول وعلى النحو ذاته ، كانت مجموعة من الاخوة ، اخوة من ام واحدة او على علاقة قريبي ابعد ، تدخل في زواج مشترك مع عدد معين من النساء ولكن من غير اخواتهم ، وكانت هؤلاء النساء يسمين بعضهم بعضا بالبونالوا . هكذا كان الشكل الكلاسيكي للتكوينة العائلية ؛ وهذا الشكل طرأت عليه فيما بعد تغيرات وكانت سمته المميزة الرئيسية الشراكة المتبادلة للرجال والنساء داخل حلقة عائلية معينة ، ولكن هذه الحلقة لم تكن تشمل اخوة الزوجات ، الاخوة الاخياف في البدء ، ثم ايضا الاخوة على درجات ابعده من القربى ، وكذلك من الناحية المقابلة اخوات الأزواج

ان شكل العائلة هذا هو الذي يقدم لنا بكامل الدقة درجات القرابة التي يعبر عنها النظام الاميركي . فان اولاد اخوات امي لا يزالون اولادها ايضا ، مثلما كان اولاد اخوة والدي لا يزالون اولاده ، وجميعهم اخوتي واخواتي . ولكن اولاد اخوة امي اصبحوا الآن ابناء وبنات اخوتها ، واولاد اخوات والدي اصبحوا ابناء وبنات اخواته ، وجميعهم اصبحوا اخوتي واخواتي من الدرجة الثانية اي ابناء وبنات اخوالي وعماتي . وبالفعل ، بينا ازواج اخوات امي لا يزالون ازواجها ، مثلما زوجات اخوة والدي لا يزالون زوجاته ، - شرعا ان لم يكن دائما فعلا - ادى تنديد المجتمع باللاقات الجنسية بين الاخوة والاخوات من الدرجة الاولى الى انقسام اولاد الاخوة والاخوات الى قسمين ، مع انهم كانوا قبل ذلك يُعتبرون بلا تمييز اخوة واخوات : فان بعضهم يبقون فيما

بينهم كما من قبل اخوة واخوات (حتى وان كانوا على درجات ابعد من القرابة) ؛ اما البعض الآخر ، اي اولاد الاخ من جهة ، واولاد الاخت من جهة اخرى ، فلم يبق بوسعهم ان يكونوا اخوة واخوات ، لم يبق بوسعهم ان يكون لهم آباء مشتركون ، لا أب مشترك ولا ام مشتركة ولا الأب والام معا ؛ ولهذا تظهر هنا للمرة الاولى الحاجة الى فئة ابناء وبنات الاخ والاخت ، وابناء وبنات العم والخال والعمة والخالدة ( او الاخوة والاخوات من الدرجة الثانية ) ، اي الى فئة لم يكن لها اي معنى في ظل النظام العائلي السابق . ان نظام القرابة الاميركي الذي يبدو اخرق تماما في كل شكل للعائلة يرتكز على هذا النوع او ذلك من الزواج الاحادي ، انما يجد لنفسه تفسيراً معقولاً وتعليلاً طبيعياً ، بما في ذلك اقل تفاصيله ، في العائلة البونالوانية . وبقدر ما انتشر نظام القرابة هذا كان لا بد ، على الاقل ، ان توجد ايضا العائلة البونالوانية او شكل ما للعائلة مماثل .

ومن المحتمل اننا كنا حصلنا في عموم بولنيزيا على المعلومات عن شكل العائلة هذا الذي اقيم البرهان على وجوده فعلا في جزر هاواي ، لو استطاع المرسلون الاتقياء مثلهم مثل القسيس الاسبانيين الطيبين الذكر في اميركا ، ان يروا في هذه العلاقات المناقضة للاخلاق المسيحية شيئا غير «الردائل» \* . وعندما يحكي

---

\* ان آثار العلاقات الجنسية غير المنظمة المسماة وبالحمى الاليم «Sumpfzeugung» والذي يظن باهون انه هو الذي اكتشفها ، تؤدي الى الزواج الجماعي ؛ وهذا امر لم يبق من الممكن الآن الشك بصحته . واذا كان باهون يعتبر هذه الزوجات «البونالوانية» وغير شرعية ، لاعتبر انسان من ذلك العصر الغلبية الزوجات في عصرنا بين ابناء وبنات

لنا قيصر عن البريطانيين Bretons الذين كانوا في زمنه في الطور الاوسط من البربرية ويقول ان وعند كل عشرة رجال او اثني عشر رجلا زوجات مشتركات ، ناهيك بانهن في اغلب الاحوال مشتركات بين الاخوة او بين الآباء والابناء ، فان خير تفسير لهذا الوضع انما هو وجود الزواج الجماعي . ففي مرحلة البربرية ، لم يكن لدى كل من الامهات عشرة اولاد او اثنا عشر ولداً بسن تتيح لهم اخذ زوجات مشتركات ، بينما نظام القرابة الاميركي الذي يناسب العائلة اليونانولوانية يفترض عدداً كبيراً من الاخوة لان جميع اناء العم والخال الاقربين والابعدين لكل رجل هم اخوته اما فيما يخص « الآباء والابناء » ، فمن الممكن ان يكون قيصر قد اخطأ صحيح انه ليس من المستبعد اطلاقاً في ظل هذا النظام ان ينتسب الاب والابن او الام والابنة الى مجموعة زوجية واحدة ، ولكنه من المستحيل بالمقابل وجود الاب والابنة او الام والابن في هذه المجموعة كذلك بالذات يقدم هذا الشكل من الزواج الجماعي لو شكل مماثل له اسهل تفسير لآخبار هيرودوتس وغيره من قدماء الكتاب عن شراكة النساء عند الشعوب المتوحشة والبربرية . وهذا ما يصح ايضاً على ما يرويه وطنس وكاي ( وسكان الهند ) عن التيكور في أوود ( شمال نهر الغانج )

وانهم يعيشون معاً ( والمقصود بذلك العلاقات الجنسية ) وبغير نظام تقريباً ، في نطاق جماعات كبيرة ، واذا كان اثنان منهم يعتبران زوجاً وزوجة ، فان علاقة الزواج هذه ليست الا اسمية .

---

الاعمام والاحوال والعمات والخالات ، الاقربين والابعدين ، زوجات زناء وصفاح كالزواج بين الاخوة والاخوات ( ماركس ) ( راجع ارفيسف ماركس والجلس ، الطبعة الروسية ، المجلد ٩ ، ص ١٨٧ ) .

اغلب الظن ان مؤسسة العشيرة قد نشأت مباشرة من العائلة البونالوانية في معظم الحالات . صحيح انه من الممكن ان يكون النظام الاوسترالي لطبقات الزواج (١١٦) قد قدم هو ايضا نقطة انطلاق لهذه المؤسسة فعند الاوستراليين توجد عشائر ولكنه لا توجد بعد عندهم عائلة بونالوانية ، بل شكل اكثر بدائية للزواج الجماعي .

وفي جميع اشكال العائلة الجماعية ، لا تمكن معرفة والد الطفل بدقة ، ولكنه تمكن معرفة امه بدقة . واذا كانت تسمى جميع اولاد العائلة المشتركة اولادها ، وتتحمل حيالهم واجبات الامومة ، فانها مع ذلك تميز اولادها بالذات عن الباقين . ومن هنا يتضح انه ما دام الزواج الجماعي قائما ، لا يمكن اثبات الاصل الا من ناحية الام ، ولا يمكن بالتالي الاعتراف الا بـ **خط الام** . وهكذا كان الحال. فعلا عند جميع الشعوب المتوحشة وعند جميع الشعوب التي بلغت الدرجة الدنيا من البربرية ومائرة باهوفن الثانية الكبرى ، انه كان اول من اكتشف ذلك . وهو يطلق اسم حق الام على هذا الاعتراف بالاصل بموجب خط الام بوجه الحصر ، وعلى علاقات الارث التي نشأت من هنا وتطورت مع مرور الزمن ؛ واني احتفظ بهذا الاسم لايجازه ؛ ولكنه غير موفق ، لانه لا يمكن بعد التحدث في هذه المرحلة من تطور المجتمع عن الحق بالمعنى الحقيقي .

واذا اخذنا الآن من العائلة البونالوانية جماعة من جماعتيها النموذجيتين ، وعلى وجه الضبط جماعة الاخوات من ام واحدة او من درجات قرابة ابعد ( اي متحدرات من اخوات من ام واحدة في الجيل الاول او الثاني او ما يليه ) - مع اولادهن واخوتهن - الاخياف او من درجات قرابة ابعد من ناحية الام ( الذين ليسوا ،

حسب افتراضنا ، ازواجهن ) ، لرأينا على وجه الضبط تلك الحلقة من الاشخاص الذين يبرزون فيما بعد كأعضاء العشرة بشكلها الاولي فان لجميعهم جدة واحدة مشتركة ؛ وجميع ذريتها النسائية في كل جيل من اخوات فيما بينهم يحكم تحدرهن منها . ولكنه لم يبق بمستطاع ازواج هؤلاء الاخوات ان يكونوا اخوتهم ولا يمكن ان يتحدروا بالتالي من هذه الجدة ولا يمكنهم بالتالي ان يدخلوا في قوام هذه الجماعة التي تربط بين اعضائها قرابة الدم والتي غدت فيما بعد العشرة . ولكن اولادهم ينتمون الى هذه الجماعة لأن النسب حسب خط الام هو وحده الذي يظطلع بالدور الفاصل نظراً لانه هو وحده ثابت لا ريب فيه ومع اقرار تحريم العلاقات الجنسية بين الاخوة والاخوات ، وحتى بين ابعد اقرباء خط القرابة المنحرف من جهة الام ، تحولت الجماعة المعنية الى عشيرة اي انها تشكلت بوصفها حلقة ثابتة من اقارب بالدم حسب حبل النسل النسائي لا يستطيعون ان يتزاوجوا فيما بينهم ؛ وهذه الحلقة اخذت مذ ذاك تتوطد اكثر فاكثر بفضل مؤسسات مشتركة اخرى ، اجتماعية ودينية على السواء ، وتتميز اكثر فاكثر عن العشائر الاخرى من القبيلة ذاتها . وسنتحدث عن هذا بمزيد من التفصيل فيما بعد . ولكن اذا وجدنا ان العشرة تتطور من العائلة البونالوانية ، لا بحكم الضرورة وحسب ، بل ايضاً بصورة بسيطة: بديهية ، توفرت لنا الاسباب لكي نعتبر من المؤكد والثابت تقريباً وجود هذا الشكل من العائلة فيما مضى عند جميع الشعوب التي يمكن ايجاد مؤسسات العشرة عندها اي تقريباً عند جميع الشعوب البربرية والتمتدة

عندما كتب مورغان كتابه ، كانت معلوماتنا عن الزواج

الجماعي لا تزال محدودة جداً كنا نعرف بعض التفاصيل عن الزواجات الجماعية عند الأستراليين المنتظمين في طبقات ؛ ناهيك بان مورغان كان قد نشر في عام ١٨٧١ معطيات وصلت اليه عن العائلة البونالوانية الهاوية . فان العائلة البونالوانية قد اعطت ، من جهة ، تفسيراً كاملاً لنظام القرابة السائد عند الهنود الحمر الاميركيين والذي كان بالنسبة لمورغان نقطة انطلاق في جميع ابعائه ؛ وكانت ، من جهة اخرى ، نقطة انطلاق جاهزة كان يمكن منها اشتقاق العشيبة المؤسسة على حق الام ؛ وكانت اخيراً درجة اعلى بكثير في سلم التطور من الطبقات الأسترالية . ولهذا كان من المفهوم ان يعتبرها مورغان درجة من التطور سبقت بالضرورة الزواج الثنائي وان ينسب اليها انتشاراً عاماً في الأزمنة السابقة ومد ذلك اطلعنا على جملة كاملة من اشكال الزواج الجماعي الاخرى ، ونحن نعرف الآن ان مورغان تجاوز الحد هنا كثيراً جداً . ولكن الحظ حالفه مع ذلك ووجد في عائلته البونالوانية الشكل الاعلى ، الشكل الكلاسيكي للزواج الجماعي ، الشكل الذي يفسر باسسط نحو ، بالانطلاق منه ، الانتقال الى شكل اعلى

اما الاغناء الجوهري في معلوماتنا عن الزواج الجماعي ، فنحن مدينون له قبل كل شيء للمرسل البريطاني لوريمر فايسون الذي درس خلال سنوات عديدة هذا الشكل من العائلة في ميدانها الكلاسيكي ، اي في أستراليا فقد اكتشف درجة التطور الدنيا عند الزوج الأستراليين في منطقة ماونت-غامبير في أستراليا الجنوبية فان القبيلة كلها هنا مقسومة الى طبقتين كبيرتين ، الكروكي والكوميت والعلاقات الجنسية في داخل كل من هاتين الطبقتين ممنوعة منعاً باتاً . وكل رجل من احدي الطبقتين هو ،

على العكس ، منذ الولادة ، زوج كل امرأة من الطبقة الاخرى ؛ وهذه المرأة هي زوجته منذ الولادة . فليس الافراد ، بل جماعات كاملة تتزاوج بعضها مع بعض ، طبقة مع طبقة . وتجدر الاشارة الى ان فارق العمر والقرباية بالدم لا يشكلان هنا ابدأ عقبة امام العلاقات الجنسية ، ولا يوجد غير القيد الناجم عن الانقسام الى طقتين خارجيتي الزواج . ان كل امرأة من الكوميت هي بالنسبة لكل كروكي زوجته حقا وشرعا ؛ ولكن بما ان ابنته بالذات بوصفها ابنة امرأة كوميت هي ايضا من كوميت بموجب حق الام ، فهي بحكم ذلك منذ الولادة زوجة كل كروكي وبالتالي زوجة والدها . وعلى كل حال ، لا يقيم تنظيم الطبقات في الصورة التي نعرفه بها اي عقبة امام ذلك اذن ، اما ان هذا التنظيم قد نشأ في حقبة لم ير فيها بعد الناس اي امر رهيب بخاصة في العلاقات الجنسية بين الآباء والاولاد ، رغم كل سعيهم الغامض الى الحد من سفاح القربى ، - وفي هذه الحال ، ظهر نظام الطبقات مباشرة من حالة العلاقات الجنسية غير المنظمة - ، واما ان العلاقات الجنسية بين الآباء والاولاد كانت ممنوعة بحكم العرف والمادة عند نشوء الطبقات الزوجية ، وفي هذه الحال ، يعود الوضع الحالي الى وجود عائلة القربى بالدم قبل ذلك ، ويشكل اول خطوة للخروج منها ان الافتراض الاخير اكثر احتمالا . ولا يذكرون ، حسبما اعلم ، امثلة من علاقات زواج بين الآباء والاولاد في لوستراليا ، ناهيك بان الشكل اللاحق للزواج الخارجي ، اي العشيرة القائمة على الحق الامي ، تفترض كذلك ، ضمنا ، كقاعدة ، منع مثل هذه العلاقات بوصفه واقعا كان قائما عند نشوئها وفضلا عن منطقة ماونت-غامبير في اوستراليا الجنوبية ، يقوم نظام الطبقتين ايضا الى ابعد في اتجاه الشرق ، في حوض نهر



دارلينغ ، وفي الشمال الشرقي ، في كوينسلند ؛ وهو بالتالي واسع الانتشار . وهو لا ينفي غير الزواج بين الاخوة والاخوات ، بين اولاد الاخوة وبين اولاد الاخوات حسب خط الام ، لانهم ينتمون الى طبقة واحدة ؛ اما اولاد الاخت والاخ ، ففي مستطاعهم ، على العكس ، ان يتزاوجوا فيما بينهم . ونجد خطوة اخرى لاحقة لمنع سفاح القربى عند قبيلة الكاميلاروي في حوض نهر دارلينغ في ويلس الجنوبية الجديدة ، حيث انقسمت الطبقتان الاصليتان الى اربع ، وحيث كل من هذه الطبقات الاربع تتزوج بكليتها مع طبقة اخرى معينة ان الطبقتين الاوليين هما منذ الولادة متزوجة احدهما مع الاخرى ؛ وبعثا لانتماء الام الى الطبقة الاولى او الثانية منهما ، ينتقل اولادها الى الطبقة الثالثة او الرابعة ولولاد الطبقتين الاخيرتين اللتين تربط بينهما ايضا علاقات الزواج ، يدخلون في قوام الطبقتين الاولى والثانية وهكذا ينتمي دائما جيل واحد الى الطبقة الاولى والثانية ، وينتمي الجيل التالي الى الطبقة الثالثة والرابعة ، ثم ينتمي الجيل الثالث من جديد الى الطبقة الاولى والثانية . وبعثا لذلك ، لا يستطيع اولاد الاخ والاخت ( من جهة الام ) ان يكونوا زوجا وزوجة ، ولكن احفاد الاخ والاخت يستطيعون ذلك . ان هذا النظام المعقد الاصيل يزداد تعقداً بفضل الدساس العشيرة الامية (العشيرة حسب خط الام) فيه ، وان ، على كل حال ، في وقت لاحق . ولكنه لا يسعنا هنا ان نستغرق في بحث هذا الامر . وهكذا نرى ان السعي الى منع سفاح القربى يتجلى المرة تلو المرة ، ولكن بشكل غريزي ، عفوي ، دون اي ادراك واضح للهدف .

ان الزواج الجماعي الذي لا يزال هنا ، في استراليا ، زواجا بين طبقتين ، زواجا بالجملة بين طبقة كاملة من الرجال موزعة

في كثير من الاحيان في عموم القارة وبين طبقة من النساء موزعة بالقدر نفسه ، ان هذا الزواج الجماعي لا يبدو ابداً ، حين النظر اليه عن كُتب ، فظيماً بالقدر الذي يتصوره خيال التافهين المبتدلين الذي اعتاد على ما يجري في بيوت الدعارة فلقد مرت ، على العكس ، سنوات وسنوات قبل ان يخطر في البال مجرد وجوده ؛ فضلا عن انهم شرعوا لأمَد قريب يجادلون من جديد في وجوده . ان المراقب السطحي يرى فيه زواجا احادياً واهي العرى ، ويرى في بعض الانحاء ، نظاماً لتمدد الزوجات ترافقه الخيانة الزوجية بين الفينة والفينة . وكان لا بدّ من تكريس سنوات كاملة ، كما فعل فايسون وهاويت ، لاجل اكتشاف القانون الذي يفسط علاقات الزواج هذه التي يميل الاوروبي العادي الى ان يرى في ممارستها شيئاً ما يشبه ما يوجد في وطنه ، - القانون الذي بموجبه يجد الزنجي الاوسترالي الغريب ، على بعد آلاف الكيلومترات عن موطنه الاول ، بين اناس يتكلمون لغة يجهلها ، بله احياناً كثيرة في كل مقام ، في كل قبيلة ، نساء على استعداد للاستسلام له بلا مقاومة وبلا استياء ؛ القانون الذي بموجبه يتنازل الرجل الذي عنده عدة نساء ، عن واحدة منهن لاجل ضيفه لقضاء الليل معها وحيث يرى الاوروبي انعدام الاخلاق والقانون ، يسود بالفعل قانون صارم . ان هؤلاء النساء ينتمين الى طبقة الاجنبي الزوجية ، وهنّ بالتالي زوجاته منذ الولادة . ان القانون الاخلاقي نفسه الذي يعدم بعضاً لبعض ، يمنع ، تحت طائلة العقاب المخزي ، كل علاقة جنسية خارج الطبقتين الزوجيتين اللتين تخص احدهما الاخرى . وحتى حيث يخطفون النساء ، - وهذا امر يقع في كثير من الاحيان ، وهو قاعدة في كثير من الانحاء ، - يُطبَّق قانون الطبقات الزوجية بكل دقة .

ومن جهة اخرى ، تتبدى في خطف النساء علامات الانتقال الى الزواج الاحادي ، بشكل الزواج الثاني على الاقل ( بين اثنين ) فعندما كان الشاب يخطف فتاة بمساعدة اصدقائه بالقوة او بالاغراء ، فانهم جميعهم يضاجعونها بالدور ، ولكنها بعد ذلك تعتبر زوجة ذلك الشاب الذي كان صاحب فكرة الخطف وبالعكس ، اذا هربت المرأة المخطوفة من زوجها وقبض عليها رجل آخر ، فانها تصبح زوجة هذا الاخر ، ويفقد الاول حقه المفضل عليها . والى جانب وفي قلب الزواج الجماعي الذي لا يزال قائما على العموم ، تبرز بالتالي علاقات تستبعد الآخرين ، يبرز لتزاوج ، تجماع شخصين ( رجل وامرأة ) لفترة من الزمن قد تطول او تقصر ؛ والى جانب ذلك ، يقوم تعدد الزوجات ؛ وعليه نرى الزواج الجماعي هنا ايضا بسبيل الزوال ، وتنحصر المسألة كلها في معرفة من ذا الذي سيفادر الحلبة قبل غيره تحت تأثير الاوروبيين ، الزواج الجماعي ام اتباعه ، الزوج الاوستراليون ان الزواج بين طبقات بكاملها بالشكل الذي يسود به في لوستراليا ، هو على كل حال شكل منخفض جداً ، بدائي من اشكال الزواج الجماعي ، بينا العائلة البونالوانية هي ، حسبما نعرف ، الدرجة العليا في تطوره . ويبدو ان الاول شكل يناسب مستوى التطور الاجتماعي الذي بلغه المتوحشون الرحل ، بينا الثاني يفترض وجود مقامات ثابتة نسبياً لمشاعرات شيوعية ، ويؤدي مباشرة الى الدرجة التالية العليا من التطور . وبين هذين الشكلين ، نجد ايضا ، بلا ريب ، بعض الدرجات الوسطية . وهذا ميدان للبحث انفتح امامنا للتو ويكاد يكون غير مطروق .

٣ - العائلة الثنائية . ان شكلا معيناً من التزاوج الثاني ، من التجماع بين شخصين لمدة قد تطول او تقصر ، كان موجوداً

في ظروف الزواج الجماعي او حتى قبل ذلك ؛ فقد كانت للرجل زوجة رئيسية (ويكاد يكون من غير الممكن القول انها الزوجة المفضلة) في عداد زوجات كثيرات ، وكان بالنسبة لها الزوج الرئيسي في عداد ازواج كثيرين . وقد اسهم هذا الامر بقسط كبير في خلق التشوش في رؤوس المرسلين الذين اعتبروا الزواج الجماعي ، تارة مشاعية للنساء لا قاعدة لها ولا ضابط ، وطوراً حرية مطلقة في انتهاك الاخلاص الزوجي ولكن هذا الشكل للتجماع الثاني ، بين شخصين ، الذي اصبح عادة مالوفة كان لا بد له ان يترسخ اكثر فاكثر بقدر ما كانت العشيرة تتطور وبقدر ما كانت تتزايد جماعات «الآخوة» و«الآخوات» التي غدا الزواج مستحيلا فيما بينها . ان الدفعة التي بثتها العشيرة في اتجاه منع الزواج بين الاقرباء بالدم قد ادت الى ابعده من ذلك . وهكذا نجد ان الزواج عند الايروكوا وعند اغلبية الهنود الحمر الآخرين في الدرجة الدنيا من البربرية ممنوع بين جميع الاقرباء الذين يعددهم نظامهم ، وامثال هذا النظام بضع مئات من كل شاكلة ونوع . ونظراً لهذا التشوش المشتد في موانع الزواج ، اخذت الزوجات الجماعية مستحيل اكثر فاكثر ، واخذت العاقلة الثنائية تحل محلها ففي هذا الطور ، يعيش الرجل مع امرأة واحدة ، ولكن تعدد الزوجات والخيانة الزوجية بين الفينة والفينة لا يزالان من حق الرجل ، رغم أن تعدد الزوجات نادر الوقوع بحكم الاسباب الاقتصادية ايضاً ؛ بيد ان المرأة مطالبة في اغلبية الاحوال بادق الامانة طيلة مدة المساكنة ، وعاقب على خيانتها عقاباً قاسياً ولكنه من السهل على كل من الطرفين ان يحل الرابطة الزوجية ، فيعود الاولاد الى الام فقط ، كما من قبل

وفي هذا الحصر الذي يضيق اكثر فاكثر ويستبعد الاقرباء

بالدم من الرابطة الزوجية ، يواصل الاختيار الطبيعي فعله . وحسب مورغان ،

وكانت الزواجات بين افراد العشائر التي لا تجمع بينها قرابة الدم تؤدي الى نشوء سلالة اقوى سواء جسديا او عقليا ؛ وكانت قبيلتان بسبيل التقدم تندمجان في قبيلة واحدة ، فتأخذ جماجم وادمغة الاجيال الجديدة تتسع بصورة طبيعية الى ان تبلغ مقاييس تناسب مجموعة خصائص القبيلتين\* .

وعليه كان لا بدّ للقبائل ذات التنظيم القائم على العشيرة ان تتغلب على القبائل المتأخرة او ان تجتديها وراءها بمثالها . ان تطور العائلة في العصر البدائي يتلخص اذن في استمرار تقلص تلك الحلقة التي كانت في البدء تشمل القبيلة كلها والتي كانت تمسود في داخلها مشاعية علاقات الزواج بين الجنسين وبالاستمرار على استبعاد الانساب الاكثر قرابة بادى ذي بدء ، ثم الانساب الاكثر بعدا ، واخيرا ، حتى الانساب بالمصاهرة ، اخذ كل شكل من اشكال الزواج الجماعي يستحيل عمليا ، ولم يبق في آخر المطاف الا زوج من اثنين تجمع بينهما علاقات زواج غير متينة ، لم يبق غير جزيئة يضع الشطارها حدا للزواج . ومن هذا وحده يتبين مدى ضآلة ما يجمع بين ظهور الزواج الاحادي وبين الحب الجنسي الفردي بمعناه الحالي . وهذا ما تثبته بمزيد من القوة ممارسة جميع الشعوب التي لا تزال في هذه الدرجة من التطور فبينما لم يكن الرجال ليشعرون ابدأ باي نقص الى

\* راجع كذلك دارهيف ماركس وانجلس ، الطبعة الروسية ، المجلد ٩ ، ص ٢٨ . القاهرة .

النساء في ظل الاشكال السابقة للعائلة ، بل كان لديهم منهن بالاحرى اكثر من اللزوم ، اصبحت النساء الآن امرأ نادراً يجب البحث عنه . ولهذا يبدأ خطف النساء وشراء النساء منذ ظهور الزواج الثاني ، - وهما علامتان واسعتا الانتشار ، رغم انهما ليستا اكثر من علامتي تغير اشد عمقا بكثير ؛ ومن هاتين العلامتين اللتين كانتا لا تتعلقان الا باساليب الحصول على النساء ، لفق الدمى الاسكتلندي مارك لينان ، مع ذلك ، شكلين خاصين للعائلة : « الزواج بالخطف » و« الزواج بالشراء » ومن جهة اخرى ، ليس عقد الزواج عند الهنود الحمر الاميركيين وعند شعوب اخرى ( لا تزال في درجة التطور نفسها ) من شأن الذين سيتزوجون والذين لا يأخذون رأيهم في غالب الاحيان ، بل من شأن امهاتهم . وهكذا لا يندر ان تتم خطبة شخصين لا يعرفان ابدا احدهما الآخر ، ناهيك بانهم لا يطلعونهما على صفقة الزواج الا متى اقترب موعد الزواج وقبل العرس ، يقدم الخطيب هدايا الى اقارب الخطيبة في العشيرة ( اي الى اقاربها من جهة الام ، لا الى الاب والاقارب من جهته ) ؛ وتعتبر هذه الهدايا ثمن الفتاة التي سيعطونه اياها ومن الممكن فسخ الزواج بناء على رغبة كل من الزوجين ؛ ولكنه تكون تدريجياً عند كثير من القبائل ، وبينها مثلاً قبيلة الايروكوا ، رأي عام سلبي حيال فسخ الزواج فحين تنشأ الخلافات بين الزوجين ، يقوم اقرباء الزوجة واقرباء الزوج في العشيرة بدور الوساطة ، ولا يتم فسخ الزواج الا اذا اخفقت الوساطة ، مع العلم ان الاولاد يكونون للزوجة ، وانه يصبح من حق كل من الطرفين ان يتزوج من جديد

ان العائلة الثنائية ، التي هي بعد ذاتها على درجة كبيرة من الضعف وعدم الاستقرار بحيث انها لا تجعل من الضروري

او حتى من المرغوب فيه قيام اقتصاد بيتي خاص ، لا تقضي اطلاقا على الاقتصاد البيتي الشيوعي الموروث من مرحلة سابقة ولكن الاقتصاد البيتي الشيوعي يعني سيادة النساء في البيت ، كما ان الاعتراف بالام وحدها ، نظراً لاستحالة معرفة الوالد بكل ثقة ، يعني رفيع الاحترام للنساء اي للامهات وان الرأي الزاعم ان المرأة كانت عبدة الرجل في بداية تطور المجتمع هو من اسخف الآراء التي تركها لنا عصر الانوار في القرن الثامن عشر فان المرأة عند جميع المتوحشين وعند جميع القبائل في الطورين الادنى والوسط ، وجزئياً في الطور الاعلى من البربرية ، لا تتمتع بالحرية وحسب ، بل تشغل ايضاً مركزاً مشرفاً جداً اما ما هو هذا المركز في ظل الزواج الثنائي ، فيمكن ان يفيدنا عنه امير رايت الذي كان خلال سنوات عديدة مرسلاً بين الايروكوا من قبيلة سينيكاء . فهو يقول :

وفيما يخص عائلاتهم ، عندما كانت لا تزال تعيش في بيوت طويلة قديمة ( وهي اقتصادات بيتية شيوعية لبضع عائلات ) ... كان يهيمن دائماً «كلان» clan ما ( عشيرة ) وبعيد ان النساء كن يتزوجن من رجال «كلانات» ( عشائر ) اخرى . و... وعادة كان النصف النسائي يهيمن في البيت ؛ كانت الاحتياطات مشتركة ؛ ولكن الويل للزوج المنحوس او العشيق المنحوس الفائق الكسل او الفائق الخرافة ، فلا يسهم بقسطه في الاحتياطي المشترك فمهما كان عدد اولاده في البيت ومهما كانت ملكيته الشخصية في البيت ، فقد كان من الممكن ان يتلقى في كل لحظة امراً بربط صرته وبالرحيل ولم يكن ليجرؤ حتى للقيام بمحاولة لمقاومة هذا الامر ؛ فان البيت كان يتحول بالنسبة له الى جهنم ، ولم يكن يبقى له غير العودة الى «كلانه» ( عشيرته )

والسابق ، او غير عقد زواج جديد في «كلان» آخر - الامر الذي كان يحدث في اغلب الاحيان وكانت النساء قوة كبيرة في الكليات (العشائر) ، وكذلك في كل مكان على العموم وكن لا يترددن احيانا عن عزل زعيم ما وانزاله الى مرتبة محارب بسيط . \*

ان الاقتصاد البيتي الشيوعي الذي كانت فيه جميع النساء او اغليبيتهن ينتمين الى العشرة نفسها ، بينا الرجال ينتمون الى عشائر مختلفة ، هو الاساس الفعلي لتلك الهيمنة التي كانت تتمتع بها المرأة في الازمنة البدائية في كل مكان ، والتي يشكل اكتشافها ماثرة باهوفن الثالثة . - واضيف ايضا ان اخبار الرحالة والمرسلين حول العمل المرهق الملقى على عاتق النساء عند المتوحشين والبرابرة لا تناقض ابدأ ما قيل اعلاه فان تقسيم العمل بين الجنسين لا يشترطه وضع المرأة في المجتمع ، بل تشترطه اسباب مختلفة تماما فان الشعوب التي يجب عندها ان تشتغل النساء اكثر بكثير مما يترتب عليهن حسب تصوراتنا ، تبدي في غالب الاحيان من الاحترام الحقيقي للنساء اكثر بكثير مما يبديه اوروبيونا . فان «سيدة» عصر الحضارة ، المحاطة بالتقدير والاجلال الظاهريين ، والغريبة عن كل عمل حقيقي ، تشغل وضعا اجتماعيا ادنى الى لا حد له من وضع المرأة في عصر البربرية ، التي كانت تقوم بعمل مرهق والتي كانت تعتبر بنظر شعبها سيدة حقيقية ( lady, frowa, Frau = سيدة ) والتي كانت كذلك حقا وفعلا بحكم وضعها

\* راجع كذلك وارشفيف ماركس والجلس ، الطبعة الروسية ،



اما فيما يتعلق بمسألة معرفة ما اذا كان الزواج الثاني في اميركا قد حل تماما محل الزواج الجماعي ، فينبغي ان توضحها دراسة اوسع واعمق للشعوب الشمالية الغربية ولا سيما لشعوب اميركا الجنوبية ، التي لا تزال في الطور الاعلى من الوحشية . ففي القصر من هذه الشعوب الاخيرة ، نجد من الامثلة المتنوعة عن حرية العلاقات الجنسية ما يكاد يجعل من المستحيل هنا القول بزوال الزواج الجماعي القديم زوالا تاما . وعلى كل حال ، لم تزال بعد جميع آثاره فعند اربعين قبيلة في اميركا الشمالية على الاقل ، يحق للرجل الذي يتزوج الاخت الكبرى ان يتزوج ايضا جميع اخواتها ما ان يبلغن السن المقررة ، - وهذا اثر لمشاعية الرجال بالنسبة لمجموعة كاملة من الاخوات . ويروي بانكروفت عن سكان شبه جزيرة كاليفورنيا (الطور الاعلى من الوحشية) انهم يقيمون احتفالات تجتمع فيها عدة «قبائل» بقصد المضاجعة غير المنظمة . والمقصود هنا ، على الأرجح ، العشائر التي كانت هذه الاحتفالات بالنسبة لها شكلا يحتفظ بدكريات غامضة عن ذلك الزمن الذي كان فيه جميع رجال عشيرة واحدة ازواجا مشتركين لنساء عشيرة اخرى ، والعكس بالعكس . ومثل هذه العادة لا تزال سارية المفعول في استراليا ويحدث عند بعض الشعوب ان يستغل الشيوخ والزعماء والكهنة السحرة في مصلحتهم مشاعية النساء ويحتكروا اغلبية النساء لانفسهم ؛ ولكنه يتعين عليهم مقابل ذلك في اعياد معينة وفي زمن الاجتماعات الشعبية الكبيرة ان يجزوا من جديد مشاعية النساء التي كانت قائمة من قبل ويسمحوا لنسائهم بالترفة مع الشبان . ويورد فسترمارك في الصفحتين ٢٨ و ٢٩ من كتابه جملة كاملة من الامثلة على هذه «الساتورنالات» (١١٧) الدورية التي كانت تقوم فيها من جديد لفترة قصيرة من الزمن

العلاقات الجنسية الحرة السابقة : عند قبائل الهو والسانتال والبانجا والكوتار في الهند ، وعند بعض الشعوب الافريقية ، الخ . . ومن المستغرب ان فستمارك يستخلص من هنا استنتاجاً مفاده ان هذه ليست من بقايا الزواج الجماعي الذي ينكر وجوده ، بل بقايا فترة الهيجان ، المشتركة بين الانسان البدائي والحيوانات الاخرى . وهنا نصل الى الاكتشاف الرابع الكبير الذي حققه باهوفن ، وهو اكتشاف شكل واسع الانتشار . للانتقال من الزواج الجماعي الى الزواج الثنائي . ان ما يصوره باهوفن بصورة تكفير عن مخالفة وصايا الالهة القديمة ، - وهو تكفير تشتري المرأة به الحق في الصفاق ، - ليس في الواقع غير تعبير صوفي للتكفير الذي كانت به المرأة تفدي نفسها من مشاهية الرجال القائمة في الازمنة السابقة وتكسب الحق في ان تكون لرجل واحد فقط ان هذه الفدية تلتخص في عادة مضاجعة النمر ، المحدودة باطارات معينة : فقد كان ينبغي على النساء البابلديات ان يضاجعن الرجال مرة واحدة في السنة في هيكل ميليتا ؛ وكانت شعوب اخرى في آسيا الصغرى ترسل بناتها لسنوات بكاملها الى هيكل الايتيس حيث كان ينبغي عليهن ممارسة الحب الحر مع محظيين من اختيارهن قبل ان ينلن الحق في الزواج . وهناك عادات مماثلة مجلبية بجلباب ديني ملازمة لجميع الشعوب الاسيوية تقريباً التي تعيش بين البحر الابيض المتوسط ونهر الفانج . ثم ان الكفارة التي تضطلع بدور الفدية تغدو اسهل فاسهل مع مر الزمن ، كما سبق ولاحظ باهوفن :

وان الكفارة المقدمة سنويا تحمل محلها الكفارة الواحدة الوحيدة ؛ وهيترية السيدات المسنات تحمل محلها هيترية الفتيات ؛ ومحل ممارستها

اتناء الزواج تحل ممارستها قبل الزواج ؛ ومحل الاستسلام للجميع دون اي تمييز ، يحل الاستسلام لاشخاص معينين « (وحق الام) ، ص ١١٩ .

ولا وجود للجلباب الديني عند شعوب اخرى ؛ فعند بعضها ، -  
 في الازمنة القديمة ، عند التراقيين والسلت وغيرهم ، وفي الازمنة  
 العاصرة ، عند كثيرين من سكان الهند الاصليين ، وعند شعوب  
 الملايو ، وعند سكان جزر المحيط الهادي ، وعند كثيرين من  
 الهنود الحمر الاميركيين ، - تتمتع الفتيات قبل الزواج بكامل  
 الحرية في العلاقات الجنسية وهذا الوضع منتشر على الاخص في  
 كل مكان تقريباً من اميركا الجنوبية ، الامر الذي يمكن ان يشهد  
 عليه كل من تغفل ، وان قليلا ، في اعماق هذه القارة فان  
 اغاسيس (رحلة في البرازيل) ، بوسطن ونيويورك ، عام ١٨٨٦ ،  
 ص ٢٦٦ ) يروي لنا ما يلي عن عائلة غنية من اصل الهنود الحمر .  
 فعندما تعرف على الابنة ، سال عن والدها مفترساً انه زوج امها  
 الذي اشترك آنذاك في الحرب ضد الباراغواي بوصفه ضابطاً ؛ ولكن  
 الام اجابت بابتسامة : *nao tem pai,é filha da fortuna* - ليس  
 لها اب ، انها ابنة الصدفة

وهكذا نقول دائما النساء من الهنود الحمر والنساء الهجانن دون  
 حياء وخجل من اولادهن غير الشرعيين ؛ وليس هذا استثناء ، بل  
 العكس هو بالاحرى استثناء ان الاولاد لا يعرفون في غالب الاحيان  
 غير امهم لأنها تتحمل كل الهموم وكل المسؤولية ؛ وهم لا يعرفون  
 شيئاً من والدهم ؛ ناهيك بانه لا يخطر ابدأ في بال المرأة ، اغلب الظن ،  
 انه يمكن ان يكون لها او لاولادها اي حق عليه .

ان ما يبدو هنا غريبا بالنسبة لانسان متحضر ، هو القاعدة بكل بساطة بموجب الحق الامي وفي ظل الزواج الجماعي .  
وعند بعض الشعوب ، يمارس اصداقاء العريس وانسابؤه  
لو الضيوف المدعوون الى العرس ، اثناء العرس بالذات ، الحق على  
لعروس الموروث منذ الازمنة القديمة ، مع العلم ان العريس يأتي  
الاخير في الدور ؛ هكذا كان الحال في الازمنة القديمة في جزر  
الباليار وعند الاوجيليين الافريقيين ، وهكذا هو الحال في الازمنة  
الحاضرة عند الباريا في الحبشة . وعند شعوب اخرى يمثل شخص  
رسمي - زعيم القبيلة او العشيرة ، الكاسيك او الشامان او الكاهن  
او الامير ، او ايا كان لقبه ، - الجماعة المعنية ويمارس حق  
الليلة الاولى على العروس . ورغم جميع جهود الرومانطيين الجدد  
لتبويض صفحة هذا الواقع ، لا يزال هذا *jus primae noctis*\*  
ساري المفعول في الوقت الحاضر ، بوصفه اثراً من آثار الزواج  
الجماعي ، عند اغلبية سكان الاسكا ( بانكروفت ، «العروق المحلية» ،  
المجلد الاول ، ص ٨١ ) ، وعند التاهو في المكسيك الشمالية ،  
( المراجع ذاته ، ص ٥٨٤ ) ، وعند شعوب اخرى ؛ وكان قائماً  
في جميع القرون الوسطى ، - على الاقل في البلدان التي كانت في  
البدء سلتية ، كما في اراغون مثلاً ، والتي نجم فيها مباشرة من  
الزواج الجماعي . وبيننا لم يكن الفلاحون يوماً في كاستيليا اقناناً ،  
كانت القنانة تسود بابعش مظاهرها في اراغون حق قرار فرديناند  
الكاثوليكي في عام ١٤٨٦ . وقد جاء في هذه الوثيقة :

واننا نقرر ونعلن ان السادة المذكورين اعلاه  
( seignors ، البارونات ) ... لا يملكون كذلك الحق في قضاء الليلة

الاول مع المرأة التي يتزوجها الفلاح ، ولا الحق في التفوز ، في ليلة العرس ، كدليل على سيادتهم ، فوق المرأة او فوق السرير بعد ان تضطجع المرأة ؛ كذلك لا يملك السادة المذكورون اعلاء الحق في استخدام ابنة الفلاح او ابنة زلفاً عنهما ، سواء بأجر او بدون اجر . ( النص الاصيل باللغة الكاتالونية وارد عند زوغنهم ، والقناة ) ، بطرسبورغ ، عام ١٨٦١ ، ص ٢٥٥ .

ويقينا ان باهوفن على حق مرة اخرى حين يؤكد بالحاح ان الانتقال مما يسميه «الهيتيرية» او «الحمل الاثيم» الى الزواج الاحادي قد تحقق اساساً بفضل النساء . فبقدر ما كانت العلاقات بين الجنسين المتوارثة من قديم الزمان تفقد طابعها البدائي الساذج مع تطور ظروف الحياة الاقتصادية وبالتالي مع تفسخ وانحلال الشيوعية البدائية وتزايد كثافة السكان ، بقدر ما كانت هذه العلاقات تبدو للنساء مذلة ومرهقة ، وما كان لا بدّ لهن من السعي بالحاح مشتد ابدأ الى نيل الحق في العفاف او في الزواج الموقت او الدائم من رجل واحد فقط ، بوصفه سبيلاً للخلاص . ولم يكن من الممكن ان يحصل هذا التقدم بفضل الرجال ، وذلك لاسباب عديدة ، منها انه لم يخطر لهم قط في البال ، حق في ايماننا هذه ايضاً ، التخلي عن ملذات الزواج الجماعي العملي . وبعد ان تحقق الانتقال الى الزواج الثنائي بفضل النساء ، بعد ذلك فقط استطاع الرجال ادخال نظام وحدة الزواج الصارم ، - وطبعاً بالنسبة للنساء فقط .

لقد ظهرت العائلة الثنائية على التخوم بين الوحشية والبربرية ، وظهرت على الاغلب في الطور الاعلى من الوحشية ، وهنا وهناك في الطور الادنى من البربرية . وهي شكل العائلة المميز

بالنسبة لعصر البربرية ، مثلما الزواج الجماعي بالنسبة للوحشية ، واحادية الزواج بالنسبة للحضارة . ولكي توصل العائلة الثنائية طورها حتى تبلغ احادية الزواج المتينة ، كان لا بد من اسباب غير التي فعلت فعلها حتى الآن كما سبق وراينا . ففي المساكنة الثنائية ، جرى تقليص الجماعة حتى وحدتها الاخيرة ، حتى جزئيتها من ذرتين ، حتى رجل واحد وامرأة واحدة وانجز الاصطفاء الطبيعي عمله بتقليص حلقة جماعية الزوجات بصرامة مشتدة ابدأ . ولم يبق له ما يفعله في هذا الاتجاه . ولو لم تدخل الحلبة بالتآلي قوى محركة جديدة ، إجتماعية ، لما كان ثمة اي اساس لنشوء شكل جديد للعائلة من المساكنة الثنائية . ولكن مثل هذه القوى المحركة اخذت تفعل فعلها .

ونفادر الآن لميركا ، هذه التربة الكلاسيكية للعائلة الثنائية وليس ثمة اي علائم تتيح لنا ان نخلص الى القول بانه تطور هنا شكل اعلى للعائلة ، وبانه كانت تقوم هنا في مكان ما احادية زواج متينة قبل الاكتشاف والفتح . اما الحال في العالم القديم ، فآخر .

فهنا ادى تدجين الحيوانات وتربية القطعان الى خلق مصادر للثروة لم يسمع بمثلا من قبل ، والى نشوء علاقات اجتماعية جديدة تماما . فحقى الطور الادنى من البربرية ، كانت الثروة الدائمة لا تتألف تقريبا الا من المساكن والالبسة والحلي الفخشة والادوات للحصول على الطعام وتحضيره ، اي الزوارق والاسلحة والآلية المنزلية البدائية . وكان ينبغي الحصول على الطعام من جديد ، يوما بعد يوم . اما من الآن وصاعداً ، فان شعوب الرعاة اخذت تتقدم اكثر فاكثر : فان الآريين في البنجاب وفي وادي نهر الغانج ، وكذلك في سهوب حوضي نهري اوكسوس وياكسارت التي كانت

أندالك اغنى بكثير بالماء ، والساميين على ضفاف نهري الفرات ودجلة ، قد وجدوا في قطمان الخيل والجمال والحمير والبقر والغنم والماعز والخنازير ملكية كانت لا تتطلب غير المراقبة وغير ابسط صنوف العناية لكي تتكاثر باعداد متنامية ابدأ وتقدم طعاماً من الالبان واللحوم وافراً للغاية . وهكذا تراجعت الآن جميع الاساليب السابقة للحصول على الطعام الى المرتبة الثالثة ؛ والصيد الذي كان من قبل ضرورة اصبح الآن بدخاً .

ولكن من ذا الذي كانت تخصه هذه الثروة الجديدة ؟ في البدء ، كانت ، بلا ريب ، تخص العشيرة ، بيد انه كان لا بداً للملكية الخاصة للقطعان ان تتطور باكراً . ومن العسير القول ما اذا كان موسى ، مؤلف ما يسمى بالكتاب الاول ، قد اعتبر البطريك ابراهيم مالكا لقطعانه بموجب حقه الشخصي بوصفه رئيس مشاعة عائلية ، ام بموجب مركزه كرئيس يرث بالفعل عشيرة هناك امر واحد لا ريب فيه ، هو انه ينبغي لنا الا نتصوره مالكا بمعنى هذه الكلمة الحالي . ولا ريب ايضاً اننا نجد على عتبة التاريخ الذي نملك منه الوثائق ، ان القطعان كانت في كل مكان ملكاً خاصاً لرؤساء العائلات ، شأنها تماماً شأن المنتجات الفنية في عصر البربرية والادوات المنزلية المعدنية ، ومصنوعات البدخ والزينة ، واخيراً القطيع البشري ، اي العبيد

لانه تم الآن اختراع العبودية ايضاً فلم يكن للعبد قيمة او نفع بالنسبة لانسان الطور الأدنى من البربرية ولهذا كان الهنود الحمر الاميريكيون يعاملون الاعداء المغلوبين بغير الطريقة التي فرهوا يعاملونهم بها في درجة اعلى من التطور فقد كانوا يقتلون الرجال او يأخذونهم كاخوة لهم في قبيلة المنتصرين وكانوا يأخذون النساء زوجات لهم او يضمونهم كذلك بوسيلة

اخرى الى قبيلتهم مع اولادهم السالمين وفي هذه الدرجة من التطور كانت قوة عمل الانسان لا تعطي بعد اي فائض ما ملحوظ يزيد على نفقات اعالته ولكن الوضع تغير مع ادخال تربية الماشية وشفل المعادن والحياسة ، ثم الزراعة في آخر المطاف . فقد حدث لقوة العمل ، ولا سيما بعد ان اصبحت القطعان نهائيا ملكية عائلية ، نفس ما حدث للنساء اللواتي كان الحصول عليهن من قبل سهلا للغاية واللواتي اصبحت لهن قيمة تبادل وغدون سلعة تباع وتشترى . ولم تكن العائلة تتكاثر بسرعة تكاثر القطيع . كذلك ظهرت الآن الحاجة الى مزيد من الناس لاجل مراقبة القطيع . ولهذا الغرض ، كان من الممكن استخدام العدو الاسير الذي كان يوسعه ، فضلا عن ذلك ، ان يتكاثر بسهولة مثل المواشي وما ان اصبحت هذه الثروات ملكية خاصة للعائلات وما ان تنامت بسرعة ، حتى سددت ضربة قوية الى المجتمع المؤسس على الزواج الثنائي والعشيرة الامية . لقد ادخل الزواج الثنائي الى العائلة عنصراً جديداً فالى جانب الام الحقيقية ، الفعلية ، وضع الاب الحقيقي ، الفعلي ، الثابت ، الذي كان كذلك ، اغلب الظن ، اكثر نبوتاً من بعض «الآباء» الحاليين وبموجب تقسيم العمل الساري المفعول آنذاك في العائلة ، كان على الزوج ان يستحصل على الغذاء وعلى ادوات العمل الضرورية لهذا الغرض ، وكان له بالتالي حق ملكية ادوات العمل هذه ؛ وفي حال فسخ الزواج ، كان يأخذها معه ، بينما كانت الزوجة تحتفظ بالآلية المنزلية وبموجب العرف والمادة السائدين في المجتمع آنذاك ، كان الزوج بالتالي مالكا ايضاً لمصدر الغذاء الجديد ، اي للقطيع ، ومالكا فيما بعد لاداة العمل الجديدة ، اي العبيد . ولكن بموجب العرف والمادة السائدين في ذلك المجتمع ، لم يكن بوسع اولاده ان يرثوه . ففيما يخص الارث ، كان الوضع كما يلي :



بموجب الحق الامي ، اي طالما كان النسب لا يحسب الا تبعاً لحبل النسل النسائي ، وكذلك بموجب نظام الوراثة البدائي في العشيرة ، كان العضو المتوفى في العشيرة يرثه انسابؤه في العشيرة . وكان ينبغي ان يبقى الارث في العشيرة . وبما ان الاشياء التي يتألف منها الارث كانت زهيدة ، فقد كانت ، على الأرجح ، تنتقل بالفعل منذ غابر الازمان الى اقرب الانسباء ، اي الى الاقرباء بالدم من ناحية الام . ولكن اولاد الرجل المتوفى كانوا لا ينتمون الى عشيرته ، بل الى عشيرة امهم ؛ فكانوا يرثون امهم بادي ذي بدء مع سائر اقربائها بالدم ، وفيما بعد ، في المقام الاول اغلب الظن بيد انه لم يكن بوسعهم ان يرثوا والدهم لأنهم كانوا لا ينتمون الى عشيرته ، فكان ينبغي ان يبقى ملك الاب في هذه العشيرة . ولذا بعد وفاة صاحب القطعان ، كان ينبغي ان تنتقل قطعانها في المقام الاول الى اخوته واخواته والى اولاد اخواته او حق الى ذريات اخوات امه . اما اولاده بالذات ، فكانوا محرومين من ارثه

وهكذا ، بقدر ما كانت الثروات تنامي ، كانت من جهة تعطي الزوج في العائلة مركزاً اهم من مركز الزوجة ، وكانت من جهة اخرى تولد السعي الى الاستفادة من هذا المركز المترسخ لاجل تغيير نظام الوراثة التقليدي في مصلحة الاولاد . ولكنه لم يكن من الممكن ان يتحقق هذا طالما كان النسب يحسب تبعاً للحق الامي . ولهذا كان ينبغي الغاء هذا الحق ، فألغي . ولم يكن ذلك صعباً بالقدر الذي نتصوره الآن . فان هذه الثورة ، التي كانت من اهم الثورات التي عرفتها البشرية ، لم تكن بحاجة الى مس اي من اعضاء العشيرة الاحياء فقد كان في وسعهم جميعهم ان يبقوا كما كانوا بالامس . كان يكفي اتخاذ قرار بسيط يقضي بان تبقى

ذرية اعضاء العشيرة الرجال في المستقبل ضمن العشيرة وبان تخرج ذرية اعضاء العشيرة النساء منها وتنتقل الى عشيرة والداها وهكذا أُلقي الانتساب حسب حبل النسل النسائي وحق الوراثة حسب خط الام ، وأُقر الانتساب حسب حبل النسل الرجالي وحق الوراثة حسب خط الوالد . ونحن لا نعرف شيئاً عن كيف ومتى تحققت هذه الثورة عند الشعوب المتمدنة فهي تعود بكليتها الى عهد ما قبل التاريخ . اما ان هذه الثورة قد تحققت ، فهذا ما اعطت عنه وفراً من البراهين المعلومات التي جمعها باهوفن على الاخص من آثار الحق الامي المدينة . ونحن نرى باي سهولة تتحقق من مثال جملة كاملة من قبائل الهندو الحمر حيث لم تتحقق الا مؤخراً وحيث لا تزال تتحقق جزئياً من جراء تعاطم الثروة ومن جراء التفخيرات في نمط الحياة ( الانتقال من الغابات الى المروج ) ، وجزئياً من جراء تأثير الحضارة والمرسلين الاخلاقي فان ست قبائل من اصل ثماني قبائل في حوض نهر ميسوري تحسب النسب وتعترف بالارث تبعاً لخط الرجل ، بينما قبيلتان تحسبان النسب وتعترفان بالارث تبعاً لخط المرأة . وعند قبائل الشاوني والميامي والديلاوار ، ترسخت عادة تسمية الاولاد باحد اسماء عشيرة والدهم لادخالهم على هذا النحو الى عشيرة الوالد ، لكي يصبح بإمكانهم ان يرثوا والدهم . وان تغيير الاشياء بتغيير اسمائها ، والسعي الى ايجاد وسيلة تتيح مخالفة التقاليد مع البقاء في اطار التقاليد ، حين تكون المصلحة المباشرة حافزاً كافياً هما سفسطة فطر عليها الانسان ! ( ماركس ) \* ومن هنا نجم

\* راجع وارشيف ماركس والجلس ، الطبعة الروسية ، المجلد

تشوش مستحص كان يمكن القضاء عليه ، وقد قضى عليه جزئياً ،  
بالانتقال الى الحق الابوي ، وان هذا الانتقال يبدو على العموم  
طبيعياً للغاية ( ماركس ) . - . لما ما يمكن ان يقوله لنا  
الحقوقيون ممن يلجأون الى طريقة المقارنة ، عن الشكل الذي  
تحقق به هذا الانتقال عند الشعوب المتقدمة في العالم القديم ،  
- فانه يقتصر كله تقريباً على الفرضيات بالطبع ، - انظر  
م . كوفاليفسكي « عرض موجز عن اصل وتطور العائلة والملكية » ،  
ستوكهلم ، ١٨٩٠

ان اسقاط الحق الامي كان هزيمة تاريخية هائلة للجنس  
الانسائي . فقد اخذ الزوج دفة القيادة في البيت ايضاً ، وحرمت  
الزوجة من مركزها المشرف ، واستذلت ، وغدت عبدة رغائب  
زوجها ، وامست اداة بسيطة لانتاج الاولاد ان وضع المرأة  
المدل هذا ، الذي يظهر ببالغ السفور عند يونانيي العصر البطولي  
وبسفور اشد عند يونانيي العصر الكلاسيكي قد طلي تدريجياً  
رياء ونفاقاً بالمساحيق ، وأُضيفت عليه احياناً اشكال اخف  
وارق ، ولكن لم يقض عليه اطلاقاً

وما ان اقرت سلطة الرجال بوجه الحصر على هذا النحو ،  
حق اخذ مفعولها الاول يتبدى في شكل انتقالي ظهر آنذاك ، هو  
شكل العائلة البطريوكية ( الابوية ) . ان الميزة الرئيسية التي تتميز  
بها هذه العائلة ليست تعدد الزوجات ، الذي سيتناوله الكلام فيما  
بعد ، بل .

وتنظيم عدد معين من الاشخاص ، الاحرار وغير الاحرار ، في

\* راجع « ارشيف ماركس والجنس » ، الطبعة الروسية ، المجلد  
٩ ، ص ١١٢ . الناشر .

عائلة تخضع للسلطة الأبوية لرئيس العائلة . ففي العائلة السامية ، يعيش رئيس العائلة هذا في ظل تعدد الزوجات ، وللعبيد زوجات واولاد ، ولهاية لتنظيم كله رعاية القطعان في حدود رقعة معينة من الارض ( ١١٨ )

ان ضم العبيد الى هذه العائلة والسلطة الابوية هما العلامتان الجوهريتان اللتان تميزان هذه العائلة . ولهذا كانت العائلة الرومانية النموذج النهائي الكامل لهذا الشكل من العائلة . ان كلمة familia لا تعني ، في الاصل ، المثال الاعلى للبرجوازي الصغير التافه المعاصر الذي يجمع في ذاته بين العاطفية والمشاجرات البيئية ؛ بل انها لا تعني بادىً ذي بدء عند الرومانيين الزوج والوجة والاولاد ، بل تعني العبيد فقط . ان كلمة Famulus تعني العبد البيتي ، وكلمة familia تعني مجموعة العبيد الذين يخصون رجلا واحداً وحتى في زمن غايوس ، كانت familia, id est patrimonium ( اي الميراث ) تورث بالوصية . وقد استنبط الرومانيون هذا التعبير لاجل تعريف الهيئة الاجتماعية الجديدة التي كان رئيسها سيداً على المرأة والاولاد وعدد معين من العبيد وكان يملك ، بحكم السلطة الابوية الرومانية ، حق الحياة والموت على جميع هؤلاء الاشخاص الخاضعين له .

وعليه ، ليس هذا التعبير القدم من النظام العالي المصنح الذي انبثق عند القبائل اللاتينية بعد ادخال الزراعة والعبودية الفرعية ، وبعد انفصال الايطاليين الآريين عن اليونانيين ، ( ١١٩ )

ويضيف ماركس قائلاً : وان العائلة المصرية لا تنطوي على جنين العبودية (servitus) وحسب ، بل ايضاً على جنين القنانة ، لانها مقرولة منذ بادىً بدء بفروض (خدمات) الزراعة . وهي

تنطوي بشكل مصغر على جميع التناقضات التي تطورت فيما بعد على نطاق واسع في المجتمع وفي دولته \* .

ان شكل العائلة هذا يعني الانتقال من الزواج الثنائي الى احادية الزواج فلأجل ضمان امانة المرأة ، وبالتالي لأجل ضمان ابوة الاولاد ، توضع الزوجة تحت سلطة زوجها المطلقة ؛ فاذا قتلها ، فاته لا يفعل غير ان يمارس حقه .

مع ظهور العائلة البطيريركية ، ندخل في ميدان التاريخ المكتوب وندخل بالتالي في ميدان يستطيع فيه القانون المقارن ان يقدم لنا مساعدة كبيرة . وبالفعل ، ساعدنا هذا العلم على القيام هنا بخطوة كبيرة الى امام . فنحن مدينون لمكسيم كوفاليفسكي ( « عرض موجز عن اصل وتطور العائلة والملكية » ، ستوكهلم ، عام ١٨٩٠ ، ص ص ٦٠-١٠٠ ) بالبرهان على ان المشاعة البيتية البطيريركية التي نجدها الآن عند الصرب والبلغار باسم زادروغا Zadruga ( وتعني تقريبا رابطة ، تعاونية ) او براتستفو Bratstvo ( اخوية ) وفي شكل آخر عند الشعوب الشرقية قد شكلت الدرجة الانتقالية من العائلة التي انبثقت من الزواج الجماعي وقامت على الحق الامي ، الى العائلة الفردية في العالم الحالي . وهذا ، على ما يبدو ، ثابت فعلا على الاقل فيما يخص الشعوب المتمدنة في العالم القديم ، فيما يخص الآريين والساميين

ان زادروغا سلافية الجنوب هي غير مثال لا يزال حيا على هذا النوع من المشاعة العائلية . فهي تضم بضعة اجيال من اخلاف يتحدرون من اب واحد مع زوجاتهم ، ناهيك بانهم يعيشون معا

\* راجع « ارشيف ماركس وانجلس » ، الطبعة الروسية ، المجلد ٩ ، ص ٣١ . الناشر .

في بيت واحد ويعرثون حقولهم بصورة مشتركة ويأكلون ويلبسون من الاحتياطات المشتركة ويملكون معاً الدخل الفائض . وتضع المشاعة للإدارة العليا لرب البيت (domàcin) الذي يمثلها حيال العالم الخارجي ، ويحق له ان يبيع الاشياء الصغيرة ، ويدير الصندوق ويتحمل المسؤولية عن الصندوق وعن حسن سير الاستثمار كلها وهو يُنتخب ، وليس من الضروري حتماً ان يكون اكبر الاعضاء سنّاً . والنساء يخضعن مع ما يقمن به من اعمال لقيادة ربة البيت (domàcica) التي هي عادة زوجة رب البيت . وهي ايضاً تضطلع بدور هام ، غالباً ما يكون الدور الحاسم ، عند اختيار الأزواج لاجل فتيات المشاعة . ولكن السلطة العليا تنحصر في المجلس العائلي ، في اجتماع جميع اعضاء المشاعة الراشدين ، سواء منهم النساء او الرجال . وامام هذا الاجتماع يقدم رب البيت حساباً ؛ والاجتماع يتخذ القرارات النهائية ويحاكم اعضاء المشاعة ويقرر عمليات البيع والشراء الهامة - ولا سيما عندما تتعلق بالاراضي - والخ

ومنذ نحو عشرة اعوام فقط ، اقيم الدليل على ان مثل هذه المشاعات العائلية الكبيرة لا تزال قائمة في روسيا ايضاً ( ١٢٠ ) . ومن المعترف الآن من الجميع انها تمد جذورها عميقاً في العادات الشعبية الروسية فانها شأنها شأن المشاعة القروية وهي ترد في اقدم المجموعات الروسية من القوانين ، في «حقيقة» ياروسلاف ، تحت الاسم نفسه (Vervjz) الذي ترد به في القوانين الدلماتية (١٢١) ، كما توجد ايضاً اشارات اليها في المصادر التاريخية البولونية والتشيكية

وعند الجرمان كذلك ، كما يقول هويسلر ( واسس الحق  
الجرماني ) ، ليست الوحدة الاقتصادية ، في الاصل ، العائلة  
الفردية بمعناها الحالي ، بل (المشاعة البيتية) التي تتألف من  
عدة اجيال مع هائلاتها ، وتشمل ايضا العبيد في احيان كثيرة  
ان العائلة الرومانية تنتمي هي ايضا الى هذا النموذج ، ولهذا  
كانت سلطة الاب المطلقة وحرمان سائر اعضاء العائلة من الحقوق  
حياله موضع جدال قوي في الآونة الاخيرة فقد كانت توجد ،  
على ما يبدو ، مشاعات عائلية مماثلة عند السلت من سكان  
ارلنده وفي فرنسا ، دامت هذه المشاعة في مقاطعة نيفريه  
حتى الثورة الفرنسية تحت اسم parçonneries ، بينما لم تزل بعد  
كلياً في ايامنا في مقاطعة فرانك-كونته . وفي ناحية لوان ( محافظة  
سون-اي-لوار ) ، تقع العين على بيوت فلاحية كبيرة فيها  
قاعة مركزية عالية بعلو السقف نفسه تحيط بها من كل جانب  
غرف للنوم يصعدون اليها بسلام من ٦ او ٨ درجات ، وتعيش  
فيها بضعة اجيال من العائلة ذاتها

ولقد اشار نيارخ في عصر الاسكندر الكبير الى وجود مشاعة  
بيتية في الهند تقوم على اساس المشاركة في حراقة الارض ؛  
وهذه المشاعة لا تزال موجودة الآن في المكان ذاته ، اي البنجاب  
وفي عموم القسم الشمالي الغربي من البلد . واستطاع كوفاليفسكي  
نفسه اثبات وجودها في القفقاس . وفي الجزائر لا تزال قائمة في  
بلاد القبائل . وهي كانت موجودة ، على ما يبدو ، حتى في اميركا ؛  
ويعتقدون انها موجودة في "calpullis" (١٢٢) بالمكسيك القديمة  
التي يصفها سوريئا . وبالعكس ، اثبت كونوف ( "Ausland"  
(١٢٢) ، العدد ٤٢-٤٤ ، عام ١٨٩٠ ) بما يكفي من الوضوح  
انه كان يوجد في البيرو عند فتحها ، شيء ما يشبه نظام (المارك)

(ومن المدهش حقا ان هذه «المارك» كانت تسمى كذلك (marca) ويقوم على التقسيم الدوري للأراضي المحروقة ، وبالتالي على الحراثة الفردية

وعلى كل حال ، تكتسب الآن المشاعة البيتية البطريركية التي تقوم على الشراكة في ملكية الأرض وحراثتها ، أهمية تختلف تماما عن أهميتها السابقة . فلم يعد بوسعنا الآن ان نضع موضع الشك ذلك الدور الكبير الذي اضطلعت به عند الشعوب المتمدنة وبعض الشعوب الأخرى في العالم القديم عند الانتقال من العائلة المؤسسة على الحق الأمي الى العائلة الفردية . وسنعود مرة أخرى في عرضنا الى الاستنتاج الآخر الذي خلص اليه كوفاليفسكي والقائل انها كانت كذلك درجة انتقالية نشأت منها المشاعة القروية او المشاعة المارك القائمة على حراثة الأرض بصورة فردية من قبل مختلف العائلات ، وعلى تقسيم الحقول والمراعي بصورة دورية لولا ثم بصورة نهائية .

وفيما يخص الحياة العائلية في داخل هذه المشاعات البيتية ، تجدر الإشارة الى انه من المعروف ان رؤساء العائلات في روسيا على الأقل يسيئون كثيراً استغلال مركزهم حيال النساء الشابات في المشاعة ، ولا سيما حيال كنانهم ، وغالباً ما يشكلون منهن لانفسهم حريماً ؛ والاغاني الشعبية الروسية بليغة الدلالة في هذا الصدد .

وقبل الانتقال الى احادية الزواج التي تطورت بسرعة منذ سقوط الحق الأمي ، نقول بضع كلمات أخرى عن تعدد الزوجات وتعدد الأزواج ان شكلي الزواج هذين لا يمكنهما ان يكونا غير استثناء - غير منتوجي بلخ من منتوجات التاريخ ، اذا جاز القول ، - اذا لم يكونا موجودين كلاهما في البلد نفسه في آن واحد ؛



وليست الحال هكذا ، كما هو معروف . وبما انه لم يكن بالتالي في مقدور الرجال المفصولين عن شكل تعدد الزوجات ان يجدوا العزاء عند النساء اللواتي صرن زائدات بفعل شكل تعدد الأزواج ، وبما ان عدد الرجال والنساء ظل حتى الآن متساويا تقريبا ، بصرف النظر عن المؤسسات الاجتماعية ، فلم يكن من الممكن ان يتعمم هذا الشكل او ذلك من اشكال الزواج من تلقاء نفسه وبالفعل ، كان تعدد الزوجات عند رجل واحد ، بكل تأكيد ، نتيجة للعبودية وكان مقصورا على من يشغلون مركزا استثنائيا وفي العائلة البطيركية ( الابوية ) السامية ، كان البطيرك ( الاب ) وحده ، وبعض من ابنائه في افضل الاحوال ، يعيشون في حالة تعدد الزوجات ، بينما كان ينبغي للاخرين ان يكتفوا بزوجة واحدة . ولا يزال هذا الوضع قائما في الوقت الحاضر في الشرق كله . فان تعدد الزوجات هو امتياز الاغنياء والاعيان ، ويتحقق اساسا بشراء العبدات ؛ اما سواد الشعب فيعيش في حالة احادية الزواج ؛ كذلك يشكل تعدد الأزواج استثناء في الهند والتيبب ؛ ولا ريب ان مسألة اصل هذا الشكل من الزواج الذي تحدر من الزواج الجماعي لا تغلو من الطرافة ، ولا تزال تتطلب المزيد من الدراسة ومن جهة اخرى ، يبدو تعدد الأزواج ، في ممارسته العملية ، اكثر تساهلا بكثير من تنظيم الحريم عند المسلمين القائم على الضيقة ذلك هو الحال ، مثلا ، عند النايير في الهند على الاقل ، رغم ان لكل ثلاثة رجال او اربعة او اكثر امرأة واحدة مشتركة ، ولكن بمقدور كل منهم ان تكون له ايضا بالمشاركة مع ثلاثة رجال او اكثر زوجة ثانية وكذلك زوجة ثالثة ورابعة ، الخ ومن المدهش ان مالكلينان الذي وصف هذه النوادي الزوجية التي يمكن لعضائها ان يكونوا في الوقت ذاته اعضاء في عدة

نواد ، لم يكتشف الفئة الجديدة من **زواج النوادي** . ولكن عادة النوادي الزوجية هذه ليست ابدأ بالفعل شكل تعدد الأزواج ، بل هي ، على العكس ، كما اشار جبروطولون ، مجرد شكل خاص من الزواج الجماعي ؛ فالرجال يعيشون في حالة تعدد الزوجات والنساء في حالة تعدد الأزواج .

٤ - **العائلة الاحادية** . انها تنشأ ، كما سبق وقلنا ، من العائلة الثنائية ، في المرحلة الواقعة بين الطورين الاوسط والاعلى من اطوار البربرية . وانتصارها النهائي هو احدى العلام على بداية عصر الحضارة . ان هذه العائلة تقوم على سيادة الزوج مع الرغبة الصريحة في ولادة اولاد تكون ابوتهم ثابتة لا جدال فيها ، وبوت الابوة هذا ضروري لان الاولاد سيملكون اموال والدهم ذات يوم بوصفهم ورثته المباشرين . وهي تمتاز عن الزواج الثنائي بكون عرى الزواج امتن بكثير ، وبانه لم يعد من الممكن فسخ هذه العرى كلما طاب لاحد الزوجين . فالزوج وحده على العموم ، هو الذي يسهه الآن ان يفسخ هذه العرى ويطلق امرأته . ثم ان حق الخيانة الزوجية لا يزال مضمونا له في الوقت الحاضر ايضا ، وان بحكم العرف والعادة على الاقل ، ( ان • Code Napoléon تمنح الزوج هذا الحق بكل وضوح ، شرط الا يأتي بعشيقته الى المنزل للعائلي (١٢٤) ) ، وهذا الحق يُمارس على نطاق اوسع فاوسع بقدر ما يستمر التطور الاجتماعي . اما اذا تذكرت الزوجة الممارسة الجنسية القديمة وارادت ان تستأنفها ، فانها تتعرض لعقاب اقسى مما في اي وقت مضى .

ان شكل العائلة الجديد يظهر امامنا بكل صرامته عند

الافريق فان دور الالهات في الميثولوجيا ، كما لاحظ  
 ماركس \* ، يصور لنا هداً سبق كانت فيه النساء يشغلن  
 مركزاً اوفر حرية وتقديراً واحتراماً ؛ اما في العهد البطولي ، فاننا  
 نجد المرأة منحطة المقام من جراء سيادة الرجل ومزاحمة  
 العبدات . حسبنا ان تقراً في «الاذيسة» كيف يقاطع تيليماك  
 امه ويجبرها على السكوت \* \* . وفي مؤلفات هوميروس ، تصبح  
 النساء الشابات الاسيرات عرضة لاهواء المنتصرين الجنسية ؛  
 فان القادة العسكريين يختارون لانفسهم بالدور وتبعاً لمراتبهم  
 اجمل الاسيرات ؛ وجميع احداث «الاياذة» تدور ، كما هو  
 معروف ، حول النزاع بين آخيل واغممنون على احدي العبدات  
 ومع كل بطل هومييري على جانب ما من الاهمية ، يرد اسم الفتاة  
 الاسيرة التي يشاطرها خيمته وسريره . وهؤلاء الفتيات يأخذوتهن  
 ايضاً الى الوطن والى البيت الزوجي ، كما فعل مثلاً ، عند  
 اسخيلوس ، اغممنون مع كاسندرا \* \* . والاولاد الذين يولدون  
 من هذه العبدات ينالون نصيباً صغيراً من ارث الوالد ويُعتبرون  
 مواطنين احراراً . فان توكر ، مثلاً ، ابن تيلامون غير الشرعي ،  
 يحق له ان يتسمى باسم والده . والمطلوب من الزوجة الشرعية  
 ان تتحمل كل هذا ، وان تتقيد بكل دقة بواجب العفاف وواجب  
 الامانة الزوجية صحيح ان المرأة اليونانية من العهد البطولي  
 تتمتع باحترام يفوق احترام المرأة في عصر الحضارة ، الا انها

\* راجع «ارثيف ماركس وانجلس» ، الطبعة الروسية ، المجلد  
 ٩ ، ص ٢٢ . الناشر .

\* \* هوميروس «الاذيسة» ، الاغنية الاولى الناشر .

\* \* \* اسخيلوس . اوريسية . اغممنون . الناشر .

في آخر المطاف ليست بالنسبة لزوجها اكثر من ام ورثة الشرعيين المولودين في ظل الزواج ، والمديرة العليا لبيته والمراقبة العليا لعبادته اللواتي يستطيع ان يجعل منهن ، حسبما يطيب له ، ويجعل منهن فعلا ، عشيقات له . وان وجود العبودية الى جانب احادية الزواج ، ووجود العبدات الجميلات الفتيات الخاضعات لمطلق تصرف الرجل ، هو الذي اضفى على احادية الزواج منذ البدء طابعها الخاص ، اذ جعل منها احادية زواج بالنسبة للمرأة فقط ، لا بالنسبة للرجل . وهذا الطابع لا تزال تحتفظ به في ايامنا .

ويجدر التمييز عند اليونانيين من مرحلة لاحقة بين الدورين والايونيين . فعند الاوائل الذين كانت اسبرطة مثالهم الكلاسيكي ، كانت علاقات الزواج في العديد من النواحي اكثر بدائية حتى من تلك العلاقات التي صورها هوميروس . وفي اسبرطة ، يسود الزواج الثنائي معدلاً حسب المفاهيم السبارطية من الدولة ، ناهيك بانه يشبه الزواج الجماعي في كثير من الجوانب . والزواج بلا اولاد يُحلّ فان الملك انكسندريداس (السنة ٥٦٠ قبل الميلاد) اتخذ لنفسه زوجة ثانية بالاضافة الى زوجته العاقر ، وأسس اقتصادين بيتيين ؛ وفي الوقت نفسه تقريباً ، اتخذ الملك اريستون ، الذي كانت عنده زوجتان عاقران ، زوجة ثالثة ، ولكنه طلق بالمقابل احدى الزوجتين الاوليين ومن جهة اخرى ، كان من الممكن ان يكون لبضعة اخوة زوجة واحدة مشتركة . وكان بوسع الرجل الذي تعجبه زوجة صديقه ان يشاطره اياها ؛ وكانوا يعتبرون من اللائق ان يضع الرجل زوجته تحت تصرف «فحل» قوي ، كما قد يقول ببسمارك ، حتى وان لم يكن هذا «الفحل» من عداد المواطنين . وعند بلوتارك مقطع ترسل فيه اسبرطية

الى زوجها محبا لها يحاول كسب حبها ؛ ومن هذا المقطع يمكن الاستنتاج ، على حد قول شومان ، انه كانت تسود في الاخلاق حرية لوسع واكبر . ولهذا كانت المخالفة الفعلية للامانة الزوجية ، اي خيانة الزوجة لزوجها ، عملا غريبا خارقا . ومن جهة اخرى ، لم تعرف اسرطة ، في خيرة عهودها على الاقل ، العبودية البيئية ، وكان الهيلوت الاقنان يعيشون على حدة في العقارات ، ولهذا كانت احتمالات اغراء نساءهم اقل عند الاسبرطيين (١٢٥) وبحكم جميع هذه الظروف ، كان من الطبيعي ان تحظى النساء في اسرطة بمركز مشرف اكثر بكثير مما عند اليونانيين الآخرين وكانت النساء الاسبرطيات وغير قسم من الهيئيات الاثينيات النساء الوحيدات في اليونان اللواتي كان الاقدمون يتحدثون عنهن باحترام ويعتبرون اقوالهن جديرة بالاستشهاد بها .

والحال مختلف تماما عند الايونيين الذين كانت اثينا نموذجا لهم . فقد كانت الفتيات لا يتعلمن غير الغزل والحياكة والخياطة ، وكن في افضل الاحوال يتعلمن ايضا قليلا من القراءة والكتابة . وكن يعشن في عزلة تامة تقريبا ، ولا يعاشرن غير نساء اخريات . وكان مخدع النساء في قسم خاص منعزل من البيت ، في الطابق الاعلى او في مؤخرة البيت ؛ ولم يكن من السهل على الرجال ، ولا سيما الغرباء منهم ، التسرب الى هذا القسم ؛ والى هذا القسم كانت تنسحب النساء عندما يزور الرجال البيت . وكن لا يخرجن بدون مصاحبة العبدات . وفي البيت كن يخضعن لرقابة فعلية . ويتحدث ارسطوفانس عن كلاب حراسة كانوا يستخدمونها لتخويف مخالفى الامانة الزوجية (١٢٦) ؛ وفي المدن الاسيوية على الاقل ، كانوا يستخدمون لمراقبة النساء الخصيان الذين كانوا يصنعونهم في زمن هيرودوتس في جزيرة خيوس لاجل المتاجرة بهم والذين كان

يشتريهم كما يقول فاكسموت ، البرابرة وغير البرابرة ايضا  
وينعت لوريبيدس المرأة (oikurema\* ، وتعني شيئاً لاجل  
تدير شؤون البيت (والكلمة من الجنس المحايد) ٥٠؛  
وعلاوة على انتاج الاولاد ، لم تكن بالفعل بالنسبة للاينيين الا  
الخادمة الرئيسية . وكان الزوج يمارس تمارينه الرياضية ويقوم  
بشؤونه العامة التي كانت المرأة مقصية عنها ؛ وفضلا عن ذلك  
كانت عنده في كثير من الاحيان عبيدات لتلبية رغائبه ، كما كان  
يستفيد في زمن ازدهار اينا من بقاء واسع الانتشار وموضوع  
على كل حال تحت حماية الدولة وعلى اساس هذا البقاء  
بالذات ، نشأت وتطورت نماذج ساطعة فريدة من نساء يونانيات  
كن ، بدكائهن وذولهن الفني ، اعلى من المستوى العام لنساء الازمنة  
القديمة ، مثلما كانت الاسبرطيات اعلى بطبعهن . وهكذا كان  
ينبغي للمرأة ان تصبح من الهيتيرات لكي تصبح امرأة حقيقية ؛  
وهذا الواقع كان اعنى حكم على العائلة الاينية .

ومع مرور الزمن غدت هذه العائلة الاينية نموذجاً اخذ  
يقلده ، لا سائر الايونيين وحسب ، بل ايضا واكثر فاكثر ، جميع  
اليونانيين سواء ابي داخل البلد ام في المستعمرات ، وبينون  
بموجبه اوضاعهم السيتية . ولكن اليونانيات كن يجدن في احيان  
كثيرة جداً ، ورغم المراقبة والعزل ، الفرصة لخداع ازواجهن  
وغيابتهم ؛ وكان هؤلاء يخلطون من ابداء اي شعور من الحب  
لزوجاتهم ، ويتلهون بشقى المغامرات الغرامية مع الهيتيرات ؛  
ولكن اذلال النساء صار لنفسه من الرجال ، واذل الرجال انفسهم

\* لوريبيدس . ولوريست . الثالث .

•• في اللغة اليونانية ، ثلاثة اجناس : المذكر والمؤنث والمحايد .

المرحب .

الى حد انه دفعهم الى ممارسة اللواط مع الغلمان ، والى الحط من كرامة آلهتهم وكرامتهم بالذات باسطورة غانيميد .

وهكذا نشأت احادية الزواج ، بقدر ما يمكننا ان نتتبع

نشوءها عند اكثر شعوب العالم القديم حضارة واكثرها تطوراً فلم تكن ابدأ ثمرة الحب الجنسي الفردي ، ولم يكن يجمع بينها وبينه اي جامع على الاطلاق ، لان الزواج ظل كما من قبل زواج انتفاع . وقد كانت اول شكل للعائلة لم يركز على الشروط الطبيعية ، بل ارتكز على الشروط الاقتصادية ، ونعني بها انتصار الملكية الخاصة على الملكية المشتركة البدائية والعفوية سيادة الزوج في العائلة وولادة اولاد لا يمكن ان يكونوا غير اولاده من دمه وصلبه ، ولا بد لهم ان يرثوا ثروته في المستقبل ، - ذلك كان الهدف الوحيد من الزواج الاحادي ، كما نادى به اليونانيون بلا لبس ولا ابهام وما عدا ذلك ، كان الزواج الاحادي عبثاً عليهم وواجباً حيال الآلهة والدولة واجدادهم بالذات ، كان ينبغي ادائه . وفي ائينا كان القانون لا يفرض الزواج وحسب ، بل واداء الزوج الحد الأدنى مما يسمى بالواجبات الزوجية •

وعليه لا يدخل الزواج الاحادي اطلاقاً في التاريخ بوصفه اتحاداً اختيارياً بين المرأة والرجل ، ولا حتى بوصفه الشكل الاعلى لهذا الاتحاد بل بالعكس فهو يظهر كاستعباد جنس من قبل الاخر ، كاعلان لتناقض بين الجنسين لم يعرفه التاريخ كله من قبل واني اجد في مخطوطة قديمة غير مطبوعة وضعتها انا وماركس في عام ١٨٤٦ ما يلي : وان اول تقسيم للعمل كان بين

• الجملة الاخيرة اضافها المجلس الى طبعة ١٨٩١ . الناشر .

الرجل والمرأة لاجل انتاج الاولاد . . ويوسعي الآن ان اضيف الى هذا القول : ان لول تضاد بين الطبقات ظهر في التاريخ يصادف تطور التناحر بين الزوج والزوجة في ظل الزواج الاحادي ، ولول اضطهاد طبقي يصادف استعباد جنس النساء من قبل جنس الرجال لقد كان الزواج الاحادي تقدماً تاريخياً كبيراً ، ولكنه يبدئن في الوقت نفسه ، الى جانب العبودية والثروة الخاصة ، تلك المرحلة التي لا تزال مستمرة حتى ايامنا ، والتي يعني فيها كل تقدم تراجعاً نسبياً ، والتي يتحقق فيها ازدهار وتطور البعض بالام البعض الآخر وقمعه . ان الزواج الاحادي انما هو هذه الخلية من المجتمع المتمدن التي تمكننا من دراسة طبيعة التناحرات والتناقضات المتطورة تماما في قلب هذا المجتمع .

ان الحرية النسبية القديمة في العلاقات الجنسية لم تزول كلياً مع انتصار الزواج الثنائي او حتى مع انتصار الزواج الاحادي . وان نظام الزواج القديم ، الذي حصر ضمن حدود اضيق نتيجة لاندثار الجماعات البونالوانية تدريجياً ، كان لا يزال تلك البيئة التي تطورت فيها العائلة ، وظل يميئق طورها حتى عصر الحضارة النافئة ولقد زال في آخر المطاف بتحوله الى شكل جديد للهيتيرية لا يزال يتبع الناس في عصر الحضارة ايضا اصبه بظل اسود يخيم على العائلة

ويقصد مورغان بالهيتيرية العلاقات الجنسية خارج الزواج بين الرجال والنساء غير المتزوجات ، القائمة الى جانب الزواج الاحادي ، وقد كانت هذه العلاقات ، كما هو معروف ، مزدهرة باكثر الاشكال تبايناً في سياق عصر الحضارة كله واخذت تتحول

• كارل ماركس وفريدريك انجلس . «الايديولوجية الالمانية» .



اكثر فاكثر الى بغاء ساحر ان هذه الهيترية تنجم مباشرة من الزواج الجماعي ، من مجامعة الغرباء التي كانت النساء يشترين بها حقهن في العفاف لقد كانت المجامعة من اجل المال عملا دينيا في البدء وكانت تجري في معبد الهة الحب ، وكان المال يعود في البدء الى خزينة المعبد فان الهيرودول (١٢٧) ، خادمت انابيتيس في ارمينيا ، وخادمت افروديت في كورنثيا ، وكذلك الراقصات اللينيات الملحقات بالمعابد في الهند ، اللواتي يسمونهن «بالبايادير» (وهذه الكلمة تشويه للكلمة البرتغالية bailadeira وتعني راقصة) كن اولى الباغيات كانت مجامعة الرجال الغرباء في البدء واجب كل امرأة ، ثم غدت من نصيب هؤلاء الكاهنات وحدهن ، كانما يقمن بها عوضاً عن جميع النساء الاخرى وعند شعوب اخرى ، تنجم الهيترية من الحرية الجنسية الممنوحة للفتيات قبل الزواج ، وهي ايضا بالتالي بقية من الزواج الجماعي ، الا انها بقية وصلت الينا بسبيل آخر . ومع ظهور التفاوت في الملكية ، اي في الطور الاعلى من البربرية ، اخذ العمل الماجور يظهر هنا وهناك الى جانب عمل العبد ، كما اخذ احترام البغاء من قبل النساء الحرات يظهر في الوقت نفسه الى جانب اكراه العبد على مجامعة الرجال ، بوصفه مرافقاً لازماً للعمل الماجور ولهذا كان الارث الذي تركه الزواج الجماعي للحضارة مزدوجاً ، كما هو مزدوج ، وذو وجهين ، وذو حدين ومتناقض كل ما تصنعه الحضارة فمن جهة ، احادية الزواج ، ومن جهة اخرى الهيترية مع شكلها المتطرف ، البغاء . ان الهيترية انما هي ايضا مؤسسة اجتماعية ككل مؤسسة اخرى ؛ وهي تؤمن استمرار وجود الحرية الجنسية القديمة - في صالح الرجال . انها تتعرض للشجب قولاً ، مع انها في الواقع لا تلقى التساهل

والتفاضي وحسب ، بل تمارس على نطاق واسع ولا سيما من قبل الطبقات السائدة . ولكن هذا الشجب لا يقصد اطلاقا الرجال الذين يمارسونها ، بل يقصد النساء فقط ، فيعاملونهن باحتقار وينبذونهن من المجتمع لكي ينادوا على هذا النحو مرة اخرى بسيادة الرجال المطلقة على جنس النساء قانونا اساسيا من قوانين المجتمع

ولكن تناقضا ثانيا اخذ الى جانب هذا يتطور في قلب احادية الزواج نفسها فالى جانب الزوج الذي يرفه حياته بالهيتيرية ، تعيش الزوجة المتروكة ان احد جانبي التناقض غير ممكن بدون الآخر ، كما لا يمكن ان تكون في اليد تفاعلا بكاملها بعد اكل نصفها . ولكن الرجال لم يكونوا ، على ما يبدو ، يرون هذا الرأي طالما لم تحملهم زوجاتهم على ان يروه فمع الزواج الاحادي يظهر على الدوام نموذجان اجتماعيان مميزان لا سابق لهما ، هما عشيق الزوجة الدائم والزوج المخدوع . لقد تغلب الرجال على النساء ، ولكن المغلوبات هن اللواتي تسامحن واخذن على عاتقهن بسخاء وكرامة وضع الاكالييل على رؤوس المنتصرين فان الزنى ، الممنوع ، المعاقب بصرامة ، ولكن الذي يستحيل القضاء عليه ، قد اصبح ، الى جانب الزواج الاحادي والهيتيرية ، مؤسسة اجتماعية راسخة . وكما من قبل ، ظلت صحة الابوة ، صحة تحدر الاولاد من الوالد الشرعي ، تتركز ، اكثر ما تتركز ، على القناعة الاخلاقية ، المعنوية ؛ ولأجل حل هذا التناقض المستعصي ، نصت قوانين نابليون في المادة ٢١٢ منها على ما يلي :

«L'enfant conçu pendant le mariage a pour père le mari» - والزوج هو

والد الولد الذي تحبل به امه اثناء الزواج ، تلك هي النتيجة الاخيرة لثلاثة آلاف سنة من الزواج الاحادي .

ان العائلة الفردية ، - عندما تبقى امينة لمنشئها التاريخي ، وعندما يكتسب التناقض بين الرجل والمرأة فيها طابعا واضحا بحكم سيادة الرجل المطلقة ، - تعطينا اذن صورة مصفرة عن تلك التناحرات والتناقضات التي يتحرك في داخلها المجتمع المنقسم الى طبقات منذ بداية عصر الحضارة ، والتي لا يستطيع هذا المجتمع لاحلها ولا التغلب عليها ، وغني عن البيان اني لا اقصد هنا غير حالات الزواج الاحادي التي تطابق فيها الحياة الزوجية بالفعل الغروض النابعة من طابع هذه المؤسسة الاصلية ، الاولى ، والتي ثور فيها الزوجة مع ذلك على سيادة الزوج اما ان الزوجات لا تجري على هذا النحو ، فليس ثمة من يعرف هذا خيراً من التافه الضيق الالفق الالمانى الذي يعجز عن ان يكون سيداً سواء في عائلته ام في الدولة ولهذا تستأثر زوجته بكامل الحق بسلطة الزوج التي لا يستحقها . ولكنه بالمقابل يتصور انه اعلى بكثير من رفيقه الفرنسي في التعاسة الذي يصطدم اكثر منه بكثير بمصاعب ومنغصات اشد واسوأ

ومن جهة اخرى ، لم تتخذ العائلة الفردية اطلاقاً في كل مكان وكل زمان الشكل الكلاسيكي الصارم الذي اتخذه عند اليونانيين . فعند الرومان الذين كانوا يتحلون ، بوصفهم فاتحي العالم العتيدين ، بنظرة الى الامور اكثر اتساعاً وان كانت اقل دقة ، من نظرة اليونانيين ، كانت الزوجة تتمتع بمزيد من الحرية ومزيد من الاحترام . وكان الروماني يعتقد ان الامانة الزوجية مؤمنة كفاية بفضل ما يملكه من حق الحياة والموت على زوجته وفضلا عن ذلك ، كان بمقدور الزوجة هنا ، مثلها مثل الزوج ، ان تفسخ الزواج حين يطيب لها . ولكن اكبر تقدم تحقق في تطور الزواج الاحادي انما تحقق ، بلا ريب ، مع دخول الجرمان حلبة التاريخ ، لأن احادية

الزواج لم تكن بعد ، على ما يبدو ، قد تطورت في ذلك الوقت من الزواج الثاني ، وذلك بسبب فقرهم على الأرجح . ونحن نخلص الى هذا القول استناداً الى ظروف ثلاثة ذكرها تاقيطس اولاً ، رغم كل قداسة الزواج ، وكانوا يكتفون بزوجة واحدة ، وكانت النساء يعشن محصنات بمفاهنهم ، ومع ذلك ، كان تعدد الزوجات منتشراً عندهم بين الاعيان وزعماء القبائل ، مثلما كان الحال عند الاميركيين الذين كان يوجد عندهم الزواج الثاني ثانياً ، لا بد ان الانتقال من الحق الامي الى الحق الابوي كان آنذاك حديث العهد ، لأن اخ الام ، - وهو اقرب نسيب لها بين الرجال في العشيرة بموجب الحق الامي - كان يعتبر تقريباً نسيباً اقرب اليها من والدها بالذات ، وهذا ما يطابق كذلك وجهة نظر الهنود الحمر الاميركيين الذين وجد عندهم ماركس ، كما قال مراراً وتكراراً ، المفتاح لفهم ماغينا بالذات ثالثاً ، كانت النساء عند الجرمان يتمتعن بقدر كبير من الاحترام ويؤمرن تأميراً كبيراً في الشؤون العامة ، الامر الذي يناقض تماماً سيادة الرجال الملازمة لاحادية الزواج . وفي كل هذا تقريباً ، لا يتميز الجرمان عن السبارطيين الذين كان الزواج الثاني عندهم لم يندثر بعد كلياً ، كما سبق ورأينا . ومن هذه الناحية ايضاً ، احرز اذن عنصر جديد تماماً ، مع الجرمان ، سيطرته على العالم . فان احادية الزواج الجديدة التي تطورت على انقاض العالم الروماني في سياق تخالط الشعوب ، اضعفت على سلطان الرجال اشكالا اخف ، ومنحت النساء ، وان في الظاهر ، وضعا اوفر احتراماً وحرية لم تعرفه يوماً الازمنة القديمة الكلاسيكية . وبذلك انشئت للمرة الاولى المقدمة التي استطاع على اساسها ان يتحقق ، انطلاقاً من احادية الزواج ، - في داخلها ، او الى جانبها ، او رغماً عنها ، حسب الظروف ، - اعظم تقدم اخلاقي نحن مدينون به

لها ، عنيت به الحب الفردي العصري بين الجنسين الذي كان العالم القديم كله يجهله

ولكن هذا التقدم بجم على وجه الضبط من ان الجرمان كانوا لا يزالون يعيشون في مرحلة العائلة الثنائية وانهم ادخلوا على احادية الزواج ، بقدر ما كان ذلك ممكنا ، وضع المرأة الذي كان يطابق العائلة الثنائية فان هذا التقدم لم ينجم ابدأ مما نسب الى الجرمان من فطرة اسطورية عجيبة على نقاوة الاخلاق ، تقتصر ، من حيث جوهر الامر ، على كون الزواج الثنائي يخلو بالفعل من التناقضات الاخلاقية الحادة الملازمة لاحادية الزواج بل بالعكس ، فان الجرمان قد انحطوا كثيراً من الناحية الاخلاقية في سياق هجراتهم ، ولا سيما في اتجاه الجنوب الشرقي ، الى رحل سهوب ساحل البحر الاسود ، واخذوا عن هؤلاء الرجل ، فضلا عن فن ركوب الخيل ، عيوبهم الشنيعة المنافية للطبيعة ، الامر الذي يشهد عليه بكل وضوح اميان فيما يتعلق بالتايغال وبروكوبيوس فيما يتعلق بالهيرول (١٢٨)

ولكن اذا كانت احادية الزواج بين جميع الاشكال المعروفة من العائلة الشكل الوحيد الذي امكن ان ينشأ منه ويتطور الحب الجنسي الحالي ، العصري ، فان هذا لا يعني ان هذا الاخير قد تطور في قلب احادية الزواج بوجه المحصر ، او حق بصورة رئيسية بوصفه حبا متبادلا بين الزوج وزوجته ؛ فان طبيعة الزواج الاحادي المتين ذاتها كانت تستبعد ذلك في ظل سيادة الزوج . وعند جميع الطبقات النشيطة تاريخيا ، اي عند جميع الطبقات السائدة ، بقي عقد الزواج كما كان عليه منذ الزواج الثنائي ، اي صفقة يعقدها الآباء . وعندما ظهر الحب الجنسي للمرة الاولى في التاريخ بشكل عشق ، وبوصفه عشقا في منال كل فرد ( من الطبقات

السائدة على الأقل) ، بوصفه أعلى شكل للفريزة الجنسية ، -  
 الامر الذي يشكل طابعه الخاص المميز ، - لم يكن هذا الشكل  
 الاول ، الحب الفروسي في القرون الوسطى ، حبا زوجيا على  
 الاطلاق . بل بالعكس . فان الحب الفروسي بشكله الكلاسيكي ،  
 عند البروفنساليين ، يسمى بكل اشهرته نحو انتهاك الامانة  
 الزوجية ، وشعراؤه ينشدون هذا السمي ان زهرة الشعر الغزلي  
 البروفنسالي هي اغاني (البا) (albas) ، وبالالمانية Tagelieder  
 (اغاني الصباح ، التصبيحات) . ان هذه التصبيحات تصور بالوان  
 ساطعة كيف ينام الفارس في سرير حسناؤه ، - وهي امراة رجل  
 آخر ، - بينما يقف في الخارج حارس ينبئه باولى تباسير الصباح  
 (alba) لكي يتمكن من التملص دون ان يراه احد ؛ ثم يلي مشهد  
 الوداع ، وهو ذروة الاغنية . ان سكان فرنسا الشمالية ، وكذلك  
 الالمان البواسل تبنيوا هم ايضا هذا الضرب من الشعر مع طرائق  
 الحب الفروسية التي تناسبه ؛ وقد ترك صاحبنا المعجوز ولفرام  
 فون ايشنباخ حول هذا الموضوع الحساس ، ثلاث اغنيات رائعة  
 تعجبني اكثر مما تعجبني قصائده البطولية الطويلة الثلاث

في ايامنا يجري عقد الزواج في البيئة البرجوازية بطريقتين .  
 ففي البلدان الكاثوليكية ، يبحث الوالدان ، كما من قبل ، من  
 زوجة تليق بشاب ابن برجوازي ؛ وهذا ما يؤدي بالطبع الى  
 تطور التناقض للملازم لاحادية الزواج اكمل التطور ، اي الى  
 ازدهار لهيترية من جانب الزوج ، والى ازدهار الخيانة الزوجية  
 من جانب الزوجة . واذا كانت الكنيسة الكاثوليكية قد حرمت  
 الطلاق ، فليسبب واحد فقط ، كما ينبغي الظن ، هو انها اقتنعت  
 بانه لا مفر من الخيانة الزوجية كما لا مفر من الموت اما في  
 البلدان البروتستانتية ، فالامر بالعكس ؛ فان ابن البرجوازي

يتمتع ، هل العموم ، بحق اختيار زوجة له من بنات طبقتة ، بهذا القدر او ذاك من الحرية ؛ ولهذا يمكن ان يكون الحب ، بقدر ما ، اساساً لعقد الزواج ، ناهيك بانه ينبغي دائماً ، بحكم اللياقة ، افتراض وجوده تبعاً لروح الرياء البروتستانتية وهنا يمارس الزوج الهيتيرية باقل من الحمية ، بينا خيانة الزوجة اقل حدوثاً . ولكن بما ان الناس يبقون في ظل الزواج ، ايا كان شكله ، مثلما كانوا من قبله ، وبما ان البرجوازيين في البلدان البروتستانتية هم بمعظمهم تافهون ضيقو الافق ، فان احادية الزواج البروتستانتية هذه ، حتى في افضل الاحوال ، لا تؤدي مع ذلك ، الا الى مساكنة زوجية ممللة لا تطاق يسمونها بالسعادة الزوجية وغير مرآة لهذين النوعين من الزواج هي الرواية ؛ الرواية الفرنسية لأجل الزواج الكاثوليكي والرواية الالمانية لأجل الزواج البروتستانتية وفي كل من الروايتين ، «ينال الرجل نصيبه» : في الرواية الالمانية ينال الشاب الفتاة ، وفي الرواية الفرنسية ، ينال قرنين . وليس من الواضح دائماً في هذه الحال معرفة اي منهما اسوأ نصيباً ولهذا يشير ملل الرواية الالمانية في نفس البرجوازي الفرنسي من الرعب والدهر قدر ما تشير «لااخلاقية» الرواية الفرنسية في نفس البرجوازي الالمانى التافه الضيق الافق . ولكن في الآونة الاخيرة ، اي منذ ان «اخذت برلين تصبح عاصمة عالمية» ، طفقت الرواية الالمانية تتطرق باقل من الارتباك والوجل الى ظاهري الهيتيرية والخيانة الزوجية المعروفتين جيداً هناك من زمان بعيد ولكن الزواج في هذه الحالة وتلك يقوم على وضع الطرفين الطبقي ، ولذا كان دائماً زواج انتفاع . وفي كلا الحالين ، ينقلب زواج الانتفاع هذا في احيان كثيرة جداً الى بقاء في منتهى القدرة والخساسة من جانب الطرفين احياناً ، وفي احيان اكثر بكثير من

جانب الزوجة التي لا تختلف عن البغية الممتازة الذكاء والاناقة الا  
بكونها لا تؤجر جسدها بالقطعة كما تؤجر العاملة عملها ، بل  
تبيعه دفعة واحدة والى الابد كالعبد . وعلى زواج الانتفاع بجميع  
مظاهره واشكاله ، تصح كلمة فوريه :

وكما ان نفيين في قواعد اللفة يعينان تأكيدا ، كذلك يعني بقاء  
في قواعد الاخلاق فضيلة ،

ان الحب الجنسي لا يمكن ان يكون ولا يكون بالفعل قاعدة  
في العلاقات مع المرأة الا في بيئة الطبقات المظلومة ، اي ، في  
ايامنا ، في بيئة البروليتاريا ، سواء اكانت هذه العلاقات مسجلة  
رسميا ام لا . ولكن جميع اسس احادية الزواج الكلاسيكية مهدومة  
هي ايضا في هذه البيئة . فهنا لا وجود لاي ملكية انشئت من اجل  
صيانتها وتوريثها على وجه الضبط احادية الزواج وسيادة الرجال ؛  
ولذا ، لا وجود هنا لاي حافز يحفز على القرار هذه السيادة . ناهيك  
بانه لا وجود هنا لاي وسيلة لأجل تحقيق هذا الغرض : فان الحق  
البرجوازي الذي يحمي هذه السيادة لا يوجد الا من اجل المالكين  
ومن اجل خدمة علاقاتهم مع البروليتاريين ؛ وهو يكلف غالبا ،  
ولذا لا يصلح ابدأ في علاقات العامل مع زوجته نظراً لفقر العامل .  
هنا تضطلع بالدور الحاسم ظروف خاصة واجتماعية مختلفة تماما .  
وهناك اعتبار آخر فمنذ ان انتزعت الصناعة الكبيرة المرأة من  
البيت ، وارسلتها الى سوق العمل والى المعمل وحولتها في كثير  
من الاحيان الى مهيئة للعائلة ، زالت في المسكن البروليتاري كل  
تربة لآخر بقايا سيادة الرجل ، اللهم الا بعض الفظافة في معاملة  
الزوجة متوارث منذ ظهور احادية الزواج . وهكذا لم تبق هائلة  
البروليتاري احادية الزواج بمعنى الكلمة الصرف ، حتى وان سادها



احر الحب وامتن الاخلاص من كلا الطرفين ، ورغم جميع البركات الدينية والديوية من كل شاكلة وطراز . ولهذا يضطلع هنا مرافقا احادية الزواج الدائمان ، الهيتيرية والخيانة الزوجية ، بدور ضئيل للغاية ؛ وقد استعادت الزوجة لنفسها عمليا الحق في فسخ الزواج ، وحين لا يبقى بوسع الطرفين ان يعيشا معا فانهما يفضلان الانفصال . وخلاصة القول ان الزواج البروليتاري زواج احادي بمعنى الكلمة الاصلي لا بمعناها التاريخي .

بيد ان حقوقيينا يعتبرون ان تقدم التشريع ينتزع اكثر فاكثر من النساء كل مبرر للشكوى ان قوانين البلدان المتقدمة العصرية تعترف اكثر فاكثر ، اولا ، بانه ينبغي للزواج ، لكي يكون صحيحا ، ان يكون عبارة عن عقد يعقده الطرفان بملء اختيارهما ، وثانيا ، بانه ينبغي ان يكون للطرفين خلال مدة الزواج كلها نفس الحقوق والواجبات حيال احدهما الاخر فاذا ما تحقق هذان الشرطان بداب والسجام ، لحصلت النساء على كل ما بوسعهن ان يرغبن فيه .

ان هذه المحاكمة الحقوقية الصرف تطابق تماما المحاكمة التي يلجأ اليها الجمهوري البرجوازي الراديكالي الذي يدعو البروليتاري بين الفينة والفينة الى الترام جانب النظام ان عقد العمل يُعَدَّ معقودا بملء رضى الطرفين ولكنه يُعَدَّ معقودا بملء رضى الطرفين لأن القانون يقرر على الوفاق المساواة بين الطرفين . اما السلطة التي يخولها اختلاف الوضع الطبقي لأحد الطرفين ، والضغط الذي يمارسه هذا الطرف بفضل ذلك على الطرف الاخر ، اي وضع الطرفين الاقتصادي الفعلي ، فان القانون لا يذكرهما باي كلمة . واثناء مدة عقد العمل ، يظل الطرفان متمتعين ، حسب القانون ، بالمساواة فيما بينهما طالما ان

احدهما لم يتنازل صراحة من حقوقه اما ان الوضع الاقتصادي يجبر العامل على التنازل حق عن آخر مظهر من مظاهر المساواة في الحقوق ، فلا شأن ايضا للقانون بذلك

وفيما يخص الزواج ، يشرع القانون باكمل الارتياح ، حتى وان كان اكثر القوانين تقدماً ، اذا اهرب الطرفان المعنيان ، حسب الاصول ، عن موافقتهما طوعاً واختياراً على الزواج اما ما يجري ما وراء كواليس القانون حيث تجري الحياة الفعلية ، وكيف تتحقق هذه الموافقة الحرة ، فان القانون ورجل القانون لا يابهان لذلك . ومع ذلك ، لا بدّ لأبسط مقارنة بين قوانين مختلف البلدان من ان تبين للحقوقي ما تعنيه بالفعل هذه الموافقة الحرة . ففي البلدان التي يكفل فيها القانون للاولاد نصيباً الزامياً من تركة والديهم ، والتي لا يمكن فيها بالتالي حرمانهم من التركة ، - في ألمانيا وفي البلدان التي تتبنى القانون الفرنسي ، وفي بعض البلدان الاخرى ، - ينبغي على الاولاد ان يحصلوا على موافقة الوالدين لأجل عقد الزواج . اما في البلدان التي تتبنى القانون الانجليزي ، والتي لا يفرض فيها القانون موافقة الوالدين لأجل عقد الزواج ، فان الوالدين يتمتعان بكامل الحرية عند التوصية بتركتهما ، وبوسعهما ، كما يطيب لهما ، ان يحرما اولادهما من التركة . ولكنه واضح ان حرية عقد الزواج في انجلترا واميركا ليست ابدأ بالفعل ، رغم هذا ، وحق بسبب هذا على وجه الضبط ، عند الطبقات التي يوجد لديها ما تورثه ، اكبر مما هي عليه في فرنسا وألمانيا

وليست الحال افضل فيما يخص المساواة القانونية بين الرجل والمرأة في الزواج . ان التفاوت في الحقوق بين الطرفين ، الذي ورثناه من العلاقات الاجتماعية السابقة ، ليس سبب

اضطهاد المرأة في المضمار الاقتصادي ، بل نتيجته . ففي الاقتصاد البيتي الشيوعي القديم الذي كان يشمل هدداً كبيراً من الأزواج مع اولادها ، كانت ادارة هذا الاقتصاد المعهود بها الى النساء ضرباً من النشاط الاجتماعي الضروري للمجتمع ، شأنها شأن حصول الرجال على وسائل العيش . ولكن الوضع تغير منذ ظهور العائلة البطريركية ، وبالأحرى منذ ظهور العائلة الفردية الاحادية الزواج فقد فقدت ادارة الاقتصاد البيتي طابعها الاجتماعي ولم تعد لها علاقة بالمجتمع . واصبحت خدمة خاصة ؛ وصارت الزوجة الخادمة الرئيسية ، وأقصيت عن الاشتراك في الانتاج الاجتماعي ان الصناعة الكبيرة في ايامنا هي التي فتحت امام المرأة - المرأة البروليتارية فقط - السبيل الى الانتاج الاجتماعي ؛ ولكنها ، اذا ما قامت بواجباتها الخاصة في خدمة العائلة ، بقيت خارج الانتاج الاجتماعي وعجزت عن تحصيل اي اجر مستقل واذا ما شاءت ان تشارك في العمل الاجتماعي وان تحصل على اجر مستقل ، عجزت عن اداء واجباتها العائلية ان حال المرأة واحد في هذا الصدد ، سواء في المصنع ام في جميع ميادين النشاط الاخرى ، بما فيها ميدانا الطب والمحاماة ان العائلة الفردية العالية تركز على عبودية النساء السافرة او المقنعة ؛ والمجتمع العالي انما هو كتلة تتألف بوجه الحصر من عائلات فردية هي بمثابة جزئياتها وفي الوقت الحاضر ، يتعين على الزوج في اغلبية الاحوال ان يكون سند العائلة ومعيها ، على الاقل في بيئة الطبقات المالكة ، وهذا ما يضمن له سيادة لا تحتاج الى اي امتيازات قانونية خاصة فالرجل في العائلة هو البرجوازي بينما المرأة تمثل البروليتاريا ولكن ميزة الاضطهاد الاقتصادي الذي ينيخ بكله على البروليتاريا في ميدان الصناعة

لا تبرز بكل حدتها الا بعد القضاء على جميع الامتيازات الخاصة التي يعترف بها القانون لطبقة الراسماليين وبعد اقرار المساواة التامة في الحقوق بين الطبقتين من الناحية القانونية . ان الجمهورية الديمقراطية لا تزيل التضاد بين الطبقتين ؛ وهي ، على العكس ، لا تفعل غير ان تمهد التربة التي يحتدم عليها الصراع من اجل حل هذا التضاد . كذلك ميزة سيادة الزوج على الزوجة في العائلة العالية وضرورة وطريقة اقرار المساواة الاجتماعية الفعلية بينهما لن تتجلى بكل سطوع الا متى اصبح الزوج والزوجة ، من الناحية القانونية ، متساويين تماما في الحقوق وأنداك يتبين ان الشرط الاول لتحرر المرأة هو عودة جنس النساء بكليته الى الانتاج الاجتماعي ، الامر الذي يتطلب بدوره زوال العائلة الفردية بوصفها وحدة اقتصادية في المجتمع .

• • •

هناك اذن ثلاثة اشكال رئيسية للزواج تناسب بالاجمال المراحل الرئيسية الثلاث من تطور البشرية فالوحشية يناسبها الزواج الجماعي ؛ والبربرية يناسبها الزواج الثنائي ؛ والحضارة تناسبها احادية الزواج المقرون بالخيانة الزوجية والبغاء . وبين الزواج الثنائي واحادية الزواج ، تتسرب في الطور الاعلى من البربرية سيادة الرجال على العبدات وتعدد الزوجات ان اصالة التقدم الذي يتجلى في تعاقب الاشكال هذا تقوم ، كما يتبين من كل عرضنا السابق ، في حرمان للنساء ، اكثر فاكث ، لا الرجال ، من الحرية الجنسية الملازمة للزواج الجماعي . وبالفعل ، لا يزال الزواج الجماعي في الواقع قائما في صالح الرجال في الوقت الحاضر ايضا . وما هو جريمة من جانب المرأة

ويستتبع هواقب وخيمة ، قانونية واجتماعية ، انما هو بالنسبة للرجل امر مشرف او ، في اسوأ الاحوال ، لطخة اخلاقية طفيفة يحملها بسرور ولكن بقدر ما تنفض الهيتيرية القديمة في ايماننا تحت تأثير الانتاج البضاعي الرأسمالي وتكيف له ، وبقدر ما تتحول الى بغاء سافر ، بقدر ما يشتد تأثيرها المفسد وهي تفسد اخلاق الرجال اكثر بكثير مما تفسد اخلاق النساء ، وبين النساء ، لا يفسد البغاء غير التعميمات اللواتي يصبحن ضحاياها ، ولكنه يفسدهن اقل بكثير مما يُعتقد عادة بيد انه بالمقابل يذل طبع جنس الرجال كله فان امتطالة زمن العزوبة ، مثلا ، هو في تسع حالات من اصل عشر ، مدرسة اعدادية حقيقية للخيانة الزوجية

ولكننا نسير الآن نحو انقلاب اجتماعي ستزول فيه حتما الاسس الاقتصادية القائمة حتى الآن لاحادية الزواج شأنها شأن اسس مرافقها ، البغاء فقد نشأت احادية الزواج من مركز ثروات كبيرة في يد واحدة - هي يد الرجل - ومن الرغبة في نقل هذه الثروات بالميراث الى اولاد هذا الرجل بالذات ، لا الى اولاد رجل آخر ما ولهذا الغرض ، كانت تنبهي احادية زواج المرأة ، لا احادية زواج الرجل ، وهكذا لم تكن احادية زواج المرأة لتصيق ابداً تعدد زوجات الرجل ، الظاهر والمستتر . ولكن الانقلاب الاجتماعي المتيد الذي سيحول على الاقل القسم الاعظم من الثروات الدائمة التي يمكن توريثها ، اي وسائل الانتاج - الى ملكية عامة ، اجتماعية ، سيقفل الى الحد الأدنى من جميع هذه الهوم المتعلقة بمعرفة الورثاء وكيفية نقل الارث ولكن هل تزول احادية الزواج التي نشأت من الاسباب الاقتصادية اذا زالت هذه الاسباب ؟

قد يمكن الجواب ، وليس دون مبرر ، بانها لن تزول ،  
 وليس هذا وحسب ، بل انها ، على العكس ، لن تتحقق تماما  
 الا آنذاك . لأنه مع تحويل وسائل الانتاج الى ملكية عامة ،  
 اجتماعية ، يزول كذلك العمل المأجور وتزول البروليتاريا ،  
 وتزول بالتالي الضرورة التي تقضي على عدد يمكن احصاؤه من  
 النساء ببيع اجسادهن لقاء المال . ان البغاء سيزول ؛ اما احادية  
 لزواج ، فلن تزول ، بل تصبح في آخر المطاف واقعا بالنسبة  
 للرجال ايضا

وهكذا سيتغير وضع الرجال ، على كل حال ، تغيراً عميقاً  
 ولكن وضع النساء ، جميع النساء ، سيطراً عليه هو ايضا تغير  
 كبير فمع تحول وسائل الانتاج الى ملكية عامة ، اجتماعية ،  
 لا تبقى العائلة الفردية وحدة المجتمع الاقتصادية . فان الاقتصاد  
 البيتي الخاص يصبح فرعاً من فروع النشاط الاجتماعي وتغدو  
 العناية بالاطفال وتربيتهم من شؤون المجتمع فسان المجتمع  
 سيعنى بالقدر ذاته بجميع الاطفال ، سواء اكلوا شرعيين ام  
 غير شرعيين . وبفضل هذا ، يزول هم «العواقب» الذي يشكل  
 في الوقت الحاضر اكبر سبب اجتماعي ، اخلاقي واقتصادي ،  
 يمنع الفتاة من الاستسلام بلا تحفظ للرجل الذي تحبه ان  
 يكون هذا سبباً كافياً لكي يقوم تدريجياً مزيد من الحرية  
 في العلاقات الجنسية ، ولكي يتكون بالتالي رأي عام اكثر تساهلاً  
 حيال شرف العذارى وحشمة النساء ؟ لو لم نر ، اخيراً ، ان  
 احادية الزواج والغاء هما في العالم الحالي متضادان حقاً وفعلاً ،  
 ولكنهما متضادان لا ينفصل احدهما عن الآخر ، ولتبا وضع  
 اجتماعي واحد ؟ وهل يمكن ان يزول البغاء دون ان يجر معه  
 احادية الزواج الى الهاوية ؟

هنا يدخل الحلبة عنصر جديد لم يكن موجوداً في افضل الاحوال الا بصورة جنين ، نواة ، في عهد نشوء احادية الزواج ؛ وهذا العنصر هو الحب الجنسي الفردي .

قبل القرون الوسطى ، لم يكن من الممكن حتى الكلام من الحب الجنسي الفردي ، وغني عن البيان ان الجمال البدني ، والعلاقات اللودية ، والميول المتماثلة ، الخ . ، قد ايقظت على الدوام عند افراد الجنسين للمختلفين الرغبة في الاتصال الجنسي ، وان الرجال والنساء على السواء لم يكونوا ابدا غير مباينين في معرفة اولئك الذين سيقومون معهم هذه الاتصالات الحميمة . ولكن الشقة بين هذا وبين الحب الجنسي الحالي كبيرة الى ما لا حد له . ففي سياق الازمنة القديمة كلها ، كان الاباء هم الذين يعتقدون زواج المعنويين بالامر ، وكان هؤلاء يتكيفون للامر بكل هدوء . وذلك النصيب اللطيف من الحب بين الزوجين الذي عرفته الازمنة القديمة ، ليس ميلا ذاتياً ، بل واجب موضوعي ، ليس اساس الزواج ، بل تابع له . ان علاقات الحب بمعناها الحالي لا تقوم في الازمنة القديمة الا خارج المجتمع الرسمي فان الرعاة الذين ينشد لنا ثيوكريتوس وموسخوس وكذلك دفتيسس وكلويا عند لونج مسرات وآلام حبيهم ، انما هم بوجه الحصر عبيد لا يشتركون في تصريف شؤون الدولة الذي هو المجال الحيوي للمواطن الحر . ولكن ، الى جانب العلاقات الغرامية بين العبيد ، لا نجد هذه العلاقات الا كنتاج لتفسيخ العالم القديم المحتضر ، ناهيك بان هذه العلاقات تقام مع نساء يعشن من ايضاً خارج المجتمع الرسمي ، - اي مع الهيئات ، اي مع اجنبيات او مع معتقات ، في آثينا عشية سقوطها ، وفي روما في عهد الامبراطورية . واذا كانت قد قامت بالفعل علاقات غرامية

بين مواطنين احرار ومواطنات حرات ، فان ذلك لم يكن الا من باب الخيانة الزوجية . بل ان العجوز اناكريونت ، الشاعر الغزلي الكلاسيكي في الازمنة القديمة ، كان لا يبالي بالحب الجنسي حسبما نفهمه الآن بقدر ما كان لا يبالي حتى بجنس الكائن المحبوب .

ان الحب الجنسي الحالي يختلف اختلافا جوهريا عن مجرد الرغبة الجنسية ، عن «ايروس» eros الاقدمين فهو ، اولا ، يفترض عند الكائن المحبوب حبا متبادلا ؛ والمرأة في هذا الصدد مساوية للرجل ، في حين ان موافقتها لم تكن دائما مطلوبة في «ايروس» eros القديم ثانيا ، يبلغ الحب الجنسي قوة ومدة تجعلان الطرفين يتصوران الانفصال واستحالة الوصال بليدة كبيرة ان لم تكن افدح البلايا ؛ فيقدمان على مجازفة ضخمة ، بل انهما يعرضان حياتهما للخطر لمجرد ان يملك احدهما الآخر ، الامر الذي لم يكن يحدث في الازمنة القديمة الا في حال الخيانة الزوجية . واخيرا ، يظهر معيار اخلاقي جديد لأجل شجب او تبرير العلاقة الجنسية ؛ فلا يسألون فقط ما اذا كانت قائمة على الزواج او خارج الزواج ، بل يسألون ايضا ما اذا كان الحب متبادلا ام لا ؟ ومفهوم ان هذا المعيار لا يلقي من الاحترام في الممارسة الاقطاعية والبرجوازية اكثر مما تلقاه جميع المعايير الاخلاقية الاخرى ؛ فهو لا يؤخذ بالحسبان ولكنه لا يُعامل اسوا مما تُعامل المعايير الاخرى فهو معترف به مثله مثل غيره - نظريا ، على الورق والآن لا تمكن المطالبة اكثر من ذلك

ولقد انطلقت القرون الوسطى من النقطة التي توقف عندها العالم القديم مع بوادره في مضممار الحب الجنسي ، اي من



الزنى . وقد وصفنا آنفا الحب الفروسي الذي خلق اغنية الصباح وبين هذا الحب السامي الى هدم الزواج وبين الحب الذي يجب ان يصبح اساس الزواج ، لا تزال تقع طريق طويلة ينبغي قطعها ، ولكن عصر الفروسية لم يقطعها قط الى النهاية . وحتى عندما تنتقل من اللاتين المستهترين الى الالمان الفاضلين ، نجد في «اغنية نيبيلونخ» ان كريمهيلدا التي تحب زيفريد سراً بقدر ما يحبها زيفريد ، تحجب غوتتر بكل بساطة هندما يخبرها انه خطبها لفارس لا يذكر اسمه :

ولا دامي لك ان ترجوني ؛ كما تأمرني ، كذلك ساعمل على الدوام  
ومن تعطني اياه زوجاً ، يا سيدي ، اكن خطيبته بكل سرور\* .

بل انه لا يخطر في بال كريمهيلدا انه يمكن هنا على العموم اخذ حبها بعين الاعتبار ان غوتتر يخطب برونهيلدا ، وایتمل يخطب كريمهيلدا ، مع انهما لم يريهما قط ؛ كذلك في «غودرون» („Gudrun“، ١٢٩) ، يخطب الارلندي زيغيبانت النروجية اوتا ، ويخطب هيتل من هيغلنغن الارلندية هيلدا ، واخيراً يحاول كل من زيفريد من مورلند وهارتموت من اورمانيان وهرفيخ من زيلنسه ان يخطب غودرون . وفي هذه الحالة الاخيرة وحدها ، تقرر غودرون ، بكل حرية في صالح هرفيخ ان والدي الامير الشاب هما ، على العموم ، اللذين يختاران خطيبة ابنتهما ، اذا كانا لا يزالان حيين ، والا اختار بنفسه خطيبته بعد استشارة كبار اتباعه الذين لرأيهم دائماً وزن كبير في الموضوع ناهيك بانه لم يكن من الممكن ان يكون

\* راجع «اغنية نيبيلونخ» ، الاغنية العاشرة . الناشر .

الحال آخر . فان الخطبة هي بالنسبة للفارس او البارون ، وكذلك بالنسبة للأمير نفسه ، عمل سياسي ، وحرصاً لزيادة باسه بمساعدة حلفاء جدد ان مصالح البيت ، لا الرغائب الشخصية ، هي التي يجب ان تكون لها الكلمة الفاصلة في الموضوع . فكيف يمكن في مثل هذه الاحوال ان تكون الكلمة الاخيرة للحب عند عقد الزواج ؟

وكان الحال نفسه عند برجوازي الحرف في مدن القرون الوسطى فان الامتيازات التي كانت تحميه ، والانظمة الداخلية الحرفية التي كانت تفرض شتى القيود ، والحدود المصطنعة التي كانت تفصله قانوناً ، هنا عن الحرف الاخرى ، وهناك عن رفاة بالذات في الحرفة ، وهناك ايضاً عن صناعه واجرائه ، كانت تقلص بصورة ملحوظة الحلقة التي كان يوسعه ان يبحث ضمنها عن زوجة مناسبة له . وفي هذا النظام المشوش ، كانت مصالح العائلة ، لا رغبته الشخصية ، هي التي تقرر اي خطيبة تناسبه اكثر من غيرها . وعليه بقي عقد الزواج في عدد لا يحصى من الاحوال ، حتى نهاية القرون الوسطى بالذات ، ما كان عليه في البداية بالذات ، اي قضية لا يحلها العازمون على الزواج انفسهم ففي البداية ، كان الناس يولدون متزوجين ، متزوجين من جماعة كاملة من افراد الجنس الآخر . وفي آخر اشكال الزواج الجماعي ، بقي الوضع نفسه ، اغلب الظن ، ولكن الجماعة اخلت تتقلص اكثر فاكث . وفي ظل الزواج الثنائي ، تتفق الامهات ، على العموم ، بصدد زواجات اولادهم ؛ وهنا ايضاً يعود الدور الفاصل الى اعتبارات بشأن علاقات النسب الجديدة ينبغي لها ان تضمن للزوج والزوجة الشابين مركزاً ائمت والقوى في المشيرة والقبيلة . وعندما بدأ عهد سيادة الحق الابوي واحادية الزواج مع التصار

الملكية الخاصة على الملكية العامة ومع ظهور المصلحة في نقل الملكية بالوراثة ، أصبح عقد الزواج آنذاك رهنا بكليته باعتبارات اقتصادية ان شكل الزواج بالشراء يزول ، ولكن هذا الزواج يجري ، من حيث جوهر الامر ، على نطاق اوسع فاصح ، بحيث انه صار للرجل ايضا ، علاوة على المرأة ، سعر يحدد حسب ثروته لا حسب صفاته الشخصية ان تغلب ميل الطرفين المتبادل على جميع الاعتبارات الاخرى عند عقد الزواج كان منذ البداية بالذات امراً لا سابق له في ممارسة الطبقات السائدة . ولم يكن يحدث شيء من هذا القبيل الا في عالم الروايات او في لوساط الطبقات المظلومة التي لم يكن يحسب لها اي حساب ذلك كان الحال الذي وجده الانتاج الرأسمالي عندما اخذ يستمد ، بعد الاكتشافات الجغرافية ، للسيطرة على العالم بفضل تطوير التجارة العالمية والمانيفاكورة . كان يمكن الظن ان هذا الاسلوب لعقد الزواج سيكون انسب اسلوب له ، وهكذا كان بالفعل . ولكن - وسخرية التاريخ العالمي لا ينضب لها معين - الانتاج الرأسمالي بالذات هو الذي كان مكتوباً له ان يشق هنا الثفرة الحاسمة فبتحويله كل شيء الى بضاعة ، قضى على جميع العلاقات القديمة ، التقليدية ، واقام الشراء والبيع والعقد والحرء مقام العادات المتوارثة والحق التاريخي وها هو ذا الحقوق البريطاني ه . س . ماين يظن انه حقق اكتشافاً في غاية الاهمية حين قال ان كل تقدمنا بالنسبة للصور السابقة يتلخص في الانتقال "from status to contract" ، اي من الشروط المتوارثة الى الشروط المقررة بموجب عقد حر ؛ الامر الذي

قيل في «البيان الشيوعي» بقدر ما هو صحيح على العموم .  
ولكنه ينبغي لاجراء العقد اناس بمقدورهم ان يتصرفوا  
بحرية باشخاصهم واعمالهم واملاكهم ، ومتساوون في الحقوق  
بعضهم حيال بعض . ولقد كان صنع هؤلاء الناس والاحرار  
و«المتساوون» شأنا من اكبر شؤون الانتاج الرأسمالي صحيح  
ان ذلك لم يحدث في البدء الا بصورة نصف واعية وتجلبب  
خارجيا بجلباب ديني ، ولكنه منذ اصلاح اللوئري والكلفيني  
ثبت المبدأ القائل ان الانسان لا يتحمل كامل المسؤولية عن  
اعماله الا اذا قام بها وهو متمتع بكامل حرية التقرير ، وان  
مقاومة كل اكراه على القيام بمسمى غير اخلاقي هي واجب  
اخلاقي . ولكن كيف كان يمكن ان يتوافق هذا المبدأ مع الممارسة  
السابقة لعقد الزواج ؟ لقد كان الزواج ، حسب المفهوم  
البرجوازي ، عقداً ، صفقة قانونية ، بله اهم الصفقات لانها كانت  
تقرر مصر جسد وروح شخصين مدة حياتهما بكاملها من حيث  
الشكل ، كانت هذه الصفقة تعقد آنذاك ، والحق يقال ، طوعا  
واختياراً ؛ فلم تكن تتم بدون موافقة الطرفين . ولكنه كان معلوماً  
جيداً جداً كيف كان يتم الحصول على هذه الموافقة ومن كان  
يعقد الزواج في الواقع . وفضلا عن ذلك ، اذا كانت تنبني حرية  
التقرير الفعلية لاجراء العقود الاخرى ، فلماذا لا تنبني هذه الحرية  
في هذه الحالة ، لاجراء عقد الزواج ؟ ترى ، ألم يكن للشباب  
والغابات اللذين كان ينبغي الجمع بينها الحق في التصرف بحرية  
بشخصيهما ، بجسدهما وعضائه ؟ ترى ، ألم يصبح الحب الجنسي  
موضة بفضل الفروسية ، ترى ، ألم يكن الحب الزوجي حيال الحب

الفروسي المقترن بالزنى ، شكله البرجوازي الحقيقي ؟ ولكن اذا كان واجب الزوجين ان يحب احدهما الآخر ، ترى ، ألم يكن بالقدر نفسه واجب المحبين ان يتزوج احدهما من الآخر لا من اي ثالث ؟ ترى ، ألم يكن حق المحبين هذا يعلو على حق الوالدين والاقارب وسماسة ووسطاء الزواج العاديين الآخرين ؟ واذا كان حق الاختيار الشخصي الحر يقتحم بلا تكلف ولا انزعاج ميدان الكنيسة والدين ، فهل كان بوسعهم ان يتوقف امام ادعاءات الجيل الاكبر سنا التي لا تطاق بالتصرف بجسد الجيل الاصغر سنا وروحه وماله وسعادته وبؤسه ؟

وهذه الاسئلة كان لا بد ان تثار في زمن ضعفت فيه جميع عرى المجتمع القديمة وتزعزعت فيه جميع التصورات الموروثة عن الماضي وقد كبر العالم دفعة واحدة زهاء عشر مرات ؛ فعوضاً عن ربع نصف واحد من الكرة الارضية ، ظهرت الآن الكرة الارضية كلها ، امام انظار الاوروبيين الغربيين ، فاسرعوا يستولون على الارباع السبعة الباقية . ومع الحواجز القديمة التي كانت تحصر الفرد ضمن حدود وطنه ، انهارت العوائق التي كانت تعيق اسلوب التفكير التقليدي في القرون الوسطى منذ آلاف السنين وامام عين الانسان وبصيرته ، انفتح افق اوسع بما لا حد له فاي اهمية كان يمكن ان تتمس بها السمعة بالاستقامة والامتيازات الحرفية المشرفة المتوارثة من جيل الى جيل بالنسبة لشباب كانت تجتذبه وتسحره ثروات الهند ومناجم الذهب والفضة في المكسيك وبوتوسي ؟ كان ذلك ، بالنسبة للبرجوازية ، عهد الفرسان التانهين . ولقد كانت للبرجوازية ايضاً رومانطيقيتها واحلامها وتاوهاتا الغرامية ، ولكن على الطريقة البرجوازية وباهداف برجوازية في آخر المطاف .

وهكذا اخذت البرجوازية الصاعدة - ولا سيما في البلدان البروتستانتية حيث تزوج النظام القائم اكثر مما في البلدان الاخرى - تعترف اكثر فاكثرا ، بحرية اجراء المقدم فيما يتعلق بالزواج ايضا ، وتمارس هذه الحرية بالطريقة الموصوفة اعلاه . لقد ظل الزواج زواجا طبقيا ، ولكن الطرفين المصنيين نالا في حدود طبقتهم حرية معينة في الاختيار . وعلى الورق ، في الاخلاق النظرية وفي الوصف الشعري ، لم يقرر اي مبدأ بنحو اثبت . وارسخ من المبدأ القائل بلاخلاقية كل زواج لا يقوم على الحب الجنسي المتبادل وعلى موافقة الزوجين الحرة حقا وفعلا . وبكلمة ، نودي بزواج الحب من حق الانسان ، وليس فقط من droit de l'homme ، بل ايضا وعلى سبيل الاستثناء من droit de la femme .

ولكن حق الانسان هذا كان يختلف من ناحية عن جميع الحقوق الاخرى المسماة بحقوق الانسان . وبما ان هذه الحقوق لم تشمل في الواقع غير الطبقة السائدة ، - الطبقة البرجوازية ، - ولم تطبق مباشرة او بصورة غير مباشرة بالنسبة للطبقة المظلومة ، - البروليتاريا ، - فان سخيرية التاريخ تبرز هنا من جديد . فان الطبقة السائدة لا تزال خاضعة لسلطان مؤثرات اقتصادية معينة ، ولهذا لا تقع في بيئتها زواجات معقودة فعلا بحرية الا بصورة استثنائية بينا هذه الزواجات ، كما رأينا ، هي القاعدة في بيئة الطبقة المظلومة

• بالفرنسية في النص الاصل . وهنا ، لعب على الكلام فان تعبیر droit de l'homme يعني «حق الانسان» وكذلك «حق الرجل» . التناهر .  
•• - حق المرأة . التناهر .

وعليه ، لا يمكن للحرية التامة في عقد الزواج ان تتحقق بصورة تامة وعامة الا بعد ان يقضي الغناء الانتاج الرأسمالي وعلاقات الملكية التي خلقها الانتاج الرأسمالي ، على جميع الاعتبارات الثانوية ، الاقتصادية ، التي لا تزال تؤثر الآن تأثيراً كبيراً في اختيار الزوج والزوجة . وأنداك لن يبقى اي دافع غير دافع الميل المتبادل

وبما ان الحب الجنسي هو بطبيعته حب فردي صرف لا منازع فيه ، - مع انه لا يراعيه الآن بطبيعته هذه غير المرأة ، - فان الزواج القائم على الحب الجنسي هو اذن ، بطبيعته ، زواج احادي . ولقد رأينا كم كان باهون على حق حينما اعتبر الانتقال من الزواج الجماعي الى الزواج الاحادي خطوة تقدمية قامت بها النساء اساساً الا ان الخطوة التالية من الزواج الثنائي الى احادية الزواج كانت هي وحدها من صنع الرجال . ومن حيث جوهر الامر ، ادت هذه الخطوة تاريخياً الى تودي وضع المرأة والى تسهيل الخيانة الزوجية من جانب الرجال ولذا ، ما ان تزول الاعتبارات الاقتصادية التي كانت النساء يحتملن بسببها هذه الخيانة العادية الأليفة من جانب الرجال ( الاهتمام بمعيشتهم بالذات ولا سيما بمستقبل اولادهم ) ، حتى تودي مساواة المرأة في الحقوق ، المحققة بفضل ذلك ، الى الامر التالي ، اذا اخذنا بالحسبان كل الخبرة السابقة ، وهو انها ستيسر حقاً وفعلاً احادية الزواج عند الرجال اكثر الى ما لا حد له مما تيسر تعدد الأزواج عند النساء

ولكنه في هذه الحال ستزول بكل تأكيد من احادية الزواج تلك السمات المميزة التي طبعها بها نشوؤها من علاقات الملكية ؛ وهذه السمات هي ، اولاً ، سيادة الرجل ، وثانياً ، استحالة

فسخ الزواج . ان سيادة الرجل في الزواج هي مجرد نتيجة لسيادته الاقتصادية ، وستزول من تلقاء ذاتها مع هذه الأخيرة . اما استحالة فسخ الزواج ، فهي جزئياً عاقبة للظروف الاقتصادية التي نشأت في ظلها احادية الزواج ، وجزئياً تقليد من ذلك الزمن الذي لم تكن قد فهمت فيه بعد الصلة بين هذه الظروف الاقتصادية واحادية الزواج فهما صحيحا والذي كان فيه الدين يفسر هذه الصلة تفسيراً مشوهاً الا ان استحالة فسخ الزواج الاستحالة الظاهرية تنتهك في الوقت الحاضر في آلاف الاحوال واذ كان الزواج القائم على الحب هو وحده الزواج الاخلاقي ، فانه وحده يبقى كذلك ما دام الحب قائماً . ولكن مدة شعور الحب الجنسي الفردي تختلف كثيراً باختلاف الافراد ، ولا سيما عند الرجال ، وحين يستنفد كلياً او يحل محله حب متاجج جديد ، يفسد الطلاق عمل خير سواء بالنسبة للطرفين ام بالنسبة للمجتمع ولكنه ينبغي فقط تجنيب الناس ضرورة الفوضى في حل دعوى الطلاق

ولذا ، فان ما يمكننا ان نفترضه الان فيما يتعلق باشكال العلاقات بين الجنسين بعد القضاء العتيد على الانتاج الرأسمالي ، يتسم على الاغلب بطابع سلبي ، ويقتصر في اكثرية الاحوال على ما سيزول . ولكن اي عناصر ستحل محل العناصر الزائلة ؟ ان هذا سيتقرر عندما ينمو الجيل الجديد ، اي جيل من رجال لن يتاتي لهم ابدأ في الحياة ان يشتروا المرأة بالمال او بوسائل اجتماعية اخرى من وسائل السلطة ، وجيل من نساء لن يتاتي لهن ابدأ في الحياة ان يستسلمن لرجل بدوافع غير دافع الحب الحقيقي ، او ان يمتنعن عن معاشره الرجل المحبوب ، خوفاً



من العواقب الاقتصادية وحين يظهر هؤلاء الناس ، فالهمس لن يابها ابدأ لما ينبغي عليهم ان يفعلوا حسب الاعتبارات العالية ؛ فالهم سيرفون بانفسهم ما ينبغي عليهم ان يفعلوه ، وسيرسمون وفقا لذلك رأيهم العام في سلوك كل فرد بمفرده ، وهذا كل ما في الامر .

ولكن لنعد الى مورغان الذي ابتعدنا عنه كثيراً . ان دراسة المؤسسات الاجتماعية التي تطورت في مرحلة الحضارة دراسة تاريخية تتجاوز نطاق كتابه ولهذا لا يتناول الا بايجاز مصير احادية الزواج في سياق هذه المرحلة . وهو يرى كذلك في تطور العائلة الاحادية الزواج تقدماً ، خطوة نحو المساواة التامة في الحقوق بين الجنسين ، بيد انه لا يعتبر انه تم بلوغ هذا الهدف . ولكن ، كما يقول ، -

وإذا اترفنا بان العائلة قد مرت على التوالي باربعة اشكال وبانها الآن تمر بالشكل الخامس ، واجهنا السؤال التالي : هل يمكن لهذا الشكل ان يدوم زمناً طويلاً في المستقبل ؟ الجواب الممكن واحد وحيد ، وهو انه لا بد لهذا الشكل ان يتطور بقدر ما يتطور المجتمع ، ويتغير بقدر ما يتغير المجتمع ، مثلما كان الحال فيما مضى وبما انه نتاج نظام اجتماعي معين ، فانه سيمكس حالة تطوره وبما ان العائلة الاحادية الزواج قد ترفت منذ بداية عصر الحضارة ولا سيما في العصر الحديث ، ففي الوسع الافتراض ، على الاقل ، ان بمقدورها ان تتلقى مستقبلاً ، ان تتحقق المساواة بين الجنسين اما اذا تبين في مستقبل بعيد ان العائلة الاحادية الزواج غير قادرة على تلبية حاجات المجتمع ، فمن المستحيل التنبؤ سلفاً بطابع العائلة التي ستليها .

### عشيرة الايروكوا

نتقل الآن الى اكتشاف آخر لمورغان يتم على الاقل بنفس القدر من الاهمية الذي يتم به بحث الشكل البدائي للعائلة على اساس انظمة القرابة . فقد اثبت مورغان ان جماعات الاقرباء بالدم ، المسماة باسمااء الحيوانات ، في داخل قبيلة من الهنود الحمر الاميركيين ، مماثلة من حيث الجوهر لـ *genea* اليونانيين و *gentes* الرومانيين ؛ وان الشكل الاميركي هو الشكل الاولي ، وان الشكل اليوناني الروماني هو الشكل اللاحق ، المشتق ؛ وان تنظيم اليونانيين والرومانيين الاجتماعي كله في الازمنة البدائية في عشيرة ووفراترية ، *phratia* وقبيلة ، مقابلا دقيقا في تنظيم الهنود الحمر الاميركيين ؛ وان العشيرة هي ( بقدر ما تسمح لنا مصادرنا الحالية بالحكم عليها ) مؤسسة مشتركة بين جميع الشعوب حق دخولها في عهد الحضارة بله في مرحلة لاحقة . ان هذا البرهان قد اوضح على الفور اصعب اقسام التاريخ اليوناني والروماني واعطانا في الوقت نفسه تفسيراً غير متوقع للسمات الاساسية للنظام الاجتماعي في الازمنة البدائية ، قبل نشوء الدولة . ومهما بدا هذا الاكتشاف بسيطاً بعد الاطلاع عليه ومعرفته ، فان مورغان لم يكتشفه مع ذلك الا في الآونة الاخيرة ؛ ففي كتابه السابق الذي صدر في عام ١٨٧١ ، لم يكن قد تمرب بعد الى هذا السر الذي اجبر اكتشافه مل ذلك الخبراء

الانجليز في التاريخ البدائي ، الواقفين عادة فائق الثقة بانفسهم ،  
على لزوم الصمت فترة من الوقت

ان الكلمة اللاتينية gens (وجنس) التي يستعملها مورغان في كل مكان يعني بها هذه الجماعة العشيرية ، تتحدر ، مثلها مثل الكلمة اليونانية المناسبة genos ، من الاصل الآري الواحد gan (بالألمانية kan) ، إذ أن الحرف الآري g يتحول حسب القاعدة العامة في الألمانية الـ (k) الذي يعني «ولد» ، «نسل» . ان gens ، و genos ، و dschanas السنسكريتية و kuni الفوطية (بموجب القاعدة المذكورة آنفا) ، و kyn السكندنافية القديمة والانجلوسكسونية ، و kin الانجليزية ، و künne بالألمانية- العليا الوسطى ، تعني جميعها «نسل» ، «اصل» ولكن gens اللاتينية و genos اليونانية تستعملان خصيصاً لتسمية جماعة عشيرية تعتر باصلها المشترك (وهنا ، من جد واحد مشترك) وتشكل بحكم مؤسسات اجتماعية ودينية معينة ، جماعة خاصة متميزة لا يزال اصلها وطبيعتها مع ذلك غير واضح حتى الآن بالنسبة لجميع مؤرخينا

وقد سبق ورأينا ، عند دراسة العائلة البونالوانية ، تركيب العشيرة بشكلها الأولي ، البدائي ، فهي تتألف من جميع الأشخاص الذين يشكلون ، عن طريق الزواج البونالواني وبموجب التصورات السائدة حتماً في ظل هذا الزواج ، الذرية المعترف بها لجدة واحدة معينة ، هي مؤسسة العشيرة . وبما انه لا تمكن في ظل هذا الشكل للعائلة معرفة الأب بدقة وثبوت ، فلا يؤخذ بالعسبان الاخط المرأة ، حبل النسل النسائي . وبما انه لا يحق للاخوة ان يتزوجوا اخواتهم ، وبما انه لا يحق لهم ان يتزوجوا الا من نساء من اصل آخر ، من خط آخر ، فإنا الاولاد الذين

تلدهم هؤلاء النساء الغريبات عنهم يكونون ، بحكم الحق الامي ، خارج العشيرة المعنية ولذا لا يبقى داخل الجماعة العشرية غير اخلاف بنات كل جيل ؛ اما اخلاف الابناء فانهم ينتقلون الى عشائر امهاتهم . وماذا يحدث لهذه الجماعة من اقرباء الدم بعد ان تتشكل في جماعة خاصة ، متميزة ، بالنسبة للجماعات المماثلة الاخرى في داخل القبيلة ؟

وياخذ مورغان العشيرة عند الايروكوا ، وعلى الاخص عند قبيلة «سينيكا» كشكل كلاسيكي لهذه العشيرة البدائية ففي هذه القبيلة توجد ثماني عشائر مسماة باسماء حيوانات

١- الذئب ؛ ٢- الدب ؛ ٣- السلحفاة ؛ ٤- القنص ؛ ٥- الايل ؛ ٦- دجاجة الارض ؛ ٧- مالك الحزين ؛ ٨- الصقر .

ولكل عشيرة العادات التالية :

١- تنتخب العشيرة «ساخما» sachem ( شيخا في زمن السلم ) وزعيما ( قائدا عسكريا ) . وكان ينبغي انتخاب «الساخم» من قوام العشيرة بالذات ؛ وكانت وظيفته تنتقل بالوراثة داخل العشيرة ، لانه كان ينبغي ، في حال فراغها ، املاؤها من جديد على الفور . وكان يمكن انتخاب القائد العسكري من غير اعضاء العشيرة ايضا ، وكان يمكن احيانا الاستغناء عنه تماما . وكان ابن «الساخم» السابق لا يُنتخب ابدا «ساخما» ، لان الحق الامي كان السائد عند الايروكوا ، ولان الابن كان بالتالي ينتسب الى عشيرة اخرى ؛ ولكن اخ «الساخم» السابق او ابن اخته هو الذي كان يُنتخب في احيان كثيرة . وكان الجميع ، رجالا ونساء ، يشتركون في الانتخابات ؛ ولكن الاختيار كان يرفع لمصادفة العشائر السبع الاخرى ، وبعد هذا فقط كان المختار يُنصَّب باحتفال في وظيفته من قبل المجلس المشترك لاجداد الايروكوا

العام . وفيما يلي من البحث ، ستتضح اهمية هذا الواقع فقد كانت سلطة «الساخم» داخل العشيرة سلطة ابوية ، ذات طابع معنوي صرف ؛ ولم تكن لديه اي وسائل للاكراه فضلا عن ذلك كان بحكم وظيفته عضواً في مجلس قبيلة «سينيكا» وعضواً في المجلس المشترك لاتحاد الايروكوا العام . ولم يكن بوسع الزعيم العسكري ان يصدر الاوامر الا في زمن الحملات الحربية

٢- تقيل العشيرة بملء ارادتها «الساخم» والزعيم العسكري وهذا الامر ايضا يقرره الرجال والنساء معا وبعد الاقالة ، يصبح المقاتلون محاربين عاديين ، افراداً عاديين ، مثلهم مثل الآخرين ومن جهة اخرى ، يستطيع مجلس القبيلة ايضا ان يقيل «الساخم» حتى رغم ارادة العشيرة

٣- لا يحق لاي من اعضاء العشيرة ان يتزوج في داخل العشيرة وهذه هي القاعدة الاساسية في العشيرة ، والعروة التي تشد لحمتها ؛ وهي تعبير سلبي عن تلك القرابة بالدم المحددة تماماً التي هي وحدها تجعل من الافراد الذين تشملهم عشيرة

وباكتشاف هذا الواقع البسيط ، اكتشف مورغان للمرة الاولى جوهر العشيرة اما ما اقل : مما كانوا يفهمون قبل ذلك هذا الجوهر ، فتبينه القصص السابقة عن المتوحشين والبرابرة حيث المجموعات التي تشكل عناصر العشيرة تختلط بدون تفهم وتمييز تحت اسماء قبيلة و«كلان» و«توم» ("thum") ، الخ . ، وحيث يقال احيانا كثيرة ان الزواج ممنوع داخل هذه او تلك من هذه المجموعات . وهذا ما خلق ذلك التشوش المستعصي الذي استطاع السيد مالـالينان ان يقوم فيه بدور نابليون لكي يبسط النظام بحكم ميرم جميع القبائل تنقسم الى قبائل الزواج ممنوع في داخلها (القبائل الخارجية الزواج) والى قبائل الزواج مسموح

في داخلها ( القبائل الداخلية الزواج ) . وبعد تشويش المسألة على هذا النحو ، انصرف الى ابحاث في منتهى العمق ليعرف ايا من هاتين المقولتين السخيفتين اقدم عهداً ، مقولة الزواج الخارجي ام مقولة الزواج الداخلي . وقد تبددت هذه السخافة من تلقاء ذاتها عند اكتشاف العشيرة القائمة على قرابة الدم وعند اكتشاف استحالة الزواج بين اعضاء العشيرة بسبب هذه القرابة - وبديهي ان تحريم الزواج داخل العشيرة في الطور الذي نجد فيه الايروكوا لا يزال ساري المفعول بكل صرامة .

٤ - كانت اموال الموتى تنتقل الى اعضاء العشيرة الباقين ، وكان ينبغي ان تبقى داخل العشيرة . وبما ان الاشياء التي كان يمكن ان يخلفها الايروكي بعد موته زهيدة جداً ، فان القرب القربانه كانوا يتقاسمونها فيما بينهم ؛ فاذا توفي رجل ، تقاسم التركية اخوته واخوانه من امه وخاله ؛ واذا توفيت امرأة ، تقاسم التركية اولادها واخواتها من امها ، دون اخوتها . وللسبب نفسه ، لم يكن بإمكان الزوج والزوجة ان يرث احدهما الآخر ؛ وكذلك لم يكن بإمكان الاولاد ان يرثوا اباهم

٥ - كان اعضاء العشيرة ملزمين بعضهم حيال بعض بتقديم المساعدة والحماية ولا سيما بالمساهمة في اخذ الثار عن اذى الحقه الغير . وكان كل فرد يتكفل على حماية العشيرة فيما يتعلق بضمان امته وسلامته ، وكان يوسع الاعتماد عليها ؛ فان من كان يؤذيه انما كان يؤذي بالتالي العشيرة بأسرها . ومن هنا ، من روابط الدم في العشيرة ، نشأ واجب اخذ الثار ، الذي كان يعترف به الايروكوا بلا قيد ولا شرط . فاذا قتل عضو من العشيرة شخصاً من عشيرة اخرى ، فان كل عشيرة القتيل كانت ملزمة باخذ الثار . في البدء كانت تجري محاولة للصلح . فان مجلس

عشيرة القاتل كان يجتمع ويعرض على مجلس عشيرة القتيل انهاء المشكلة حيباً ، عرباً في معظم الاحيان من اسفه ومقداً هدية كبيرة فاذا قبل العرض ، اعتبر الخلاف مفضوضاً ، والا ، فان العشيرة المتضررة كانت تعين شخصاً او عدة اشخاص من اجل الانتقام ، وكان هؤلاء ملزمين بان يتبعوا القاتل ويقتلوه . واذا تم ذلك ، فلم يكن يحق لعشيرة هذا الاخير ان تتشكى وتطالب ؛ وكان الخلاف يعتبر مفضوضاً

- ٦- تملك العشيرة اسماء معينة او مجموعات من الاسماء لا يحق لغيرها في القبيلة كلها ان يستعملها ؛ وهكذا كان اسم كل فرد بمفرده يبين كذلك العشيرة التي ينتسب اليها وكان كل اسم مقروناً بالضرورة بحقوق العشيرة التي يخصها هذا الاسم
- ٧- بوسع العشيرة ان تتبنى اغراباً ، وان تقبلهم بالتالي كاعضاء في القبيلة باسرها وعليه كان اسرى الحرب الذين لا يقتلونهم يصبحون ، بحكم تبنيهم في عشيرة ما ، اعضاء في قبيلة سينيكا وينالون بالتالي جميع حقوق العشيرة والقبيلة وكان التبني يجري باقتراح من مختلف اعضاء العشيرة ؛ باقتراح من الرجال الذين ياخذون الغريب كاخ او اخت ، او باقتراح من النساء اللواتي ياخذن الغريب كابن ؛ وللمصادقة على التبني ، كان ينبغي اقامة احتفال خاص بالقبول في العشيرة وفي كثير من الاحيان ، كانت بعض العشائر المستضعفة لاسباب قاهرة تقوى على هذا النحو عدداً بتبني اعضاء عشيرة اخرى بالجملة ، بموافقة هذه العشيرة الاخيرة وعند الايروكوا ، كان القبول الاحتفالي في العشيرة يجري اثناء جلسة علنية لمجلس القبيلة ، الامر الذي كان يحول عملياً هذا الاجراء الى احتفال ديني
- ٨- من العسير تقديم البرهان على وجود احتفالات دينية

خاصة عند عشائر الهنود الحمر ؛ ولكن احتفالات الهنود الحمر الدينية ترتبط الى هذا الحد او ذلك بال عشيرة وفي امياد الايروكوا الدينية السنوية الستة ، كان «الساخمات» والقادة العسكريون في كل عشيرة يعتبرون ، بحكم وظائفهم ، من عداد «حراس الايمان» ويقومون بوظائف الكهان .

٩- تملك العشيرة مدفنا مشتركا وقد زال هذا المدفن الان عند الايروكوا بولاية نيويورك الذين يضيق عليهم البيض من جميع الجهات ؛ ولكنه كان موجودا من قبل . وهو لا يزال موجودا عند الهنود الحمر الآخرين ، ومنهم مثلا اقرباء الايروكوا ، التوسكارورا ؛ فعند هؤلاء في المدفن ، رغم انهم مسيحيون ، صف خاص بكل عشيرة ، بحيث انهم يدفنون الام ، لا الاب ، قرب الاولاد في صف واحد . ناهيك بان كل عشيرة المتولى عند الايروكوا تشارك في الدفن وتعنى بالمدفن وكلمات التابين ، الخ . .

١٠- للعشيرة مجلس هو عبارة عن جمعية ديموقراطية

لجميع اعضاء العشيرة الراشدين ، رجالا ونساء ؛ ولجميعهم الحق نفسه في التصويت . كان هذا المجلس ينتخب ويقيـل «الساخمات» والقادة العسكريين ، وكذلك «حراس الايمان» الآخرين وكان المجلس يتخذ القرارات بشأن فدية ( vergeld ، ثمن الدم ) او اخذ ثار القتلى من اعضاء العشيرة ؛ وكان يقبل الاغراب في قوام العشيرة . وبكلمة ، كان المجلس السلطة العليا في العشيرة هذه هي وظائف العشيرة النموذجية من الهنود الحمر

وجميع اعضائها اناس احرار وملومون بحماية حرية بعضهم بعضا ، ومتساوون في الحقوق الشخصية- فلا «الساخمات» ولا القادة العسكريون يدهون باي الفضليات . وهم يشكلون اخوية تشد لعمتها



روابط الدم ان الحرية والمساواة والاخوة كانت المبادئ الاساسية في العشيرة ، رغم انها لم تتبلور يوما في صيغة معينة ، وكانت العشيرة بدورها وحدة نظام اجتماعي كامل واساس مجتمع الهنود الحمر المنظم وهذا ما يفسر الشعور الثابت الذي لا يلين بالاستقلال وبالكرامة الشخصية ، ذلك الشعور الذي يعترف به كل امرئ للهنود الحمر \*  
 في عهد اكتشاف اميركا ، كان الهنود الحمر في عموم اميركا الشمالية منظمين في عشائر حسب الحق الامسي الا في بعض القبائل ، كقبيلة داكوتا ، مثلا ، كانت العشائر قد زالت ، وكانت عند بعضها الاخر ، كما عند قبيلتي اودجيبفا واوماها ، منظمة حسب الحق الابوي

وعند عدد كبير جداً من قبائل الهنود الحمر التي تضم كل منها خمس او ست عشائر ، نجد ثلاث او اربع عشائر او اكثر متجمعة في جماعة خاصة يسميها مورغان فراترية (phratia اخوية) ، مترجماً اسمها الهندي بكل امانة الى مقابله اليوناني فعند قبيلة سينيكا ، مثلا ، فراتريتان (اخويتان) ؛ الفراترية الاولى تضم العشائر ١-٤ والفراترية الثانية تضم العشائر ٥-٨ . وقد بين المزيّد من البحث والدراسة ان هاتين الفراتريتين تمثلان في معظم الحالات العشائر الاولى التي انقسمت اليها القبيلة للمرة الاولى . لانه كان ينبغي بالضرورة على كل قبيلة ان تشمل عشيرتين على الاقل لكي تتمكن من العيش بصورة مستقلة ، لان الزواج كان ممنوعاً داخل العشيرة وبقدر ما كانت القبيلة تنمو ، كانت كل عشيرة تنقسم بدورها

\* راجع كذلك وارثيف ماركس وانجلس ، الطبعة الروسية ،

الى عشيرتين او اكثر كانت كل منها تظهر بانها عشيرة مستقلة ،  
 بينا العشيرة الاولية التي تشمل جميع العشائر البنات تظل قائمة  
 بوصفها فراترية وعند قبيلة سينيكا واغلبية الهنود الحمر  
 الاخرين ، تعتبر عشائر فراترية واحدة عشائر شقيقة ، بينا  
 عشائر الفراترية الاخرى تعتبر بالنسبة لها عشائر شقيقة من  
 الدرجة الثانية ، - وهذه تعابير لها في نظام القرابة الاميركي ،  
 كما سبق ورأينا ، معنى فعلياً جداً وواسع الدلالة . ففي البدء ،  
 لم يكن بوسع اي عضو من قبيلة سينيكا ان يتزوج في داخل  
 فراتريته ، ولكن هذه العادة زالت من زمان بعيد ، ولا يسري  
 مفعولها الا ضمن العشيرة . وتقول اساطير قبيلة سينيكا ان  
 عشيرتي «الدب» و«الايل» كانتا العشيرتين الاوليين اللتين تحدرت  
 منهما العشائر الاخرى . وما ان رسخ هذا التنظيم الجديد ، حتى  
 اخذ يتغير حسب الحاجة ؛ فاذا احدثت عشائر فراترية من  
 الفراتريات ، كانت عشائر بكاملها تنتقل اليها ، على سبيل  
 التعمير ، في كثير من الاحيان ، من فراتريات اخرى . ولهذا  
 نرى عند مختلف القبائل عشائر بالاسماء نفسها ، متجمعة بصور  
 مختلفة في فراتريات

ان وظائف الفراتريات عند الايروكوا هي اجتماعية جزئياً  
 ودينية جزئياً . ١- تلعب الفراتريات في الكرة احداها ضد  
 الاخرى وكل فراترية تنتدب خيرة لاعبيها ، بينا الباقيون  
 يشاهدون اللعب ، كل فراترية في مكان خاص بها ، ويراهنون  
 بعضهم بعضاً على انتصار لاعبيهم . ٢- في مجلس القبيلة ، يجلس  
 ساخمات كل فراترية وقادتها العسكريون معا ، جماعة مقابل  
 جماعة ، وكل خطيب يخاطب ممثلي كل فراترية كانما يخاطب  
 فئة خاصة ، متميزة . ٣- اذا وقعت في القبيلة جريمة قتل ،

وإذا كان القاتل والقتيل لا ينتسبان الى الفراتية ذاتها ، فان العشرة المنكوبة كانت في كثير من الاحيان تستنجد بالعشائر الشقيقة ؛ وأنداك كانت تعقد مجلس الفراتية وتطلب من الفراتية الاخرى ككل ان تعقد هذه الاخرة بدورها مجلسها لاجل سوية القضية وهكذا تظهر الفراتية هنا من جديد بوصفها العشرة الاولى ، البدائية ، - وعلى هذا النحو كانت احتمالات النجاح تتوفر للفراتية اكثر مما للعشرة المنفردة ، الضعيفة ، المتحدرة منها . - ٤ - في حال وفاة الاشخاص البارزين ، كانت الفراتية المقابلة تأخذ على عاتقها امر الاهتمام بالدفن ومراسم الجنازة ، بينما كان اعضاء فراتية المتوفى يشتركون في الدفن بوصفهم اقارب الراحل واذا توفي «الساخم» ، كانت الفراتية المقابلة تنبى مجلس الايروكوا الاتحادى بفراغ المنصب . - ٥ - وعند انتخاب «الساخم» كان مجلس الفراتية يدخل الحلبة ايضا فقد كانت مصادقة العشائر الشقيقة على الانتخاب تعتبر بمثابة امر بديهي ، ولكنه كان بوسع عشائر الفراتية الاخرى تقديم اعتراض وفي هذه الحالة ، كان مجلس هذه الفراتية ينعقد . فاذا اعتبر الاعتراض صحيحا ، فان الانتخاب يصبح باطلا لا مفعول له . - ٦ - من قبل ، كان عند الايروكوا اسرار دينية خاصة سماها البيض *médicine-lodges*\* . وهذه الاسرار الدينية كانت تحتفل بها عند قبيلة سينيكا اخويتان دينيتان تتبعان قواعد خاصة لاشراك الاعضاء الجدد في معرفة هذه الاسرار . وكان لكل فراتية من الاثنتين اخوية واحدة - ٧ - واذا كانت الـ *lineages* (الاسباط) الاربعة التي كانت

تسكن احياء تلاسغالا الاربعة في زمن الفتح (١٢٠) اربع فراتريات ، - وهذا امر لا ريب فيه تقريباً ، - فان هذا يثبت ان الفراتريات كانت في الوقت نفسه وحدات عسكرية ، شأنها شأن الفراتريات عند اليونانيين وشأن جماعات عشيرة ممالة عند الجرمان . وهذه ال lineages الاربع كانت تدخل المعركة كل منها كفصيلة خاصة متميزة لها لباسها الخاص ورايتها الخاصة ، وتحت امرة زعيمها الخاص .

وكما ان بضع عشائر تؤلف فراترية ، كذلك تؤلف بضع فراتريات قبيلة ، اذا اخذنا بالحسبان الشكل الكلاسيكي . وفي بعض الحالات ، لا توجد عند القبائل المستضعفة جداً الحلقة الوسطية ، اي الفراترية . فما الذي يميز اذن قبيلة الهنود الحمر في اميركا ؟

١ - الارض الخاصة والاسم الخاص . فكل قبيلة كانت تملك ، عدا مكان اقامتها الفعلي ، منطقة كبيرة من الارض لاجل الصيد البري والمائي . وفيما وراء حدود هذه المنطقة كان يقع قطاع حيادي واسع يمتد حق حدود ارض اقرب قبيلة ؛ وكان هذا القطاع اضيق بين القبائل التي تتكلم بلغات متقاربة ، ولوسع بين القبائل التي تتكلم بلغات مختلفة ان هذا القطاع هو مثل الغابة الحد عند الجرمان ، والربع الخالي الذي كان suèves (سويف) القيصر ينشئونه حول ارضهم ، و isarnholt (بالدانماركية ، jarnved limes Danicus) بين الدانماركيين والجرمان ، والغاب الساكسوني و branibor (بالسلافية والغابة العامية) - التي جاء منها اسم براندنبورغ - بين الجرمان والسلاف وكانت المنطقة المحددة على هذا النحو بحدود غير واضحة تشكل بلد القبيلة العام المشترك ، وكانت القبائل المجاورة تعترف بها بهذه

الصفة ، وكانت القبيلة المعنية تحميها من الاعتداءات وفي معظم الاحيان ، لم يكن عدم وضوح الحدود يسمي في الواقع امراً مزعجاً الا عندما كان عدد السكان ينمو كثيراً جداً . - ويبدو ان اسماء القبائل كانت تنشأ في معظم الاحيان بفعل الصدفة اكثر مما كانت نتيجة اختيار مقصود ومع مرور الزمن ، كان يحدث احيانا كثيرة ان تطلق القبائل المجاورة على القبيلة اسماً يختلف عن الاسم الذي اختارته هي لنفسها ، مثلما اطلق السلت على الالمان اسمهم المشترك الاول في التاريخ ، وهو اسم «الجرمان»

#### ٢- لهجة (dialecte) خاصة تتميز بها هذه القبيلة وحدها

وفي الواقع تتطابق القبيلة واللهجة من حيث جوهر الامر ان التشكل الجديد للقبائل واللهجات من جراء الانقسامات كان لا يزال يجري لامتد قريب في اميركا ، ومن المؤكد انه لم يتوقف بعد كلياً الآن وحيث كانت تندمج قبيلتان ضعفتا عددياً في قبيلة واحدة ، كان يحدث بصورة استثنائية ان يتكلموا في القبيلة نفسها بلهجتين متقاربتين جداً ان متوسط عدد افراد كل من القبائل الاميركية اقل من ٢٠٠٠ شخص ؛ ولكن افراد قبيلة تشيروكي ٢٦٠٠٠ ، وهذا اكبر عدد من الهنود الحمر في اميركا يتكلمون بلهجة واحدة

#### ٣- الحق في الاحتفال بتنصيب «الساخمات» والقادة

العسكريين الذين انتخبتهم العشائر

٤- الحق في اقاتلهم ، حتى رغم ارادة عشيرتهم . وبما ان هؤلاء الساخمات والقادة العسكريين هم اعضاء في مجلس القبيلة ، فان حقوق القبيلة هذه حيالهم تفسر نفسها بنفسها . وحيث كان يتشكل اتحاد من قبائل وحيث كانت جميع القبائل الداخلة فيه

تتمثل في مجلس اتحادي كانت هذه الحقوق تنتقل ال هذا المجلس

٥ - تصورات دينية مشتركة (ميثولوجيا) وطقوس دينية مشتركة

وكان الهنود الحمر ، على طريقتهم البربرية شعبا دينياً (١٢١)

ان ميثولوجيا الهنود الحمر لم تكن ابدأ حتى الآن موضع دراسة انتقادية ؛ فقد كانوا يصفون على اغراض تصوراتهم الدينية - الارواح من كل شاكلة وطراز - سيماء بشرية ، ولكن الطور الادنى من البربرية الذي كانوا قد بلغوه لا يعرف بمد التشخيصات الواضحة ، الملموسة ، المسماة بالاصنام كانت تلك بيادة الطبيعة وعاصر تتطور نحو تعدد الالهة وكانت لمختلف القبائل اعياد منتظمة مرفقة باشكال معينة من الطقوس ، هي الرقصات والالعاب وكانت الرقصات على الاخص جزءاً جوهرياً لا يتجزأ من جميع الاحتفالات الدينية وكانت كل قبيلة تحتفل باعيادها بمفردها

٦ - مجلس القبيلة لبحث الشؤون المشتركة ، العامة

وكان يتألف من جميع الساخمتات وجميع القادة العسكريين لمختلف العشائر ، اي من ممثليها الحقيقيين ، لانه كان يمكن دائما اقاتلهم كان المجلس يعقد جلساته علناً ، محاطا بسائر اعضاء القبيلة ؛ وكان لهؤلاء الحق في الاشتراك في المناقشة وفي عرض آرائهم وكان المجلس هو الذي يقرر وهل العموم ، كان في وسع كل حاضر ان يعرب عن رايه ، اذا ما رغب في ذلك كما كان في وسع النساء ايضاً عرض اعتباراتهن بواسطة الخطيب الذي ينتخبه . وعند الايروكوا ، كان الاجماع ضروريا لاتخاذ القرار

النهائي ، كما كان الحال في الماركات-المشاعسات الالمانية لاجل حل بعض القضايا وكانت صلاحيات مجلس القبيلة تشمل مثلا تسوية العلاقات مع القبائل الاخرى . وكان مجلس القبيلة يستقبل السفراء ويرسل السفراء ، ويعلن الحرب ويعقد الصلح واذا نشبت الحرب ، فقد كان المتطوعون هم الذين يخوضون غمارها على العموم ومن حيث المبدأ ، كانت كل قبيلة تعتبر في حالة حرب مع كل قبيلة اخرى لم تعقد معها معاهدة صلح حسب الاصول وفي معظم الاحوال ، كان المحاربون البارزون ينظمون بصورة فردية الحملات الحربية ضد الاعداء من هذا النوع ؛ فكانوا ينظمون الرقص الحربي ، وكل من يشترك في هذا الرقص كان يصرح بالتالي بانضمامه الى الحملة . وعلى الفور كانت الفصيلة تنتظم وتبدأ العمل كذلك الدفاع عن الارض التي تخص القبيلة انما كان يتامن في معظم الاحوال بتعبئة المتطوعين ودائما كان ذهاب هذه الفصائل وعودتها من القتال مناسبة لاحتفالات عامة . ولم تكن ثمة حاجة الى موافقة مجلس القبيلة على مثل هذه الحملات ، ولم تكن هذه الموافقة موضع سؤال وعطاء . وهذا ما يشبه تماما الحملات الحربية الخاصة التي كانت تقوم بها العصابات الجرمانية ، كما وصفها لنا تاقيطس ؛ الا ان هذه العصابات اكتسبت عند الجرمان طابعا اكثر دواما ، وهي تشكل نواة ثابتة تنتظم في زمن السلم ويلتف حولها في زمن الحرب المتطوعون الآخرون . ونادرا ما كانت هذه الفصائل الحربية تضم عددا كبيرا من الافراد ؛ فان اكبر حملات الهنود الحمر الحربية ، حتى على مسافات كبيرة ، كانت تقوم بها قوات حربية ضئيلة واذا اتحد بعض من هذه الفصائل للقيام بمشروع كبير الى هذا الحد او ذاك ، فان كلا منها كانت لا تخضع الا لزعيمها بالذات ؛

اما وحدة خطة الحملة ، فقد كان يؤمنها ، بهذه الدرجة او تلك ، مجلس هؤلاء الزعماء وبهذه الطريقة ايضاً ، كان الالمان في اعالي الرين يخوضون غمار الحرب في القرن الرابع ، حسبما جاء في وصف اميان مرسيللان

٧- عند بعض القبائل ، نجد زعيماً اعلى ، صلاحياته مع ذلك ضئيلة جداً وهو واحد من «الساخمات» ينبغي عليه ، في الاحوال التي تقتضي العمل الفوري ، ان يتخذ اجراءات موقته الى ان يتمكن المجلس من الانعقاد ويتخذ القرار النهائي وهنا نجد نموذجاً مسبقاً لموظف يتمتع بالسلطة التنفيذية ولكنه نموذج لا يزال في اوائل عهده ولم يتطور فيما بعد في معظم الاحوال . الا ان هذا ، كما سنرى فيما بعد ، قد ظهر في معظم الاحوال ، ان لم يكن دائماً ، نتيجة لتطور سلطة القائد العسكري الاعلى

ان الاغلبية الساحقة من الهنود الحمر الاميركيين لم يتجاوزوا درجة الاتحاد في قبيلة . وكانت قبائلهم القليلة ، التي تفصلها بعضها عن بعض رقع عريضة جداً من الاراضي ، والتي اضعفتها الحروب الدائمة ، تشغل بعدد قليل من الناس ، ارحاباً شاسعة وهنا وهناك كانت القبائل التي تجمع بينها صلات القربى تعقد الاتحادات بحكم ضرورة موقته ؛ وكانت هذه الاتحادات تزول بزوال هذه الضرورة . ولكن القبائل التي كانت تجمع بينها اولاً صلات القربى ، والتي تفرقت فيما بعد ، تجمعت من جديد في بعض المناطق في اتحادات دائمة ، وبذلك خلت الخطوة الاولى نحو تشكل الامم وفي الولايات المتحدة نجد هند الايروكوا الشكل الاكثر تطوراً لاتحاد من هذا النوع فان الايروكوا قد نزحوا من مكان اقامتهم في غربي نهر الميسيسيبي حيث كأتوا



يولفون ، حسب كل احتمال ، فرعاً من جماعة الداكوتا الكبيرة ، واقاموا بعد ترحلات طويلة في ولاية نيويورك الحالية ، وانقسموا الى خمس قبائل سينيكا ، كايوغا ، اونونداغا ، اونيدا ، موهاوك . وكانوا يعيشون من صيد السمك والصيد البري والبستنة البدائية وكانوا يسكنون في قرى تحميها الاسيجة الوتدية في معظم الاحوال . ولم يبلغ عددهم ابداً اكثر من ٢٠ شخص ؛ وكانت في جميع قبائلهم الخمس بعض عشائر مشتركة ؛ وكانوا يتكلمون بلهجات متقاربة جداً من لغة واحدة ، ويسكنون في رقعة متصلة من الارض جرى تقاسمها بين القبائل الخمس

وبما انهم كانوا قد استولوا على هذه الارض من زمن غير بعيد ، فان الاعمال المشتركة بين هذه القبائل الطافرة ضد القبائل المطرودة اصبحت ظاهرة طبيعية ومن حكم العادة وعلى هذا النحو ، تكون في مستهل القرن الخامس عشر على ابعد حد ، «اتحاد ابدي» - اتحاد تعاهدي (confédération) ، احس بقواه الجديدة ، فاكسب على الفور طابعاً هجومياً ، واستولى في اوج باسه ، حوالي عام ١٦٧٥ ، على رقعة كبيرة من الاراضي المحيطة به ، طارداً السكان من بعضها وفارصاً الجزية على سكان بعضها الآخر ان اتحاد الايروكوا التعاهدي هو ارقى تنظيم اجتماعي توصل اليه الهنود الحمر قبل ان يتجاوزوا الدرجة الدنيا من البربرية ( ما عدا ، بالتالي ، سكان المكسيك والمكسيك الجديدة والبيرو ) وفيما يلي سمات الاتحاد الاساسية

١ - الاتحاد الابدي بين القبائل الخمس التي تجمع بينها قرابة الدم ، على اساس المساواة التامة والاستقلال في جميع الشؤون الداخلية للقبيلة . ان قرابة الدم هذه كانت تشكل الاساس الحقيقي للاتحاد . وكانت ثلاث من القبائل الخمس تسمى بالقبائل

الابوية ، وكانت شقيقة فيما بينها وكانت القبيلتان الباقيتان تسميان بالقبيلتين البنتين ، وكانتا شقيقتين فيما بينهما وكانت ثلاث عشائر- هي اقدمها- لا تزال تتمثل باشخاص احياء في جميع القبائل الخمس ؛ وثلاث عشائر اخرى في ثلاث قبائل وكان اعضاء كل من هذه العشائر جميعهم اخوة فيما بينهم في جميع القبائل الخمس وكانت اللغة المشتركة ، التي لا تنطوي الا على فوارق في اللهجات ، تعبيراً عن الاصل المشترك وبرهانا عليه

٢- كان المجلس الاتحادي ، المؤلف من ٥٠ ساخما متساوين في المنزلة والسلطة ، هو هيئة الاتحاد وكان هذا المجلس يتخذ القرارات النهائية في جميع شؤون الاتحاد

٣- عند تاليف الاتحاد ، جرى توزيع مناصب هؤلاء الساخمات الـ ٥٠ بين القبائل والعشائر ، بوصفهم قائمين بوظائف جديدة انشئت خصيصاً لاغراض الاتحاد وفي حال شغور المنصب ، كانت العشرة المعنية تملأ من جديد عن طريق الانتخاب كذلك كان بوسع العشرة ان تقبل ساخمها في اي وقت كان . ولكن تقليد المنصب كان من حق المجلس الاتحادي

٤- كان هؤلاء الساخمات الاتحاديون ساخمات ايضاً في قبائلهم وكان يحق لهم الاشتراك والتصويت في مجلس القبيلة

٥- جميع قرارات المجلس الاتحادي كان ينبغي اتخاذها بالاجماع .

٦- كان التصويت يجري في كل قبيلة بمفردها بحيث انه كان ينبغي على كل قبيلة وعلى جميع اعضاء المجلس في كل قبيلة ان يصوتوا بالاجماع لكي يعتبر القرار نافذ المفعول

٧- كان بوسع كل من مجالس القبائل الخمس دعوة المجلس

الاتحادي الى الانعقاد ؛ ولكنه لم يكن بوسع المجلس الاتحادي ان ينعقد من تلقاء ذاته

٨- كانت الجلسات تجري بحضور الشعب المجتمع وكان بوسع كل ايروكي ان ياخذ الكلام ولكن المجلس وحده هو الذي كان يتخذ القرارات

٩- لم يكن للاتحاد اي رئيس ، لم يكن فيه اي شخص يرأس السلطة التنفيذية

١٠- ولكنه كان له زعيمان عسكريان اعليان يتمتعان بصلاحيات متساوية وسلطة متساوية ( «ملكان» عند الاسبرطيين ، فنسلان في روما )

هذا هو النظام الاجتماعي الذي عاش الايروكوا في ظله اكثر من اربعمئة سنة ولا يزالون يعيشون في ظله حتى الان ولقد وصفت هذا النظام بالتفصيل ، حسبما وصفه مورغان لانه تسنح لنا الفرصة هنا لدراسة تنظيم مجتمع لم يعرف بعد الدولة . فان الدولة تفترض سلطة عامة خاصة منفصلة عن مجموع الافراد الذين تتألف منهم . وان مورير ، الذي يرى ، بدافع الغريزة الصادقة ، ان نظام «المارك» الالمانى هو مؤسسة اجتماعية صرف تختلف اختلافا جوهريا عن الدولة ، رغم انها كانت بمعظمها فيما بعد اساسا للدولة - ان مورير يدرس في جميع مؤلفاته نشوء السلطة العامة تدريجيا من النظام البدائي «للمارك» والقرية والعائلة والمدينة ، والى جانبه . ومن مثال الهنود الحمر في امريكا الشمالية نرى كيف ان قبيلة واحدة موحدة في البدء تنتشر تدريجيا في قارة شاسعة ؛ وكيف ان القبائل تنقسم اقساما وتحول الى شعوب ، الى مجموعات كاملة من قبائل ؛ وكيف تتغير اللغات فلا تبقى مفهومة فيما بينها ، وليس هذا وحسب ،

بل تفقد ايضاً كل اثر تقريباً لوحدتها الاولية ؛ وكيف ينقسم بعض العشائر داخل القبيلة الى عدة عشائر ، وكيف تبقى العشائر الامية القديمة بصورة «فراثریات» مع العلم ان اسماء هذه العشائر الاولية تبقى مع ذلك هي هي عند قبائل بعيدة بعضها عن بعض من حيث المكان ومنفصلة بعضها عن بعض من زمان بعيد ، - ان «الذئب» و«الدب» لا يزالان اسمين عشيريين عند اغلبية جميع قبائل الهنود الحمر وجميع هذه القبائل يلازمها على العموم النظام الموصوف عالياً ، مع فارق وحيد ، هو ان عدداً كبيراً منها لم يصل الى مرحلة الاتحاد بين القبائل التي تجمع بينها صلات القربى

ولكننا نرى ايضاً ان نظام العشائر والفراثریات والقبائل كله يتطور بضرورة محتمة لا مناص منها تقريباً ، - لانها ضرورة طبيعية تماماً - من هذه الخلية الاجتماعية الاساسية التي هي العشيرة فان هذه المجموعات الثلاث كلها - العشائر والفراثریات والقبائل - هي درجات مختلفة من قرابة الدم ، مع العلم ان كلا منها منطوية على نفسها وتصرف شؤونها بنفسها ، ولكنها كذلك بمثابة مكملة للاخرى وان حلقة الشؤون التابعة لها تشمل مجمل شؤون الانسان العامة ، الاجتماعية ، في الطور الادنى من البربرية . ولهذا عندما نجد عند شعب من الشعوب العشيرة بوصفها الخلية الاجتماعية الاساسية ، ينبغي علينا ان نفتش عنده عن تنظيم قبلي يشبه التنظيم الموصوف هنا ؛ وحيث يتوفر ما يكفي من المصادر ، كما عند اليونانيين والرومانيين ، لا نجده وحسب ، بل نقتنع ايضاً بان المقارئة مع النظام الاجتماعي الاميركي ، حتى وان كانت المصادر لا تكفي ، تساعدنا في تفهم اصعب الشكوك والالغاز .

واي تنظيم عجيب هذا النظام العشائري مع كل سداجته وبساطته ! فبدون جنود ودرك وشرطة ، بدون نبلاء وملوك وحكام ومدراء وقضاة ، بدون سجون ، بدون محاكمات ، يسير كل شيء حسب النظام المقرر وجميع المنازعات والمخاصمات يحلها معا اولئك الذين تمسهم - تحلها العشيرة او القبيلة ، او بعض العشائر فيما بينها ؛ ولا يظهر التهديد بالثار الا بوصفه الوسيلة الاخيرة ، الوسيلة التي نادراً ما تطبق ؛ وان عقوبة الاعدام عندنا ليست غير شكلها المتمدن الذي تلازمه جوانب المدنية ، الايجابية منها والسلبية على السواء . صحيح ان الشؤون العامة كانت اكثر بكثير مما هي عليه اليوم - فان الاقتصاد البيتي تديره مجموعة من العائلات بصورة مشتركة وعلى الاسس الشيوعية ، والارض ملك للقبيلة بأسرها ، ما عدا قطع صغيرة توضع مؤقتاً تحت تصرف مختلف البيوت - الا اننا لا نجد اثراً لجهازنا الاداري المضحّم والمعقّد وجميع الشؤون يحلها ذوو العلاقة بانفسهم ؛ وفي معظم الاحوال ، سَوّت العادة الزمنة كل شيء سلفاً . ولا يمكن ان يكون ثمة فقراء ومعوزون ، لان الاقتصاد الشيعوي والعشيرة يعرفان واجباتهما حيال الشيوخ والمرضى ومشوهي الحرب الجميع متساوون واحرار ، بمن فيهم النساء ولا وجود بعد للعبيد ، ولا وجود بعد ، على العموم ، لاستعباد القبائل الغربية وعندما تطلب الايروكوا حوالى عام ١٦٥١ على قبيلة ايريه وعلى «الامة المحايدة» (١٣٢) ، عرضوا عليهما الانضمام الى اتحادهم بحقوق متساوية وعندما رفض المغلوبون هذا العرض ، عند ذلك فقط ، طردوهم من ارضهم اما اي رجال ونساء يلدنهم مثل هذا المجتمع ، فهذا ما يبرهنه جميع البيض الذين عرفوا هنوداً حمراً غير مفسودين باعجابهم

بما يتصف به هؤلاء البرابرة من شعور بالكرامة الشخصية ، واستقامة ، وقوة طبع ، وبسالة وجراة ومنذ وقت غير بعيد رأينا امثلة على هذه البسالة في افريقيا فان الزولو-الكفر ، منذ بضعة اعوام ، مثلهم مثل النوبيين ، منذ بضعة اشهر- وهم قبيلتان لم تندثر بعد عندهما المؤسسات العشائرية- قد فعلوا ما لا يستطيع فعله اي جيش اوروبي (١٢٢) كانوا مسلحين بالرماح والمزاريق فقط ، ولا يملكون اي سلاح ناري ، ومع ذلك كانوا ، تحت وابل من رصاص البنادق السريعة الطلقات لدى المشاة البريطانيين- الذين يعتبرهم الجميع الاوائل في العالم في القتال صفوفا- يسرون الى امام حتى حراب المشاة البريطانيين ، ويزعزون صفوفهم اكثر من مرة ، بل كانوا يدحرونهم ، رغم التفاوت الهائل في الاسلحة ورغم انهم يجهلون الخدمة العسكرية ولا يعرفون ما هو التدريب العسكري اما ما يستطيعون احتماله واداءه ، فيشهد عليه الانجليز انفسهم حين يتدمرون من ان الزولو-الكفر يقطع في يوم واحد اكثر مما يقطعه الحصان ، وبصورة أسرع ان اصغر عضلاته قوي كالفولاذ ، ويبرز مثل سير مجدول ، كما قال رسام انجليزي .

هكذا كان الناس والمجتمع البشري قبل ان يحدث الانقسام الى طبقات مختلفة واذا اجرينا مقارنة بين وضعهم ووضع الغلبية الهائلة من الناس المتمدنين المعاصرين ، فان الفرق بين البروليتاري الحالي او الفلاح الصغير وبين عضو العشيرة الحر السابق يبدو هائلاً

هذا جانب من المسألة ولكن لا ننس ان هذا التنظيم كان مكتوباً له الزوال . فانه لم يتخط نطاق القبيلة . ان تشكيل

اتحاد القبائل كان يعني بداية تفسخ هذا التنظيم ، كما سنرى فيما بعد ، وكما رأينا في محاولات الايروكوا لاستعباد القبائل الاخرى فكل ما كان خارج القبيلة كان خارج القانون وحيث لم تكن معاهدة صلح معقودة حسب الاصول ، كانت الحرب تسود بين القبائل ، وكانت هذه الحرب تخاض بالقساوة التي تميز الانسان عن الحيوانات الاخرى والتي لم تخف حدتها الا فيما بعد بتاثير المصالح المادية ان النظام العشائري في اوجه ، كما رأيناه في اميركا ، كان يفترض انتاجا بدائيا جداً ، وبالتالي ، سكانا قليلين جداً مبشرين في رقعة شاسعة من الارض ؛ ومن هنا خضوع الانسان خضوعاً تاماً تقريباً للطبيعة المحيطة به التي تقابله بالهدوء والتي لا يفهمها ، الامر الذي ينعكس في تصوراته الدينية الساذجة الطفولية وقد بقيت القبيلة بالنسبة للانسان حداً سواء حيال ابن قبيلة اخرى ، او حيال نفسه بالذات كانت العشيرة والقبيلة ومؤسساتهما مقدسة ومنيعه لا يجوز المساس بها ، وكانت سلطة عليا منحتها الطبيعة وظل الفرد بمفرده خاضعاً لها بلا قيد ولا شرط في مشاعره وافكاره وتصرفاته . ومهما بدا اناس ذلك الزمن مهيبين في عيوننا ، فانه لا يمكن تمييز بعضهم عن بعض ، ولم ينفصلوا بعد ، على حد قول ماركس ، عن جبل المشاعة البدائية السري كان ينبغي تحطيم سلطة هذه المشاعة البدائية ، فحطمت . ولكنها حطمت بتاثيرات تبدو لنا من الوهلة الاولى ، بمثابة انحطاط ، بمثابة خطيئة اصلية بالمقارنة مع المستوى الاخلاقي العالي الذي بلغه المجتمع العشائري القديم ان احط الدوافع - الجشع الخشن ، الولع الغزب باللذائذ ، البخل القدر ، السعي الاناني الى نهب الملك المشترك - هي التي تدشن المجتمع الجديد المتمدن ، المجتمع

الطبقي ؛ وان احسن الوسائل - السرقة ، العنف ، الغدر ، الخيانة - هي التي تقوض المجتمع العشائري اللاطبقي القديم وتؤدي الى هلاكه . اما المجتمع الجديد نفسه ، فانه لم يكن خلال الالفين والخمسمئة سنة كلها من وجوده غير لوحة من تطور الاقلية الضئيلة على حساب الاغلبية الهائلة من المستثمرين والمظلومين ، وهو لا يزال الآن كذلك ولكن بقدر اكبر مما في اي وقت مضى .

## ٤

## العشيرة اليونانية

منذ الازمنة ما قبل التاريخ ، كان اليونانيون ، شأنهم شأن البلاسج وغيرهم من الشعوب القريبة منهم ، قد تشكلوا حسب السلسلة العضوية كما عند الاميركيين العشيرة ، الفراترية ، القبيلة ، اتحاد القبائل . الا انه كان من الممكن ان تنقص الفراترية ، كما عند الدوريين ، كما ان اتحاد القبائل لم يتشكل في كل مكان ؛ على كل حال ، كانت العشيرة الخلية الاساسية وعندما ظهر اليونانيون في مسرح التاريخ ، كانوا قد بلغوا هتبة الحضارة ؛ وكانت تمتد بينهم وبين القبائل الاميركية التي تناولها الكلام آنفا مرحلتان كبيرتان كاملتان تقريباً من التطور سبق بهما يونانيو العهد البطولي الايروكوا . ولهذا لم تكن العشيرة اليونانية ابداً عشيرة الايروكوا القديمة ، ناهيك بان طابع الزواج الجماعي •

• في طبعة عام ١٨٨٤ ورد تعبير «العائلة اليونانوانية» بدلا من

تعبير «الزواج الجماعي» . اننا نلاحظ .



اخذ يمحي بضورة ملحوظة واخلى الحق الامي المكان للحق الابوي وبذلك احدثت الثروة الخاصة الناشئة اول شق في التنظيم العشائري . وجاء الشق الثاني نتيجة طبيعية للشق الاول : فبما ان ملك مورثة غنية كان ينبغي بعد تطبيق الحق الابوي ، ان يعود بحكم الزواج الى زوجها ، وبالتالي الى عشيرة اخرى ، فقد حطموا اساس كل حق عشائري ، ولم يسمحوا وحسب ، بل جعلوا من الواجب في هذه الحال ان تتزوج الفتاة داخل عشيرتها لكي تحتفظ بملكها

ان العشيرة الاثينية ، مثلا ، كانت تتركز ، حسب غروت ( تاريخ اليونان ) ، على الاسس التالية :

١- طقوس دينية مشتركة ، وحق الكهنة بوجه الحصر في ممارسة الشعائر المقدسة تكريماً لاله معين من المعتقد انه جد العشيرة المشترك ، ويطلق عليه ، بحكم هذه الصفة ، لقب خاص

٢- مكان مشترك للدفن ( راجع « اوبوليدس » لديموستينس )

٣- حق الوراثة المتبادلة

٤- الواجب المتبادل في تقديم العون والحماية والمساندة

ضد اعمال العنف

٥- الحق والواجب المتبادلان في بعض الاحوال في الزواج داخل العشيرة ولا سيما عندما يتعلق الامر ببييمات او بوريات .

٦- امتلاك اموال مشتركة ، في بعض الاحوال على الاقل ،

يشرف عليها « ارخونت » ( زعيم ) وخازن خاصان

وفضلا عن ذلك ، كانت بضع عشائر تتحد وتترابسط في

فراثرية ، ولكن بعري اقل وثوقا ؛ ولكننا نرى هنا ايضا حقوقا

وواجبات متبادلة كالتي في العشيرة ، ولا سيما منها المشاركة في ممارسة بعض الشعائر الدينية وحق الملاحقة في حال قتل عضو الفراترية ثم ان مجمل الفراتريات من قبيلة واحدة كانت لها بدورها اعياد مقدسة مشتركة تتكرر بانتظام ، ويرأسها «فيلوبازيلوس» (وزعيم قبيلة «phylobasileus») ينتخب من بين النبلاء (والاوباتريد «eupatrides»)

هذا ما يقوله غروت ، والى هذا يضيف ماركس ولكن عبر العشيرة اليونانية ، كان يتراءى المتوحش بوضوح (مثلا ، الايروكي) . وسيبدو بمزيد من الوضوح اذا ما واصلنا الدراسة بعض الشيء

وبالفعل ، تتميز العشيرة اليونانية بالسلمات التالية ايضا

#### ٧- حساب الاصل وفقا للحق الابوي

- ٨- منع الزواج داخل العشيرة ، باستثناء الزواج من الوريثات . ان هذا الاستثناء واضفاء صفة القانون عليه يؤكدان ان القاعدة القديمة كانت ما تزال سارية المفعول . وهذا ينبع ايضا من قاعدة الزامية عامة تقضي بان تمتنع المرأة بعد زواجها من المشاركة في طقوس عشيرتها الدينية ، وتبني طقوس زوجها في فراتريا زوجها التي كانت هي مسجلة فيها من قبل . وبموجب هذا ، وكذلك وفقا لمقطع معروف من ديكيـارخ ، كان الزواج خارج العشيرة هو القاعدة ؛ بل ان بيكر يعتبر صراحة في كتابه «خاريكلس» انه لم يكن يحق لاحد ان يتزوج داخل عشيرته
- ٩- حق العشيرة في التبني وكان هذا الحق يطبق بالتبني

\* راجع «ارفيف ماركس والجلس» ، الطبعة الروسية ، المجلد

في احدى العائلات ، ولكن شرط مراعاة الشكليات العامة ، وعلى سبيل الاستثناء فقط

١٠- الحق في انتخاب الزعماء وعزلهم ونحن نعلم انه كان لكل عشيرة «ارخونت» . ولم يرد في اي مكان ان هذه الوظيفة كانت تنتقل بالوراثة في عائلات معينة وحتى نهاية عهد البربرية ، يجب الظن دائما انه لم تكن توجد وراثة صارمة للوظيفة لا تتفق اطلاقاً مع النظام الذي كان في ظله يتمتع الاغنياء والفقراء داخل العشيرة بالمساواة التامة في الحقوق

وليس غروت وحسب ، بل ايضاً نيبور ومومزن وجميع المؤرخين الآخرين الذين درسوا الازمنة القديمة الكلاسيكية ، استعصت عليهم مسألة العشيرة حتى الآن فرغم انهم رسموا بشكل صحيح كثيراً من علائقها ، رأوا دائماً فيها مجموعة عائلات ، ومن جراء ذلك لم يستطيعوا ان يفهموا طبيعة العشيرة واصلها ففي ظل النظام العشائري ، لم تكن العائلة ابدأ ولم يكن بوسعها ان تكون خلية النظام الاجتماعي ، لان الزوج والزوجة كانا ينتميان بالضرورة الى عشيرتين مختلفتين كانت العشيرة تنتمي بكليتها الى الفراتية ، والفراتية الى القبيلة ؛ اما العائلة ، فكانت تنتمي بنصفها الى عشيرة الزوج وبنصفها الثاني الى عشيرة الزوجة كذلك لا تعترف الدولة بالعائلة في ميدان الحق العام ؛ ولا تقوم العائلة حتى الآن الا في ميدان الحق الخاص . ومع ذلك ، ينطلق كل علم التاريخ حتى الآن من فرضية سخيفة خرقاء اصبحت ثابتة لا تتزعزع ، ولا سيما في القرن الثامن عشر ، ومفادها ان العائلة الفردية الاحادية الزواج ، التي من المشكوك في ان تكون اقدم من عهد الحضارة ، كآت النواة التي تبلور المجتمع والدولة حولها تدريجياً .

وهنا يضيف ماركس ويجدر بالسيد غروت ان يشير ايضا الى ما يلي رغم ان اليونانيين كانوا يشتقون عشائرههم من الميثولوجيا ، كانت هذه العشائر اقدم من الميثولوجيا التي خلقتها بنفسها ، مع آلهتها وانصاف آلهتها\* .

ويفضل مورغان الاستشهاد بفروت لان غروت شاهد له وزنه ومكانته وموثوق به تماما فان غروت يروي ايضا ان كل عشيرة الاينية كانت تحمل اسما انتقل اليها من مؤسسها المفترض ، وان اعضاء عشيرة (gennêtes) المتوفى كانوا يرثون امواله قبل سولون على كل حال ، وبعد سولون اذا لم تكن هناك وصية ، وان ملاحقة المجرم امام المحكمة اذا ما وقعت جريمة قتل ، كانت في المقام الاول ، من حق وواجب اقرباء القتيل ، ثم اعضاء عشيرة القتيل واخيراً اعضاء فراترية القتيل .

وكل ما نعرفه من اقدم القوانين الاينية يرتكز على الانقسام الى عشائر وفراتريات»

ان تحدر العشائر من جدود مشتركين قد تسبب وللعلماء التافهين الضيقي الافق» (ماركس) .. بالمزعجات والمنفصات فيما انهم ، بالطبع ، يتصورون هؤلاء الجدود كائنات ميثولوجية صرف ، فانه لا تبقى لديهم اي امكانية لكي يفسروا لانفسهم نشوء العشيرة من عائلات منفردة تعيش بعضها في جوار بعض ، ولم

\* راجع وارفيف ماركس وانجلس ، الطبعة الروسية ، المجلد

٩ ، ص ١٢٦ . التافه .

.. المرجع ذاته ، ص ١٢٧ . التافه .

تكن تجمع بينها في البدء رابطة القرابة ؛ ومع ذلك ينبغي عليهم ان يفعلوا ذلك لكي يفسروا على الاقل وجود «العشيرة» . وهكذا يجدون انفسهم في حلقة مفرغة ، ويصبون سيولا من الكلام الفارغ ، دون ان يتجاوزوا الزعم بان شجرة النسب هي ، بالطبع ، خرافة ، بينما العشيرة موجودة في الواقع ؛ وفي آخر المطاف ، نجد عند غروت ما يلي (الكلمات بين هلالين لماركس)

ونحن لا نسمع عن شجرة النسب هذه الا نادراً ، لانه لا يشار اليها امام الملا الا في احوال معينة ، احتفالية جداً ولكن العشائر الاقل شأناً كان لها طقوسها الدينية المشتركة ( ما اغرب ذلك ، ايها السيد غروت ! ) ، وكذلك جد مشترك - سوبرمان وشجرة نسب مشتركة ، مثلها تماماً مثل العشائر الاكبر شأناً ( ما اغرب هذا ، ايها السيد غروت ، عند العشائر الاقل شأناً ! ) وان التصميم الرئيسي والاساس المثالي ( لا المثالي ideal ، يا سيدي العزيز ، بل اللحمي carnal ، او بلفتنا الالمانية ، الجسمي ! ) وكانا مشتركين عند جميع العشائر\* .

ويوجز ماركس جواب مورغان عن هذا السؤال بما يلي «ان نظام قرابة الدم ، المناسب للعشيرة في شكلها الاولي - وعند اليونانيين قام هذا الشكل فيما مضى كما قام عند جميع البشر - كان يضمن معرفة علاقات القرى بين جميع اعضاء العشائر وكانوا منذ سني الطفولة يستوعبون بالفعل هذه المعلومات الخارقة الاهمية بالنسبة لهم . ومع نشوء العائلة الاحادية الزواج ، لف النسيان ذلك . وقد خلق الاسم العشيري شجرة نسب ظهرت

\* راجع «ارشيف ماركس وانجلس» ، الطبعة الروسية ،

ازاءها شجرة نسب العائلة الفردية تافهة لا وزن لها ان هذا الاسم العشيري هو الذي كان ينبغي له من الآن وصاعداً ان يقدم البرهان على ان حامله يتحدرون من اصل مشترك ولكن شجرة نسب العشيرة كانت تمد جذورها في اعماق الزمن الى حد انه لم يبق بوسع اعضائها ان يشبثوا القرابة القائمة فعلا بينهم ، باستثناء حالات قليلة جداً كانوا يعرفون فيها اسلافاً مشتركين اقرب عهداً وكان الاسم نفسه دليلاً على الاصل المشترك ودليلاً لا جدال فيه ، ما عدا حالات التبني ان انكار القرابة بين اعضاء العشيرة انكاراً تاماً ، فعلياً ، كما يفعل غروت \* ونيبور ، اللذان جعلا من العشيرة نتاج اختلاق صرف وابداع شعري ، جدير «بالمثاليين» وحدهم ، اي بعلماء البرج العاجي فلان الصلة بين الاجيال ، وخاصة منذ ظهور احادية الزواج ، تبتعد في اعماق الزمن ولان الواقع الماضي ينعكس في الشخصيات الخيالية الميثولوجية ، خلص التافهون الضيقو الافق الحسنو النية ولا يزالون يخلصون الى القول ان شجرة النسب الخيالية خلقت العشائر الفعلية» . . .

وكما عند الاميركيين ، كانت الفراتوية عشيرة اماً مقسمة الى بضع عشائر بنات وتجمع بينها ، وتشير احياناً كثيرة الى تحدرها جميعها من جد مشترك وعليه ، حسب غروت ،

\* في مخطوطة ماركس ، ورد عوضاً عن اسم غروت ، اسم العالم الافريقي من القرن الثاني الميلادي بولوكس الذي يستشهد به غروت احياناً كثيرة . الثامن .

•• راجع «ارثيف ماركس والجلس» ، للطبعة الروسية ، المجلد

٩ ، ص ١٢٨-١٢٩ . الثامن .

وكان جميع الاتراب ، الاعضاء في فراترية «هيكلية» يعتبرون ان لهم الها واحداً هو جدهم المشترك من الدرجة السادسة عشرة .  
ولهذا كانت جميع عشائر هذه الفراترية عشائر شقيقة بمعنى الكلمة الحرفي واننا لنجد الفراترية عند هوميروس بوصفها وحدة عسكرية ، وذلك في المقطع المشهور الذي ينصح فيه نسطور اغمنون قائلاً صف الرجال حسب القبائل والفراتريات بحيث تساعد الفراترية الفراترية والقبيلة القبيلة . . — وفضلا عن ذلك ، كان من حق الفراترية وواجبها ان تثار لاغتيا لعضو من اعضائها ؛ ولذا كان يقع على عاتقها ، في الازمنة السابقة ، واجب ثار الدم . وفضلا عن ذلك ، كانت لها مقدسات واعياد مشتركة ؛ بل ان تكون الميثولوجيا الاغريقية كلها من عبادة الطبيعة التقليدية ، الموروثة من قدماء الآريين ، كان مشروطا من حيث الجوهر بالعشائر والفراتريات ، وجرى في داخلها وفضلا عن ذلك ، كان للفراترية زعيم (phratriarchos) وكانت ، حسبما يقول دي كولانج ، تعقد جمعيات عامة ، وتتخذ قرارات الزامية ، وتملك سلطة قضائية وادارية بل ان الدولة التي ظهرت فيما بعد ، والتي كانت تجهل العشيرة ، تركت للفراترية بعض الوظائف العامة ذات الطابع الاداري

تتألف القبيلة من بضع فراتريات تجمع بينها صلات القربى . وفي مقاطعة الاتيك ، كانت توجد اربع قبائل ، كل منها تتألف من ثلاث فراتريات ، وكل فراترية من ٣٠ عشيرة ان تحديد الجماعات بمثل هذه الدقة يفترض تدخلا واعيا ومنهجيا في وضع الامور الذي تكون بصورة عفوية اما كيف حدث هذا التدخل

ومتى ولماذا ، فان التاريخ اليوناني يلزم الصمت حوله ناهيك بان اليونانيين انفسهم لم يتذكروا ماضيهم الا ابتداء من العصر البطولي

وعند اليونانيين المزدحمين في رقعة من الارض غير كبيرة نسبياً ، تطورت فوارق اللهجات اقل مما في الغابات الاميركية الشاسعة . ولكننا نرى هنا ايضاً ان القبائل التي تملك لغة اساسية واحدة هي وحدها التي تتجمع في كل اكبر بل اننا نجد في مقاطعة الاتيك الصغيرة لهجة خاصة اصبحت فيما بعد اللهجة السائدة بوصفها لغة مشتركة لمعوم النثر اليوناني

وفي قصائد هوميروس ، نجد القبائل اليونانية متحدة في اغلبيية الاحوال في اقوام صغيرة تحتفظ في داخلها العشائر والفراتريات والقبائل مع ذلك باستقلالها كاملاً كانت هذه الاقوام تعيش آنذاك في مدن محمية بالاسوار وكان عدد السكان ينمو مع نمو القطعان ومع انتشار الزراعة وبداية الحرف وفي الوقت نفسه كانت تتعاطم الفوارق في الملكية ، ويتعاطم معها العنصر الاريسقراطي داخل الديموقراطية القديمة ، البدائية وكانت مختلف الاقوام الصغيرة تخوض غمار حروب متواصلة من اجل امتلاك خيرة الاراضي ، وكذلك ، بالطبع ، من اجل الظفر بالفضائم الحربية وآنذاك كان استعباد اسرى الحرب قد اصبحت مؤسسة معترفاً بها .

وفيما يلي تنظيم الادارة عند هذه القبائل وهذه الاقوام

الصغيرة

١- كان المجلس ، bulis ، الهيئة الدائمة للسلطة ؛ في البدء ، كان يتألف ، على الأرجح ، من زعماء العشائر ، وفيما



بعد ، عندما ازداد عددهم كثيراً ، من الذين يختاروتهم ، الامر الذي اتاح الفرصة لتطوير وتميز العنصر الاريستقراطي ؛ هكذا بالضبط يروي لنا ديونيسيوس ان المجلس في العهد البطولي كان يتالف من النبلاء ( الاريستقراطيين kratistoi ) . وفي القضايا الهامة ، كان المجلس يتخذ القرارات النهائية فعند اسخيلوس ، مثلاً ، يتخذ مجلس مدينة ثيبة قراراً حاسماً في الوضع الناشئ يقضي بدفن ايتيوكل بكل مراسم الفخار ، وبرمي جثة بولينيك الى الكلاب \* لتنهشها . وفيما بعد ، عندما تأسست الدولة ، اصبح هذا المجلس «السينات» sénat (مجلس الشيوخ)

٢- الجمعية الشعبية (agora) لقد رأينا عند الايروكوا ان الشعب ، رجالاً ونساء ، يحيط باجتماع المجلس وانه يشترك حسب الاصول المقررة في المناقشة ، ويؤثر بالتالي في قرارات المجلس وعند اليونانيين في زمن هوميروس ، كان هذا «المحيط» (Umstand) ، اذا استعملنا هذا التعبير الحقوقي من اللغة الالمانية القديمة ، قد تطور وغدا جمعية شعبية حقيقية ، كما جرى ايضاً عند الجرمان القدامى وكانت هذه الجمعية تنعقد بدعوة من المجلس لحل القضايا الهامة وكان بوسع كل رجل ان يتكلم وكان القرار يتخذ برفع الايدي (في «المرجيات» لاسخيلوس) او بالهتاف وكانت الجمعية تملك السلطة العليا بوصفها المرجع الاخير ، لانه ، كما يقول شومان («الازمنة القديمة اليونانية» ) ،

وعندما يدور الكلام حول قضية يتطلب تنفيذها معونة الشعب ،

\* اسخيلوس . وسبعة ضد ثيبة . الناشر .

لا يبين لنا هوميروس اي وسيلة يمكن بها ارغام الشعب ارغاماً على تقديم معونته

ففي ذلك الوقت حين كان كل رجل راشد في القبيلة محارباً ، لم تكن توجد بعد سلطة عامة منفصلة عن الشعب من الممكن معارضته بها كانت الديموقراطية البدائية لا تزال بعد في اوج ازدهارها ، ومن هنا ينبغي لنا ان ننطلق عند البحث في سلطة ومركز المجلس والباسيليوس على السواء

٢- الرئيس العسكري (basileus) اليكم ما يلاحظه ماركس في هذا الصدد وان العلماء الاوروبيين ، الذين فطروا بمعظمهم على خدمة الملوك والامراء ، يجعلون من الباسيليوس ملكاً بمعنى الكلمة الحديث و ضد هذا يحتج الجمهوري اليانكي مورغان ويقول ببالح السخرية ، ولكن بكامل الحق والصواب ، عن المصنوع غلادستون وكتابه «شباب العالم»

وان السيد غلادستون يقدم لنا الزعماء اليونانيين من العهد البطولي بصورة ملوك وامراء ، جاعلاً منهم فوق ذلك جنتلمانان ولكنه يترتب عليه ان يعترف هو نفسه باننا نجد عندهم ، على العموم ، عادة او قانون البكورية محددة بصورة كافية ، ولكن بدون الفراط في الدقة .

ينبغي الظن ان حق البكورية المرفق بمثل هذه التحفظات سيبدو للسيد غلادستون نفسه باطلا لا قيمة له اطلاقاً ، حتى وان لم يكن مفراطاً من حيث حدة التعبير

• راجع وارثيف ماركس والجلس ، الطبعة الروسية ، المجلد

ولقد سبق ورأينا ما كانت عليه وراثة وظائف الشيوخ عند الايروكوا وعند الهنود الحمر الآخرين كانت جميع الوظائف انتخابية في اغلبية الاحوال داخل العشيرة ولذا كانت وراثية ضمن حدود العشيرة وعند املاء الوظائف الشاغرة ، اخذوا تدريجياً يفضلون النسيب الاقرب - اي الاخ او ابن الاخت ، اذا لم يكن ثمة سبب لاستبعاده . ولهذا ، اذا كانت وظيفة الباسيليوس عند اليونانيين تنتقل عادة ، في ظل سيادة الحق الأبوي ، الى الابن او الى احد الابناء ، فان هذا يشبه فقط انه كان في وسع الابناء هنا ان ياملوا بالوراثة عن طريق الانتخاب الشعبي ، ولكنه لا يدل ابدأ على الاعتراف بالوراثة شرعاً وقانوناً بدون الانتخاب الشعبي وفي هذه الحال ، لا نجد عند الايروكوا واليونانيين غير الجنين الاولي للعائلات النبيلة الخاصة داخل العشيرة فقط ولا نجد ايضاً عند اليوتانيين بالاضافة غير الجنين الاولي لسلالة مقبلة من الزعماء الوراثيين ، اي الجنين الاولي للملكية ولهذا ينبغي الظن انه كان يجب للباسيليوس عند اليونانيين اما ان ينتخبه الشعب واما ان تصادق عليه هيئات الشعب الرسمية - المجلس او الاغورا - كما كان يجري ذلك ايضاً بالنسبة للملك (rex) الروماني

وفي «الايادة» ، لا يظهر اغمنون ، «سيد الرجال» بصفته ملكاً اعلى لليونانيين ، بل بصفته أمراً اعلى لقوات متحالفة امام مدينة محاصرة وعندما نشب الشقاق بين اليونانيين ، اشار اوديس الى هذه الصفة بالذات في المقطع الشهير لا جدوى من تعدد الأمرين ؛ فليأمر واحد فقط ، الخ . ( ثم يرد البيت المشهور الذي يذكر الصولجان ، ولكن

هذا البيت اضيف فيما بعد) • وان اودس لا يلقي هنا محاضرة حول شكل الحكم ، بل يطالب بالخصوع للأمر الأعلى في الحرب وبالنسبة لليونانيين الذين لم يظهروا امام طروادة الا بوصفهم جيشاً محارباً ، يسلك الاغورا (المجلس) بما يكفي من الديموقراطية فان أخيل ، حين يتكلم عن الهدايا ، اي عن تقاسم الفنائم ، يذكر دائماً ان هذا ليس من شأن اغمنون او اي باسيلوس آخر ، بل من شأن «ابناء الآخين» اي من شأن الشعب ان النعوت «وليد زفس» ، «ريبب زفس» ، لا تثبت شيئاً ، لان كل عشيرة تتحدر من اله من الآلهة ، وعشيرة رئيس القبيلة تتحدر من اله «أميز» ، وفي هذه الحال من زفس بل ان الذين لا يتمتعون بالحرية الشخصية ، كراعي الخنازير ايفيه وغيره ، مثلاً ، هم «آلهيون» ( theioi و dioi ) • وهذا في «الاوديسة» ، وبالتالي في زمن اقرب الينا بكثير من زمن «الايادة» ؛ وفي «الاوديسة» ايضاً يرفق اسم «البطل» باسم الرسول مولوس وكذلك باسم المظني الاعمى ديمودوكس • • وبإيجاز نقول ان كلمة basileia التي يستعملها الكتاب اليوقاتيون للإشارة الى السلطة الهوميرية المسماة بالسلطة الملكية (لان قيادة الجيوش هي علامتها المميزة الرئيسية) ،

#### • هومروس ، والايادة ، الاغنية الثانية ، التاشر

• • تم ترد في مخطوطة ماركس الجملة التالية التي اغفلها انجلس :  
وان كلمة «كويرانوس» التي يستعملها اوديس بصدد اغمنون ، الى جانب كلمة «الباسيلوس» ( basileia ) ، لا تعني هي ايضاً غير «أمر الجيوش في الحرب» . التاشر •

والقائمة الى جانب مجلس الزعماء والجمعية الشعبية ، لا تعني غير الديموقراطية الحربية (ماركس) •

وعلاوة على الصلاحيات العسكرية ، كان للباسيليوس صلاحيات اخرى ، كهنوتية وقضائية ولم تكن الصلاحيات الاخيرة محددة بدقة ، وكان يتمتع بالاولى بوصفه الممثل الاعلى للقبيلة او لاتحاد القبائل اما الصلاحيات المدنية ، الادارية ، فلم ترد يوماً ، ولكن الباسيليوس كان ، اغلب الظن ، بحكم وظيفته ، عضواً في المجلس . وعليه ، من الصحيح تماما من الناحية اللغوية ترجمة كلمة *basileus* (باسيليوس) بالكلمة الالمانية "König" ، (كونيغ) لان كلمة "König" (Kuning) مشتقة من كلمة Kuni (كوني) ، Künne (كونه) وتعني زعيم العشيرة . ولكن المعنى الحالي لكلمة "König" (ملك) لا يناسب اطلاقا معنى كلمة *basileus* في اليونان القديمة فان ثوقديدس يصف *basileia* القديمة بكل صراحة بانها *patrikê* (بطريكه) اي متحدرة من العشائر ، ويقول انها كانت مخولة صلاحيات معينة ، ثابتة اي محدودة كذلك يشير ارسطو الى ان *basileia* العصر البطولي كانت قيادة لرجال احرار وان الباسيليوس *basileus* كان قائداً عسكرياً وقاضياً ورئيس كهنة ولذا لم يكن يتمتع بسلطة الحكم بمعنى الكلمة اللاحق ••

• راجع وارثيف ماركس والجلس ، ، الطبعة الروسية ، المجلد ٩ ، ص ص ١٤٤-١٤٥ الناشر .

•• كما صوروا الباسيليوس اليوناني بصورة امير عصري ، كذلك صوروا القائد العسكري الازتيكي وللمرة الاولى ، ينتقد مورغان ، على ضوء التاريخ ، قصص الاسبانيين التي كانت في البدء حافلة بالازدراء

وهكذا نرى في النظام اليوناني من العصر البطولي التنظيم العشائري القديم لا يزال زاخراً بكل قواه ، ولكننا نرى أيضاً بداية انحلاله فان الحق الابوي مع توريث الملكية للاولاد ييسر تراكم الثروات في العائلة ويجعل من العائلة قوة في وجه العشيرة والفوارق في الملكية تؤثر بدورها في تنظيم الادارة بخلقها اولى اجنة الاريستقراطية الوراثية والسلطة الملكية ؛ والعبودية التي كانت لا تشمل في البدء غير اسرى الحرب ، تفتح السبيل امام المستعبد لاستعباد اعضاء قبيلته بالذات وحتى اعضاء عشيرته ؛ والحرب القديمة بين القبائل تتحول مذ ذاك الى عملية نهب وسلب في البر والبحر لاجل الاستيلاء على الماشية والعبيد والكنوز ، وتتحول بالتالي الى مصدر عادي للكسب ، الى حرفة وبكلمة ، تغدو الثروة موضع اطراء وتبجيل وتقدير بوصفها الخير الاعظم ، وتسمى القواعد العشائرية القديمة موضع تحقير لاجل تبرير نهب الثروات بالعنف والقسر . ولم يكن ينقص غير امر واحد ، ونعني به مؤسسة من شأنها ، لا ان تحمي الثروات التي اكتسبها الافراد حديثاً من تقاليد النظام العشائري الشيوعية وحسب ، ولا ان تكرس الملكية الخاصة التي كانت محتقرة بالغ

والمبالغات ، وامست فيما بعد بينة الكذب ؛ ويشبت ان المكسيكيين كانوا قد بلغوا الطور الاوسط من البربرية ، ولكنهم كانوا قد سبقوا بعض الشيء في تطوهم الهنود الحمر البويبلو في المكسيك الجديدة ، وان نظامهم ، بقدر ما يمكن الاستنتاج من المعلومات المشوهة ، كان يتميز بالسماوات التالية اتحاد من ثلاث قبائل اجبر بضع قبائل اخرى على دفع جزية له ؛ هذا الاتحاد يديره مجلس اتحادي وقائد عسكري اتحادي ؛ ولقد صور الاسبانيون هذا القائد العسكري بصورة وامراطور .

الاحتقار وحسب ، ولا ان تعلن هذا التكريس الهدف الاسمى لكل جماعة بشرية وحسب ، بل ان تختتم ايضاً بخاتم الاعتراف العام من قبل المجتمع على العموم الاشكال الجديدة لتحصيل الملكية ، المتطورة الواحد تلو الآخر ، اي لتكديس الثروات بوتيرة متسارعة باستمرار ؛ مؤسسة من شأنها لا ان تثبت وتخلد الانقسام البادى في المجتمع الى طبقات وحسب ، وبل حق الطبقة المالكة في استثمار الطبقة غير المالكة وسيادة الاولى على الثانية وهذه المؤسسة ظهرت فقد تم اختراع الدولة



### ولادة الدولة الاثينية

اننا لا نستطيع ان نتتبع في اي مكان خيراً مما في اثينا القديمة كيف تطورت الدولة ، على الاقل في مرحلتها الاولى ، بتحويل هيئات التنظيم العشائري احياناً وبزحزحتها احياناً اخرى عن طريق انشاء هيئات جديدة ، وبالاستعاضة عنها كلياً في آخر المطاف بهيئات حقيقية لسلطة الدولة ؛ وكيف اخذت «سلطة عامة» مسلحة ، تخضع لهيئات الدولة هذه ويمكن بالتالي استعمالها ضد الشعب ايضاً ، تحل محل «الشعب المسلح» الحقيقي الذي يدافع عن نفسه بنفسه في عشائره وفرايرياته وقبائله وقد وصف مورغان تعاقب الاشكال من حيث الاساس ؛ اما تحليل المضمون الاقتصادي الذي نشأ منه تعاقب الاشكال ، فانه يتعين علي ان اضيفه بمصطمه في العهد البطولي ، كأت قبائل الاثينيين الاربعة لا تزال

تشغل في الاتيك قطاعات متميزة بل ان الفراتيات الائتي عشرة التي كانت تتألف منها هذه القبائل كانت لا تملك على ما يبدو ، مقامات متميزة بصورة المدن الانسي عشرة في كيكروب . وكان تنظيم الادارة يطابق ما كان عليه في العصر البطولي الجمعية الشعبية ، المجلس الشعبي ، الباسيليوس وفي العهد الذي يبدأ منه التاريخ المكتوب ، كانت الاراضي مقسمة وكانت قد انتقلت الى الملكية الخاصة ، الامر الذي يتلاءم مع الانتاج البضاعي الذي كان قد تطور نسبياً في اواخر الطور الاعلى من البربرية ومع تجارة البضائع المناسبة له وفضلاً عن الحبوب كانوا ينتجون الخمر والزيت النباتي ؛ وطفق زمام التجارة البحرية على بحر ايجيه يفلت اكثر فاكثر من ايدي الفينيقيين ويقع بمعظمه في ايدي سكان الاتيك وبفضل شراء وبيع الملكية العقارية وبفضل تطور تقسيم العمل بين الزراعة والحرفة ، بين التجارة والملاحة ، كان لا بد لاعضاء العشائر والفراتريات والقبائل ان يتخالطوا خلال وقت قصير جداً ؛ واذا بقطاعات الفراتيات والقبائل يستوطنها سكان لا ينتسبون الى هذه الجماعات رغم انهم مواطنون لها ، وكانوا بالتالي غرباء في مكان اقامتهم بالذات ذلك ان كل فراترية وكل قبيلة كانت تدير شؤونها بنفسها في زمن السلم ، دون اللجوء الى المجلس الشعبي او الى الباسيليوس في امينا ولكن من كانوا يعيشون في ارض الفراترية او القبيلة دون ان يكونوا منتسبين اليها لم يكن بوسعهم طبعاً ان يشتركوا في هذه الادارة

كل هذا شوش العمل العادي لهيئات النظام العشائري الى حد ان الامر اقتضى في العهد البطولي اتخاذ التدابير لازالة التشوش فجرى تطبيق تنظيم ينسب الى تيزوس . وكان التغيير يقوم



قبل كل شيء في تأسيس ادارة مركزية في اينا ، اي ان قسماً من الشؤون التي كانت القبائل تديرها من قبل بصورة مستقلة قد أُعلن من الشؤون العامة واحيل الى المجلس المشترك الذي كان مقره في اينا وبفضل هذا التنظيم الجديد ، سار الاينيون في تطورهم اكثر مما سار اي من الشعوب الاصلية في اميركا فعوضاً عن مجرد اتحاد بين قبائل تعيش متجاورة ، جرى ادماج القبائل في شعب واحد وهكذا نشأ الحق الشعبي الايني العام الذي كان اعلى من العادات الشرعية لمختلف القبائل والعشائر ونال المواطن الايني ، بصفته هذه ، حقوقاً معينة وحماية قانونية جديدة حتى في الارض التي كان فيها غريباً عن القبيلة ولكن ذلك كان في الوقت نفسه بمثابة الخطوة الاولى نحو تدمير النظام العشائري لانه كان الخطوة الاولى نحو السماح لاحقاً حتى لاولئك الذين كانوا غرباء عن القبائل في عموم الاتيك وكانوا وطلوا كلياً خارج التنظيم العشائري الايني بالانضمام الى عداد المواطنين والمؤسسة الثانية المنسوبة الى تيزوس كانت تلخص في تقسيم الشعب بأسره ، بصرف النظر عن العشيرة والفراترية والقبيلة ، الى ثلاث طبقات : eupatrides (الابواتريد) او النبلاء ، géomores (الجيومور) او الزراع ، démiurges (ديمييورج) او الحرفيين وفي منح النبلاء بوجه الحصر الحق في ممارسة الوظائف العامة ولكن هذا التقسيم لم يسفر عن اي نتيجة ، باستثناء ممارسة النبلاء للوظائف العامة ، لانه لم يخلق اي فوارق اخرى في الحقوق بين الطبقات الا انه يتسم باهمية كبيرة ، لانه يكشف امامنا العناصر الاجتماعية الجديدة التي تطورت بصورة غير ملحوظة . وهو يشهد ان عادة ايلاء الوظائف العشيرية الى اعضاء بعض العائلات قد تحولت الى حق لهذه العائلات في ممارسة

الوظائف العامة قلما يتعرض للجدال والانتكار ، وان هذه العائلات ، فضلا عن القوة التي تتمتع بها بفضل ثرواتها ، شرعت تتكون خارج عشائرها في طبقة خاصة مميزة ، وان الدولة الناشئة للتو قد كرسست ادعاءاتها هذه وهو يثبت. ايضاً ان تقسيم العمل بين الفلاحين والحرفيين قد اتضح ورسخ الى حد انه اخذ يزحزح الى المرحلة الثانية الاهمية الاجتماعية للتقسيم السابق الى عشائر وقبائل . وهو يعلن اخيراً التناقض المستعصي بين المجتمع العشائري والدولة ؛ فان اول محاولة لتشكيل الدولة تقوم في تحطيم الصلات العشائرية بتقسيم اعضاء كل عشيرة الى مميزين وغير مميزين وبتقسيم الاخيرين بدورهم الى طبقتين تبعاً لنوع عملهم ، الامر الذي كان يدفع بعضهم الى معارضة بعضهم الآخر

ان تاريخ ائينا السياسي اللاحق حتى سولون ليس معروفاً بصورة كافية . ان وظيفة الباسيليوس فقدت شأنها ؛ واخذ يرأس الدولة اربخوت منتخبون من عداد النبلاء وتعاطمت سيادة النبلاء اكثر فاكثر الى ان امست عبئاً لا يطاق نحو سنة ٦٠٠ قبل الميلاد وكان المال والربا الوسيلة الاساسية لاجل قمع حرية الشعب . وكان محل اقامة النبلاء الرئيسي في ائينا وضواحيها ، حيث كانت التجارة البحرية ، ومعها القرصنة البحرية التي كانت تمارس كلما سنحت الفرصة ، تغنيان هؤلاء النبلاء وتتركزان في ايديهم الثروات النقدية ومن هنا تغفل الاقتصاد النقدي ، خلال تطوره ، في المشاعات الريفية مؤثراً مثل حامض يتاكل نمط حياتها التقليدي القائم على الاقتصاد الطبيعي ان التنظيم العشائري لا يتوافق اطلاقاً مع الاقتصاد النقدي وقد صادف خراب الفلاحين الصغار في الاتيك اشتداد ضعف روابطم العشيرة القديمة التي كانت تحميهم . وكان سند الدين والرهن العقاري

( لان الالبيين كانوا قد اخترعوا الرهن العقاري (١٣٤) ايضا ) لا يحترمان العشيرة ولا الفراترية . والحال ، كان النظام العشائري القديم لا يعرف النقود ولا القروض ولا الديون النقدية ولهذا ادت ايضا سيطرة النبلاء النقدية المنتشرة اوسع فوسع الى اقرار حق جديد يرتكز على العرف والعادة لاجل حماية الدائن من المدين ، لاجل تكريس استثمار الفلاحين الصغار من جانب مالكي النقود وفي جميع حقول الاتيك كانت تنتصب مسلات حجرية رهنية سجل عليها ان القطعة المعنية مرهونة لفلان لقاء مبلغ كذا من النقود . اما الحقول التي لم تكن معلّمة بهذه العلام ، فقد كانت قد بيعت بمعظمها بسبب العجز عن تسديد قيمة الرهن العقاري او عن دفع الفوائد المنوية في الموعد المحدد ، وانتقلت الى ملكية الاريستقراطي المرابي . وكان الفلاح يعتبر نفسه سعيداً اذا ما سمحوا له بالبقاء في قطعة الارض بصفة مستاجر وبالعيش من سلع منتوج كدحه ، اذ يتعين عليه ان يقدم الخمسة اسداس الباقية الى المالك الجديد كبذل ايجار وفضلا عن ذلك ، اذا كان المبلغ الذي تباع به قطعة الارض المرهونة لا يغطي الدين ، او اذا كان الدين لم يؤمن برهن ، كان يتعين على المدين ان يبيع اولاده عبيداً في بلدان اخرى لكي يسدد للدائن دينه يبيع الوالد ابناءه - تلك كانت الثمرة الاولى للحق الابوي واحادية الزواج ! واذا لم يرتو مصاص الدماء ، فقد كان بمقدوره ان يبيع المدين نفسه ايضا كعبد هكذا كان فجر الحضارة المشرق عند الشعب الالبي

من قبل ، عندما كانت ظروف الحياة لا تزال تتوافق مع النظام العشائري ، كان هذا الانقلاب مستحيلاً ؛ اما الآن ، فقد تحقق ، ولكن احدأ لا يعرف كيف تحقق . لنعد لحظة الى اصحابنا

الايروكوا لقد كان من المستحيل عندهم قيام وضع كالوضع المفروض الآن على الالبيين ، بدون اشتراكهم ، اذا جاز القول ، ومن المؤكد خلافا لارادتهم وهناك ، عند الايروكوا ، لم يكن ابداً يوسع اسلوب انتاج وسائل العيش ، الذي بقي هو هو سنة بعد سنة ، ان يؤدي الى نشوب مثل هذه النزاعات المفروضة كانما من الخارج ، والى ظهور مثل هذا التناقض بين الاغنياء والفقراء ، بين المستثمرين والمستثمرين كان الايروكوا لا يزالون بعيدين جداً عن السيادة على الطبيعة ، ولكنهم كانوا ضمن بعض الحدود الطبيعية ، الواضحة بالنسبة لهم ، اسياذ اسلوب انتاجهم . واذا طرحنا جانباً سوء المحاصيل في بناتينهم الصغيرة ، ونفاد موارد بحيراتهم واقهرهم من السمك ، وشدة انخفاض عدد الطرائد في غاباتهم ، فانهم كانوا يعرفون مسبقاً ما يمكنهم الاعتماد عليه في ظل اسلوبهم لتحصيل وسائل العيش كان ينبغي لهذا الاسلوب ان يؤمن وسائل العيش ، سواء كانت ضئيلة او وفيرة ؛ ولكنه لم يكن بوسعهم في حال من الاحوال ان يؤدي الى انقلابات اجتماعية غير متوقعة ، الى فعم عرى العشيرة ، الى انقسام اعضاء العشيرة والقبيلة الى طبقات متضادة تحارب بعضها بعضاً كان الانتاج يتحرك ضمن اضيق الأطر ، ولكن المنتج كان بكليته في حوزة المنتجين . وتلك كانت الافضية الانتاج الهائلة في عصر البربرية ؛ الا ان هذه الافضية ضاعت عند حلول عصر الحضارة ان مهمة الاجيال اللاحقة ستتلخص في استعادة هذه الافضية ، ولكن على اساس السيادة القوية التي ظفر بها الانسان الآن على الطبيعة ، وعلى اساس الترابط الحر الذي اصبح الآن ممكناً .

وكان الحال مختلفاً عند اليونانيين فان ظهور الملكية الخاصة للقطيع وطلع البدخ الفضي الى التبادل بين الافراد ، والى

تحول المنتوجات الى بضائع وهنا يكمن جنين الانقلاب اللاحق كله فما ان كف المنتجون عن استهلاك منتوجهم بانفسهم بصورة مباشرة ، وشرعوا يتخلون عنه بواسطة التبادل حتى فقدوا سلطانهم عليه وما عادوا يعرفون ما يحدث له وغدا من الممكن استعمال المنتج ضد المنتج ، من اجل استثماره واضطهاده ولهذا لا يستطيع اي مجتمع ان يحتفظ زمناً طويلاً بسلطانه على انتاجه بالذات وبالرقابة على العواقب الاجتماعية لعملية انتاجه ، اذا لم يقض على التبادل بين الافراد

ان الاثنيين هم الذين عرفوا بتجربتهم الخاصة باي سرعة يفرض المنتج سلطانه على المنتج بعد ظهور التبادل بين الافراد وتحول المنتج الى بضاعة ومع الانتاج البضاعي ظهرت حراثة الارض من قبل الافراد بقواهم الخاصة ، وبعدها بفترة وجيزة ظهرت ملكية الافراد للارض ثم ظهرت النقود ، اي البضاعة العامة التي كان يمكن بها مبادلة جميع البضائع الاخرى ولكن الناس ، حين اخترعوا النقد ، لم يخطر في بالهم انهم خلقوا في الوقت نفسه قوة اجتماعية جديدة ، القوة الوحيدة الشاملة التي سيطرة على المجتمع بأسره ان ينحني امامها وهذه القوة الجديدة التي انبثقت فجأة بدون علم وارادة صانعيها بالذات ، هي التي اجبرت الاثنيين ، بكل فظاظة فتوتها ، على الشعور بسيطرتها

فماذا كان ينبغي عمله ؟ ان النظام العشائري القديم لم يقدم الدليل على عجزه حيال زحف النقود المظفر وحسب ، بل كان ايضاً عاجزاً اطلاقاً عن ان يجد في داخله اي مكان لاجل اشياء مثل النقود والدائنين والمدنيين وتحصيل الدين بالقسر ولكن القوة الاجتماعية الجديدة كانت قائمة ، ولم تستطع التمنيات البريئة

والرغبة الشديدة في عودة الزمن القديم الطيب ان تطرد النقود والمرابين من العالم . وعلاوة على ذلك ، تم شق عدد من الثغرات الثانوية الاخرى في النظام العشائري ومن جيل الى جيل ، اخذ اعضاء مختلف العشائر والفراتريات يتخالطون اكثر فاكث في عموم اراضي الاتيك ولا سيما في مدينة اثينا نفسها ، رغم انه كان لا يزال آنذاك بمقدور الاثيني ان يبيع ممن ليسوا اعضاء في عشيرته قطعاً من الارض فقط ، ولكن لم يكن بمقدوره ان يبيع مسكنه . ومع تطور الصناعة والتبادل ، تطور اكثر فاكث تقسيم العمل بين مختلف فروع الانتاج الزراعة ، الحرفة ، وفي داخل الحرفة ، بين انواعها التي لا عد لها ، والتجارة ، والملاحة ، الخ .؛ وانقسم الناس الآن حسب اعمالهم الى جماعات ثابتة نسبياً ، لكل منها جملة من المصالح المشتركة الجديدة التي لم يكن لها مكان داخل العشيرة او داخل الفراترية ، والتي ظهرت بالتالي من اجل تامينها الحاجة الى وظائف جديدة ونما عدد العبيد نمواً ملحوظاً ، ومن الارجح انه زاد كثيراً في ذلك الوقت على عدد الاثينيين الاحرار ان النظام العشائري لم يعرف ابدأ في البدء الصودية ، ولم يعرف بالتالي الوسائل التي يمكن بها السيطرة على هذه الجمهرة من الناس غير الاحرار . واخيراً اجتذبت التجارة الى اثينا عدداً كبيراً من الاجانب فكانوا يستقرون فيها نظراً لسهولة الكسب ؛ ولكنهم ، بحكم النظم القديمة ، ظلوا كذلك بلا حقوق ولا حماية ، وظلوا ، رغم التساهل التقليدي ، عنصراً مزعجاً وغريباً في الشعب

وقصارى القول ان النظام العشائري كان يقترب من نهايته فان المجتمع كان يتخطى نطاقه يوماً بعد يوم ؛ ولم يستطع لا ان يعد ولا ان يزيل حتى شر الشرور التي كانت قد ظهرت امام

انظار الجميع . ولكن الدولة كانت قد تطورت في هذه الاثناء بصورة غير ملحوظة فان الجماعات الجديدة ، التي تشكلت بفضل تقسيم العمل اولا بين المدينة والريف ، ثم بين مختلف فروع العمل المدنية ، قد انشأت هيئات جديدة لاجل الدفاع عن مصالحها ؛ وأُسست الوظائف من كل نوع وشكل ثم ان الدولة الفتية كانت قبل كل شيء بحاجة الى قوات مسلحة خاصة بها لاجل خوض غمار الحروب الصغيرة ولجل حماية السفن التجارية ؛ وهذه القوات لم يكن من الممكن ان تكون في البدء عند الاثينيين الذين يتعاطون الملاحة البحرية غير قوات بحرية وفي مرحلة غير محددة تماماً ، ولكن قبل سولون ، انشئت *naucreries* (النوكراريات) ، وهي دوائر اقليمية صغيرة ، كان عددها ١٢ دائرة بكل قبيلة وكان يتعين على كل نوكرارية ان تقدم سفينة حربية وتسليحها وتجهزها بالنوتية ، وكانت تقدم بالاضافة فارسين . وقد قوضت هذه المؤسسة النظام العشائري بصورة مزدوجة ، لأنها ، اولا ، خلقت سلطة عامة لم تعد تتطابق ابدأ بكل بساطة مع مجمل الشعب المسلح ، ولانها ، ثانياً ، قسمت الشعب ، للمرة الاولى ، لاجل اغراض عامة ، لا حسب الجماعات التي تجمع بينها صلات القربى ، بل حسب الاقامة في ارض واحدة وسنرى فيما بعد اهمية هذه الظاهرة الجديدة

وبما ان النظام العشائري لم يستطع ان يقدم للشعب المستثمر

اي عون ، فلم يبق لهذا الشعب ان يعتمد الا على الدولة الناشئة وقد مدت الدولة له فعلا يد العون بصورة تنظيم الادارة الذي طبقه سولون ، بينما اخذت تقوى اكثر فاكثر في الوقت نفسه على حساب النظام القديم ان سولون (وقلما يهمننا هنا الاسلوب الذي طبق به اصلاحه نحو عام ٥٩٤ قبل الميلاد) قد دشّن سلسلة

مما يسمى بالثورات السياسية ، وفعل ذلك بالتدخل في ميدان علاقات الملكية وان جميع الثورات التي نشبت قبل ذلك كانت ثورات للدفاع عن نوع من الملكية ضد نوع آخر من الملكية فلم يكن بوسعها ان تدافع عن نوع من الملكية دون المساس بالآخر . وابتان الثورة الفرنسية الكبرى ، ضُحِيَّ بالملكية الاقطاعية لاجل اتقاذ الملكية البرجوازية وفي الثورة التي قام بها سولون ، كان لا بدّ ان تتضرر ملكية الدائنين في مصلحة ملكية المدينين . فقد الغيت الديون بكل بساطة نحن لا نعرف التفاصيل بدقة ، ولكن سولون يتباهى في قصائده انه ازال حجارة الرهونات من قطع ارض المدينين واعاد الناس الذين بيعوا للخارج او فروا الى بلدان اخرى ، بسبب ديونهم . ولم يكن من الممكن تحقيق ذلك الا بانتهاك حقوق الملكية صراحة وبالفعل ، قامت جميع الثورات المسماة بالثورات السياسية ، ابتداء من اول ثوزة منها حتى آخر ثورة ، دفاعاً عن نوع معين من الملكية ، وتحققت بمصادرة ، او ، بتعبير آخر ، بسرقة نوع آخر من الملكية وهكذا لا ريب في انه لم يمكن ان تقوم الملكية الخاصة خلال الفين وخمسمئة سنة الا بانتهاك حق الملكية

ولكنه غدا من الضروري الان الحؤول دون تكرار تحويل الالبيين الاحرار الى عبيد وقد تم ذلك قبل كل شيء بتدابير عامة مثل منع التزامات الدين التي كان شخص المدين بالذات ضمانتها وكفالتها ثم اقر حد اقصى للملكية العقارية التي كان من الممكن ان يملكها الفرد وذلك للحد بعض الشيء من طمع النبلاء الذي لا يروى غليله باراضي الفلاحين . وفيما بعد ، طرات تعديلات على التنظيم نفسه . واليكم اهمها بنظرنا :

تقرر ان يتألف المجلس من اربعمئة عضو ، بنسبة ١٠٠



عضو عن كل قبيلة وعلى هذا النحو بقيت القبيلة هنا الاساس ولكن هذا كان الجانب الوحيد الذي اخذته الدولة الجديدة من التنظيم القديم لأن سولون ، فضلا عن ذلك ، قسم المواطنين الى اربع طبقات تبعا للملكية العقارية ودخلها ؛ ٥٠ و ٣٠٠ و ١٥٠٠ مديمتا (المديمتان يوازي تقريبا ٤١ ليترأ) من الحبوب ، تلك كانت الحدود الدنيا من الدخل لاجل الطبقات الثلاث الاولى ؛ اما الذين كان دخلهم اقل او كانوا لا يملكون اى قطعة من الارض ، فكانوا يشكلون الطبقة الرابعة ولم يكن من الممكن ان يشغل جميع الوظائف غير ممثلي الطبقات الثلاث العليا ؛ اما اعلى الوظائف ، فلا يمكن ان يشغلها غير ممثلي الطبقة الاولى ولم يكن للطبقة الرابعة غير الحق في الكلام والتصويت في الاجتماع الشعبي ؛ ولكن هنا بالذات كان يجري انتخاب جميع الموظفين ، وهنا كان ينبغي على هؤلاء ان يقدموا حسابا عن نشاطهم ، وهنا كانت توضع جميع القوانين ، وهنا كانت الطبقة الرابعة تؤلف الاغلبية ومن جديد جرى اثبات الامتيازات الارستقراطية جزئيا بصورة امتيازات للثروة ، ولكن الشعب احتفظ لنفسه بالسلطة الفاصلة وفضلا عن ذلك كان التقسيم الى اربع طبقات اساسا لاجل تنظيم القوات المسلحة تنظيما جديدا فان الطبقتين الاوليين كانتا تقدمان الخيالة ، وكان على الثالثة ان تخدم في فصائل المشاة الثقيلة السلاح ، وعلى الرابعة ان تخدم في فصائل المشاة الخفيفة السلاح التي لا ترتدي الدروع او في الاسطول ، مع العلم انها كانت ، على الأرجح ، تتقاضى اجرا لقاء خدمتها

وهكذا ادخل هنا عنصر جديد في نظام الحكم ، هو الملكية الخاصة فان حقوق مواطني الدولة وواجباتهم اخذت تقاس حسب كبر ملكيتهم العقارية ؛ وبقدر ما كان يتعاطم نفوذ الطبقات

المالكة ، كانت الاحداث القديمة القائمة على قرابة الدم تزاح  
ومني النظام العشائري بهزيمة جديدة  
ولكن منح الحقوق السياسية وفقاً للملكية لم يكن ابداً احدى  
المؤسسات التي لا يمكن بدونها ان تقوم الدولة ومع ان هذا  
المبدأ قد اضطلع بدور كبير في تاريخ تنظيم الدولة ، الا ان عدداً  
كبيراً جداً من الدول ، وعلى وجه الضبط اكثرها تطوراً ، استفنى  
عنه بل انه في ائينا ايضاً لم يضطلع الا بدور عابر ؛ فمنذ عهد  
ارستدس اصبحت جميع الوظائف في منال كل مواطن  
وفي الثمانين سنة التالية ، تطور المجتمع الاثيني تدريجياً  
في الاتجاه الذي ظل يتطور فيه خلال القرون اللاحقة فقد وضع  
حد لتفشي عمليات ديون الربا على الاراضي قبل زمن سولون ،  
وكذلك للافراط في تمركز الملكية العقارية . واصبحت التجارة ،  
وكذلك الحرف والحرف الفنية التي كانت تتنامى اكثر فاكثر  
بالاستناد الى عمل العبيد ، فروع النشاط الساندة . وغدا الناس  
اكثر تمدناً وتنوراً . وبدلاً من استثمار مواطنيهم بالذات استثماراً  
قاسياً كما من قبل ، شرعوا الآن يستثمرون على الاغلب العبيد  
وشراة البضائع الاثينية من خارج ائينا . واخذت الاموال المنقولة  
اي الثروة من النقود والعبيد والسفن ، تتنامى اكثر فاكثر ، ولكنها  
لم تعد الآن مجرد وسيلة لاكتساب الاراضي ، كما كان الحال في  
زمن الانطواء والمحدودية السابق ، بل صارت ايضاً هدفاً بحد  
ذاته ومن جراء هذا ، ظهرت ، من جهة ، في شخص الطبقة  
الجديدة - طبقة الاغنياء الذين يتعاطون الصناعة والتجارة - منافسة  
مظفرة لجيروت الاريسقراطية القديم ، وفقدت بقايا النظام  
العشائري القديم ، من جهة اخرى ، قاعدتها الاخيرة . فان العشائر  
والفراخريات والقبائل التي تشنت اعضاؤها الآن في عموم الاثيك

وتخالطوا نهائيا ، قد غدوا لهذا السبب غير صالحين اطلاقا لتشكيل اتحادات سياسية ؛ وكان كثيرون من مواطني اينا لا ينتسبون الى اي عشيرة ؛ فقد كانوا مهاجرين غرباء نالوا حق المواطنة ولكنهم مع ذلك لم يقبلوا في اي من الاتحادات العشائرية القديمة ؛ فضلا عن هؤلاء ، كان هناك ايضا عدد متزايد ابدأ من المهاجرين الغرباء المتمتعين بالحماية (١٣٥)

وفي هذه الاثناء كان الصراع بين الاحزاب يواصل مجراه ؛ كانت الاريستقراطية تحاول استعادة امتيازاتها السابقة واحزمت الغلبة لفترة من الوقت ، الى ان جاءت ثورة كليستين (في عام ٥٠٩ قبل الميلاد) واطاحت بها نهائيا ، وبأخر بقايا النظام العشائري ايضا في آن واحد

ان تنظيم الادارة الجديد الذي ادخله كليستين قد تجاهل قسمة القبائل الاربع القديمة المؤسسة على العشائر والفراتريات وعضا عنها ، ظهر تنظيم جديد تماما يركز على تقسيم السكان ، الذي جرى اختباره في «النوكراريات» حسب مكان اقامتهم فقط وهكذا لم يبق الدور الحاسم للانتساب الى اتحادات قروبي الدم ، بل صار لمكان الاقامة الدائمة وحده ؛ ولم يقسموا الشعب ، بل قسموا الارض ؛ وتحول السكان ، من الناحية السياسية ، الى مجرد ذيل للارض

قُسمت منطقة الاتيك كلها الى منة demos (ديموس) او دائرة مشاعة تدير كل منها نفسها بنفسها وكان المواطنون (الديموسيون) الذين يعيشون في كل ديموس ينتخبون رئيسا (الديمارك) وخازنا ، وكذلك ثلاثين قاضيا يحكمون في الخلافات الصغيرة كذلك كان لكل ديموس معبده واليه الحامي او بطله ، وكان يختار لهما الكهان . وكانت السلطة العليا في الديموس لجمعية

الديموسيين وقد كان ذلك ، كما يلاحظ مورغان بصواب ، النموذج المسبق للمشاعة المدنية الاميركية التي تحكم نفسها بنفسها . ان الوحدة التي انتهت اليها الدولة العصرية في اعلى درجات تطورها كانت نقطة انطلاق الدولة الناشئة في اينا

كانت عشر من هذه الوحدات او الديموسات تؤلف قبيلة ؛ ولكن هذه القبيلة ، خلافا للقبيلة السابقة المشائرية ، صارت تسمى الآن بالقبيلة الاقليمية ان القبيلة الاقليمية لم تكن اتحاداً سياسياً يحكم نفسه بنفسه وحسب ، بل كانت ايضاً اتحاداً عسكرياً ؛ وكانت تنتخب الفيلارك phylarque • اي زعيم القبيلة أمر الخيالة ، والتاكسييارك taxiarque أمر المشاة ، والستراتيجي stratège أمر جميع القوات المسلحة المجندة في ارض القبيلة وفضلا عن ذلك ، كانت تجهز خمس سفن حربية بطواقمها وأمرها ، وكانت تنال بطلا من ابطال الاتيك بوصفه حامياً لها وتسمى باسمه . واخيراً كانت تنتخب خمسين ممثلاً عنها في مجلس اينا اما ذروة هذا التنظيم فكانتها الدولة الاينية التي كان يديرها مجلس مؤلف من خمسمئة نائب يمثلون القبائل العشر ، والاجتماع الشعبي - بوصفه المرجع الاعلى والاخير - الذي كان لكل مواطن ايني الحق في حضوره وفي التصويت فيه وعلاوة على ذلك ، كان الارخونت وسائر الموظفين يسيرون مختلف فروع الادارة والقضاء . ولم يكن هناك في اينا رئيس للسلطة التنفيذية ومع تطبيق هذا التنظيم الجديد للحكم ، ومع قبول عدد كبير جداً من المتمتعين بالحماية - سواء من المهاجرين الغرباء او من العبيد المحررين - أُنصبت هيئات النظام القائم على قرابة

• من الكلمة اليونانية القديمة وفيلاء phyla اي القبيلة . التناهر .

الدم عن تصريف الشؤون العامة ؛ وانحطت الى مستوى رابطات خاصة واخويات دينية ولكن عهد العشائر القديم ، بنفوزه المعنوي ونظراته المتوارثة ونمط تفكيره ، ظل زمناً طويلاً يعيش في التقاليد ، وهذه التقاليد لم تندثر الا تدريجياً وقد انعكس هذا في واحدة من آخر مؤسسات الدولة

لقد رأينا ان احدى العلامات الجوهرية للدولة تتلخص في سلطة عامة منفصلة عن سواد الشعب وفي ذلك العين لم يكن لدى ايها غير الجيش الشعبي ، والاسطول الذي كان الشعب يقدمه مباشرة وكان الجيش ، الاسطول يحميانها من الاعداء الخارجيين ويفرضان الطاعة على العبيد الذين كانوا آنذاك يشكلون اغلبية السكان الملحوظة وتجاه المواطنين ، لم تكن السلطة العامة في البدء قائمة الا بصفة بوليس ؛ وكان البوليس قديماً قدم الدول ، ولهذا كان الفرنتسيون السذج من القرن الثامن عشر لا يتحدثون عن الامم المتمدنة بل عن الامم البوليسية (nations policées). وهكذا أسس الاثينيون ، في آن واحد مع دولتهم ، بوليساً ، دركاً حقيقياً من النبالة المشاة والخيالة ، او اللاندياغر (Landjäger) كما يسمونهم في المانيا الجنوبية وفي سويسرا ولكن هذا الدرك كان يتألف من العبيد . فقد كانت هذه الخدمة البوليسية تبدو للاثيني الحر مذلة الى حد انه كان يفضل الاستسلام للعبد المسلح ، شرط الا يمارس هو نفسه هذا العمل المشين . وفي هذا كانت لا تزال تنعكس عقلية العشرة القديمة فلم يكن بوسع الدولة ان تعيش بدون البوليس ، ولكنها كانت لا تزال بعد فتية ، ولم تكن تتمتع بعد بما يكفي من النفوذ المعنوي لكي تجعل من مهنة كانت تبدو بالضرورة مشينة وخسيسة لاعضاء العشائر القدامى مهنة محترمة .

ان الازدهار السريع الذي عرفته الثروة والتجارة والصناعة يدل على مبلغ توافق الدولة التي تكونت سماتها الرئيسية مع وضع الالبيين الاجتماعي الجديد فان التناحر الطبقي الذي ارتكزت عليه المؤسسات الاجتماعية والسياسية لم يكن الآن ذلك التناحر بين الاريستقراطية والشعب البسيط ، بل التناحر بين العبيد والاحرار ، بين المتمتعين بالحماية والمواطنين الكامل الحقوق . وفي لوج ازدهار امينا ، كان مجمل عدد المواطنين الاحرار ، بمن فيهم النساء والاطفال ، يبلغ زهاء ٩٠ شخص ، بينما كان عدد العبيد ذكورا واناثا يبلغ ٣٦٥ شخص ، وعدد الموالي - من مهاجرين غرباء وعبيد محررين - ٤٥٠٠٠ شخص . وهكذا كان يوجد مقابل كل مواطن راشد من الذكور ١٨ عبداً على الاقل واكثر من اثنين من الموالي . وسبب هذا العدد الكبير من العبيد ، ان كثيرين منهم كانوا يشتغلون معا في المانيفاكتورات ، في مشاغل كبيرة ، تحت رقابة المراقبين ولكن تطور التجارة والصناعة افضى الى تراكم وتمركز الثروات في قلة من الايدي ، وكذلك الى افتقار سواد المواطنين الاحرار الذين لم يبق لهم الا الاختيار بين سبيلين لا ثالث لهما اما ان ينافسوا عمل العبيد بانصرافهم هم انفسهم الى ممارسة الحرف ، الامر الذي كان يعتبر مشينا ، مذلا ، منحطا ، ناهيك بانه لا يبشر بكبير النجاح ، واما ان يتحولوا الى فقراء . وفي الظروف المعنية ، ساروا بحكم الضرورة في السبيل الاخير ؛ وبما انهم كانوا يؤلفون سواد السكان ، فقد ادى ذلك الى هلاك الدولة الالبية كلها ايضا . فليست الديمقراطية هي التي اهلكت امينا ، كما يزعم الادعياء المدرسيون الاوروبيون الذين يتملقون الملوك والامراء ، بل العبودية التي جعلت عمل المواطن الحر موضع احتقار وازدراء .

ان ولادة الدولة عند الاثينيين هي مثال نموذجي ، ولا ارقى ، على تكون الدولة بوجه عام ، وذلك من جهة ، لانها تجري بشكل نقي ، دون اي تدخل عنيف من الداخل ومن الخارج ، - ان اغتصاب بيسيمتراس للسلطة خلال فترة وجيزة لم يترك اي اثر ، - ومن جهة اخرى ، لأن شكلا متطوراً جداً للدولة في الحالة المعنية ، هو الجمهورية الديمقراطية ، ينبثق مباشرة من المجتمع المشائري ، واخيراً ، لاننا نعرف كفاية جميع التفاصيل الاساسية لنشوء هذه الدولة .

## ٦

## العشيرة والوهلة في روما

يتبين من اسطورة تاسيس روما ان اول مقام كان من صنع عدد من العشائر اللاتينية (مائة ، حسب الاسطورة) المتحدة في قبيلة واحدة انضمت اليها بعد فترة وجيزة من الوقت قبيلة سايبلية تتالف هي ايضاً ، كما تقول الاسطورة ، من مائة عشيرة ، ثم قبيلة ثالثة تتالف من عناصر مختلفة ، وضم هي ايضاً ، كما تقول الاسطورة ، مائة عشيرة وان القصة كلها تبين من الوهلة الاولى انه لم يكن هناك اي شيء تكون بصورة طبيعية باستثناء العشيرة ، وان العشيرة لم تكن في بعض الاحوال غير فرع من عشيرة اصلية ، اولية ، ظلت تعيش في موطنها القديم وعلى القبائل يبدو خاتم تركيبها المصطنع ، ولكن هذا التركيب مصنوع بمعظمه من عناصر متقاربة وحسب نموذج القبيلة القديمة التي نامت بصورة طبيعية ، لا حسب نموذج القبيلة المشكلة بصورة

مصطنعة ؛ ومع ذلك ، ليس من المستبعد انه كان من الممكن ان تكون نواة كل من القبائل الثلاث قبيلة قديمة حقيقية فان الحلقة الوسيطة ، الفراترية ، كانت تتألف من عشر عشائر وتسمى curia («كوريا») ؛ فكان هناك اذن ثلاثون «كوريا»

ومن المعترف به عموماً ان العشيرة الرومانية كانت نفس المؤسسة التي كانتها العشيرة اليونانية ولئن كانت العشيرة اليونانية شكلاً أكثر تطوراً لتلك الخلية الاجتماعية التي نجد شكلها البدائي عند الهنود الحمر الأميركيين ، فان هذا يصح كلياً ايضاً على العشيرة الرومانية . ولذا بوسعنا ان نكون هنا أكثر ايجازاً ان العشيرة الرومانية ، في الآونة الاولى على الاقل من وجود المدينة ، تتسم بالتركيب التالي

١ - حق اعضاء العشيرة في وراثة بعضهم بعضاً ؛ الممتلكات تبقى داخل العشيرة وبما ان الحق الابوي كان يسود سواء في العشيرة الرومانية او في العشيرة اليونانية ، فان الذرية من حبل النسل النسائي كانت مستبعدة عن الارث . وبموجب قوانين الاواح الاثني عشر ، وهي الاقدم اثر مكتوب نعرفه عن الحق الروماني (١٢٦) ، كان الاولاد هم الذين يرثون في المقام الاول بوصفهم الورثة المباشرين ؛ وفي حال عدم وجودهم «الافئات» agnats (اي الاقرباء حسب حبل النسل الرجالي) ، وفي حال عدم وجود هؤلاء ، اعضاء العشيرة . وفي جميع الاحوال ، كانت الممتلكات تبقى داخل العشيرة ونحن نرى هنا كيف تسربت تدريجياً الى عادة العشيرة قواعد قانونية جديدة تجمت عن نمو الثروة وعن احادية الزواج ان حق الوراثة ، المتساوي في الاصل بين جميع اعضاء العشيرة ، يقتصر عملياً - وباكراً جداً ، كما افصح اعلاه - على «الافئات» في البدء ، واخيراً على الاولاد وذريتهم حسب حبل



النسل الرجالي اما في الالواح الاثني عشر ، فان هذا يرد بالطبع في تسلسل معاكس

٢- امتلاك ارض مشتركة للدفن فعندما انتقلت عشيرة كلوديوس الاريستقراطية من مدينة ريغيل الى روما ، حصلت على رقعة من الارض ، وكذلك على مكان مشترك في المدينة نفسها من اجل الدفن . وحتى في عهد اوغسطس ، دفن رأس فار ، الذي قتل في غاب توتوبورغ وحيء به الى روما ، في *gentilitius tumulus* \* وهكذا اذن كانت العشيرة ( *Quinetilia* - كوينتيليا ) لا تزال تملك جثوة خاصة للدفن

٣- اعياد دينية مشتركة وهذه *sacra gentilitia* \* \* معروفة .

٤- واجب عدم الزواج داخل العشيرة ويبدو ان هذا لم يتحول يوماً في روما الى قانون مكتوب . ولكنه بقي عادة . وبين العدد الهائل من الأزواج التي وصلت اسمائها الينا ، لين لاي زوج اسم عشيري واحد لكلا الرجل والمرأة ثم ان حق الوراثة يؤكد هذه القاعدة فان المرأة تفقد حقوقها «الاغنامية» عندما تتزوج ، وتخرج من عشيرتها . وليس في وسعها ولا في وسع اولادها وراثة والدها او اخوة والدها ، والا فقدت عشيرة الوالد حصة من الميراث . وليس لهذا معنى الا اذا افترضنا ان المرأة لا تستطيع ان تتزوج من اي عضو من عشيرتها

٥- ملكية عقارية مشتركة كانت هذه موجودة على الدوام في الازمنة البدائية ، منذ ان شرعت القبائل تتقاسم الارض . وبين

\* - جثوة العشيرة **الناشر** .  
\* \* - اعياد مقدسة عشيرية . **الناشر** .

القبائل اللاتينية ، نجد الارض جزئياً ملك القبيلة وجزئياً ملك العشيرة ، وجزئياً ملك الاقتصادات المنزلية التي لم يكن من الممكن ابداً ان تكون آنذاك عائلات منفردة . ويُنسب الى رومولوس انه قام باول تقسيم للارض بين الافراد ، مانحاً كلاً منهم قرابة هكتار ( يوغران jugerum ) . ولكننا نجد فيما بعد ايضاً ملكيات عقارية تخص العشيرة ، ناهيك عن اراضي الدولة التي يدور حولها كل تاريخ الجمهورية الداخلي

٦- واجب اعضاء العشيرة ان يساعدوا ويحموا بعضهم بعضاً ان التاريخ المكتوب لا يبين لنا غير حطام هذه العادة فان الدولة الرومانية قد دخلت الحلبة دفعة واحدة بوصفها قوة على درجة من التفوق بحيث ان حق الحماية من المظالم انتقل اليها فعندما احتقل ابيوس كلوديوس ، ارتدى جميع اعضاء عشيرته ثياب الحداد ، بمن فيهم اولئك الذين كانوا اعداءه الشخصيين . وابتان الحرب البونيقية الثانية (١٤٧) ، اتحدت العشائر لاجل افتداء اعضائها الاسرى ؛ ولكن «السينات» (مجلس الشيوخ) منعها من ذلك .

٧- الحق في اتخاذ اسم العشيرة . وقد بقي حتى زمن الامبراطورية ؛ وقد سمح للمحررين اتخاذ اسم عشيرة اسيادهم السابقين ، ولكن دون اكتساب حقوق اعضاء العشيرة

٨- الحق في قبول الاجانب في العشيرة . وكان يُطبَّق بتبني احدى العائلات (كما عند الهنود الحمر) للاجنبي المعني ، الامر الذي كان يستتبع قبوله في العشيرة

٩- لم يرد اي ذكر لحق انتخاب واقالة الرئيس ولكن بما ان جميع الوظائف ، ابتداء من وظيفة الملك ، كانت تُؤلَّى بالانتخاب او بالتعيين في المرحلة الاولى من تاريخ روما ، وبما

ان كهان «الكوريا» ايضا كانت تنتخبهم «الكوريا» ذاتها ، ففي وسعنا ان نفترض الوضع نفسه فيما يتعلق برؤساء (principes) العشائر ، حتى وان كان من الممكن ان يكون انتخابهم من العائلة نفسها في العشيرة قد اصبح قاعدة .

تلك كانت وظائف العشيرة الرومانية وهي تشبه تماما حقوق وواجبات العشيرة الايروكية ، باستثناء الانتقال الناجز الى الحق الابوي ؛ وهنا ايضا «يتراءى الايروكوا بوضوح» .  
ولن نسوق غير مثال واحد لكي نبين اي تشوش في مسألة النظام العشائري الروماني لا يزال سائداً في الوقت الحاضر حتى بين اشهر مؤرخينا . فقد جاء في مؤلف مومزن بصدد اسماء العلم الرومانية في زمن الجمهورية وفي عهد اوغسطس ( ودراسات في تاريخ روما ، برلين ، ١٨٦٤ ، المجلد الاول ) ما يلي

وفضلا من جميع اعضاء العشيرة من الذكور ، باستثناء العبيد ، بالطبع ، ولكن بمن فيهم المقبولون بالتبني في العشيرة والمتمتعين بالحماية كان اسم العشيرة يمنح ايضا للنساء ان القبيلة ( هكذا يترجم مومزن هنا كلمة gens (جنس)) وانما هي جماعة ظهرت على اساس اصل مشترك-فعلي او محتمل او حتى ملفق-وتوحدتها على المشاركة في الاهياد والمدافن والوراثة ، جماعة يجب ويمكن ان ينتسب اليها جميع الافراد الاحرار شخصيا ، وبالتالي النساء ايضا ولكن ما يصعب الامر ، انما هو تحديد اسم عشيرة النساء المتزوجات ان هذه الصعوبة لم تكن قائمة بالطبع طالما لم يكن بمقدور المرأة ان تتزوج الا من عضو من اعضاء «جنسها» ؛ وخلال زمن طويل ، كما يمكن اثبات ذلك ، كان من

\* راجع «ارثيف ماركس وانجلس» ، الطبعة الروسية ، المجلد

الاصب على المرأة ان تتزوج خارج عشيرتها مما داخل عشيرتها لان حق الزواج خارج العشيرة - *gentis enuptio* - كان لا يزال يمنح حتى في القرن السادس على سبيل المكافاة بوصفه امتيازاً شخصياً ولكن ، حيثما كانت تتمتع الزوجات خارج العشيرة ، كان ينبغي على المرأة في الازمنة الاولى ، ان تنتقل الى قبيلة زوجها ولا سبيل ابدأ الى الرب في ان المرأة كانت ، بموجب الزواج الديني القديم ، تدخل كلياً في جماعة زوجها الشرعية والدينية وتخرج من جماعتها ومن ذا الذي لا يعرف ان المرأة المتزوجة تفقد ، حيال اعضاء عشيرتها ، الحق في الحصول على الارث وفي توريث اموالها ، وانها تدخل بالمقابل في الرابطة التي تملك حقوقاً مشتركة في الارث والتي تشمل زوجها واولادها واطراف عشيرتها على العموم . واذا كانت كانما يتبناها زوجها واذا كانت تدخل في عائلته ، فكيف يمكن ان تبقى غريبة من عشيرته ؟ ( ص ص ٨-١١ )

وعليه يزعم مومزن ان النساء الرومانيات اللواتي ينتسبن الى عشيرة من العشائر لم يكن بوسعهن الزواج في البدء الا داخل عشيرتهن ، وان العشيرة الرومانية كانت بالتالي داخلية الزواج لا خارجية الزواج ان هذه النظرة التي تناقض كل ما نعرفه عن الشعوب الاخرى ، تركز بصورة رئيسية ، ان لم يكن بوجه الحصر ، على مقطع واحد وحيد عند تيطس ليفيوس ، اثار الكثير من النقاش والجدال ( الكتاب ٣٩ ، الفصل ١٩ ) وورد فيه ان مجلس الشيوخ قرر في العام ٥٦٨ من تاسيس روما ، اي في عام ١٨٦ قبل الميلاد :

„uti Feceniae Hispalae datio, deminutio, gentis enuptio, tutoris optio item esset quasi ei vir testamento dedisset; utique ei ingenuo nubere liceret, neu quid ei qui eam duxisset, ob id fraudi ignominiaeve esset“

- ولكي يحق لفيستينيا هيسبالا ، ان تتصرف بمالها ، وتتفق منه ، وتتزوج

خارج العشرة وتختار وصياً عليها ، كأنما زوجها ، ( المتوفى ) ومنحها هذا الحق بالوصية ؛ ولكي يحق لها ان تتزوج من مواطن حر ، دون ان يتم الرجل الذي يتزوج منها بانه تصرفاً غيبياً او مخزياً فلا ريب اذن انهم يمنحون هنا فيتسبينيا ، المعتقد ، الحق في الزواج خارج عشيرتها . ومن المؤكد كذلك انه ينجم من هنا انه كان يحق للزوج ان يمنح زوجته بالوصية الحق في الزواج خارج العشرة بعد وفاته . ولكن خارج أي عشيّة ؟

لئن كان يتعين على المرأة بان تتزوج داخل عشيرتها كما يعتقد مومزن ، لبقيت بعد الزواج ايضاً في هذه العشيّة . ولكن هذا القول بالزواج الداخلي هو الذي ينبغي تقديم البرهان على صحته . هذا اولاً . وثانياً ، لئن كان يتعين على المرأة ان تتزوج داخل عشيرتها ، فقد كان ذلك يتعين على الرجل ايضاً بالطبع ، والا لما كان بوسعها ان يجد زوجة له وهذا يعني انه كان في مقدور الزوج ان يمنح زوجته بالوصية حقاً كان لا يملكه هو نفسه وكان لا يستطيع الاستفادة منه في مصلحته بالذات . وهذا محال من الناحية القانونية . وهذا ما يشعر به مومزن ايضاً ، ولهذا يورد الفرضية التالية :

ولاجل الزواج خارج العشيّة ، كان ينبغي قانونياً ، اغلب الظن ، لا موافقة ذي السلطة وحسب ، بل ايضاً موافقة جميع اعضاء العشيّة ( ص ١٠ ، الملاحظة )

اولاً ، هذه فرضية جريئة جداً ؛ وهي ، ثانياً تناقض النص الصريح في المقطع المذكور آنفاً ؛ فان مجلس الشيوخ يمنحها هذا الحق بالثيابة عن الزوج ؛ وهو يمنحها صراحة ما كان بوسع زوجها ان يمنحها اياه ، لا اكثر ولا اقل ؛ ولكن ما يمنحها اياه ، انما هو

حق مطلق ، لا يعده اي شرط او قيد . وعليه ، اذا استخدمت هذا الحق ، فان زوجها الجديد ، هو ايضا ، لن يتضرر بل ان مجلس الشيوخ يكلف القناصل والبريتوريين الحاليين والمقبلين بالحرص على الا يلحق بها اي اجحاف وضرر . وهكذا تبدو فرضية مومزن غير مقبولة ابدأ

او لنفترض ايضا ان المرأة تزوجت رجلا من عشيرة اخرى ، ولكنها بقيت في عشيرتها الاصلية . ففي هذه الحال ، حسبما جاء في النص المذكور آنفا ، كان يحق للزوج ان يسمح للزوجة بالزواج خارج عشيرتها وهذا يعني انه كان يحق له التصرف في شؤون عشيرة لا ينتسب اليها اطلاقا وهذا هراء لا يجدر ان نضيف بصدده اي كلمة

فلا يبقى اذن غير ان تفترض ان المرأة تزوجت للمرة الاولى رجلا من عشيرة اخرى ، وانها انتقلت على الفور الى عشيرة زوجها بحكم هذا الزواج ، حسبما يقر فعلا بذلك مومزن ايضا في مثل هذه الاحوال . آنذاك تتضح دفعة واحدة جميع العلاقات المتبادلة فان الزوجة التي انفصلت اثر الزواج عن عشيرتها السابقة وقبلت في عشيرة جديدة هي عشيرة زوجها ، تشغل هنا وضعا خاصا تماما فهي حقا عضو في العشيرة ، ولكنه لا تجمعها بها قرابة الدم ؛ ان طابع قبولها يحررها سلفا من كل منع عن الزواج داخل العشيرة التي انضمت اليها عن طريق الزواج . وهي ، فضلا عن ذلك ، مقبولة في الرابطة العشيرية التي تملك حقوق الوراثة العامة ، ولذا تراث اموال زوجها في حال وفاته ، اي انها تراث اموال عضو من العشيرة . اوليس من الطبيعي تماما ان تقوم قاعدة تلزم الزوجة ، رغبة في الحفاظ على الاموال في العشيرة ، بالزواج من عضو من عشيرة زوجها الاول لا من رجل من عشيرة اخرى ؟ واذا كان لا

بدء من اجازة استثناء ، فمن ذا الذي يملك ما يكفي من الحقوق والصلاحيات لمنحها مثل هذا الحق ان لم يكن زوجها الاول الذي اوصى لها بهذه الاموال ؟ وعندما يوصي لها بقسم من امواله ويسمح لها في آن واحد بنقل هذا القسم الى عشيرة غريبة عن طريق الزواج او بنتيجة الزواج ، فان هذه الاموال لا تزال تخصه ؛ وهو بالتالي لا يتصرف حقاً وفعلاً الا بملكه اما فيما يتعلق بالزوجة نفسها وبعلاقتها بعشيرة زوجها ، فان الزوج هو الذي ادخلها الى هذه العشيرة بفعل من ارادته الحرة ، بالزواج . ولذا كان من الطبيعي ايضاً ان يكون هو على وجه الضبط الشخص الذي يستطيع ان يمنحها الحق في الخروج من هذه العشيرة بواسطة الزواج الثاني وبكلمة ، تبدو المسألة بسيطة وبديهية ما ان نطرح جانباً الفكرة الغريبة القائلة بالزواج الداخلي في العشيرة الرومانية ، وما ان نقر مع مورغان بان هذه العشيرة كانت في الاصل خارجية الزواج تبقى فرضية اخرى واخيرة وجدت هي ايضاً انصاراً لها ، ولربما اكبر عدد من الانصار ان المقطع المذكور من تيطس ليفيوس يعني فقط

وان الخادمت المعتقات (libertae) لا يستطعن ، بدون اذن خاص ، e gente enubere « (الزواج خارج العشيرة) واو القيام باي عمل آخر من شأنه ، لارتباطه مع capitis diminutio minima \* ان يستتبع خروج liberta من الرابطة المشترية ، (لانفه والازمنة القديمة الرومانية ، برلين ، ١٨٥٦ ، المجلد الاول ، ص ١٩٥ ، حيث يستشهد بهوشكه فيما يخص مقطع تيطس ليفيوس الذي اوردناه) .

إذا كانت هذه الفرضية صحيحة ، فان المقطع المذكور آنفا لا يثبت شيئاً على الاطلاق فيما يتعلق بوضع الرومانيات الحرات ، وفي هذه الحال لا يمكن ابدأً ان يدور الكلام حول واجب هؤلاء النساء بالزواج داخل العشيرة

ان تعبير *enuptio gentis* لا يرد الا في هذا المقطع وحده ، ولا يظهر بعد ذلك ابدأً في الادب الروماني كله ؛ وكلمة *enubere* - الزواج خارجاً - لا ترد الا ثلاث مرات ، وعند تيطس ليفيوس ايضاً ، ناهيك باتها لا ترد بصدد العشيرة ان الفكرة الخيالية الغريبة الزاعمة انه لم يكن بمستطاع الرومانيات ان يتزوجن الا داخل العشيرة مدينة بظهورها لهذا المقطع وحده . ولكنها لا تصمد اطلاقاً للنقد . وبالفصل ، اما ان هذا المقطع يتعلق بقيود خاصة بالنسبة للمعتقات ، وهو في هذه الحال لا يثبت شيئاً فيما يتعلق بالحرات (*ingenuae*) ؛ واما انه يصح على الحرات ايضاً وهو في هذه الحال يثبت بالاحرى ان المرأة كانت ، على العموم ، تتزوج خارج عشيرتها ، ولكنها كانت تنتقل بحكم الزواج الى عشيرة زوجها ؛ وهو بالتالي برهان ضد مومزن وفي صالح مورغان

بعد تاسيس روما بنحو ثلاثمئة سنة ، كانت العرى العشيرية لا تزال قوية الى حد ان احدى عشائر الخواص ، وهي عشيرة فاييوس ، استطاعت باذن من مجلس الشيوخ ، ان تقوم بقواها الخاصة . بزحف حربي على مدينة فييه المجاورة . ويقال ان ٣٠٦ من فاييوس قد اشتركوا في هذا الزحف وانهم قتلوا جميعهم في كمين نصب لهم ، وان صبياً صغيراً بقي على قيد الحياة ، فواصل العشيرة

كانت عشر عشائر ، كما قيل اعلاه ، تولى فراترية ؛ وكانت الفراترية تسمى هنا «كوريا» وكانت لها وظائف عامة أهم من



التي كانت للفراترية اليونانية . وكانت لكل كوريا طقوسها الدينية ومقدساتها وكهانها وكان هؤلاء الكهان يشكلون بمجملهم احدى الهيئات الكهنوتية الروماتية وكانت عشر كوريات تشكل قبيلة ؛ وكان للقبيلة في البدء ، اغلب الظن ، شأنها شأن سائر القبائل اللاتينية ، رئيس منتخب هو القائد العسكري والكاهن الاكبر وكانت القبائل الثلاث تولى بمجملها الشعب الروماني ، *populus romanus* .

فلم يكن من الممكن اذن ان ينتسب الى الشعب الروماني الا من كان عضواً في عشيرة ، وبواسطتها عضواً في كوريا وقبيلة وفيما يلي التنظيم الاولي للحكم عند هذا الشعب في البدء ، كان السينات (مجلس الشيوخ) هو الذي يصرف الشؤون العامة ؛ وكان مجلس الشيوخ ، كما لاحظ نيبور عن حق وصواب للمرة الاولي ، يتألف من شيوخ ثلاثمئة عشيرة ؛ ولهذا بالذات كانوا يسمون ، بوصفهم شيوخ العشائر ، بالآباء *patres* ، وكان مجموعهم يسمى السينات (مجلس الشيوخ ، من كلمة *senex* اي شيخ) وقد اصبح انتخاب الشيوخ على الدوام من العائلة ذاتها عادة متبعة ، الامر الذي ادى هنا ايضا الى نشوء اول اريستقراطية عشيرية وكانت هذه العائلات تسمى بالباتريسية (عائلات الخواص) وتدعي بان لها وحدها دون غيرها الحق في دخول مجلس الشيوخ وشغل جميع الوظائف الاخرى . ان واقع ان الشعب خضع مع مرور الزمن لهذه الادعاءات ، فتحولت الى حق فعلي ، قد وجد تعبيراً عنه في الاسطورة القائلة ان رومولوس منح الشيوخ الاوائل و خلفاءهم رتبة العائلات الباتريسية وامتيازاتها . وقد كان لمجلس الشيوخ ، مثله مثل *bulë* الايني ، الحق في اتخاذ القرارات النهائية في كثير من القضايا ، وفي بحث اهمها مسبقاً ، ولا سيما منها القوانين الجديدة .

وهذه القوانين كانت تقرها نهائيا الجمعية الشعبية التي كانت تسمى *comitia curiata* (جمعية الكوريات) فقد كان الشعب يجتمع كوريات كوريات ، وفي كل كوريا ، عشائر اغلب الظن وعند اتخاذ القرارات كان لكل من الكوريات الثلاثين صوت واحد وكانت جمعية الكوريات تقر او ترفض جميع القوانين ، وتنتخب جميع كبار الموظفين بمن فيهم *rex* (والركس) اي ما يسمى بالملك) ، وتعلن الحرب (ولكن مجلس الشيوخ هو الذي كان يعقد الصلح) وتصدر الاحكام المبرمة ، بوصفها الهيئة القضائية العليا بعد استئناف الاطراف في جميع القضايا التي تتعلق باصدار حكم بالاعدام على مواطن روماني . والى جانب مجلس الشيوخ والجمعية الشعبية ، كان هناك اخيراً *rex* (ركس) يطابق تماما *basileus* الباسيليوس اليوناني ، ولم يكن اطلاقاً ، كما يصوره مومزن ، ملكاً غير مقيد تقريباً . وكان هو ايضا قائداً حربياً ، وكاهناً اكبر ، وكان يرأس

\* الكلمة اللاتينية *rex* تطابق الكلمة السلتية-الارلندية *rih* (شيخ القبيلة) والكلمة القوطية *reiks* ؛ وهذه الكلمة ، مثلما في الاصل الكلمة الالمانية *Fürst* (وتعني نفس ما تعنيه الكلمة الانجليزية *first* والكلمة الدانماركية *förste* ، اي «الاول» ) ، تعني كذلك شيخ (رئيس ، زعيم) العشيرة او القبيلة ؛ والدليل على ذلك ، انه كانت للقوط منذ القرن الرابع كلمة خاصة لمن سموه فيما بعد بالملك ، بال قائد العسكري لشعبه كله *thiudans* (التيودانس) وفي ترجمة اولفيلا للتوراة ، لا تطلق ابداً كلمة *reiks* على ارتحششتا وهيرودوس ، بل *thiudans* ولا تسمى دولة الامبراطور تيباريوس *reiki* بل *thiudinassus* . ان المسميين قد اندمجا في اسم تيودانس القوطي ، او (كما لترجم بصورة غير دقيقة) في اسم الملك *Thiudareiks* (تيوداريكس) ، *Theodorich* (تيودورينغ) ، اي *Dietrich* (ديتريخ) .

بعض المحاكم . ولم يكن يملك اطلاقا اي صلاحيات في ميدان الادارة المدنية ، وكذلك اي سلطة على حياة المواطنين وحريرتهم وملكيتهم ، اللهم ان لم تكن تنجم عن السلطة الاتضباطية التي يملكها القائد الحربي او عن سلطة رئيس الهيئة القضائية فيما يتعلق بتنفيذ الاحكام ولم تكن وظيفة «الركس» وراية ؛ بل بالعكس ففي البدء ، كان يُنتخب ، على الارجح ، بناء على اقتراح سابقه في الوظيفة ، من قبل جمعية الكوريات ، ثم كان يجري تنصيبه في الوظيفة باحتفال في اجتماع فان لجمعية الكوريات وكان من الممكن كذلك اقالته ، الامر الذي يبرهن عليه مصير تركوينوس المتكبر.

كان الرومانيون في عهد من كانوا يسمونهم «بالموك» ، يعيشون ، شأنهم شأن اليونانيين في العهد البطولي ، في ظل ديموقراطية عسكرية منبثقة من العشائر والفراتريات والقبايل ، ومركزة عليها . صحيح ان الكوريات والقبايل كانت مؤلفة جزئيا بصورة اصطناعية ، ولكنها كانت منظمة حسب نموذج الاشكال المسبقة الحقيقية والطبيعية لذلك المجتمع الذي انبثقت منه والذي كان لا يزال يحيط بها من جميع الجوانب . ومع ان الاريستقراطية الباتريسية التي تطورت بصورة عفوية كانت قد كسبت آنذاك تربة راسخة تحت قدميها ، ومع ان «الركسات» حاولوا ان يوسعوا صلاحياتهم شيئا فشيئا ، الا ان كل هذا لا يغير صفة النظام الاساسية الاولى ؛ والحال ، هنا بيت القصيد

وفي هذه الاثناء ، كان عدد سكان مدينة روما والمقاطعة الرومانية التي كانت تتسع رقعتها بفضل الفتوحات ، ينمو جزئيا بالهجرة اليها وجزئيا بفضل سكان المناطق المفتوحة ، اللاتينية باغلبيتها . ان جميع رعايا الدولة الجدد هؤلاء (ونحن هنا لا

نتناول مسألة clients (الاتباع) كانوا خارج العشائر والكوريات والقبائل القديمة ، ولذا لم يكونوا جزءاً لا يتجزأ من populus romanus ، من الشعب الروماني بالذات كانوا اتاساً احراراً شخصياً ، وكان يوسعهم حيازة الأرض على سبيل الملكية ، وكان عليهم ان يدفعوا الضرائب ويؤدوا الخدمة العسكرية ولكنه لم يكن بمقدورهم ان يشغلوا اي وظيفة من الوظائف ، ولم يكن بمقدورهم ان يشتركوا لا في اجتماعات الكوريات ولا في قسمة الاراضي التي استولت عليها الدولة كانوا يشكلون طبقة plèbs (البليس) اي العوام ، المحرومة من جميع الحقوق السياسية وبفضل عددهم المتنامي باستمرار ، وتدريبهم العسكري واسلحتهم ، اصبحوا قوة رهيبه بوجه populus (الشعب) القديم الذي امسى مطلقاً تماماً دون اي نمو من الخارج اصف الى ذلك ان الملكية المقارية كانت ، على الأرجح ، قد وزعت بالتساوي تقريباً بين populus و plèbs ، بينا الثروة التجارية والصناعية ، التي لم تكن قد تطورت بعد بقوة ، كانت في ايدي plèbs (العوام) على الاخص

وبسبب الظلام الكثيف الذي يلف تاريخ روما الاسطوري البدائي—وهو ظلام شده كثيراً ما بذله علماء القانون المتأخرون الذين تشكل مؤلفاتهم مصادرنا من محاولات لتفسير التاريخ بطريقة براغماتية عقلانية وما قدموه من اوصاف وعروض بالطريقة ذاتها— يستحيل قول اي شيء دقيق سواء فيما يتعلق بزمان او مجرى لو ظروف نشوب تلك الثورة التي وضعت حداً للنظام العشائري القديم . ولكنه يمكن التاكيد فقط ان سببها يكمن في الصراع بين populus و plèbs وبموجب نظام الادارة الجديد ، المنسوب الى الركن سرفيوس

توليوس ، والمستند الى النماذج اليونانية ولا سيما الى سولون ، انشئت جمعية شعبية جديدة كان يشترك فيها *populus* و *plèbs* او يقصون عنها دون اي تمييز ، تبعاً لقيامهم او عدم قيامهم بواجباتهم العسكرية وقد جرت قسمة جميع الرجال الملزمين بالخدمة العسكرية الى ست طبقات حسب ملكيتهم وكان الحد الأدنى من الملكية في كل من الطبقات الخمس الأولى ١٠٠ أس للطبقة الأولى ، ٧٥٠٠٠ أس للثانية ، ٥٠ أس للثالثة ، ٢٥ أس للرابعة ، ١١ أس للخامسة ، اي ما يوازي على التوالي ، كما يقول دورو ، زهاء ١٤ و ١٠٥٠٠ و ٧٠٠٠ و ٣٦٠٠ و ١٥٧٠٠ ماركا اما الطبقة السادسة . ، وهي طبقة البروليتاريا ، فكانت تتألف من قلبي الملكية المعفيين من الخدمة العسكرية والضرائب . وفي الجمعية الشعبية الجديدة من السنتوريات *Centuries* (*comitia centuriata*) ، كان المواطنون يوزعون على النمط العسكري ، سرايا سرايا ، اذا جاز القول ، سنتوريات سنتوريات ، كل سنتورية من ١٠٠ شخص ، مع العلم انه كان لكل سنتورية صوت واحد . ولكن الطبقة الأولى كانت تقدم ٨٠ سنتورية والثانية ٢٢ والثالثة ٢٠ والرابعة ٢٢ والخامسة ٣٠ والسادسة سنتورية واحدة فقط ، ارضاء للمظاهر وعلاوة على ذلك ، كان الفرسان ، المجددون من بين اغني المواطنين ، يؤلفون ١٨ سنتورية فكان هناك بالاجمال ١٩٣ سنتورية ولنيل اغلبيية الاصوات ، كان يكفي الحصول على ٩٧ صوتا والحال ، كان للفرسان والطبقة الأولى معا ٩٨ صوتا ، اي الاغلبية . فاذا ما اتفقوا ، كان يُصرف النظر كلياً عن استشارة الآخرين وكان القرار النهائي يُعتبر مأخوذاً

والى جمعية السنتوريات الجديدة ، انتقلت الآن جميع

الحقوق السياسية التي كانت تتمتع بها جمعية الكوريات السابقة ( باستثناء بعض الحقوق الاسمية ) ؛ فانحطت الكوريات والعشائر التي تؤلفها ، كما في ائينا ، الى مستوى اخويات خاصة ودينية بسيطة ، وظلت زمناً طويلاً تعيش عيشة حقيرة بهذه الصفة ، بينما غابت جمعية الكوريات نهائياً عن المسرح بعد فترة وجيزة ولاجل اقضاء القبائل العشرية الثلاث القديمة ايضاً من الدولة ، انشئت اربع قبائل اقليمية ، كل منها تسكن حياً خاصاً من المدينة ، وحوّلت جملة من الحقوق السياسية

وهكذا ، في روما ايضاً ، جرى قبل الغاء ما اسمي بالسلطة الملكية ، تحطيم النظام الاجتماعي القديم ، المرتكز على صلات قريى الدم الشخصية ، وانشء عوضاً عنه نظام جديد ، نظام دولة حقا وفعلا ، يركز على التقسيم الاقليمي وعلى فوارق الثروة . وهنا انحصرت السلطة العامة في ايدي المواطنين الملزمين باداء الخدمة العسكرية ، وكانت موجهة لا ضد العبيد وحسب ، بل ايضاً ضد من كانوا يسمون بالبروليتاريين ، المبعدين عن الخدمة العسكرية والمحرومين من السلاح

وفي نطاق هذا النظام الجديد الذي لم يتطور الا بعد طرد «الركس» الاخير تركوينوس المتكبر ، الذي اغتصب سلطة ملكية حقيقية ، وبعد الاستعاضة عن «الركس» بقائدين عسكريين (قنصلين) يتمتعان بنفس السلطة ( كما عند الايروكوا ) - في نطاق هذا النظام ، سار تاريخ الجمهورية الرومانية كله : الصراعات بين الخواص والعوام من اجل شغل الوظائف العامة ومن اجل استغلال اراضي الدولة ، انحلال الاريستقراطية الباتريسية نهائياً في الطبقة الجديدة من كبار ملاكي الاراضي والنقود الذين ابتلعوا تدريجياً كل الملكية العقارية للفلاحين ممن حل بهم الخراب بسبب

الخدمة العسكرية والذين كانوا يحرقون بواسطة العبيد العقارات الشاسعة المتكوّنة على هذا النحو ، واخلوا ايطاليا من السكان ، وبذلك مهدوا الطريق ، لا امام الامبراطورية وحسب ، بل ايضا امام الذين خلفوها ، البرابرة الجرمان

## ٧

## العشيرة عند السلت والجرمان

ان نطاق هذا البحث لا يسمح لنا بان ندرس بالتفصيل مؤسسات النظام العشائري التي لا تزال قائمة حالياً عند شتى الشعوب المتوحشة والبربرية بشكل متفاوت النقاوة ، او اثار هذه المؤسسات في تاريخ الشعوب المتمدنة الاسيوية القديم فهذه وتلك موجودة في كل مكان حسبنا بعض الامثلة فقبل معرفة ماهية العشيرة ، كان ماك-لينان ، الذي بذل من الجهود اكثر مما بذله اي آخر لاجل تشويه معنى هذه الكلمة ، قد اثبت وجودها ووصفها على العموم وصفاً صحيحاً كما كانت عليه عند الكلتيك والشركس والساموييد \* وعند ثلاثة شعوب هندية - الفارلي والماغار والمانييوري ومؤخراً ، اكتشفها كوفاليفسكي ووصفها عند البشاف والخفسور والسفان وغيرها من القبائل القفقاسية وتكتفي هنا ببعض الملاحظات الوجيزة حول وجود العشيرة عند السلت والجرمان

\* اسم النينتسيين سابقاً . الناشر .

ان اقدم القوانين السلطية التي وصلت اليها بين لنا العشرة في اوج حيويتها ؛ وفي ايرلنده ، لا تزال العشرة حية في ضمير الشعب في ايماننا هذه ، بصورة غريزية على الاقل بعد ان دمرها الانجليز بالقوة ؛ وفي اسكتلنده ، كانت لا تزال في ذروة ازدهارها في اواسط القرن الماضي ، وهنا ايضا لم يقص عليها الا بسلاح الانجليز وقوانينهم ومحاكمهم

ان قوانين بلاد ويلس القديمة ، المكتوبة قبل الفتح الانجليزي (١٢٨) بقرون كثيرة ، آخرها القرن الحادي عشر تدل على ان قرى بكاملها كانت تحرق الارض بصورة مشتركة ، وان بصورة بقايا استثنائية من عادة كانت من قبل شاملة كان لكل عائلة خمسة اكرات لاجل حرارتها في صالحها وحدها . والى جانب ذلك ، كانت هناك قطعة تحرق بصورة مشتركة ، ويقسم محصولها ولا ريب ان هذه المشاعات الريفية كانت عبارة عن عشائر او عن اقسام عشائر ؛ وهذا ما يشبه التشابه بين ايرلنده واسكتلنده ، حتى وان لم تؤكد دراسة جديدة لقوانين ويلس ، لا وقت عندي الآن للقيام بها ، ( ان مقتطفاتي تعود الى عام ١٨٦٩ (١٣٩) صحة هذا القول مباشرة . ولكن المصادر الويلسية ، ومعها المصادر الارلندية تثبت مباشرة ان الزواج الاحادي لم يكن بعد في القرن الحادي عشر قد حل عند السلط محل الزواج الثاني وفي بلاد ويلس ، لم يكن الزواج يصبح قابلا للحل او بالاصح قابلا للفسخ بناء على طلب احد الطرفين الا قبل انقضاء سبع سنوات على عقده . وحين لا يبقى لاكتمال هذه السنوات السبع الا ثلاث ليال ، كان في وسع الزوجين ان ينفصلا وآنذاك تجري قسمة الاموال كانت الزوجة تقسم ، والزوج يختار قسمه وكانت المفروشات والادوات المنزلية تقسم حسب قواعد واضحة محددة ، طريقة



جداً فإذا كان الزوج هو الذي يفسخ الزواج ، فقد كان عليه ان يعيد الى زوجته باننتها وبعض الاشياء الاخرى ؛ واذا كانت الزوجة ، فقد كانت حصتها اقل وكان الزوج يأخذ من الاولاد اثنين والزوجة واحداً ، هو الاوسط بينهم واذا تزوجت الزوجة مرة اخرى بعد الطلاق ، وشاء الزوج السابق الحصول عليها من جديد ، فقد كان يتعين عليها ان تتبعه ، حتى وان كانت قد وطأت بلقلم واحدة الفراش الزوجي الجديد ولكن اذا عاش الرجل والمرأة معاً طوال سبع سنوات ، فانهما يصبحان زوجاً وزوجة حتى وان لم يعقدا زواجهما من قبل حسب الاصول . ولم تكن بكاراة المرأة قبل الزواج موضع مراعاة دقيقة وطلب صارم ؛ فالقواعد في هذا المضمار ذات طبيعة عابثة جداً ، ولا تتفق اطلاقاً مع الاخلاق البرجوازية . واذا خانت الزوجة زوجها ، كان من حقه ان يضربها ( وهذه حالة من ثلاث حالات كان يحق له فيها ضربها ؛ اما في الحالات الاخرى ، فكان يتعرض للعقاب ) ، ولكنه ، بعد ذلك ، لم يكن يحق له ان يطالب باي ترضية اخرى لانه

« يجب ان يكون ، لقاء الجرم نفسه ، اما تكفير واما ثار ، ولكن

لا الائتنان في آن واحد» (١٤٠)

ان الاسباب التي كان يحق بموجبها للزوجة ان تطلب الطلاق دون ان تفقد اياً من حقوقها عند قسمة المقتنيات ، كانت متنوعة جداً فقد كآت رائحة فم الزوج الكريهة تكفي لهذا الغرض ان الفدية المدفوعة لزعيم القبيلة او للملك تعويضاً عن حق الليلة الاولى ( gobr merch ) ، ومن هنا الكلمة القروسطية 'marcheta' وبالفرنسية (marquette) تضطلع بدور كبير في مجموعة القوانين . وكان للنساء حق التصويت في الجمعيات الشعبية . اصف الى هذا

انه قد أُقيم البرهان على وجود مثل هذه النظم في ايرلنده ايضا ، وعلى ان الزوجات لفترة معينة من الزمن كانت امراً عادياً تماماً ، وأنهم كانوا يضمنون للزوجة في حال الطلاق فوائد كبيرة محددة بدقة ، وحتى تعويضاً عن خدماتها البيتية ، وانه كانت توجد هناك «زوجة اولى» الى جانب الزوجات الاخريات وانه لم يكن هناك اي تفريق عند قسمة الارث بين الاولاد الشرعيين وغير الشرعيين وهكذا ترى امامنا لوحة عن الزواج الثنائي يبدو تجاهها شكل الزواج القائم في اميركا الشمالية صارماً ، ولكن ذلك لم يكن في القرن الحادي عشر ليشر الدهشة عند شعب كان لا يزال في زمن قيصر يمارس الزواج الجماعي

ان وجود العشيرة الايرلندية ( sept ) «السبط» ، وكانت القبيلة تسمى (clainne - «كلان» ) لا تؤكد وتصفه كتب القانون القديمة وحسب ، بل يؤكد ويصفه ايضا رجال القانون الانجليز من القرن السابع عشر الذين أرسلوا الى ايرلنده لتحويل اراضي «الكلانات» الى ممتلكات لملك انجلترا . وحتى ذلك الوقت ، كانت الارض ملكاً عاماً «للكلان» او للعشيرة اذا لم يكن الزعماء قد حولوها الى ملك خاص لهم . وعندما كان يتوفى احد اعضاء العشيرة ، وبالتالي عندما كانت تزول احدى الاستثمارات البيتية ، كان الزعيم ( وقد سماه رجال القانون الانجليز caput cognationis ) يعمد الى تقسيم الارض كلها من جديد بين الاستثمارات البيتية الباقية . وكان هذا التقسيم الجديد يجري ، على الأرجح ، وبوجه عام ، حسب القواعد السارية المفعول في المانيا . وفي الوقت الحاضر ايضا ، توجد هنا وهناك في القرى حقول تدخل فيما يسمى نظام rundale ( روندال ) ، وكانت كثيرة جداً منذ اربعين او خمسين سنة ان الفلاحين ، المستأجرين الفرديين للارض التي كانت تخص من قبل العشيرة

كلها والتي استولى عليها الغزاة الانجليز ، يدفع كل منهم بدل ايجار عن قطعته ، ولكنهم يجمعون جميع حقول ومروج قطعهم في كل واحد ، ويقسمونها تبعاً لموقعها ونوعية تربتها الى «قطاعات» ("Gewann") ، كما يسمونها على ضفاف نهر الموزيل ، ويمنحون كلا منهم حصة في كل «قطاع» اما المستنقعات والمراعي ، فكانوا يستخدمونها بصورة مشتركة ومنذ نحو خمسين سنة ، كان يجري تقسيم جديد بين الفينة والفينة ، واحيانا كل سنة ان خريطة القرية التي يسري فيها نظام روندال rundale تظهر مماثلة تماما لخريطة اي مشاعة ريفية المانية (Gehöferschaft) في منطقة الموزيل او في منطقة خوخفالد كذلك لا تزال العشيرة تعيش في factions \* ايضا فان الفلاحين الارلنديين ينقسمون احيانا كثيرة الى احزاب يتميز بعضها عن بعض بعلامم تبدو في الظاهر سخيفة وباطلة تماما ، بعلامم غير مفهومة ابدأ بالنسبة للانجليز ، ويخيل انها لا تبتغي اي هدف غير المشاجرات التي تنشأ بين هذه الاحزاب في ايام الاعياد والتي تطيب لها جداً انها بعث مصطنع للعشائر البائدة ، وبديل عنها ظهر بعد زوالها ، وشاهد اصيل على حيوية الغريزة العشيرية المتوارثة ناهيك بان اعضاء العشيرة لا يزالون في بعض الاماكن يعيشون معاً في ارضهم القديمة ؛ ففي الثلاثينيات ، مثلاً ، لم يكن للاغلبية الكبيرة من سكان كونتية موناخان سوى اربع كنييات ، وهذا يعنى انهم كانوا يتحدرون من اربع عشائر او «كلانات» \*\*

\* واحزاب «الثامن» .

\*\* خلال القامتي بضعة ايام في ارلنده (١٤١) ، ادركت من جديد

بقوة ووضوح الى حد لا يزال سكان الريف هناك يعيشون بالفكر زمن

في اسكتلنده ، يطابق زوال النظام العشاري قمع انتفاضة ١٧٤٥ (١٤٢) يبقى لنا ان نبين اي حلقة بالضغط من هذا النظام تمثل «الكلان» الاسكتلندية ؛ ولكنه لا ريب في انها حلقة منه ففي روايات فالتر سكوت ، نرى هذه «الكلان» من جبال اسكتلنده حية امامنا . ان هذه «الكلان» ، كما يقول مورغان ، -

ونموذج ممتاز للعشيرة من حيث تنظيمها ومن حيث روحها

ومثال باهر على سلطان نمط الحياة العشيري على اعضاء العشيرة  
ففي مشاجراتهم وفي ثارهم الدموي ، وفي توزيع الاراضي حسب «الكلمات» ،

العشائر . فان مالك الارض الذي يستاجر منه الفلاح قطعة ارض ، لا يزال بنظر هذا الاخير ضربا من زعيم «للكلان» ملزماً بان يتصرف بالارض في مصلحة الجميع ؛ ويعتبر الفلاح انه يدفع لمالك الارض جزية بصورة بدل ايجار ، ولكنه يجب ان يلقي منه العون عند الاقتضاء كذلك يعتبرون هناك ان كل انسان اكثر يمساً ملزم بان يساعد جيرانه الاقل منه يمساً اذا ما شعروا بالعوز . ان هذه المساعدة ليست صدقة ، بل هي ما يتلقاه حقا وشرفا عضو «الكلان» الاقفر من عضو اغنى او من زعيم «الكلان»

وانها لمفهوم شكوى الاقتصاديين والحقوقيين من استحالة حمل الفلاح الارلندي على ادراك مفهوم الملكية البرجوازية الحالية فان ملكية لها حقوق فقط وليس عليها واجبات ، لا تخرط في رأس الارلندي ولكنه مفهوم ايضا كيف ان الارلنديين الذين ينتقلون فجأة بتصوراتهم الساذجة الملازمة للنظام العشاري الى المدن الانجليزية او الاميركية الكبيرة ، ويجدون انفسهم في بيئة ذات مفاهيم اخلاقية وقانونية مختلفة تماما ، - كيف ان هؤلاء الارلنديين يضلون كلياً في قضايا الاخلاق والقانون ، ويفقدون كل تربة تحت اقدامهم ، ويقعون احيانا بالجملة في مهاوي الفساد . (ملاحظة

الجلس لطبعة ١٨٩١) .

وفي استغلالهم للأرض بصورة مشتركة ، وفي وفاء اعضاء «الكلان» للرعي  
 ولبعضهم بعضاً ، نجد سمات المجتمع العشائري الثابتة في كل مكان  
 كان الاصل يحسب بموجب الحق الابوي ، وهكذا كان اولاد الرجال يبقون  
 في «الكلان» ، بينما اولاد النساء ينتقلون الى «كلانات» آباءهم» (١٤٣)  
 ولكن الواقع التالي ، وهو ان التسلسل الوراثي كان يجري  
 في سلالة «البيكت» الملكية حسب حبل النسل النسائي ، كما يقول  
 بيذا ، يثبت ان الحق الامي كان هو السائد من قبل في  
 اسكتلنده بل ان بقية من العائلة البونالوالية بقيت سواء عند  
 سكان ويلس ام عند سكان اسكتلنده ، حتى القرون الوسطى بصورة حق  
 الليلة الاولى الذي كان بوسع زعيم «الكلان» او الملك ، بوصفه  
 الممثل الاخير للازواج المشتركين سابقاً ، ان يستخدمه حيال كل  
 عروس اذا لم يُفد

\* \* \*

ولا سبيل الى الريب في ان الجرمان كانوا منظمين في عشائر  
 قبل هجرات الشعوب ولم يكن من الممكن ، على ما يبدو ، ان  
 يكونوا قد شغلوا الارض الواقعة بين انهر الدانوب والراين  
 والفيستول والبحار الشمالية الا قبل الميلاد ببضعة قرون  
 وأنداك كانت هجرات السمبر cimbres والتوتون teutons لا  
 تزال في اوجها ، بينما لم يجد السوييف suèves مقامات مستقرة  
 الا في عهد قيصر ويقول قيصر عن هؤلاء الاخيرين بكل وضوح  
 انهم اقاموا حسب العشائر وحسب الجماعات العرقية التي  
 تربط بينها صلة القربى (gentibus cognationibusque) . ولكلمة  
 gentibus هذه على لسان روماني من gens Julia • معنى دقيق

• - عشيرة يوليوس . الثامن .

لا جدال فيه وهذا القول ينطبق على جميع الجرمان بل ان  
الجرمان كانوا ، على الأرجح ، يسكنون عشائر عشائر في الاقاليم  
الرومانية المحتلة . ويؤكد «الحق الالمانى» (alaman) ان الشعب  
في الارض المحتلة جنوبي نهر الدانوب يقيم عشائر عشائر  
(genealogiae) (١٤٤) . وكلمة genealogia تستعمل هنا تماما  
بنفس المعنى الذي استعملت به فيما بعد المشاعة-المارك او المشاعة  
الريفية ومؤخراً عرض كوفاليفسكي رأياً مفاده ان هذه  
genealogiae كانت عبارة عن مشاعات منزلية كبيرة كانت الارض  
مقسمة فيما بينها ، ولم تنشأ وتتطور منها المشاعة الريفية الا  
فيما بعد . وفي هذه الحال ، يمكن قول الشيء نفسه ايضاً عن  
fara (فاراً) ؛ وهذه الكلمة كآتت عند البورغوند واللومبارد-  
وبالتالي عند قبيلة قوطية وقبيلة هرمينيونية او المانية عليا- تعني  
تقريباً ، ان لم يكن تماماً ، ما تعنيه كلمة genealogia في «الحق  
الالمانى» ويجدر بنا ان نواصل البحث والدراسة لنعرف ما  
اذا كنا بالفعل امام العشيرة او امام المشاعة البيتية

ان الآثار اللغوية لا تفيدنا بصورة واضحة عما اذا كانت  
هناك عند جميع الجرمان كلمة مشتركة لتسمية العشيرة ، وما  
هي هذه الكلمة بالذات . فمن حيث علم الاشتقاق ، تقابل الكلمة  
اليونانية genos («جينوس» ) ، واللاتينية gens («جنس» )  
الكلمة القوطية kuni («كوني» ) والكلمة الالمانية-  
العليا الوسطى künne («كوتنه» ) ؛ وهذه الكلمة تستعمل  
بالمعنى نفسه ومما يدل على زمن الحق الامي ان الكلمة التي  
تعني المرأة تنفرع من الجذر ذاته : باليونانية gyne ، بالسلافية  
žena ، بالقوطية qvino ، بالسكاندينافية القديمة 'kona  
kuna .- وعند اللومبارد والبورغوند ، نجد ، كما قيل اعلاه ،

كلمة fära التي يشتقها غريم من الجذر الفرضي fisan - وكد  
 واني اميل الى الانطلاق من اصل اوضح ، هو faran • - ذهب راكبا ،  
 ترحل ، عاد - لتسمية جزء معين من جماعة مترحلة لا تتالف ،  
 بطبيعة الحال ، الا من اقارب . وهذه التسمية اخذت شيئا فشيئا ،  
 اثناء الهجرات خلال قرون وقرون ، اولاً الى الشرق ، ثم الى الغرب ،  
 تعني الجماعة العشيرية . - ثم هناك الكلمة القوطية sibja والاتجلو-  
 ساكسونية sib ، والالمانية العليا القديمة sippa 'sippia -  
 الاقارب •• وفي اللغة السكندنافية القديمة لا نجد غير الجمع  
 sifjar - الاقارب ؛ ولا نجد المفرد الا لاسم الالهة سيف (Sif) . -  
 واخيراً ، تجد ايضاً في «نشيد هيلديبراند» (١٤٥) كلمة اخرى ،  
 وذلك على وجه الضبط في المقطع الذي يسأل فيه هيلديبراند  
 هادوبراند

«من هو ابوك بين رجال هذا الشعب او من اي عشيرة انت ؟»

(„eddo huêlfhhes cnuosles du sis“)

ولئن كانت قد وجدت على العموم كلمة المانية مشتركة  
 لتعيين العشيرة ، كان لفظها ، على الأرجح ، قريباً من لفظ الكلمة  
 القوطية kuni ؛ ويدل على صحة هذا القول ، ليس فقط التشابه  
 مع التعبير المناسب في اللغات المتقاربة ، بل ايضاً كون كلمة  
 kuning ••• - الملك مشتقة منه وتعني في الاصل شيخ العشيرة او  
 القبيلة اما كلمة sibja (الاقارب) فيبدو انه لا يجوز اخذها

• بالالمانية fahren **التناهر**

•• - بالالمانية Sippe **التناهر**

••• - بالالمانية König . **التناهر** .

بعين الاعتبار ؛ لان *sifjar* ، على الاقل لا تعني باللفظة  
السكاندينافية القديمة الاقارب بالدم وحسب بل تعني ايضا  
الاقارب بالمصاهرة ، اي انها تشمل اعضاء عشيرتين اثنتين على  
الاقل ؛ ولهذا لم يكن من الممكن ان تكون كلمة ذاتها اسما  
لتعيين العشيرة

وكما عند المكسيكيين واليونانيين ، كذلك عند الجرمان ،  
كان ترتيب الصفوف القتالية في فصيلة الخيالة وفي طابور المشاة  
الاسفيني الشكل يجري حسب مجموعات العشائر واذا كان  
تاقيطس يقول حسب العائلات وحسب الجماعات المتقاربة ،  
فان هذا التعبير غير الواضح يفسره كون العشيرة كانت في زمنه  
قد زالت من الوجود في روما منذ وقت بعيد بوصفها وحدة اهلا  
للحياة

يوجد عند تاقيطس مقطع يتسم باهمية حاسمة ، هو المقطع  
الذي يقول ان اخ الام يعتبر ابن اخته كابنه ؛ بل لمن بعضهم يرى  
ان رابطة الدم بين الخال وابن الاخت اقدس واثق من الرابطة  
بين الاب والابن ؛ وهكذا ، عندما يتطلبون الرهائن ، يعتبرون ابن  
الاخت ضمانا اثبت من ابن الرجل الذي يراد تقييده بهذه العملية  
وهنا نجد بقية حية من العشيرة المنظمة تبعا للحق الامي ، اي  
العشيرة البدائية ، ناهيك بانها عشيرة تشكل سمة خاصة يتميز  
بها الجرمان . فاذا قدم احد اعضاء مثل هذه «العشيرة»  
ابنه ضمانا لتعهد قطعه على نفسه امام الملأ ، واذا مات الولد

• ان اليونانيين لا يعرفون الا بالميثولوجيا من الازمنة البطولية  
طبيعة الصلة الوثيقة بخاصة التي تجمع بين الخال وابن الاخت والتي  
تعود في اصلها الى عهد الحق الامي والتي توجد عند كثير من الشعوب . يقول



ضحية لحنث والده بتعهده ، فان هذا كان شأن الوالد وحده ولكن اذا كانت الضحية ابن الاخت ، فان هذا كان مخالفة لاقدس قوانين العشيرة فان اقرب قريب للصبي او للفتى ملزم اكثر من غيره بحمايته ، يصبح مسؤولا عن موته ؛ وقد كان على هذا القريب ، اما الا يجعل منه رهينة ، واما ان ينفذ تعهده . وحتى اذا لم نكتشف اي آثار اخرى عن النظام العشائري عند الجرمان ، فان هذا المقطع وحده يكفي

وهناك مقطع من "Völuspá" - وهو تشيد سكاندينافي قديم عن غسق الآلهة وهلاك العالم ، - يتسم بدور اهم لانه دليل يعود الى مرحلة متأخرة بنحو ٨٠٠ سنة . وفي «رؤيا النبوة» هذه ، التي تتشابه فيها عناصر مسيحية ايضا ، كما اثبت الآن بانغ وبوغه ، جاء في وصف عهد الانحطاط والفساد العام ، الذي سبق الكارثة الكبرى :

ديودوروس ( الفصل ٤ ، المقطع ٣٤ ) ان ميلياغر يقتل اولاد تستيوس ، اخوة امه الـ Althée وترى الـ Althée في هذا العمل جريمة لا تقبل اي تكفير الى حد انها تلعن القاتل ، ابنا بالذات ، وتتمنى له الموت «وقد حقق الالهة امنيتها ، كما يروون ، ووضعوا خاتمة لحياة ميلياغر» كذلك يقول ديودوروس ذاته ( الفصل ٤ ، المقطعان ٤٣ و٤٤ ) ان الارغونوط نزلوا في تراقيا بقيادة هرقل واكتشفوا هناك ان فينيه ، بتحريض من زوجته الجديدة ، عامل ولديه اللذين رزقهما من زوجته المطلقة ، بوريادا كليوباتره ، معاملة قاسية فظيعة . ولكنه تبين ان هناك بين الارغونوط افراد آخرون من آل بورياد ، هم اخوة كليوباتره ، اي اخوة والدة الضحيتين . فينبرون على الفور لحماية ولدي اختهم ، ويحرقونهما ويقتلون حراسهما .

„Broedhr munu berjask ok at bönum verdask, munu systrungar  
sifjum spilla“

وسيمادي الاخوة بعضهم بعضاً ويقتلون بعضهم بعضاً ويحطم

### ولاد الاخوات عرى القرابة ،

ان systrungr تعني ابن الخالة ؛ ويبدو للشاعر ان هؤلاء ،  
اولاد الاخوات يقتربون جريمة افدح من جريمة التقاتل بين الاخوة  
اذا ما انكروا قرابتهم المتبادلة بالدم ان تشديد فداحة الجريمة  
ينعكس في كلمة systrungar التي تشير الى القرابة من جهة الام  
ولو ورد عوضاً عن هذه الكلمة تعبير syskina-börn - اولاد الاخوة  
والاخوات - او syskina-synir - ابناء الاخوة والاخوات - لجاؤ  
السطر الثاني ، لا تشديداً للاول بل تخفيفاً له وعليه ، حتى  
في زمن الفيكينغ ، عندما ظهرت «رؤيا النبوة» ، لم تكن قد زالت  
بعد في سكاندينايفيا ذكرى الحق الامي

ومن جهة اخرى ، كان الحق الامي عند الجرمان ، في زمن  
تاقيطس ، وعلى الاقل عند من كان يعرفهم منهم اكثر ، قد اخل  
المكان للحق الابوي ؛ كان الاولاد يرثون الوالد ؛ وفي حال انعدام  
الاولاد ، كان الارث يعود الى الاخوة والى الاعمام والاخوال ان  
اشراك الخال في الارث يرتبط بالحفاظ على العادة المشار اليها  
للتو ، ويثبت ايضاً الى اي حد كان الحق الابوي لا يزال حديث  
العهد عند الجرمان كذلك بقيت آثار الحق الامي زمناً طويلاً  
في القرون الوسطى . ويبدو انهم في تلك الحقبة من الزمن لم يكونوا  
يولون مسألة الابوة بالغ الاهمية ، ولا سيما عند الاقنسان  
ولهذا ، عندما كان السيد الاقطاعي يطالب مدينة ما بان تعيد اليه  
فلاحاً فاراً ، كان ينبغي ، كما في اوغسبورغ وبال وكيزرسلوترن ،  
مثلاً ، ان يؤكد باليمين ستة من القرب القرباء الفلاح المتهم ،

جميعهم بوجه الحصر اقرباء من ناحية الام ، صفته كقن ( مورير ) ،  
(تظام المدينة ) ، المجلد الاول ، ص ( ٣٨١ )

وهناك بقية اخرى من الحق الامي الذي زال للتو ، هي ذلك الاحترام الذي يكنه الجرمان للنساء ، والذي كان بالنسبة للرومانيين غير مفهوم تقريبا . كانت البنات من عائلة نبيلة يعتبرن اوثق الرهائن عند عقد المعاهدات مع الجرمان . فان فكرة ان زوجاتهم وبناتهم قد يقعن في الاسر وفي العبودية هي بالنسبة لهم فكرة رهيبية ، وبشر شجاعتهم في القتال اكثر من اي عامل آخر ؛ وهم يرون في المرأة شيئا ما مقدسا ونبويا ، وهم يستمعون الى نصيححتها حتى في اهم القضايا : فان فيليدا ، كاهنة قبيلة البروكتز على ضفة نهر ليب ، مثلا ، كانت روح انتفاضة الباتافيين كلها التي زعزع اثناءها زيفيليس على رأس الجرمان والبلجيكيين السيادة الرومانية في عموم بلاد الغال (١٤٦) . ويبدو ان سيادة المرأة في البيت امر لا جدال فيه صحيح ان جميع الاعمال البيتية ملقاة على عاتقها وعلى عاتق الشيوخ والاطفال ؛ اما الزوج فيصطاد او يشرب ، او يتكاسل . هكذا يقول تاقيطس . ولكن بما انه لا يذكر من ذا الذي يحرث الحقل ، وبما انه يعلن بصراحة ان العبيد كانوا يدفعون اتوات وحسب ، ولا يقومون باي عمل من اعمال السخرة ، فانه كان لا بد ، اغلب الظن ، لسواد الرجال الراشدين ، ان يقوموا مع ذلك بالقليل من العمل الذي كانت تقتضيه حراثة الارض

كان شكل الزواج ، كما قيل اعلاه ، الزواج الثنائي المقرب شيئا فشيئا من الزواج الاحادي . ولم يكن ذلك بعد زواجا احاديا صرفا ، لان تعدد الزوجات كان مسموحا للاعيان . وعلى العموم ، كانت بكارة الفتيات موضع مراقبة ومطالبة صارمة ، ( خلافا لما هو الحال

عند السلت ) ، ويتحدث تاقيطس كذلك بحرارة خاصة عن حرمة  
 الرابطة الزوجية عند الجرمان ولا يورد غير زنى الزوجة سبباً  
 للطلاق ولكن روايته في هذا الصدد تشوبها ثغرات كثيرة  
 ناهيك بأنه يقصد منها بفائق الوضوح التلويح بمر الفضيلة  
 امام الرومانيين الفاسدين هناك امر لا ريب فيه لن كان  
 الجرمان في غاباتهم فرساناً للفضيلة لا نظير لهم ، فقد كفاهم اقل  
 تماس مع العالم الخارجي حتى ينحطوا الى مستوى الاوروبيين  
 المتوسطين الاخرين ؛ وفي بيئة العالم الروماني زال آخر اثر  
 لصرامة الاخلاق بأسرع بكثير مما زالت اللغة الجرمانية حسبنا  
 ان نقرأ غريغوريوس التوري . وبديهي انه لم يكن من الممكن ان  
 يسود في الغابات الكثيفة في جرمانيا ، كما في روما ، الافراط  
 والتفنن في التمتع الجنسي ؛ وفي هذا المضمار ايضا ، يبقى اذن  
 للجرمان ما يكفي من التفوق حيال العالم الروماني ، حتى ولو لم  
 ينسب اليهم تلك العفة الجسدية التي لم تكن يوماً في اي مكان  
 ما قاعدة عامة لشعب بكامله

ومن التنظيم العشائري ، نجم واجب وراثة ما كان للوالد  
 او للاقارب من علاقات صداقة وعلاقات عداوة على السواء  
 كذلك ، كانت تورث wergeld ( فرغلد ) ، وهي غرامة يفدى  
 بها الثار في حال القتل او الاصابة بجراح ان هذه «الفرغلد»  
 التي كانت تعتبر منذ جيل ماضى مؤسسة المانية صرف ، قد  
 اقيم الدليل الآن على وجودها عند مئات الشعوب فهي شكل  
 عام لتخفيف الثار الناجم عن النظام العشائري ونحن نجدها  
 كذلك ، فيما نجدها ، عند الهنود الحمر الاميركيين مثلها مثل  
 الضيافة الالزامية ان الوصف الذي يعطيه تاقيطس لعادات  
 الضيافة (وجرمانيا) ، الفصل (٢١) يطابق تقريباً ، حتى في

التفاصيل ، الوصف الذي يعطيه مورغان للضيافة عند هنوده  
الحر

ان النقاش الحار الذي لا نهاية له حول معرفة ما اذا كان الجرمان في زمن تاقيطس كانوا يتقاسمون نهائياً حقولهم ام لا وحول تفسير المقاطع التي تتعلق بهذه المسألة ، غدا الان طي الماضي ويكاد لا يجدر التذكير بذلك بعد ان اقيم الدليل على ان جميع الشعوب تقريباً قد عرفت حراثة الارض بصورة مشتركة من قبل العشرة اولا ، ثم فيما بعد من قبل الرابطات العائلية الشيوعية التي كانت موجودة ايضاً عند السوييف Suèves ، كما افاد قيصر ، وعلى ان هذا الوضع قد عقبه توزيع الارض بين مختلف العائلات ، واعادة توزيعها بصورة دورية ، وبعد ان اقيم الدليل ايضاً على ان هذا التوزيع الدوري للارض المحروثة دام في بعض الانحاء من المانيا ذاتها حتى ايامنا هذه ولئن كان الجرمان في حقبة ١٥٠٠ سنة التي تفصل بين قصة قيصر وشهادة تاقيطس قد انتقلوا من حراثة الارض بصورة مشتركة - التي ينسبها قيصر بكل وضوح الى السوييف (فهو يقول انه لا توجد عندهم على الاطلاق حقول مقسمة او خاصة) - الى حراثة الارض من قبل العائلات كلا بمفردها مع اعادة توزيع الارض كل سنة ، فان هذا هو حقا تقدم كبير فان الانتقال من حراثة الارض بصورة مشتركة الى الملكية الخاصة الكاملة للارض خلال مثل هذه الحقبة القصيرة من الزمن وبدون اي تدخل من الخارج مستحيل حقا وفعلا . ولهذا لا اقرأ عند تاقيطس الا ما يقوله بوضوح وايجاز انهم يضيرون ( او يتقاسمون من جديد ) كل سنة الارض المحروثة ، ناهيك بانه يبقى ايضاً ما يكفي من الارض المشتركة . وهذا طور من الزراعة والاستفادة

من الارض يناسب بالضبط التنظيم العشائري عند الجرمان في ذلك العهد

اني اترك المقطع السابق حسبما ورد في الطبقات السابقة ، دون ان ادخل عليه اي تعديل ففي هذه الحقبة من الوقت ، سارت الامور في مجرى آخر فبعد ان اثبت كوفاليفسكي (راجع اعلاه ، الصفحة ٤٤) . ان المشاعة البيئية البطورية كانت منتشرة على نطاق واسع ، ان لم يكن في كل مكان ، بوصفها درجة متوسطة بين العائلة الشيوعية المؤسسة على الحق الامي ، وبين العائلة المنفردة المصرية ، لم يبق المقصود معرفة ما اذا كانت ملكية الارض مشتركة او خاصة ، كما كان القصد من النقاش بين مورير وفايتس ، بل معرفة شكل الملكية المشتركة فلا ريب ابدأ في ان الملكية المشتركة للارض لم تكن وحدها قائمة عند السوييف في زمن قيصر ، بل كانت هناك ايضاً الحراثة المشتركة للارض بالجهود المشتركة . ولا يزال من الممكن النقاش طويلاً لمعرفة ما اذا كانت الوحدة الاقتصادية هي العشرة ام المشاعة البيئية ام جماعة شيوعية ما متوسطة بينهما تجمعها رابطة القربى ، او لمعرفة ما اذا كانت هذه الجماعات الثلاث موجودة جميعها تبعاً لاحوال الارض . والحال ، يؤكد كوفاليفسكي ان الاوضاع التي يصفها تاقيطس لا تفترض وجود مشاعة-مارك ما او مشاعة زراعية ما ، بل تفترض مشاعة بيتية . ومن هذه المشاعة البيئية وحدها ، نشأت وتطورت بعد زمن طويل المشاعة الريفية نتيجة لنمو عدد السكان

وبموجب هذا الرأي ، كانت مقامات الجرمان في الاراضي

التي كانوا يشغلونها في عهد روما ، وكذلك في الأراضي التي انتزعوها فيما بعد من الرومانيين ، لا تتألف من قرى ، بل من مشاعات هائلة كبيرة كانت تشمل بضعة اجيال وتأخذ رقعة من الأرض للحراثة تبعاً لعدد اعضائها ، وتستعمل مع جيرانها الأراضي البور المحيطة ، بوصفها ماركا مشتركة ولهذا يجب اذن ان نفهم على صعيد الاساليب الزراعية المقطع الذي يقول فيه تاقيطس انهم يغيرون الأرض المحروثة فكل سنة كانت المشاعة تحرق رقعة اخرى من الأرض ، بينما تريح الرقعة المحروثة في السنة الماضية او تتركها بوراً تماماً ونظراً لضعف كثافة السكان ، كان يبقى من الأرض البور ما يكفي للحيلولة دون قيام اي نزاع حول ملكية الأرض . وبعد قرون ، عندما نما عدد اعضاء المشاعات البيئية الى حد ان ادارة الاستثمارة المشتركة اصبحت امراً مستحيلاً في ظل ظروف الانتاج السائدة آنذاك ، بعد ذلك فقط ، انحلت هذه المشاعات واخذت الحقول والمروج التي كانت حتى ذلك ملكاً مشتركاً تصبح موضع قسمة تبعاً للاسلوب المعروف بين الاستثمارات البيئية المنفردة التي كانت تتشكل آنذاك ، اولا لفترة من الوقت ، ثم بصورة نهائية ، بينما بقيت الغابات والمراعي والمياه ملكاً مشتركاً

ويبدو فيما يتعلق بروسيا ان التاريخ قد قدم البرهان الكامل على مجرى التطور هذا اما فيما يتعلق بالمانيا ، وفي المقام الثاني ، بسائر البلدان الجرمانية ، فلا يمكننا ان ننكر ان هذه الفرضية تعطي ، في كثير من النواحي ، تفسيراً افضل للوثائق والمصادر ، وتحل المصاعب بصورة اسهل مما فعله وجهة النظر السائدة حتى الآن والتي تعيد وجود المشاعة الريفية الى زمن تاقيطس . فان اقدم الوثائق ، من نوع Codex Laureshamensis

( ١٤٧ ) مثلا ، تُفسر على العموم بواسطة المشاعة البيتية بصورة افضل بكثير مما بواسطة المشاعة المارك الريفية ولكن هذا التفسير يثير بدوره مصاعب جديدة ومسائل جديدة لا يزال يترتب حلها . ولا يمكن هنا ان ياتي بالحل النهائي غير البحوث والدراسات الجديدة بيد اني لا استطيع ان انكر ان وجود المشاعة البيتية بوصفها درجة متوسطة في المانيا وسكاندينافيا وانجلترا ايضا هو امر محتمل جداً .

وبينا كان الجرمان في عهد قيصر قد اقاموا للتو جزئياً في مقامات دائمة او كانوا جزئياً لا يزالون يفتشون عن محل اقامة دائمة ، كانوا في عهد تاقيطس قد امضوا قرناً كاملاً في الحياة الحضرية وهذا ما رافقه تقدم لا مراء فيه في انتاج وسائل المعيشة فهم يعيشون في بيوت من جذوع الشجر ، ويرتدون البسة بدائية لا تزال تشبه البسة سكان الغابات اي المعاطف الخشنة الصوفية ، وجلود الوحوش ؛ اما النساء والاعيان ، فكانت لهم البسة تحتية من الكتان وكان طعامهم يتألف من الحليب واللحم والشمار البرية ، ومن عصيدة الشوفان كما يضيف بليوس ( وحتى الآن ، لا تزال هذه العصيدة نوعاً من المأكّل القومية السلتية في ارلنده واسكتلنده ) وتتألف ثروتهم من الماشية ، ولكن هذه الماشية رديئة النوع : الثيران والابقار صغيرة ، هزيلة ، لا قرون لها ؛ الاحصنة قزمة ولا تصلح للسباق وكانت النقود رومانية بوجه الحصر ، وقليلاً ونادراً ما كانت تستعمل وكأولاً لا يصنعون ولا يقدرون المصنوعات من الذهب والفضة ؛ وكان الحديد نادراً ، ويبدو انه كان يُستورد كلياً تقريباً ، على الاقل عند القبائل القاطنة على ضفاف الراين والدانوب ، ولم يكن يُستخرج في موضعه . ولم تكن الكتابة الرونية ( المأخوذة عن الاحرف اليونانية



او اللاتينية) معروفة الا ككتابة سرية ، ولم تكن تستعمل الا لافراض سحرية دينية وكانت عادة تقديم الضحايا البشرية لا تزال سارية المفعول وبكلمة ، نجد هنا امامنا شعباً ارتقى للتو من طور البربرية الاوسط الى طورها الاعلى . ولكن بينا كانت سهولة استيراد منتوجات الصناعة الرومانية تعيق تطور صناعة المعدن والنسيج بصورة مستقلة عند القبائل المقيمة مباشرة على الحدود مع الرومانيين ، كان هذا الانتاج قد نشأ ورسخ بشكل لا جدال فيه في الشمال الشرقي ، على ساحل بحر البلطيق . ان ادوات التسليح التي وجدت في مستنقعات شليسفيغ مع النقود المعدنية الرومانية من اواخر القرن الثاني ، - وهي سيف حديدي طويل ، ودرع ، وخوذة فضية ، الخ ، - وكذلك المصنوعات المعدنية الالمانية التي انتشرت بفضل هجرة الشعوب ، تبين نموذجاً خاصاً تماماً يتميز بمستوى عال نسبياً من التطور حتى عندما تقترب من النماذج الرومانية الاصلية . وان الهجرة الى الامبراطورية الرومانية المتحضرة قد وضعت حداً نهائياً لهذا الانتاج المحلي في كل مكان باستثناء انجلترا وان المشابك البرونزية ، مثلاً ، تبين باي وتميرة واحدة منتظمة نشأ هذا الانتاج وتطور ومن الممكن ان تكون المشابك البرونزية التي اكتشفت في بورغونديا ورومانيا وعلى سواحل بحر آزوف قد خرجت من نفس المشغل الذي خرجت منه المشابك الانجليزية والسويدية ، ولا ريب ايضاً انها جرمانية الاصل

كذلك يناسب تنظيم الحكم الطور الاعلى من البربرية ففي كل مكان ، كما يقول تاقيطس ، كان مجلس الشيوخ (principes) موجوداً ، وكان يبت باصفر القضايا ، ويهيئ اهم القضايا لكي تبت بها الجمعية الشعبية . ان الجمعية الشعبية في الطور الادنى

من البربرية ، وعلى الاقل حيث نعرف عنها ، اي عند الاميركيين ، لا توجد الا من اجل العشيرة ، لا من اجل القبيلة او من اجل اتحاد القبائل وكان الشيوخ (principes) لا يزالون يتميزون كثيراً عن الزعماء الممكريين (duces) تماماً كما عند الايروكوا فالشيوخ يعيشون جزئياً بفضل الهبات الفخرية التي يقدمها اعضاء القبيلة من المائيه والحبوب وخلافها وينتخبونهم بمعظمهم ، كما في امريكا ، من العائلة ذاتها والانتقال الى الحق الابوي يسر ، كما في اليونان وروما ، تحويل المبدأ الانتخابي تدريجياً الى حق وراثي ، ويسر بالتالي نشوء عائلة اريستقراطية في كل عشيرة ان هذه الاريستقراطية القديمة المسماة بالاريستقراطية القبلية قد هلكت باغليبيتها اثناء هجرة الشعوب او بعدها بفترة وجيزة وكان القادة العسكريون يُنتخبون بصرف النظر عن اصلهم ، وحسب كفاءاتهم فقط ولم تكن سلطتهم كبيرة ، وكان عليهم ان يؤثروا بمثالهم وينسب تاقيطس بكل وضوح الى الكهان السلطة الانضباطية الصرف في الجيش . وكانت السلطة الفعلية مركزة في الجمعية الشعبية والملك او زعيم القبيلة هو الذي يراس الجمعية ؛ والشعب يصدر قراره السلبي بالدمدمة ، والايجابي بهتافات الاستحسان وصليل السلاح والجمعية الشعبية هي ايضاً بمثابة محكمة ؛ فاليها تقدم الشكاوى ، وفيها تصدر القرارات بهذه الشكاوى ، وفيها تصدر الاحكام بالموت ، مع العلم ان عقوبة الموت لا تطبق الا في جرائم الجبانة وخيانة الشعب وفي الصوب المخالفة للطبيعة . وداخل العشائر وفروعها ، تبت المحكمة في جميع القضايا بصورة مشتركة برئاسة الشيخ ؛ وكما في كل محكمة بدائية جرمانية ، لم يكن يوسع الشيخ غير الاشراف على سير المحاكمة وطرح الاسئلة . ودائماً وفي كل مكان كانت الجماعة كلها هي التي تصدر الحكم عند الجرمان .

ومنذ عهد قيصر ، تشكلت اتحادات القبائل ؛ وكان عند بعضها ملوك . وكما عند اليونانيين والرومانيين كان القائد العسكري الاعلى يطمح آنذاك الى السلطة المستبدة ، وكان احيانا يحصل عليها . ولكن هؤلاء المقتصبين المحظوظين لم يكوّنوا حكاما مطلقين ، بيد انهم شرعوا يحطّمون قيود النظام العشائري . وبينما كان العبيد المعتقون يشغلون على العموم مركزاً متدنياً لانه لم يكن يوسعهم الانتساب الى اي عشيرة ، كان احظياء الملوك الجدد من بيئته العبيد المعتقين يتوصلون احيانا الى المناصب العالية والثروة والوجاهة . وقد حدث الامر نفسه بعد الاستيلاء على الامبراطورية الرومانية بالنسبة للقادة العسكريين الذين تحولوا الى ملوك لبلدان شاسعة وعند الفرنج ، اضطلع عبيد ومعتقى الملك بدور كبير اولاً في البلاط ثم في الدولة ومنهم يتحدر قسم كبير من الاريسقراطية الجديدة

وقد اسهمت مؤسسة في نشوء السلطة الملكية هي فصائل المتطوعين (Gefolgschaften) . وقد سبق ورأينا عند الهنود الحمر الاميركيين كيف تنشأ ، على هامش النظام العشائري ، رابطات خاصة لاجل خوض غمار الحرب على عهدتها ومسؤوليتها وقد اصبحت هذه الرابطات الخاصة عند الجرمان اتحادات دائمة فقد كان الزعيم العسكري الذي احرز شهرة ، يجمع حوله فصيلة من الشبان المتحرقين الى الضنائب ، ويلتزمون تجاهه بالوفاء الشخصي كما يلتزم تجاههم وكان الزعيم يعيّلهم ويكافئهم وينظمهم طبقاً لدرجات ومراتب وكانوا يخدمونه في الحملات الصغيرة كفصيلة حراسة وقوات مستعدة دائماً للقتال ، وفي الحملات الكبيرة كهيئة جاهزة من الضباط ومهما كان لا بد لهذه الفصائل ان تكون ضعيفة ، ومهما ظهرت بالفعل ضعيفة فيما بعد ، كما عند اودواكر ،

مثلا ، في ايطاليا ، فقد كانت تنطوي على جنين انحطاط الحرية الشعبية القديمة ، وهذا الدور بالذات هو الذي اضطلعت به اثناء هجرة الشعوب وبعدها وذلك اولا لانها يسرت نشوء السلطة الملكية ، وثانياً ، كما اشار تاقيطس ، لانه لم يكن يمكن الاحتفاظ بها ككل منظم الا عن طريق الحروب الدائمة والغزوات اللصوصية واصبح النهب هدفاً وحين كان رئيس الفصيلة لا يجد ما يفعله في الجوار ، كان يمضي مع رجاله الى شعوب اخرى كانت تدور عندها رحي الحرب وكانت تتوفر عندها احتمالات الظفر بالفنائم ثم ان القوات المعاونة الجرمانية التي تقاتل باعداد كبيرة تحت الراية الرومانية حتى ضد الجرمان انفسهم ، كانت تتألف احيانا من مثل هذه الفصائل وهنا نرى المعالم الاولى لنظام الجنود المرتزقة - عار الالمان ولعنتمهم . وبعد الاستيلاء على الامبراطورية الرومانية ، شكلت فصائل الملوك هذه ، الى جانب خدم البلاط من عبيد ورومانيين ، القسم الثاني من الاقسام الرئيسية للارستقراطية المقبلة

وهكذا ، كان على العموم للقبائل الجرمانية المتحدة في شعوب نفس التنظيم للادارة الذي تطور عند اليونانيين في العهد البطولي وعند الرومانيين في زمن من يسمون بالملوك : الجمعية الشعبية ، مجلس شيوخ العشائر ، القائد العسكري الساعي وراء السلطة الملكية الحقيقية . وكان ذلك ارقى تنظيم للادارة كان يمكن على العموم ان يتكون في ظل النظام العشائري . وكان التنظيم النموذجي في الطور الاعلى من البربرية . وما ان تخطى المجتمع الاطار الذي كان فيه هذا التنظيم للادارة يفي بغايته ، حتى حلت نهاية النظام العشائري ، فانهار ومكانه قامت الدولة .

## ٨

## تكوّن الدولة عند الجرمان

كان الجرمان ، على حد قول تاقيطس ، شعباً كثير العدد جداً ويتيح لنا قيصر تكوين فكرة تقريبية عن عدد افراد هذه او تلك من الشعوب الجرمانية ؛ فهو يحدد عدد الاوزبييت والتنكتير المقيمين عند الضفة اليسرى من نهر الراين ١٨٠ شخص بمن فيهم النساء والاطفال . وهكذا كان كل شعب يعد حوالي ١٠٠ الف نسمة \* ، اي ما يربو كثيراً مثلاً ، عن مجمل عدد الايروكوا في عهد ازدهارهم ، عندما اصبحوا يشكلون خطراً على البلاد كلها ، ابتداء من البحيرات الكبيرة حتى اوهايو وبوتوماك ، رغم ان تعدادهم لم يبلغ الا ٢٠ الف نسمة . واذا حاولنا ان نرسم على الخارطة كيف كانت اشهر الشعوب المقيمة في جوار الراين موزعة حسب المعلومات التي وصلت الينا ، لشغل كل من هذه الشعوب بمفرده ما يقارب بالمتوسط مساحة منطقة ادارية بروسية ، اي زهاء ١٠ كيلومتر مربع او ١٨٢ ميلاً جغرافياً مربعاً ولكن Germania Magna \* • التابعة للرومانيين كانت تشمل حتى الفيستول

\* الرقم المقبول هنا يؤكد صحته مقطع من ديودوروس عن السلت في بلاد الغال وفي بلاد الغال تعيش اقوام كثيرة متفاوتة العدد فعند اكبرها ، يبلغ عدد الافراد حوالي ٢٠٠ ؛ وعند اصغرها ٥٠ ( Diodorus Siculus, v, 25 - ديودوروس الصقلي ، السفر ٥ ، ص ٢٥ ) اي ١٢٥ شخص بالمتوسط ولا ريب انه ينبغي اعتبار بعض الشعوب الغالية اكبر عدداً بقليل من الالمان ، نظراً لدرجة تطورها العالية

\* • - جرمانيا العظمى . الناشر .

حوال ٥٠٠ كيلومتر مربع واذا كان متوسط عدد كل شعب ١٠٠ نسمة ، فلا بد ان مجمل عدد السكان في Germania Magna كان يبلغ خمسة ملايين وهذا رقم كبير بالنسبة لمجموعة من الشعوب البربرية ؛ وهو رقم قليل جداً بالنسبة لوضعنا ١٠ نسمات بكل كيلومتر مربع ، او ٥٥٠ نسمة بكل ميل جغرافي مربع ولكن هذا العدد ابعد من ان يشمل جميع الجرمان الذين كاتوا يعيشون في تلك المرحلة فنحن نعرف ان شعوباً جرمانية من مجموعة القبائل القوطية اي من قبائل الباستارن والبوكين وغيرها كآت تعيش بمحاذاة جبال الكاربات حتى مصب نهر الدانوب بالذات ، وكانت كثيرة العدد الى حد ان بليوس اعتبرها المجموعة الاساسية الخامسة من القبائل الجرمانية ان هذه القبائل التي كانت تعمل قبل الميلاد بـ ١٨٠٠ سنة في خدمة بربسيوس ، ملك مقدونيا ، قد توغلت في السنوات الاولى من حكم اوغسطس حتى ضواحي ادرنة واذا قدرنا عددها بمليون شخص فقط ، فان عدد الجرمان كان يبلغ ، اغلب الظن ، عند بداية التاريخ الميلادي ، ستة ملايين على الاقل وبعد اقامتها في جرمانيا ، كان لا بد ان ينمو عدد السكان بسرعة متزايدة ابدأ . وان النجاحات المنوه بها اعلاه في ميدان تطور الانتاج من شأنها وحدها ان تقدم البرهان على ذلك ان اللقيات الاثرية في مستنقعات شليسفيغ تعود الى القرن الثالث نظراً للنقود المعدنية الرومانية الموجودة فيها . وعليه كان انتاج الاقمشة والمصنوعات المعدنية متطوراً ومنتشراً في ذلك الوقت على سواحل بحر البلطيق ، وكانت تقوم علاقات تجارية ناشطة مع الامبراطورية الرومانية ، وكان اغني الناس يعيشون في نوع من البذخ . وكل هذه دلائل على ان كثافة السكان كانت اكبر هناك .

ونحو هذه الحقبة من الزمن ، يبدأ كذلك هجوم الجرمان العسكري العام على طول خط الراين والحدود الرومانية المحصنة والدانوب ، من بحر الشمال حتى البحر الاسود ؛ وهذا دليل مباشر على تنامي عدد السكان اكثر فاكثر ، وعلى سعيهم الى توسيع ممتلكاتهم . وقد دام الصراع ثلاثمئة سنة ؛ وخلالها تحرك كل القسم الاساسي من الشعوب القوطية ( باستثناء القوط السكاندينافيين والبورغوند ) باتجاه الجنوب الشرقي ، وشكل الجناح الايسر من خط الهجوم المستطيل ؛ وكان الجرمان الاعلون ( الهرمينون ) الذين شقوا طريقا لهم حتى الدانوب الاعلى يشغلون وسط هذا الخط ؛ وكان الجناح الايمن يتألف من الايسكيفيين الذين اطلق عليهم آنذاك اسم الفرنج ، والذين شقوا طريقا لهم نحو الراين ؛ اما الاينغيفون فكان من نصيبهم احتلال بريطانيا . وفي اواخر القرن الخامس ، كان الطريق الى الامبراطورية الرومانية المستضعفة ، المنزوفة ، العاجزة ، مفتوحا امام الجرمان الغزاة

لقد وقفنا اعلاه عند مهد الحضارة اليونانية والرومانية القديمة وهنا نقف عند قبرها ففي جميع بلدان حوض البحر الابيض المتوسط ، مر مسحاج السيادة العالمية الرومانية المسوي في سياق قرون وقرون وحيث لم تبد اللغة اليونانية مقاومة ، اضطرت جميع اللغات القومية الى اخلاء المكان للغة لاتينية مشوهة . وزالت جميع الفوارق القومية ، ولم يبق هناك لا غالليون ولا ايبيريون ولا ليغوريون ولا نوريكيون ( ١٤٨ ) ؛ فقد غدوا جميعهم رومانيين وفي كل مكان دمرت الادارة الرومانية ودمر الحق الروماني التنظيمات العشائرية القديمة ، وبالتالي آخر بقايا النشاط المحلي والقومي المستقل وكانت المواطنة الرومانية الحديثة العهد لا تعرض شيئا بالمقابل . ولم تكن تعبر عن اي قومية ؛

انما كانت فقط تعبيراً عن انعدام القومية وكانت عناصر الامم الجديدة موجودة في كل مكان . وكانت اللهجات اللاتينية في مختلف الاقاليم تتمايز اكثر فاكثر بعضها عن بعض ؛ وكانت الحدود الطبيعية التي جعلت فيما مضى من ايطاليا وغاليا واسبانيا وافريقيا مناطق متميزة لا تزال قائمة وثبتت وجودها ولكنه لم تكن هناك اي قوة بمقدورها ان توحد هذه العناصر في امم جديدة ؛ ولم يكن هناك في اي مكان اثر لقدرة على التطور والمقاومة ، وبالاحرى للطاقة الخلاقة . وهذا الجمهور الهائل من الناس القاطنين في رقعة شاسعة من الارض لم تكن تجمع بينهم غير صلة واحدة هي الدولة الرومانية ؛ والحال ، صارت هذه الدولة مع مر الزمن عدوهم ومضطهدهم الالذ لقد قضت الاقاليم على روما ؛ وروما ذاتها تحولت الى مدينة اقليمية ، مثل غيرها من المدن ، الى مدينة متميزة ، ولكنها لم تبق سائدة ، لم تبق مركز الامبراطورية العالمية ولم تبق حتى مقر الاباطرة ونواب الاباطرة ؛ فقد كان هؤلاء يعيشون الآن في القسطنطينية وترير وميلانو وتحولت الدولة الرومانية الى آلة هائلة معقدة ، معدة بوجه الحصر لاعتصار الاتباع وكانت الضرائب واعمال السخرة في صالح الدولة وغير ذلك من الاتاوات تدفع بسواد الناس في لجة البؤس اعمق فاعمق وهذا الظلم كانت تقويه الى حد لا يطاق ابتزازات الحكام والجباة والجنود . هذا ما آلت اليه الدولة الرومانية وسيادتها العالمية لقد بنت حقها في الوجود على صيانة النظام في الداخل وعلى الحماية من البرابرة في الخارج ؛ ولكن نظامها كان شراً من الفوضى ، واذا البرابرة الذين كانت تدعي حماية المواطنين منهم ، ينتظروهم هؤلاء كمنقذين

ولم يكن الوضع الاجتماعي اقل مدعاة للياس . فمند اواخز



زمن الجمهورية ، كانت السيادة الرومانية تقوم على استغلال الاقاليم المحتلة بلا رحمة ولا شفقة ؛ ولم تقض الامبراطورية على هذا الاستغلال ، وليس هذا وحسب ، بل عمدت بالعكس الى تنظيمه وبقدر ما كان يافل نجم الامبراطورية ، بقدر ما كانت تتزايد الضرائب والاثاثات ، وتشتد وقاحة الموظفين في النهب وابتزاز الاموال ولم تكن التجارة والصناعة في يوم من الايام من شان الرومانيين ، قاهري الشعوب ولكنهم تفوقوا في الربا كل من جاؤوا قبلهم وبعدهم وكل ما توفر وبقي من التجارة زال بسبب بلص الموظفين ؛ وما سلم من التجارة ، كان في الجزء الشرقي ، في الجزء اليوناني من الامبراطورية ، الذي لا يشمل موضوع دراستنا الاملاق العام ، وتدهور التجارة والحرف والفنون ، وانخفاض عدد السكان ، وانحطاط المدن ، وعودة الزراعة الى مستوى ادنى ، - تلك كانت النتيجة الاخيرة للسيادة الرومانية العالمية

ان الزراعة التي كانت الفرع الحاسم من الانتاج في العالم القديم بأسره ، قد غدته الآن من جديد واكثر مما في اي وقت مضى وفي ايطاليا ، كانت المجموعات الشاسعة من العقارات ( latifundia - اللاتيفونديا ) تشمل بعد سقوط الجمهورية جميع الاراضي تقريباً ، وكانت تُستغل بطريقتين اما بصورة مراعى ، يستعاض فيها عن السكان بالفنم والبقر التي لا تتطلب العناية بها غير عدد قليل من العبيد ؛ واما بصورة فيلاتات villas تمارس فيها جمهرة من العبيد اعمال البستنة على نطاق كبير ، وذلك سواء لتلبية حاجات السيد العائش في البلخ ، ام للبيع في اسواق المدن . وقد ابقى المراعى الكبيرة ، بل زيدت رقعتها ايضاً وانحطت عقارات الفيلات وبستنتها مع خراب اصحابها واقفار المدن . ولم يعد استثمار

اللايفونديات ، القائم على عمل العبيد ، يعود بدخل ؛ ولكنه كان في تلك المرحلة الشكل الممكن الوحيد للزراعة الكبيرة . ومن جديد ، صارت الاستثمارة الصغيرة الشكل الوحيد النافع في الزراعة . فاخذت الفيلات تنقسم الواحدة تلو الاخرى الى قطع صغيرة توضع ، لقاء مبلغ معين ، تحت تصرف مزارعين يتناقلونها بالوراثة ، او توضع تحت تصرف *partiarum* . كانوا بالاحرى اداريين اكثر منهم مستاجرين ، وكانوا ينالون لقاء عملهم سدس المحصول السنوي واحيانا تسعه فقط . ولكنه كان يهد بهذه القطع الصغيرة في معظم الاحوال الى *colonus* معمرين كانوا يدفعون كل سنة مبلغا معيناً وكانوا مربوطين بالارض وكان يمكن بيعهم مع قطعهم ؛ صحيح ان المعمرين لم يكونوا عبيداً ، الا انهم لم يكونوا احراراً ، ولم يكن لهم حق عقد الزواج مع الاحرار ، ولم يكن زواجهم يعتبر زواجاً شرعياً ، بل مجرد مساكنة (*contubernium*) ، مثله مثل زواج العبيد لقد كانوا اسلاف

#### اقنان القرون الوسطى

لقد ولي زمن العبودية القديمة فلم تعد ، لا في الزراعة الكبيرة ولا في مانيفاكتورات المدن ، تدر دخلاً يبرر العمل المبدول ، وزال السوق لاجل منتوجاتها اما الزراعة الصغيرة والحرفنة الصغيرة اللتان انحط اليهما الانتاج الضخم من عهد ازدهار الامبراطورية ، فلم يكن من الممكن لهما ايجاد العمل لعدد كبير من العبيد . ولم يبق في المجتمع مكان الا للعبيد العاملين في البيوت وللعبيد الذين يؤمنون حياة الاغنياء الباذخة ولكن العبودية بسبيل الاحتضار كان لا يزال بمقدورها ان تدعم الفكرة القائلة ان كل عمل منتج هو من شان العبيد ولا يليق بالرومانيين

الاحرار ؛ والعمال كان جميع المواطنين يتمتعون الآن بهذه الصفة فكانت النتيجة ، من جهة ، ازدياد عدد العبيد المعتقين ، الفاضلين ، الذين امسوا عبئا ، ومن جهة اخرى ، ازدياد عدد المعمرين colonus والاحرار المفتقرين (الذين يشبهون poor whites \* في الولايات الاميركية التي كان يسود فيها الرق من قبل) ان المسيحية ليست مسؤولة ابدا عن زوال العبودية القديمة تدريجيا بل انها عاشت مع العبودية جنباً الى جنب في الامبراطورية الرومانية خلال قرون وقرون ، ولم تعترض فيما بعد يوما على تجارة الرقيق التي كان يتعاطاها المسيحيون الجرمان في الشمال ، واهل البندقية على البحر الابيض المتوسط ، ولم تعترض فيما بعد على المتاجرة بالزنوج . . . ولم تعد العبودية تدر دخلا ، فاضمحلث ولكن العبودية بسبيل الزوال خلفت وراءها سهمها السام بصورة ازدياد الاحرار للعمل المنتج كان ذلك مازقا لا مخرج منه انخرط فيه العالم الروماني ؛ فقد امست العبودية مستحيلة من الناحية الاقتصادية ، وكان عمل الاحرار موضع ازدياد من الناحية الاخلاقية فالاولى لم يبق بوسعها ان تكون الشكل الاساسي للانتاج الاجتماعي والثاني لم يصبح بعد بوسعها ان يكونه ولم يكن من الممكن الخروج من هذا المازق الا بثورة جذرية

#### \* - البيض الفقراء الناصر

•• يقول الاسقف ليوبيراند الكريموني ان صنع الخصيان في القرن العاشر في فردون ، وبالتالي في الامبراطورية الجرمانية المقدسة (١٤٩) كان الحرفة الرئيسية ، وانهم كالوا يصدرون الخصيان بربح كبير الى اسبانيا من اجل اجنحة النساء في قصور المغاربة .

ولم يكن الحال احسن في الاقاليم ولدينا اوفر المعلومات عن غالبا . فالى جانب المعمرين ، كان لا يزال هناك ايضا فلاحون صفار احرار . وكان هؤلاء الفلاحون ، سعيًا منهم لوقاية انفسهم من استبداد الموظفين والقضاة والمرابين ، يلجأون احيانا كثيرة الى حماية ورعاية شخصية قوية . ولم يفعل ذلك فلاحون منفردون ، بل ايضا مشاعات بكاملها ، الى حد ان الاباطرة اصدروا غير مرة القرارات في القرن الرابع بمنع ذلك . ولكن ما كان ذلك يؤمن لمن كانوا يفتشون عن الحماية ؟ كان الحامي يفرض عليهم شرطا مفاده ان يتنازلوا له عن الحق في ملكية اراضيهم على ان يضمن لهم بالمقابل التمتع مدى الحياة بهذه الاراضي . وهذه الحيلة تفهمتها الكنيسة المقدسة واستخدمتها بفائق الجهد في القرنين التاسع والعاشر لكي توسع مملكة الرب وممتلكاتها الارضية بالذات صحيح ان سلفيان ، اسقف مرسليليا ، كان لا يزال آنذاك ، حوالى عام ٤٧٥ ، يردد ويبرق ضد هذا النهب ويروي ان اضطهاد الموظفين الرومانيين وكبار ملاكي الاراضي اصبح لا يطاق الى حد ان كثيرين من «الرومانيين» يهربون الى الانحاء التي احتلتها البرابرة ، وان المواطنين الرومانيين الذين يقيمون هناك لا يخشون ، اكثر ما يخشون ، غير الوقوع من جديد تحت السيطرة الرومانية اما ان الآباء كاتوا في ذلك الوقت غالبا ما يبيعون اولادهم عبيداً بسبب الفقر ، فهذا ما يدل عليه القاتون الذي صدر ضد هذه الممارسة وقد انتزع البرابرة الجرمان من الرومانيين ثلثي اراضيهم كلها ، مكافاة من تحريرهم من دولتهم بالذات ، وتقاسموها فيما بينهم وقد جرت القسمة وفق اصول النظام المشائري وبما ان عدد الفاتحين لم يكن كبيراً نسبياً ، فقد ظلت مساحات شاسعة من الاراضي بدون تقسيم ، اما ملكا للشعب باسره واما ملكا

لمختلف القبائل والعشائر وضمن كل عشيرة ، جرى تقسيم الاراضي المحروثة والمروج بين مختلف الاستثمارات حصصاً متساوية وبالقرعة ونحن لا نعرف ما اذا كانت قد جرت اعادة التقسيم بصورة دورية ؛ على كل حال ، توقفت بعد فترة وجيزة عمليات التقسيم الدورية في الاقاليم الرومانية ، واصبحت مختلف القطع ملكاً خاصاً يمكن التنازل عنه ، allod ، وبقيت الغابات والمراعي بدون تقسيم ، لاستعمال الجميع وهذا الاستعمال ، وكذلك طريقة حراثة الاراضي المقسمة تحقق ضبطهما وفق العادة القديمة وبموجب قرار من المشاعة كلها . وبقدر ما كانت تستطيل اقامة العشيرة في قريتها وبقدر ما كان يتزايد تخالط الحرمان والرومانيين تدريجياً ، بقدر ما كان طابع القرابة للصلة بين الناس يتراجع امام الطابع الاقليمي وقد انحلت المشيرة في المشاعة- المارك التي كانت لا تزال تظهر فيها احياناً كثيرة جداً آثار منشؤها من علاقات القرابة بين اعضاء المشاعة وبصورة غير ملحوظة تحول التنظيم العشائري الى تنظيم اقليمي ، على الاقل في البلدان التي استمرت فيها المشاعة-المارك - في شمال فرنسا ، وانجلترا وجرمانيا وسكاندينافيا- واصبح بالتالي قادراً على التكيف للدولة ولكنه احتفظ مع ذلك بطابعه الديموقراطي الذي تكون بصورة طبيعية ، والذي يميز كل النظام العشائري وصان حتى الازمنة الحديثة عناصر حية من هذا النظام حتى في ذلك الشكل المنحل الذي فرض عليه فيما بعد ، وظل لهذا السبب سلاحاً في ايدي المظلومين

وعليه ، اذا كانت صلة الدم في العشيرة قد فقدت شأنها بعد فترة وجيزة ، فذلك لان هياكلها قد انحطت وانحلت ايضاً سواء في القبائل ام في الشعب كله ، نتيجة للفتوحات . ونحن

نعرف ان السيادة على المخضّعين لا تأتلف مع النظام العشائري وهذا ما نراه هنا على نطاق كبير فقد كان يتعين على الشعوب الجرمانية التي اصبحت سيدة الاقاليم الرومانية ، ان تنظم ادارة هذه الاراضي التي افتتحتها ولكنه لم يكن من الممكن لا قبول جماهير الرومانيين في الجماعات العشيرية ولا السيطرة عليهم بواسطة هذه الاخيرة وعلى رأس الهيئات الرومانية للادارة المحلية ، التي ظل معظمها قائما في البدء ، كان ينبغي وضع بديل ما عوضا عن الدولة الرومانية ، ولم يكن من الممكن ان يكون هذا البديل غير دولة اخرى . ولهذا كان ينبغي لهيئات النظام العشائري ان تصبح هيئات للدولة ، وذلك بسرعة كبيرة ، تحت ضغط الظروف .

والحال كان القائد العسكري هو الممثل المباشر للشعب الفاتح وكانت حماية المنطقة المفتوحة من الخطر الخارجي والداخلي تتطلب تعزيز سلطته وهكذا آن الاوان لتحويل سلطة القائد العسكري الى سلطة ملكية ؛ وقد تحقق هذا التحويل

لناخذ مملكة الفرنج هنا ، عمد شعب الفرنج السالين الظافر ووضع يده كليا ، لا هل المقارات الشاسعة التابعة للدولة الرومانية وحسب ، بل ايضا على جميع الاراضي الرحبة التي لم تُضم عند التقسيم الى الممتلكات المشاعية للدوائر (Gau) الكبيرة والصغيرة وللمشاعات-المراكات ، ولا سيما جميع الغابات الكبيرة وكان اول عمل قام به ملك الفرنج الذي تحول من مجرد قائد عسكري اعلى الى عاهل حقيقي ، هو تحويل ملكية الشعب هذه الى ملكية الملك ، وسرقتها من الشعب ومنحها على سبيل الهدية او الاقطاع الى اعضاء فصيلته . ان هذه الفصيلة التي كانت تتألف في البدء من حاشيته العسكرية الشخصية ومن سائر القادة العسكريين الخاضعين له ، قد تزايدت ، بعد حقبة قصيرة ، بالرومانيين ، اي

بالغاليين «المُرَوِّمَين» الذين سرعان ما اصبحوا ضروريين له بفضل مقدرتهم ككتبة وثقافتهم ، ومعرفتهم للغة الكلامية الرومانية واللغة الادبية اللاتينية ، ومعرفتهم ايضا القانون المحلي ، كما تزايدت بالعبيد والاقنان والمعتقين الذين كانوا يشكلون هيئة الخدم في بلاطه والذين كان يختار من بينهم محظييه وجميع هؤلاء نالوا قطعاً من الارض التي تخص الشعب ، في الآونة الاولى على سبيل الهدية في معظم الاحوال ، ثم فيما بعد ، على سبيل المكافأة بصورة *bénéficiium* وذلك في البدء ، وعموماً ، طوال حياة الملك (١٥٠) وهكذا انشئ الاساس لاريسستقراطية جديدة على حساب الشعب

وفضلاً عن ذلك ، لم يكن من الممكن حكم الدولة بوسائل النظام العشائري القديم ، نظراً لسعة رقعتها . فان مجلس الشيوخ ، حتى وان لم يكن قد زال من زمان ، لم يكن بوسعها ان يجتمع ، وسرعان ما استعاض عنه بالمقرّبين الدائمين من الملك . وتغطية للظواهر ، ظلت الجمعية الشعبية القديمة قائمة ، ولكنها اخذت هي ايضا تتحول اكثر فاكثر الى جمعية للقادة العسكريين الخاضعين للملك وللاريسستقراطية الناشئة الجديدة . اما الفلاحون الاحرار الذين يملكون ارضاً والذين كانوا يشكلون سواد الشعب الفرّجحي ، فان الحروب الدائمة ، الحروب الاهلية منها وحروب الفتح ، ولا سيما الاخيرة منها في عهد شارلمان ، قد استنزفت مواردهم وخربت بيوتهم كما فعلت بالفلاحين الرومانيين من قبل في اواخر عهد الجمهورية . وان هؤلاء الفلاحين الاحرار الذين كان يتألف منهم الجيش كله في البدء ، والذين اصبحوا نواته الاساسية بعد الاستيلاء على اراضي فرنسا قد افتقروا في اوائل القرن التاسع الى حد ان فلاحاً واحداً او يكاد من كل خمسة كان بمقدوره المشاركة في

الحملة وعوضاً عن القوات من الفلاحين الأحرار الذين كان يستدعيهم الملك مباشرة ، قام جيش مؤلف من ملزمين بالخدمة العسكرية من الأريستقراطية الناشئة الجديدة ويضم كذلك فلاحين اقنانا من أبناء واحفاد أولئك الذين كانوا لا يعرفون سيداً غير الملك، والذين كانوا من قبل لا يعرفون ابداً اياً من الأسياد، بمن فيهم الملك . ثم ان الحروب الداخلية ، وضعف السلطة الملكية ، وتطاولات ذوي المكانة - فضلاً عن الكونتات (Gaugrafen) (١٥١) الذين عينهم شارلمان والذين كانوا يسعون الى جعل مناصبهم وراثية ، واخيراً غزوات النورمانديين ، - كل ذلك انجز خراب الفلاحين الفرنج في عهد ورتة شرلمان . وبعد مرور خمسين سنة على وفاة شارلمان ، كانت امبراطورية الفرنج منبطحه عند اقدم النورمانديين ، عاجزة عن كل مقاومة ، مثلما كانت الامبراطورية الرومانية قبل ذاك باربعة قرون منبطحه عند اقدم الفرنج

ولقد كانت بمثل هذه الحال تقريباً ، لا بسبب عجزها امام العدو الخارجي وحسب ، بل ايضاً بسبب نظامها الاجتماعي الداخلي او بالاصح بسبب انعدام النظام . وقد كان الفلاحون الفرنج الأحرار يعاؤون نفس الوضع الذي كان يعاينه اسلافهم المعمرون الرومانيون . ومن جراء الخراب الذي الحقته بهم الحروب واعمال النهب ، اضطروا الى توسل حماية الكنيسة او الأريستقراطية الناشئة الجديدة لان السلطة الملكية كانت ضعيفة الى حد انها لا تستطيع حمايتهم . ولكنهم اضطروا الى دفع ثمن باهظ لقاء هذه الحماية فقد كان ينبغي عليهم ، شأنهم شأن الفلاحين الغالين من قبل ، ان ينقلوا الى الحامي حق ملكية قطعهم من الأرض ، وكان هذا يعيدها بدوره اليهم بصورة tenure حيازة مشروطة ، بشروط مختلفة ومتغيرة ، ولكن دائماً مقابل تادية الخدمات ودفع



الاتاوات . وما ان كانوا يخضعون لهذه التبعية حتى كانوا يفقدون  
 حريتهم الشخصية ايضا شيئاً فشيئاً وبعد بضعة اجيال ، كانوا  
 باغليبيتهم اقنانا اما باي سرعة اندثرت فئة الفلاحين الاحرار ،  
 فهذا ما يبينه السجل الذي وضعه ايرمينون باملاك دير سان-جرمان-  
 دي-بري الذي كان يقع آنذاك في جوار باريس ويقع الآن في باريس  
 بالذات فان املاك هذا الدير الشاسعة ، الموزعة في الضواحي ،  
 كانت تشمل آنذاك في عهد شرلمان ٢٧٨٨ استثماراً يسكنها بوجه  
 الحصر تقريباً فرنج ذوو اسماء جرمانية وبين هؤلاء ، كان  
 ٢٠٨٠ معمرأ و٣٥ ليتاً و٢٢٠ عبداً فقط ٨ مواطنين احرار !  
 ان العادة التي كان الحامي يجبر بموجبها الفلاح على ان يتنازل له  
 عن قطعة ارضه على سبيل الملكية ، ثم لا يعيد بموجبها قطعة  
 الارض هذه الى الفلاح الا لاجل التمتع بها مدى الحياة ، ان هذه  
 العادة التي اعلنها سلفيان كفراً والحاداً ، انما اخذت الكنيسة  
 تطبقها الآن في كل مكان ضد الفلاحين . واعمال السخرة التي طفتت  
 تصبح اكثر فاكثر ظاهرة عادية اليقة ، كان لها نموذجها المسبق  
 سواء في angaries ( الانغاري ) الرومانية اي الاعمال الالزامية في  
 صالح الدولة (١٥٢) ، ام في الاتاوات المفروضة على اعضاء المشاعة-  
 المارك الجرمانية لاجل بناء الجسور والطرق ولجل غير ذلك من  
 الاهداف العامة وهكذا عاد سواد السكان بعد اربعمئة سنة ،  
 كالما بصورة كلية ، الى نقطة انطلاقهم

ولكن هذا كان يبرهن فقط شيئين : اولاً ، ان التمايز الاجتماعي  
 وتوزع الملكية في الامبراطورية الرومانية في مرحلة الانحطاط

\* الليت lites ، عند الفرنج ، طبقة متوسطة بين طبقة الاقنان

وطبقة الاحرار . المهرب .

كانا يتطابقان تماماً مع مستوى الانتاج الذي بلغته الزراعة والصناعة آنذاك ، وكانا بالتالي امراً محتتماً لا مناص منه ؛ وثانياً ، ان مستوى الانتاج هذا لم يرتفع ولم يهبط بصورة جوهرية في سياق الاربعمئة سنة التالية ، ولهذا ادى بالضرورة ذاتها الى توزيع الملكية ذاته والى نشوء طبقات السكان ذاتها . وفي غضون القرون الاخيرة من وجود الامبراطورية الرومانية ، فقدت المدينة سيادتها السابقة على القرية ولم تستعدها في غضون القرون الاولى من السيادة الجرمانية . وهذا يفترض درجة منخفضة من التطور سواء في الزراعة او في الصناعة وهذا الوضع العام يؤول بالضرورة الى ظهور كبار ملاكي الاراضي ذوي السيادة والسيطرة والفلاحين الصغار التابعين . وما اقل ما كان من الممكن ان تفرض على هذا المجتمع اقتصادات اللاتيفونديات الرومانية القائمة على عمل العبيد ، من جهة ، والاقتصاد الكبير الجديد القائم على السخرة من جهة اخرى . وهذا ما تشبهته التجارب الجلييلة التي قام بها شارلمان بفيللاه الامبراطورية الشهيرة ، والتي زالت دون ان تترك اي اثر تقريباً . وهذه التجارب لم يواصلها غير الاديرة ، وفي الاديرة فقط كانت مشرفة ولكن الاديرة كانت اجهزة اجتماعية شاذة قائمة على التبتل ؛ وقد كان بوسعها ان تعطي نتائج خارقة العادة ، ولكنه كان لا بد لها لهذا السبب ان تبقى استثناء .

ومع ذلك ، تحققت خطوة كبيرة الى امام هذه الاربعمئة سنة واذا كنا نجد في اواخر هذه المرحلة الطبقات الاساسية ذاتها تقريباً التي كانت قائمة في بدايتها ، فان الافراد الذين يؤلفون هذه الطبقات قد تغيروا مع ذلك فقد زالت العبودية القديمة ، وزال الاحرار الذين حل بهم الخراب والفقر والذين كانوا يزدرون العمل بوصفه واجب العبد . وبين المعمّر الروماني والقرن الجديد كان

يقف الفلاح الفرنجي الحر . وقد ولت الى الابد والذكريات العقيمة والنضال الباطل ، للعالم الروماني المنقرض . ان الطبقات الاجتماعية في القرن التاسع لم تتكون في جو من تفسخ حضارة بسبيل الاندثار ، بل في آلام مخاض حضارة جديدة ان الجيل الجديد ، -الاسياد منه والخدم - كان جيلا من الرجال بالقياس الى سابقه الرومانيين . وتلك العلاقات بين كبار ملاكي الاراضي ذوي العول والطول وبين الفلاحين التابعين لهم ، التي كانت بالنسبة للرومانيين شكلا يفصح عن هلاك العالم القديم بلا مرد ، قد صارت الآن بالنسبة للجيل الجديد نقطة انطلاق لتطور جديد . فضلا عن ذلك ، مهما بدت هذه السنوات الاربعمئة عقيمة ، فانها تركت نتيجة كبيرة واحدة : القوميات العصرية ، التكوين والتركيب الجديد للقيم الاوروبية الغربي من البشرية لاجل التاريخ المقبل فان الجرمان قد احيوا اوروبا بالفعل من جديد ، ولهذا لم يسفر تدمير الدول الذي جرى في المرحلة الجرمانية عن استعباد النورماندين والمسلمين ، بل عن استمرار تطور الاقطاعات *bénéficiaire* وعلاقات الحماية ( *commendation* ) (١٥٣) نحو الاقطاعية وعن ازدياد عدد السكان ازدياداً هائلا الى حد انه امكن ، بدون ضرر ، احتمال الخسائر الفادحة التي تسببت بها الحروب الصليبية بعد اقل من مائتي سنة

فما هي اذن الوسيلة السحرية السرية التي نفع بها الجرمان قوة حياتية جديدة في اوروبا بسبيل الاحتضار ؟ هل كانت قوة خاصة ، عجيبة المفعول ، فُطر عليها العرق الجرمانى كما يزعم مؤرخوا الشوفينيون ؟ كلا ابداً . فان الجرمان كانوا ، ولا سيما آنذاك ، فرما آريا موهوبا جداً في اوج ازدهار قواه الحيوية ولكن ما جدد شباب اوروبا ليس مزاياهم القومية الخاصة ، بل مجرد بربريتهم ، ونظامهم العشائري .

ان كفاءتهم وبسالتهم الشخصية ، وحبهم للحرية ، وغريزتهم الديموقراطية التي تحملهم على ان يروا في جميع الشؤون العامة شؤونهم الخاصة بالذات ، - وبكلمة ، ان جميع تلك الخصال التي فقدها الرومانيون والتي بفضلها وحدها دون غيرها كان يمكن تكوين دول جديدة من طمي ووحل العالم الروماني ودفع نمو القوميات الجديدة ، - كل هذا ، ترى ، ماذا كان ان لم يكن السمات المميزة للانسان الذي بلغ الطور الاعلى من البربرية ، ان لم يكن عمرة نظامه العشائري ؟

واذا كان الجرمان قد حولوا الشكل القديم لاحادية الزواج ، وخففوا سيادة الرجل في العائلة ، واعطوا المرأة مركزاً اعلى من ذلك الذي عرفه يوماً العالم الكلاسيكي ، فما الذي جعلهم قادرين على ذلك ، ان لم يكن بربريتهم وعاداتهم العشيرية ، وبقايا عهد الحق الامي التي كانت لا تزال حية آنذاك ؟

واذا كانوا قد استطاعوا ، في ثلاثة من البلدان الرئيسية على الاقل ، - اي في المانيا وفرنسا الشمالية وانجلترا ، - ان ينقذوا خرقه من النظام العشائري الحقيقي بشكل المشاعات-الماركات وينقلوها الى الدولة الاقطاعية ، واعطوا بالتالي الطبقة المظلومة ، طبقة الفلاحين ، حتى في ظروف اقسى نظم القنانة في القرون الوسطى ، تلاحماً محلياً ووسيلة للمقاومة ، الامر الذي لم يجده بصورة جاهزة لا العبيد القدامى ولا البروليتاريون المعاصرون ، فعمّ نجم هذا ان لم يكن عن بربريتهم ، عن طريقتهم في الاستيطان عشائر عشائر ، هذه الطريقة الملازمة بوجه الحصر لعهد البربرية ؟

واخيراً ، اذا كانوا قد استطاعوا ان يطوروا ويرفعوا الى درجة الشمول شكلاً اللطف للتبعية كان قائماً في موطنهم وكأنت تنتقل اليه العبودية اكثر فاكثر في الامبراطورية الرومانية ، شكلاً ،

كما اشار فوريه للمرة الاولى ، يوفر للمستعبدين الوسيلة لتحررهم تدريجياً بوصفهم طبقة (fournit aux cultivateurs des moyens d'affranchissement collectif et progressif\*) ، شكلا يأتي من جراء ذلك اعلى بكثير من العبودية التي لا يمكن ان يتحقق فيها غير تحرير الفرد بمعزده على الفور وبدون مرحلة انتقالية ( ان العالم القديم لا يعرف القضاء على العبودية بفضل ثورة مظفرة ) ، في حين ان اقنان القرون الوسطى احرزوا بالفعل تدريجياً تحررهم كطبقة - فصمّ نجم هذا ان لم يكن عن بربريتهم التي فضلها لم يرفعوا هذه التبعية عندهم الى مستوى العبودية التامة لا الى الشكل القديم لعمل المبيد ولا الى العبودية المنزلية الشرقية ؟

ان كل ما لقي به الجرمان العالم الروماني من مشر وصالح للحياة آتما كان نتاج البربرية . وبالفعل كان البرابرة وحدهم دون غيرهم قادرين على تجديد شباب عالم هرم يافل نجم حضارته وان الطور الاعلى من البربرية الذي تطور الجرمان نحوه وبلغوه قبل هجرات الشعوب ، كان بالضبط الانسب لمثل هذا التطور . وهذا يفسر كل شيء

٩

البربرية والحضارة

لقد تتبعنا انحلال النظام العشائري في ثلاثة امثلة كبيرة ؛ عند اليونانيين والرومانيين والجرمان لندرس الآن ختاماً الظروف الاقتصادية العامة التي قوضت التنظيم العشائري للمجتمع في الطور

\* - تعطي الازراع الوسائل التحرر الجهاهي والتتريجي . الناشر .

الاعلى من البربرية وازالته كلياً عند ظهور الحضارة . وهنا سيكون كتاب ماركس ورأس المال ضرورياً مثل كتاب مورغان بقدر ما تسمح لنا مصادرنا ، نستطيع القول ان العشيرة التي نشأت في الدرجة الوسطى من الوحشية وظلت تتطور في درجتها العليا ، قد بلغت اوجها في الدرجة الدنيا من البربرية ومن درجة التطور هذه ، سنبدأ

وهنا ، حيث ينبغي ان يكون لنا الهنود الحمر الاميركيون مثالا ، نجد النظام العشائري متطوراً تماماً . فقد اتقسمت القبيلة الى بضع عشائر وعلى العموم الى اثنتين وكل من هذه العشائر الاولى تنقسم بدورها ، بقدر ما يتنامى عدد السكان ، الى بضع عشائر بنات تقوم العشيرة الام تجاهها بدور فراترية . والقبيلة ذاتها تنقسم الى بضع قبائل نجد في كل منها من جديد في معظم الاحوال العشائري السابقة . ويضم الاتحاد ، على الاقل في بعض الاحوال ، قبائل تجمع بينها قرابة الدم . ان هذا التنظيم البسيط يطابق تماماً الظروف الاجتماعية التي انبثق منها . وهو ليس غير تركيب ملازم لهذه الظروف نشأ بصورة طبيعية ؛ وبمقدوره ان يسوي جميع النزاعات التي قد تنشأ داخل المجتمع المنظم على هذا النحو اما النزاعات مع العالم الخارجي ، فان الحرب هي التي تحلها وقد تنتهي الحرب بآبادة القبيلة ، ولكنها لا تنتهي في حال من الاحوال باستعبادها ان عظمة النظام العشائري ومحدوديته في آن واحد ، انما تقومان في آتة لا مكان فيه لاجل السيادة والاستعباد وداخل النظام العشائري لا يوجد اي فرق بين الحقوق والواجبات . ولا ترد بالنسبة للهندي الاحمر مسألة ما اذا كان الاشتراك في الشؤون العامة ، او الثار او دفع فدية منه حقاً او واجباً ؛ وهذه المسألة تبدو له خرقاء كمسألة ما

اذا كان الأكل والنوم والصيد حقا او واجبا كذلك لا يمكن ان يحدث انقسام القبيلة او العشيرة الى طبقات مختلفة وهذا ما يسوقنا الى بحث الاساس الاقتصادي لهذا النظام

السكان قليلون للغاية ؛ ونسبتهم اكثف في مكان اقامة القبيلة فقط . وحول هذا المكان ، يمتد حزام عريض من الاراضي لاجل الصيد اولا ، ثم حزام حيادي واطق من الغابات يفصل القبيلة عن القبائل الاخرى وتقسيم العمل عفوي صرف . وهو لا يقوم الا بين الذكور والاناث الرجال يحاربون ويمضون الى الصيد البري والى صيد السمك ، ويستحصلون على المادة الاولية لاجل الطعام ويصنعون لهذا الغرض الادوات الضرورية والمرأة تشتغل في البيت وتهمي الطعام والالبسة ؛ انها تطبخ وتحيك وتخيظ . وكل من الرجل والمرأة سيد في ميدانه ، الرجل في الغاب والمرأة في البيت . وكل منهما مالك للادوات التي يصنعها ويستعملها : الرجل مالك للأسلحة ولوازم الصيد البري وصيد السمك ، والمرأة مالكة للادوات البيتية والاقتصاد البيتي تديره على اسس شيوعية بضع عائلات واحيانا كثيرة عدد كبير من العائلات \*

وما يجري اعداده واستعماله بصورة مشتركة هو ملكية عامة ، مشتركة : البيت ، البستان ، الزورق . فهنا اذن ، وهنا فقط ، توجد بالفعل والملكية ، ثمرة العمل الشخصي ، التي اختلقها الحقوقيون والاقتصاديون في المجتمع المتحضر ، والتي هي آخر ميرر حقوقي

---

\* ولا سيما على الساحل الشمالي الغربي من امريكا (راجع بانكروفت) . وعند قبيلة الهايدا في جزر الملكة شارلوت ، توجد اقتصادات بيتية تضم تحت سقف واحد حتى ٧٠٠ شخص . وعند النوتكا ، كانت قبائل بكاملها تعيش تحت سقف واحد .

باطل لا تزال تركز عليه الملكية الرأسمالية المعاصرة .  
ولكن الناس لم يتوقفوا في كل مكان عند هذه الدرجة . ففي  
آسيا وجدوا حيوانات يمكن تدجينها ومن ثم تربيتها بعد تدجينها .  
كان ينبغي اصطياد انثى الجاموس البري ؛ اما المدجنة ، فقد كانت  
تلد كل سنة عجلا ناهيك بانها كانت تدر حليباً ان بعضاً من  
اكثر القبائل تقدماً ، - الأريين والساميين ، ولربما ايضا  
الطورانيين - قد جعلوا من تدجين المواشي لولا ، ومن تربيتها  
ورعايتها فيما بعد ، الفرع الرئيسي من نشاطهم وانفصلت  
قبائل الرعاة عن بقية البرابرة . وكان ذلك اول تقسيم اجتماعي  
كبير للعمل كانت قبائل الرعاة لا تنتج اكثر من سائر البرابرة  
وحسب ، بل كانت وسائل العيش التي تنتجها مختلفة ايضا . فلم  
يكن يتوفر لها الحليب والالبان واللحوم بكميات اكبر بكثير  
وحسب ، بل كانت تتوفر لها ايضا الجلود والصوف وشعر المعز ،  
وكذلك الخيوط والاقمشة التي كان انتاجها يزداد مع تزايد  
المواد الاولية وعلى هذا النحو اصبح التبادل المنتظم ممكناً  
للمرة الاولى اما في الاطوار السابقة من التطور ، فلم يكن من  
الممكن ان يحدث التبادل الا من قبيل الصدفة . ان المهارة الخاصة  
في صنع الاسلحة والادوات قد توول الى تقسيم العمل لفترة من  
الوقت فقد وجدت ، مثلاً ، في كثير من الانحاء ، بقايا ثابتة  
اكيدة لمشاغل كانت تصنع الادوات الحجرية في العصر الحجري  
المتاخر . وكان الحرفيون الذين يرقون مهارتهم فيها يشتغلون ،  
اغلب الظن ، على حساب وفي صالح الجماعة كلها ، كما لا يزال  
يفعل ذلك الآن الحرفيون الدائمون في المشاعات العشيرية في  
الهند . في هذه المرحلة من التطور ، لم يكن من الممكن ان يقوم التبادل  
الا في قلب القبيلة ، ناهيك بانه بقي هنا ايضا ظاهرة استثنائية .



اما الآن ، بعد انفصال قبائل الرعاة وتميزها ، فاننا نجد ، على العكس ، جميع الشروط والظروف جاهزة لاجل التبادل بين اعضاء مختلف القبائل ، لاجل تطوره وتوطده بوصفه مؤسسة دائمة في البدء كان التبادل يجري بين قبيلة وقبيلة بوساطة شيوخ العشائر في كل قبيلة اما عندما اخذت القطعان تصبح ملكية شخصية ، فقد اخذ التبادل بين الافراد يهيمن اكثر فاكثر ، الى ان صار اخيراً الشكل الوحيد للتبادل . ولكن الماشية كانت السلعة الرئيسية التي تتبادلها قبائل الرعاة مع جيرانها وقد غدت الماشية بضاعة تُقدَّرُ بها جميع البضائع الاخرى وتُقَبَّلُ في كل مكان بطيبة خاطر مقابل البضائع الاخرى ؛ وبكلمة ، اكتسبت الماشية وظيفة النقد وقامت بدور النقد في هذا الطور ذلك ان الحاجة الى بضاعة خاصة هي النقد كانت ماسة وملحة للغاية منذ بداية تبادل البضائع بالذات .

اغلب الظن ان سكان آسيا لم يعرفوا البستنة في الطور الادنى من البربرية ، ولكنها ظهرت عندهم في الطور الاوسط ، لا بعده ، كسابقة للزراعة فان المناخ في السهول الطورانية لا يسمح بالحياة الراعية بدون احتياطات من العلف للشتاء الطويل والقاسي ؛ ولذا كانت العناية بالمروج وزراعة الحبوب امراً ضرورياً لا غنى عنه هنا والشيء نفسه يجب قوله بصدد السهوب الواقعة شمالي البحر الاسود ولكن ما ان بدأ انتاج الحبوب لاجل المواشي حتى اصبحت بعد فترة وجيزة طعاماً للانسان ايضا وبقيت الاراضي المحرومة ملكاً للقبيلة ، وكان يعهد باستغلالها الى العشيرة في البدء ، وفيما بعد ، من قبل العشيرة ذاتها الى المشاعيات البيتية ، واخيراً ، الى الافراد ولربما كان للافراد بعض حقوق وضع اليد عليها ، ولكن لا اكثر .

بين منجزات هذا الطور في حقل النشاط الصناعي ، تتم  
الانتان باهمية كبيرة جداً هي ، اولاً ، اداة الحياكة وثانياً ، صب  
الفلزات المعدنية ومعالجة المعادن وكان النحاس والقصدير ،  
وكذلك البرونز المصبوب منهما اهم المعادن ؛ فالبرونز اعطى ادوات  
ناصية واسلحة فعالة ، ولكنه لم يكن بوسع ان يحل محل  
الادوات الحجرية ؛ فلم يكن من الممكن ان يقوم بهذه المهمة  
غير الحديد ؛ والحال ، كانوا لا يعرفون بعد كيف يستخرجونه .  
وقد شرعوا يستعملون الذهب والفضة لاجل الزين والحلي ، لانهما  
كائناً ، على ما يبدو ، قد كسبا قيمة اكبر من قيمة النحاس  
والبرونز .

ان نمو الانتاج في جميع الفروع - عربية المواشي ، الزراعة ،  
الحرف المنزلية - قد منح قوة عمل الانسان القدرة على انتاج  
كمية من المنتوجات تزيد عما يحتاج اليه للعيش والبقاء . وزاد  
في الوقت نفسه كمية العمل الذي يترتب على كل من اعضاء العشيرة  
لو المشاعة البيتية او العائلة المنفردة ان يبدله يوماً . وظهرت  
الحاجة الى استصمال قوة عمل جديدة فقدمت الحرب هذه  
القوة فقد طفقوا يحولون اسرى الحرب الى عبيد وبانماء  
انتاجية العمل وبالتالي الثروة ، وبتوسيع ميدان النشاط الانتاجي ،  
ادى اول تقسيم اجتماعي كبير للعمل ، في مجمل الظروف التاريخية  
المعنية ، الى نشوء العبودية بصورة محتمة . ومن اول تقسيم  
اجتماعي كبير للعمل نجم اول انقسام كبير للمجتمع الى طبقتين ،  
الاسياد والعبيد ، المستثمرين والمستثمرين .

كيف ومتى انتقلت القطعان من ملكية القبيلة او العشيرة  
الى ملكية رؤساء العائلات ؟ نحن لا نعرف حق الآن اي شيء  
من هذا . ولكنه لا بد ان هذا الانتقال قد وقع اساساً في هذا

الطور ومع اقتناء القطعان وغير ذلك من الثروات الجديدة ، حدث ثورة في العائلة ان تحصيل اسباب المعيشة كان دائما من شؤون الرجل ، وكان هو الذي يصنع الوسائل اللازمة لهذا الغرض وكان هو مالكها . وكانت القطعان وسائل جديدة لتحصيل اسباب المعيشة . وكان من شأن الرجل تدجينها اولا ثم حراستها ورعايتها ثانيا . ولهذا كانت الماشية تخصه ؛ وكانت تخصه ايضا البضائع والعبيد التي يحصل عليها مقابل رؤوس الماشية . واخذت الفوائض التي توفرها الان تربية الماشية تعود الى الرجل كانت المرأة تشارك في استهلاك هذه الفوائض ، ولكن لم تكن لها حصة في ملكيتها لقد كان «المتوحش» ، المحارب والصيد ، يكتفي في البيت بالمرتبة الثانية بعد المرأة ؛ اما الراعي «الوديع» فقد احتل المرتبة الاولى متبجعا بثروته ، وازاح المرأة الى المرتبة الثانية . ولم يكن بوسعها ان تتذمر وتتشكى فان تقسيم العمل في العائلة كان قد حدد واشترط تقسيم الملكية بين الرجل والمرأة وقد بقي تقسيم العمل كما كان عليه ، ولكنه قلب الان كليا العلاقات البيئية السابقة ، وذلك لسبب واحد هو ان تقسيم العمل خارج العائلة قد تغير ان السبب نفسه الذي كان ضمن من قبل للمرأة السيادة في البيت ، - اي قيامها بالأعمال المنزلية فقط - ان هذا السبب نفسه قد ضمن الان للرجل بصورة محتمة السيادة في البيت لقد فقد الان عمل المرأة البيئي اهميته بالقياس الى عمل الرجل المنتج ؛ ان عمله كان كل شيء ، بينما عملها مجرد ملحق تافه وهنا اخذ يتبين ان تحرر المرأة ، مساواتها في الحقوق مع الرجل ، امر غير ممكن ، لا الان ولا في المستقبل ، ما دامت المرأة مقصية عن العمل المنتج الاجتماعي ومضطرة الى الاكتفاء بالعمل البيئي الخاص . ولن يصبح تحرر المرأة امرا

ممكنا الا متى استطاعت ان تشارك ، على نطاق اجتماعي كبير ، في الانتاج ومتى اصبح العمل البيتي لا يأخذ من وقتها الا قدراً ضئيلاً وهذا ما لم يصبح ممكناً الا بفضل الصناعة الكبيرة العصرية التي لا تتيح عمل النساء على نطاق كبير وحسب ، بل تتطلبه صراحة وتحاول اكثر فاكثر ان تجعل من العمل البيتي الخاص جزءاً لا يتجزأ من الانتاج الاجتماعي .

ومع توطد سيادة الرجل الفعلية في البيت ، سقطت آخر الحواجز امام سلطته المطلقة وهذه السلطة المطلقة وطدها وغلدها سقوط الحق الامي ، وتطبيق الحق الابوي ، والانتقال التدريجي من الزواج الثنائي الى احادية الزواج . ولكن هذا احدث في الوقت نفسه ثغرة في النظام العشائري القديم فقد غدت العائلة الفردية قوة انتصبت في وجه العشيرة مهددة

ان الخطوة التالية تقودنا الى الطور الاعلى من البربرية ، الى مرحلة تعيش فيها جميع الشعوب المتمدنة عصرها البطولي ، عصر السيف الحديدي ، وكذلك عصر المحراث الحديدي والفاس الحديدي فقد شرع الحديد يخدم الانسان ، وهو آخر وأهم جميع المواد الاولية التي اضطلعت بدور ثوري في التاريخ والآخر - حتى ظهور البطاطا وقد اتاح الحديد حراثة الحقول على مساحات اكبر واستئصال رقع شاسعة من الغابات لاجل حراثة تربتها ، واعطى الحربي ادوات تتميز بصلابة وحدة ما كان من الممكن ان يقاومها اي حجر او اي من المعادن المعروفة آنذاك . كل هذا لم يحدث دفعة واحدة . فاحياناً كثيرة ، كان الحديد الاول لا يزال اقل صلابة من البرونز . ولهذا لم ينقرض السلاح الحجري الا ببطء ؛ وليس في ونشيد هيلدبيراند ، وحسب ، بل ايضاً في معركة هاستينغس ، عام ١٠٦٦ ، استخدمت الفؤوس الحجرية

اثناء القتال (١٥٤) . ولكن التقدم استمر الآن بلا مردّ ، بمزيد من السرعة ، واقل من الانقطاعات واذا المدينة التي تضم بين اسوارها وابراجها وشرفاتها المسننة الحجرية بيوتا من الحجر او الحجر ، تغدو مركز القبيلة او اتحاد القبائل ؛ وكان ذلك تقدماً هائلا في فن البناء ولكنه كان ايضا دليل خطر متفاقم وحاجة متعاظمة الى الحماية وتنامت الثروة بسرعة ، ولكن بوصفها ثروة افراد واخذت الحياكة ومعالجة المعادن والحرف الاخرى تنفصل وتعمول اكثر فاكثر بعضها عن بعض ، واخذ الانتاج يزداد تنوعاً واتقاناً اكثر فاكثر وعلاوة على الحبوب والبقول والفواكه ، بدأت الزراعة تعطي الآن الزيت النباتي والخمور بعد ان تعلم الناس صنعها وهذا النشاط المتنوع الوجوه لم يبق من الممكن ان يمارسه شخص واحد بمفرده ؛ فحدث **التقسيم الكبير الثاني للعمل** فقد انفصلت الحرفة عن الزراعة ان نمو الانتاج ومعه انتاجية العمل بلا انقطاع قد رفع قيمة قوة عمل الانسان ؛ واذا العبودية التي كانت في الطور السابق قد ظهرت للتو وحسب وكانت تتسم بطابع عرضي ، تصبح الآن جزءاً مكوناً جوهرياً من النظام الاجتماعي ولم يبق العبيد مجرد معاوتين ، بل شرعوا يسوقونهم بالعشرات الى العمل في الحقول وفي المشاغل ومع انقسام الانتاج الى فرعين رئيسيين كبيرين ، هما الزراعة والحرفة ، يظهر الانتاج من اجل التبادل مباشرة ، اي الانتاج البضاعي ، ومعه تظهر التجارة ، لا داخل القبيلة وعلى حدودها وحسب ، بل ايضا مع البلدان الواقعة ما وراء البحار ؛ ولكن كل هذا بشكل لا يزال بعد بدائياً واخذت المعادن الثمينة تصبح البضاعة المهيمنة والشاملة اي النقود ، ولكنهم لم يشرعوا بعد بسك هذه النقود ، بل كانوا يكتفون بتبادلها حسب وزنها .

والى جانب الفرق بين الاحرار والعبيد ، يظهر الفرق بين الاغنياء والفقراء ؛ فالتقسيم الجديد للعمل يرافقه انقسام جديد للمجتمع الى طبقات . وفوارق الملكية بين مختلف رؤساء العائلات تفجر المشاعة البيئية الشيوعية القديمة حيثما ظلت قائمة ؛ ومع هذه المشاعة تزول حراثة الارض بصورة مشتركة بوسائلها . وتوضع الاراضي الصالحة للزراعة تحت تصرف العائلات الفردية لكي تستغلها ، اولا لفترة من الوقت ، وفيما بعد الى الابد ان انتقال هذه الاراضي الى الملكية الخاصة الكاملة يتحقق تدريجياً وفي آن واحد مع الانتقال من الزواج الثنائي الى احادية الزواج . وتصبح العائلة الفردية الوحدة الاقتصادية في المجتمع

ان تزايد كثافة السكان يجبر على المزيد من التلاحم سواء في الداخل او في وجه العالم الخارجي . وفي كل مكان ، يذو اتحاد القبائل التي تجمع بينها رابطة القربى امراً ضروريا لا غنى عنه ؛ وسرعان ما يذو من الضروري ايضا اندماجها فيما بينها وبالتالي دمج مختلف اراضيها القبلية في ارض واحدة مشتركة للشعب باسمه . ويذو زعيم الشعب العسكري - rex, basileus, thiudans (الوكس ، الباسيليوس ، الثيودانس) موظفاً ضرورياً ، دائماً وتظهر الجمعية الشعبية حيث لم يكن لها وجود بعد القائد العسكري ، المجلس ، الجمعية الشعبية ، - تلك هي هيئات المجتمع العشائري الذي تطور وصار ديموقراطية عسكرية عسكرية لان الحرب والتنظيم لاجل الحرب اصبحا الآن وظيفتين دائمتين منتظمين في حياة الشعب . وفروات الجيران تثر الجشع والطمع عند الشعوب التي يبدو ان الحصول على الثروات غدا واحداً من اهم اهدافها في الحياة انها بربرية فالنهب يبدو لها اسهل وحتى اشرف من العمل البناء . والحرب التي كانوا لا يخوضون شمارها من

قبل الا لاجل الثار من الاعتداءات ، او لاجل توسيع رقعة الاراضي التي لم تعد تكفي ، انما يخوضون غمارها الآن من اجل النهب وحسب ، وتصيح حرفة دائمة . وليس عبثا ترتفع الاسوار الرهيبة حول المدن المحصنة الجديدة ؛ ففي خنادقها يفتح مدفن النظام العشائري شذقيه ، وابراجها تتناول نحو الحضارة . والامر نفسه يحدث في داخل المجتمع فان حروب النهب تمزق سلطة القائد العسكري الاعلى وكذلك سلطة القادة العسكريين الخاضعين له وانتخاب اسلافهم بحكم العادة من العائلات ذاتها يغدو شيئا فشيئا ، ولا سيما منذ توطد الحق الابوي ، سلطة وراثية يصبرون عليها في البدء ، ثم يطالبون بها ، واخيراً يفتصبونها ؛ وتوضع اسس السلطة الملكية الوراثية واسس الاريستقراطية الوراثية وهكذا تنفصل هيئات النظام العشائري تدريجياً عن جذورها في الشعب ، في العشيرة ، في الفراتية ، في القبيلة ، ويتحول النظام العشائري كله الى نقيضه فمن تنظيم للقبائل لاجل تصريف شؤونها بحرية يتحول الى تنظيم لاجل نهب الجيران واضطهادهم ، وتبعاً لذلك تتحول هيئاته من ادوات لارادة الشعب الى هيئات مستقلة للسيطرة والاستبداد موجهة ضد شعبها بالذات ولكنه لم يكن من الممكن ان يحدث هذا يوماً لو لم يفرق الطمع الشديد بالثروة اعضاء العشيرة الى اغنياء وفقراء ، لو ولم تحول فوارق الملكية داخل العشيرة الواحدة وحدة المصالح الى تناحر بين اعضاء العشيرة (ماركس) \* ، ولو لم يكن قد بدأ انتشار العبودية يحمل على اعتبار تحصيل اسباب العيش

\* راجع «ارفيف ماركس وانجلس» ، الطبعة الروسية ، المجلد

بالعمل الشخصي امراً جديراً بالعبد وحسب ، واشد خزيا من النهب

\* \* \*

وصلنا الآن الى عتبة الحضارة وهي تفتح بخطوة جديدة الى الامام في تقسيم العمل ففي الطور الادنى ، كان الناس لا ينتجون الا من اجل تلبية حاجاتهم الشخصية مباشرة وكانت عمليات التبادل نادرة جداً ، ولم تكن تشمل غير الفوائض المتبقية صدفة . وفي الطور الاوسط من البربرية ، نجد ان الماشية صارت ، عند شعوب الرعاة ، ملكية تعطي بانتظام فائضاً على الحاجات الشخصية اذا ما كبر القطيع نوعاً ؛ وفي الوقت نفسه نجد كذلك تقسيم العمل بين شعوب الرعاة والقبائل المتخلفة التي لا تملك قطعياً ، ونجد بالتالي طورين مختلفين من الانتاج جنباً الى جنب ؛ وهذا يعني توفر الظروف والشروط لاجل التبادل المنتظم وفي الطور الاعلى من البربرية ، يجري تقسيم جديد للعمل بين الزراعة والحرفة ، ويجري بالتالي انتاج قسم متزايد ابدأ من منتوجات العمل لاجل التبادل مباشرة ، ويحدث بالتالي ايضاً تحويل التبادل بين مختلف المنتجين الى ضرورة حيوية بالنسبة للمجتمع . وتوطد الحضارة وتمزج جميع اشكال تقسيم العمل هذه التي نشأت قبلها ، ولا سيما بتشديد حدة التضاد بين المدينة والقرية (مع العلم ان من الممكن ان تسود المدينة اقتصادياً على القرية ، كما كان الحال في الازمنة القديمة ، او ان تسود القرية على المدينة ، كما كان الحال في القرون الوسطى) ، وتضيف اليها تقسيماً ثالثاً للعمل تختص به وحدها ويتم باهمية حاسمة ؛ فهي تخلق طبقة لا تتعاطى الانتاج ، بل مبادلة البضائع فقط ، هي طبقة التجار . حتى ذلك ، كانت اسباب نشوء الطبقات ترتبط بوجه العصر



بالانتاج ؛ وقد ادت الى تقسيم الناس المشتركين في الانتاج الى قادة ومنفذين ، او ايضاً الى منتجين على نطاق كبير وصغير . وهنا تبرز للمرة الاولى طبقة لا تشارك باي قسط في الانتاج ولكنها تأخذ في يدها كلياً امر قيادته وتخضع لنفسها اقتصادياً المنتجين ، وتصبح وسيطاً لا غنى عنه بين كل اثنين من المنتجين وتستثمر الاثنين معاً . وبذريعة تجنيب المنتجين ما يلزم التبادل من جهد ومجازفة ، وبذريعة توسيع تصريف منتوجاتهم في ابعاد الاسواق ، وانشاء طبقة بالتالي يزعم انها انفع طبقات السكان ، تتكون طبقة من الطفيليين ، طبقة من الكسالى الاجتماعيين الحقيقيين تأخذ القشطة من الانتاج الوطني والاجنبي على السواء ، مكافأة على خدماتها التافهة جداً في الواقع ، وتجنبي بسرعة الثروات الطائلة وما يرافقها من نفوذ في المجتمع ؛ ولهذا على وجه الضبط تحتل في عصر الحضارة مركزاً مشرفاً يتعاطم شأنه باستمرار وتخضع لنفسها اكثر فاكثر الانتاج ، الى ان تصنع بنفسها في آخر المطاف منتوجاً خاصاً بها ، ولعني به الازمات التجارية الدورية . صحيح ان طبقة التجار الناشئة في درجة التطور التي نتناولها بالبحث لا تخطر في بالها بعد اي فكرة عن القضايا الكبيرة التي ستقوم بها ولكنها تتكون وتغدو ضرورية ، وهذا يكفي ومعها تظهر النقود المعدنية ، النقود المسكوكة ، ومع النقود المعدنية وسيلة جديدة لسيطرة غير المنتجين على المنتجين ونتاجهم لقد اكتشفت بضاعة البضائع ، البضاعة التي تنطوي سراً وخفية على جميع البضائع الاخرى ، الطلمس الذي يستطيع حسب الطلب ان يتحول الى اي شيء كان ، مرغوب فيه وتمكن الرغبة فيه . ومن يملكه ، ساد على عالم الانتاج . ومن ذا الذي كان يملكه اكثر من اي آخر ؟ التاجر . وفي يده ، كانت عبادة

النقود في حرز حريز وقد أخذ على عاتقه ان يبين امام الملأ انه ينبغي على جميع البضائع وكذلك على جميع منتجها ان تفر ساجدة في التراب امام النقود . وقدم البرهان في الواقع على ان جميع الاشكال الاخرى للثروة ليست غير ظلال تجاه هذا التجسيد للثروة بوصفها ثروة ان سلطان النقود لم يتجل يوماً فيما بعد بمثل هذا الشكل البدائي من الخشونة والفظاظة والقساوة الذي تجل به في عهد شبابها . وبعد شراء البضائع مقابل النقود ، ظهر قرض النقود وظهرت معه الفائدة المئوية والربا . وما من تشريع من العهود اللاحقة كذف بالمدين امام اقدام الدائن المرابي بمثل القساوة والفظاظة اللتين نص عليهما التشريع في اينا القديمة وروما القديمة ؛ والحال ، نشأ هذا التشريع في اينا وفي روما بصورة عفوية ، من باب العرف والعادة ، وبحكم الضرورة الاقتصادية بوجه الحصر

والى جانب الثروة من البضائع والعبيد ، والى جانب الثروة النقدية ، ظهرت كذلك الثروة العقارية فان حق الافراد في امتلاك قطع الارض التي وضعتها العشيبة او القبيلة في البدء تحت تصرفهم قد ترسخ الآن الى حد ان هذه القطع اخذت تخصم كملك وراثي . ذلك انهم في الآونة الاخيرة بذلوا قصارى جهدهم لاجل تحرير قطع الارض من الحقوق التي كانت للمشاعة العشيرية عليها والتي اُمتست هوائق بالنسبة لهم . وقد تحرروا من هذه الهوائق ولكنهم سرعان ما تحرروا ايضا من ملكيتهم العقارية الجديدة . فان الملكية الكاملة والحررة للارض لا تعني امكانية امتلاكها بلا عائق وبلا قيد وحسب ، بل تعني ايضا امكانية التنازل منها وعندما كانت الارض ملك العشيبة ، فان هذه الامكانية لم تكن متوفرة . ولكن عندما خلق مالك الارض الجديد نهائياً هوائق

الملكية العليا للمشيخة والقبيلة ، فانه فعم ايضا العرى التي كانت تربطه بالارض ربطا محكماً . اما ما كان يعنيه ذلك ، فقد اوضحت له النقود التي تم اختراعها في آن واحد مع الملكية الخاصة للارض . فمن الآن وصاعداً ، صار من الممكن ان تغدو الارض بضاعة تباع وترهن وما كادت تقوم ملكية الارض حتى تم اختراع الرهن العقاري ايضا ( انظروا الى اثينا ) وكما ان الهيتيرية والبغاء يقتفیان اثر احادية الزواج ، كذلك يقتفي الرهن العقاري من الآن وصاعداً اثر الملكية العقارية بداب ومثابرة لقد اردتم ملكية الارض حرة كاملة ، يمكن التنازل عنها ، فخذوها اذن ، انها امامكم ولكم : tu l'as voulu, George Dandin !

وهكذا اذن ، مع توسع التجارة ، ومع النقود والربا ، ومع الملكية العقارية والرهن العقاري ، حدث بسرعة انحصار وتمركز الثروات في ايدي طبقة قليلة العدد ، كما اشتد في الوقت نفسه املاق الجماهير وتزايد عدد الفقراء . ولقد ازاحت الاريسقراطية الجديدة ، اريسقراطية الثروة ، الى المؤخرة نهائياً الاريسقراطية العشيرية القديمة ( في اثينا ، وفي روما ، وعند الجرمان ) ، هذا اذا كانت لم توافقها منذ البدء . والى جانب تقسيم الاحرار هذا الى طبقات وفقاً للثروة ، ازداد عدد العبيد زيادة هائلة . . . ولا

• - انت اردت هذا ، يا جورج داندن ! ( موليير . وجودج داندن )

الفصل الاول ، المشهد التاسع ) . الناشر .

• • عدد العبيد في اثينا راجع اعلاه ص ١١٧ ( في هذا المجلد ،

راجعوا ص ٢٢٤ . الناشر ) . ولقد بلغ عدد العبيد في مدينة كورنثية ، في

زمن ازدهارها ، نحو ٤٦٠ ، وفي مدينة ايجين نحو ٤٧٠ ؛ وفي

كلا الحالين كان يوازي عشرة امثال عدد المواطنين الاحرار .

سيما في اليونان ، اذ كان عملهم القسري يشكل الاساس الذي انتصب عليه البناء الفوقي للمجتمع باسره

لنر الآن ما حدث للنظام العشائري في سياق هذا الانقلاب الاجتماعي فقد كان عاجزاً تجاه العناصر الجديدة التي نشأت وتطورت بدون مشاركته فقد كان الشرط الاولي لوجوده ، ان يعيش اعضاء عشيرة واحدة او حتى قبيلة واحدة معا في ارض واحدة ، ان يسكنوها وحدهم بوجه الحصر . وقد زال هذا الوضع من زمان بعيد ففي كل مكان تخالطت العشائر والقبائل ؛ وفي كل مكان كان العبيد والمتمتعون بالحماية والاجانب يعيشون بين الاحرار . ان ثبات الاقامة ، الذي لم يتحقق الا في اواخر الطور الاوسط من البربرية ، كانت تنتهكه احيانا كثيرة التغييرات التي تطرأ في تركيب السكان وفي محلات السكن بسبب النشاط التجاري ، وتغيير وجوه العمل ، والتنازل عن ملكية الارض ولم يعد بمقدور اعضاء العشيرة ان يجتمعوا لبحث شؤونهم المشتركة بالذات ؛ الا بعض الشؤون التافهة ، مثل الطقوس الدينية ، ظلت تُدبّر بصورة مشتركة ، كيفما اتفق . والى جانب الحاجات والمصالح التي كانت الوحدات العشيرية مدعوة الى تأمينها ومكيفة لهذا الغرض ، ادى الانقلاب في شروط الانتاج والتغييرات التي استتبعها في التركيب الاجتماعي الى نشوء حاجات ومصالح جديدة ليست غريبة عن النظام العشائري القديم وحسب ، بل ايضا مضادة له في جميع الميادين ان مصالح الجماعات الحرفية التي نشأت بفضل تقسيم العمل ، والحاجات الخاصة بالمدينة على نقيض القرية ، كانت تقتضي هيئات جديدة ؛ ولكن كلا من هذه الجماعات كانت تتألف من اعضاء من مختلف العشائر والفراثريات والقبائل ، بل انها كانت تضم اجانب ايضا . ولهذا كان لا بد لهذه الهيئات ان تنبثق

خارج النظام العشائري ، الى جانبه ، وكذلك ضده . - وفي كل وحدة عشيرية ، كان هذا الاصطدام بين المصالح يبرز بدوره ؛ وقد بلغ ذروة حدته حيث كان ينبغي ان يكون الاغنياء والفقراء ، الدائنون والمديون متحدين في العشيرة نفسها وفي القبيلة نفسها . - اذف الى ذلك جمهرة السكان الجدد ، الغرباء عن الوحدات العشيرية ؛ وقد كان بوسع هذه الجمهرة ان تصبح قوة في البلد كما كان الحال في روما ، ناهيك بانها كانت كثيرة العدد بحيث انه لم يكن بمقدورها ان تندمج شيئاً فشيئاً في العشائر والقبائل القائمة على اساس قرابة الدم . وتجاه هذه الجمهرة ، انتصبت الوحدات العشيرية كهيئات مغلقة ذات امتيازات فان الديمقراطية البدائية والعفوية كانت قد تحولت الى اريستقراطية مكروهة . - واخيراً كان النظام العشائري قد انبثق من مجتمع لا يعرف اي متضادات داخلية ، وكان مكيفاً لهذا المجتمع وحده ولم يكن لديه اي وسيلة للقسر غير الرأي العام اما هنا فقد انبثق مجتمع كان لا بد له ، بحكم جميع ظروف حياته الاقتصادية ، ان ينقسم الى احرار وعبيد ، الى مستثمرين اغنياء ومستثمرين فقراء ، - مجتمع لم يكن بوسعه ان يوفق من جديد بين هذه المتضادات ، وليس هذا وحسب ، بل كان لا بد له ايضاً ان يؤزمها اكثر فاكثر وهذا المجتمع لم يكن من الممكن ان يعيش الا في غمرة صراع سافر لا انقطاع فيه بين هذه الطبقات ، او تحت سيطرة قوة ثالثة تقف في الظاهر فوق الطبقات المتصارعة وتقمع اصطداماتها السافرة وتجزئ الصراع الطبقي ، اذا اجازته ، في الميدان الاقتصادي وحده ، وبصورة يقال بانها شرعية لقد عاش النظام العشيري دهره فقد حطمه تقسيم العمل ونتيجته ، انقسام المجتمع الى طبقات . ومحلله حلت الدولة .

لقد درسنا اعلاه بالتفصيل الاشكال الرئيسية الثلاثة التي تنتصب بها الدولة على انقاض النظام العشري ان اينما هي الشكل الانقى ، الكلاسيكي الصرف : فالدولة هنا تنبثق مباشرة وعلى الاغلب من المتضادات الطبقيه المتطورة داخل المجتمع العشري نفسه وفي روما يتحول المجتمع العشري الى اريستقراطية مغلقة تحيط بها طبقة plebs العوام الكثيرة المدد ، القائمة خارج هذا المجتمع ، المحرومة من الحقوق ، ولكن المحملة بالواجبات ؛ وانتصار طبقة العوام يقوض النظام العشري القديم ، وعلى انقاضه يشيد الدولة التي سرعان ما تذوب فيها تماما الاريسقراطية العشرية وطبقة العوام على السواء . واخيراً تنبثق الدولة عند الجرمان الذين انتصروا على الامبراطورية الرومانية ، كنتيجة مباشرة لفتح مناطق شاسعة من اراضي الغير ، لا يوفر النظام العشري اي وسيلة للسيطرة عليها ولكن بما ان هذا الفتح لا يرتبط باي نضال جدي ضد السكان السابقين ولا بتقسيم للعمل اكثر رقياً ، وبما ان مستوى التطور الاقتصادي واحد تقريباً عند الشعوب المغلوبة والغالبة ، وبما ان الاساس الاقتصادي للمجتمع يبقى بالتالي هو هو ، فان النظام العشري السابق يستطيع ان يبقى ويستمر خلال قرون بكاملها ، بشكل معدل ، اقليمي ، في نظام المارك ؛ وحتى ان ينبعث لفترة من الزمن ، بشكل اضعف ، في العشائر النبيلة والعائلات الباريسية ( الإريستقراطية ) اللاحقة ، وحتى في العشائر الفلاحية ، كما كان الحال مثلاً في ديتمارشن \*

\* كان نيبور اول مؤرخ كانت عنده فكرة ، وان تقريبيه ، من جوهر العشرة . وهو مدين بذلك لمعرفة عشائر ديتمارشن (١٥٥) كما هو مدين لها باخطائه الماخوذة مباشرة منها .

وهكذا ، ليست الدولة بحال قوة مفروضة على المجتمع من خارجه والدولة ليست كذلك وواقع الفكرة الاخلاقية ، وصوره وواقع العقل ، كما يدعي هيغل (١٥٦) الدولة هي نتاج المجتمع عند درجة معينة من تطوره ؛ الدولة هي افصاح عن واقع ان هذا المجتمع قد وقع في تناقض مع ذاته لا يمكنه حله ، عن واقع ان هذا المجتمع قد انقسم الى متضادات مستعصية هو عاجز عن الخلاص منها . ولكي لا تقوم هذه المتضادات ، هذه الطبقات ذات المصالح الاقتصادية المتنافرة ، بالتهام بعضها بعضاً والمجتمع في نضال عقيم ، لهذا اقتضى الامر قوة تقف في الظاهر فوق المجتمع ، قوة تطف الاضطدام وتبقيه ضمن حدود «النظام» . ان هذه القوة المنبثقة من المجتمع والتي تضع نفسها ، مع ذلك ، فوقه وتنفصل عنه اكثر فاكثر هي الدولة .

وبالمقارنة مع التنظيم العشائري القديم ، تتميز الدولة اولا بتقسيم رعايا الدولة بموجب تقسيم الاراضي . فان الوحدات العشائرية القديمة ، التي انبثقت واستمرت بفضل روابط الدم ، لم تعد تكفي ، كما سبق ورأينا ، وذلك بدرجة كبيرة لان شرط وجودها ، وهو ارتباط اعضاء العشيرة برقعة معينة من الارض ، قد زال من زمان بعيد لقد بقيت رقعة الارض ، ولكن الناس صاروا يتنقلون ولهذا اتخذ تقسيم الاراضي اي التقسيم الاقليمي ، نقطة انطلاق ، واتيح المجال امام المواطنين لممارسة حقوقهم وواجباتهم العامة حيث يقيمون بصرف النظر عن العشيرة والقبيلة ان تنظيم المواطنين هذا حسب مكان الاقامة معمول به في جميع الدول ولهذا يبدو لنا طبيعياً ولكننا رأينا اي تضال عنيد ومديد تطلب قبل ان يتمكن من الحلول في ائينا وروما محل التنظيم القديم حسب العشائر .

والسمة المميزة الثانية هي تأسيس السلطة العامة التي لم تعد تنسجم مباشرة مع السكان المنظمين انفسهم بانفسهم في قوة مسلحة . وهذه السلطة العامة المميزة ضرورية لان منظمة السكان المسلحة العاملة من نفسها قد غدت امراً مستحيلاً منذ انقسام المجتمع الى طبقات ان العبيد يشكلون هم ايضاً جزءاً من السكان . وتجاه ٣٦٥٠٠٠٠ عبد ، لا يولف مواطنو اينا الـ ٩٠٠٠٠٠ غير طبقة ذات امتيازات والجيش الشعبي في الديمقراطية الاينية كان سلطة عامة اريستقراطية موجهة ضد العبيد ، وكان يعمل على ضمان طاعتهم وخضوعهم ولكنه تبين ، كما سبق وقلنا اعلاه ، انه لا بد من درك لاجل ضمان طاعة وخضوع المواطنين ايضاً . وتوجد هذه السلطة العامة في كل دولة وهي لا تتألف فقط من رجال مسلحين ، بل كذلك من ملاحق مادية ، من السجون ومختلف مؤسسات القصر التي كانت مجهولة في المجتمع المنظم على اساس العشائر . وقد تكون هذه السلطة العامة تافهة جداً ، وغير ملحوظة تقريباً في المجتمعات التي لم تتطور فيها بعد المتضادات الطبقيه وفي المناطق النائية ، كما يلاحظ ذلك احياناً هنا وهناك في الولايات المتحدة الاميركية . وتتقوى السلطة العامة بمقدار ما تتفاهم التناقضات الطبقيه في داخل الدولة وبمقدار ما تزداد الدول المتلاصقة مساحة وسكاناً انظروا على الاقل الى لوروبا الراهنة حيث رفع النضال الطبقي والتنافس على الفتوحات السلطة العامة الى مستوى غدت معه تهدد بابتلاع المجتمع برتمته بما فيه الدولة نفسها .

ولاجل تمويل هذه السلطة العامة ، لا بد من مساهمة المواطنين ، اي لا بد من الضرائب . لقد كان المجتمع العشائري يجهل كلياً الضرائب . ولكننا نعرفها الآن جيداً جداً . بل انها لم



تعد تكفي ، نظراً لتطور الحضارة فان الدولة تصدر السندات على المستقبل ، وتعقد القروض ، اي ديون الدولة . وفي هذا المجال ، تعرف اوروبا المعجوز الكثير

ان الموظفين ، اذ يتمتعون بالسلطة العامة وبحق جباية الضرائب باعتبارهم هيئات المجتمع ، يصبحون فوق المجتمع فالاحترام الطوعي الاختياري الذي كان يمحض لهيئات مجتمع العشائر لم يعد يكفيهم حق فيما لو كان باستطاعتهم اكتسابه فهم اذ يملكون سلطة تفدو غريبة عن المجتمع ، انما يتعين عليهم ان يسعوا الى نيل الاحترام لانفسهم بقوانين استثنائية يتمتعون بفضلها بقداسة خاصة وحصانة خاصة فلاحقر شرطي في الدولة المتمدنة «سلطان» يفوق سلطان جميع هيئات المجتمع العشائري معا ؛ ولكن بوسع اقوى ملك واكبر رجل دولة او قائد عسكري من عصر الحضارة ان يغطوا ابسط شيخ عشيرة على ما يلقاه من احترام اكيد لم يفرض بالعصا فان شيخ العشيرة هو في قلب المجتمع بينا الاولون مضطرون الى بذل الجهود لكي يمثلوا شيئاً خارجه وفوقه

وبما ان الدولة قد نشأت من الحاجة الى لجم تضاد الطبقات ، وبما انها قد نشأت في الوقت نفسه ضمن الاصطدامات بين هذه الطبقات ، فهي كقاعدة عامة دولة الطبقة الاقوى السائدة اقتصادياً والتي تصبح عن طريق الدولة الطبقة السائدة سياسياً ايضاً وتكتسب على هذه الصورة وسائل جديدة لقمع الطبقة المظلومة واستثمارها . فان الدولة القديمة كانت ، قبل كل شيء ، دولة مالكي العبيد لقمع العبيد ، الدولة الاقطاعية هيئة النبلاء لقمع الفلاحين التابعين والاقنان ؛ كذلك الدولة التمثيلية الحديثة هي اداة لاستثمار العمل المأجور من قبل رأس المال . ومع ذلك

فثمة ، كحالات استثنائية ، مراحل تبلغ فيها الطبقات المتناضلة درجة من توازن القوى تنال معها سلطة الدولة لفترة معينة نوعا من الاستقلال حيال الطبقتين ، مظهر وسيط بينهما هكذا كان الحكم الملكي المطلق في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، اذ كان يحافظ على التوازن بين النبلاء والبرجوازية في النضال القائم بينهما ؛ وهكذا كانت البونابرتية في الامبراطورية الاولى ولا سيما في الامبراطورية الثانية في فرنسا ، اذ كانت تحرض البروليتاريا على البرجوازية والبرجوازية على البروليتاريا واحداث انجاز في هذا المضمار يبدو معه الحاكمون والمحكومون بشكل مضحك بالقدر نفسه ، اتما هو الامبراطورية الالمانية الجديدة ذات الامة البسماركية : فهنا يحافظ على التوازن بين الراسماليين والعمال ، المتضادين فيما بينهم ، وجميعهم يتعرضون بالقدر نفسه للفسخ والخداع لما فيه مصلحة اليونكر ( الاقطاعيين ) البروسيين النائين المفتقرين

وعلاوة على ذلك ، تقاس الحقوق الممنوحة للمواطنين في اغلبيية الدول المعروفة في التاريخ بما يملكونه ، وهذا ما يبين صراحة ان الدولة انما هي منظمة الطبقة المالكة لاجل حمايتها من الطبقة غير المالكة . هكذا كان الحال في اينا وروما حيث كان السكان مقسمين فئات فئات تبعا لما يملكوته . وهكذا كان الحال في الدولة الاقطاعية في القرون الوسطى حيث كانت درجة النفوذ السياسي تقاس بمقاييس ملكية الارض وهذا ما يجد كذلك تعبيراً عنه في النصاب الانتخابي في الدول التمثيلية الحديثة ولكن هذا الاعتراف السياسي بفوارق الملكية ليس جوهرياً على الاطلاق . بل بالعكس . فهو يميز الدرجة الدنيا من تطور الدولة . ان الشكل الاهل للدولة ، الجمهورية الديمقراطية ، التي تصبح

في ظروفنا الاجتماعية الراهنة ضرورة محتمة اكثر فاكثر والتي تمثل شكلا للدولة لا يمكن الا في ظل السير بالنضال الحاسم الاخير بين البروليتاريا والبرجوازية الى النهاية ، - ان هذه الجمهورية الديموقراطية لا تعرف رسميا اي شيء عن الفوارق من حيث الثروة ففيها تمارس الثروة سلطتها بصورة غير مباشرة ولكن بالشكل الاضمن : من جهة ، عن طريق الرشوة المباشرة للموظفين ، (واميركا مثال كلاسيكي في هذا المجال) ، ومن جهة اخرى عن طريق التحالف بين الحكومة والبورصة الذي يتحقق بسهولة تزداد بقدر ما تتعاطم ديون الدولة ويقدر ما تركز الشركات المساهمة في ايديها ، لا النقليات وحسب ، بل ايضا الانتاج نفسه ، وتجعل من البورصة ذاتها مركزا لها . وعدا اميركا ، تقدم الجمهورية الفرنسية الجديدة مثالا ساطعا على ذلك ؛ بل ان سويسرا المتأدبة اسهمت بقسطها في هذا المجال اما ان الجمهورية الديموقراطية ليست ضرورية ابدا لمثل هذا الاتحاد الاخرى بين الحكومة والبورصة ، فهذا ما تشبته ، فضلا عن انجلترا ، الامبراطورية الالمانية الجديدة حيث لا يمكن القول ايا من بيسمارك وبليخرودر رفعه حق الانتخاب العام اعلى من الاخر واخيرا ، تسيطر الطبقة المالكة مباشرة بواسطة حق الانتخاب العام . وما دامت الطبقة المظلومة ، - وهي هنا بالتالي البروليتاريا ، - لم تنضج لاجل تحرير نفسها بنفسها ، فانها ستعترف باغلبيتها بالنظام الاجتماعي القائم ، النظام الممكن الوحيد وتسر سياسيا في ذيل طبقة الراسماليين وتشكل جناحها اليساري المتطرف ولكنها بقدر ما تنضج لاجل تحرير نفسها بنفسها ، تنتظم في حزب خاص بها وتنتخب ممثلين عنها بالذات ، لا ممثلي الراسماليين . ان حق الانتخاب العام هو دليل نضج الطبقة العاملة ولا يمكنه قط ان يكون ولن يكون اكثر من ذلك في الدولة

الراهنة . ولكن هذا يكفي . ويوم يشير ميزان حرارة حق الانتخاب العام الى درجة الغليان عند العمال ، فانهم ، مثلهم مثل الراسماليين ، سيعرفون ما يفعلونه .

وهكذا فالدولة لم توجد منذ الازل فقد وجدت مجتمعات كانت في غنى عن الدولة ولم يكن لديها اية فكرة عن الدولة وسلطة الدولة . وعندما بلغ التطور الاقتصادي درجة معينة اقترنت بالضرورة بانقسام المجتمع الى طبقات ، غدت الدولة بحكم هذا الانقسام امراً ضرورياً . ونحن نقرب الآن بخطوات سريعة من درجة في تطور الانتاج لا يكف عندها وجود هذه الطبقات عن ان يكون ضرورة وحسب ، بل ويصبح عائقاً مباشراً للانتاج . وستزول الطبقات بالضرورة كما نشأت في الماضي بالضرورة . ومع زوال الطبقات ستزول الدولة بالضرورة . والمجتمع الذي ينظم الانتاج تنظيمياً جديداً على اساس اتحاد المنتجين بحرية وعلى قدم المساواة ، سيرسل آلة الدولة باكملها الى حيث ينبغي ان تكون حينذاك الى متحف العاديات بجانب المفزل البدائي والفاس البرونزية

\* \* \*

ان الحضارة ، حسبما عرضناه آنفاً ، هي اذن تلك الدرجة من تطور المجتمع التي يبلغ فيها تقسيم العمل ، والتبادل الناجم عنه بين الافراد ، والانتاج البضاعي الذي يجمع هاتين الظاهرتين ، الازدهار التام ، وتؤدي فيها هذه العوامل الثلاثة الى انقلاب في عموم المجتمع السابق

في جميع درجات تطور المجتمع السابقة ، كان الانتاج ، من حيث الجوهر ، جماعياً ، كما ان الاستهلاك كان يقتصر على توزيع

المنتجات مباشرة داخل الجماعات الشيوعية ، المتفاوتة الحجم وكانت جماعية الانتاج هذه تقوم ضمن اضيق الاطارات ، ولكنها استتبعت سيادة المنتجين على عملية الانتاج وعلى حاصل الانتاج . وهم يعرفون ما يحدث للمنتج : انهم يستهلكونه ، وهو لا يخرج من ايديهم ؛ وما دام الانتاج يجري على هذا الاساس ، فلا يسعه ان يتخطى رقابة المنتجين ، لا يسعه ان يولد قوى سرية ، غريبة عنهم ، كما هو الحال دائما وبلا مرد في عصر الحضارة ولكن تقسيم العمل يتغلغل ببطء في عملية الانتاج هذه ، وينسف جماعية الانتاج والامتلاك ، ويجعل من امتلاك الافراد قاعدة مهيمنة ، ويولد بالتالي التبادل بين الافراد ؛ - ولقد درسنا اعلاه كيف يحدث هذا . ان الانتاج البضاعي يذو تدريجيا الشكل السائد

وفي ظل الانتاج البضاعي ، اي الانتاج من اجل التبادل لا من اجل الاستهلاك الشخصي كما من قبل ، تنتقل المنتجات بالضرورة من يد الى يد وعند التبادل ، يتنازل المنتج عن منتوجه وهو لا يعرف ماذا سيحل بمنتوجه وما ان تظهر النقود وتقوم بدور الوسيط بين المنتجين ، وما ان يظهر التاجر مع ظهور النقود ، حتى تغدو عملية التبادل اكثر تشوشا ، ويمسي مصير المنتجات النهائي اشد غموضا فالتجار كثيرون ، وما من احد منهم يعرف ما يفعله الآخرون . ومن الآن وصاعداً تنتقل البضائع ، لا من يد الى يد وحسب ، بل ايضا من سوق الى سوق . لقد فقد المنتجون سلطانهم على كل انتاج ظروف حياتهم بالذات ، ولكن هذا السلطان لم ينتقل الى التجار . ان المنتجات والانتاج تخضع لسلطان الصدفة .

ولكن الصدفة ليست غير احد قطبي كل واحد يسمى قطبه

الثاني الضرورة . وفي الطبيعة حيث يبدو ايضاً كان الصدفة هي السائدة ، ألبتنا من زمان بعيد ، في كل ميدان بمفرده ، وجود ضرورة داخلية وقانون ملازم يشقان لنفسيهما طريقاً في اطار هذه الصدفة . ولكن ما يسري مفعوله بالنسبة للطبيعة ، يسري كذلك مفعوله بالنسبة للمجتمع . وبقدر ما يفلت نشاط اجتماعي ما ، عدد كامل من الوقائع الاجتماعية من مراقبة الناس الواعية ويخرج من تحت سلطانهم ، وبقدر ما يبدو هذا النشاط متروكاً للصدفة الصرف ، بقدر ما تشق القوانين الداخلية الملازمة له لنفسها طريقاً في اطار هذه الصدفة بحكم الضرورة الطبيعية وامثال هذه القوانين تسيطر ايضاً على المصادفات في انتاج البضائع وتبادل البضائع : فهي تنتصب في وجه المنتج الفرد والمشارك الفرد في التبادل ائبه بقوى غريبة غير مفهومة في البدء ، ولا يزال ينبغي تمحيص ومعرفة طبيعتها ان قوانين الانتاج البضاعي الاقتصادية هذه تتغير في مختلف درجات تطور هذا الشكل من اشكال الانتاج ، ولكن مرحلة الحضارة تجري كلها بالاجمال تحت سيطرتها . وفي ايماننا ايضاً ، يسيطر المنتج على المنتج ؛ وفي ايماننا ايضاً ، يُضبط الانتاج الاجتماعي كله ، لا حسب خطة موضوعة بصورة مشتركة ، بل بفعل قوانين عمياء تفرض نفسها كقوة عفوية ، في آخر المطاف ، وذلك في عواصف الازمات التجارية الدورية .

لقد رأينا ان قوة عمل الانسان في درجة باكرة نسبياً من تطور الانتاج تغدو قادرة على اعطاء كمية من المنتجات تزيد بصورة ملحوظة عما هو ضروري لعيش المنتج ، وان هذه الدرجة من التطور انما هي اساساً نفس الدرجة التي يظهر فيها تقسيم العمل والتبادل بين الافراد . وقد تطلب الامر الآن القليل من الوقت

لاكتشاف هذه «الحقيقة» الكبرى القائلة ان الانسان ايضا يمكن ان يكون بضاعة ، وانه يمكن مبادلة واستهلاك قوة الانسان ، اذا تم تحويل الانسان الى عبد . وما كاد الناس يشعرون في ممارسة التبادل حتى غدوا هم بالذات سلعة للتبادل لقد تحول المعلوم الى مجهول ، سواء شاء الناس ام ابوا

ومع ظهور العبودية التي بلغت في عصر الحضارة اهل درجات تطورها ، حدث اول انقسام كبير في المجتمع الى طبقة مستثمرة وطبقة مستثمرة . وقد دام هذا الانقسام خلال كل مرحلة الحضارة . ان العبودية هي الشكل الاول للاستثمار ، الشكل الملازم للعالم القديم ؛ واثرا جاءت : القناة في القرون الوسطى ، والعمل المأجور في الازمنة الحديثة . هذه هي اشكال الاستعباد الكبرى الثلاثة التي تتميز بها عهود الحضارة الكبرى الثلاثة ؛ ان العبودية السافرة في البدء ، والمموهة منذ امد قصير ، ترافق دائما الحضارة .

ان درجة الانتاج البضاعي التي تبدأ منها الحضارة تتصف اقتصاديا بظهور : ١- النقود المعدنية ، ومعها الرأسمال النقدي والفائدة المئوية والربا ؛ ٢- والتجار كطبقة وسيطة بين المنتجين ؛ ٣- والملكية الخاصة للارض والرهن العقاري ؛ ٤- وعمل العبيد بوصفه الشكل السائد بين اشكال الانتاج . ان شكل العائلة الجديد الذي يناسب الحضارة والذي يؤكد سيادته معها نهائيا هو الزواج الاحادي ، سيادة الرجل على المرأة ، والعائلة الفردية بوصفها وحدة اقتصادية في المجتمع . ان قوة الوصل في المجتمع المتحضر انما هي الدولة التي هي في جميع المراحل النموذجية دولة الطبقة السائدة وحدها دون غيرها ، والتي تبقى في جميع الاحوال ، من حيث جوهر الامر ، آلة لقمع الطبقة المستثمرة ، المظلومة . كذلك تتميز الحضارة بما يلي : من جهة ، توطيد التضاد بين المدينة

والقرية ، بوصفه اساس كل التقسيم الاجتماعي للعمل ؛ ومن جهة اخرى ، ادخال الوصية التي يستطيع بها المالك ان يتصرف بملكته حتى بعد موته ان هذه المؤسسة التي تناقض النظام العشائري القديم كانت مجهولة في اينا قبل سولون اما في روما ، فقد اصبحت سارية المفعول في طور ابكر ، ولكننا لا نعرف بالضبط متى . وعند الجرمان ، طبقها الكهنة لكي يستطيع الالمانى الصالح ان يوصي بلا عائق بتركته للكنيسة

ان الحضارة القائمة على هذه الدعائم قد حققت امورا كان المجتمع العشري القديم عاجزا كليا عن القيام بها . ولكنها حققتها بتحريك احط غرائز الناس وشهواتهم ، وبانماها بما فيه ضرر مؤهلاتهم الاخرى . فان الجشع السافل كان القوة المحركة للحضارة منذ اول يومها حتى الآن ؛ الثروة ، والثروة ايضا ، والثروة دائما ،

• نظام الحقوق المكتسبة الذي وضعه لاسال يدور في نسبه الثاني بصورة رئيسية حول الموضوعة القائلة ان الوصية الرومانية قديمة بقدم روما نفسها وانه لا يوجد ابدأ في تاريخ روما و زمن بلا وصية وان الوصية ظهرت من عبادة الموتى ، حتى قبل ظهور روما . ان لاسال بوصفه هيغليا قديما قويا ، لا يستخلص الاحكام القانونية الرومانية من علاقات الرومانيين الاجتماعية ، بل من مفهوم تاملي من ال ارادة ، وهذا ما يؤدي به الى الوم المذكور اعلاه الذي يناقض التاريخ كليا . ولا غرابة ان نجد هذا في كتاب يخلص مؤلفه ، استنادا الى المفهوم التاملي ذاته ، الى استنتاج مفاده ان نقل الاموال في حال الوراثة كان عند الرومانيين امرا ثانويا تماما . ان لاسال لا يصدق اوهام الحقوقيين الرومان وحسب ، ولا سيما منهم من جاؤوا في المراحل الاولى من روما ، بل يبالغ ايضا في هذه ال اوهام .



ولكن لا ثروة المجتمع ، بل ثروة هذا الفرد الحقيير المنفرد ، وهدفه الوحيد ، العاسم . واذا كان العلم قد تطور اكثر فاكثر في احشاء هذا المجتمع وتكررت المراحل التي بلغ فيها الفن ذروة الازدهار ، فذلك لسبب واحد فقط ، هو انه لولاها لاستحالت جميع منجزات زمننا في ميدان تراكم الثروة .

وبما ان استثمار طبقة لطبقة اخرى هو اساس الحضارة ، فان كل تطورها يجري في غمار تناقض دائم . فان كل خطوة الى الامام في مضمار الانتاج تعني في الوقت نفسه خطوة الى الوراء فيما يتعلق باوضاع الطبقة المظلومة ، اي الاغلبية الهائلة . وكل خير لبعضهم هو بالضرورة شر لبعضهم الاخر ، وكل تحرر جديد لطبقة يعني اضطهاداً جديداً لطبقة اخرى واسطع مثال على هذا انما هو استعمال الآلات الذي يعرف الجميع الآن عواقبه . ولئن كان من المتعذر لو يكاد عند البرابرة التمييز بين الحقوق والواجبات ، كما سبق ورأينا ، فان الحضارة تبين بوضوح ، حتى للغبى المطلق ، الفرق والتضاد بين الحقوق والواجبات ، وذلك بمنحها طبقة جميع الحقوق تقريباً وبالقائها جميع الواجبات تقريباً على الطبقة الاخرى . ولكنه لا ينبغي ان يكون ذلك فما هو صالح للطبقة السائدة ، انما ينبغي ان يكون صالحاً ايضاً للمجتمع كله الذي تعتبر الطبقة السائدة انه صورتها ومثالها ولهذا ، بقدر ما تسير الحضارة الى امام ، بقدر ما تضطر الى ان تغطي بارديسة الحب الظاهرات السلبية التي تولدها بصورة محتمة لا مناص منها ، وان تظليها بالمساحيق او ان تنكرها بصفاقة ، - وبكلمة ، ان تضع موضع التطبيق نفاقاً عاماً لم تعرفه لا اشكال المجتمع السابقة ، ولا حتى الطوران الاولان من الحضارة ، نفاقاً يبلغ في آخر المطاف ذروته في الزعم القائل ان الطبقة المستثمرة لا تستثمر الطبقة

المظلومة الا في مصلحة الطبقة المستثمرة وحدها ؛ واذا كانت هذه الاخيرة لا تفهم ذلك ، واذا ذهبت الى حد التمرد ، فان سلوكها هذا اسوا من جزاء سينمار تجاه المحسنين اليها اي تجاه مستثمريها .  
وغتاما ، اليكم رأي مورغان في الحضارة :

ومنذ ظهور الحضارة ، غذا نمو الثروة على درجة من الضخامة ،  
واشكالها على درجة من التنوع ، واستعمالها على درجة من الاتساع ،  
وادارتها في مصلحة المالكين على درجة من المهارة ، بحيث ان هذه  
الثروة أصبحت قوة لا تقهر ، تجاه الشعب . ان الطغاة البشري يقف حائرا  
لقدرة افعال صنيعته بالذوات . ولكنه سيأتي مع ذلك زمن يبلغ فيه العقل  
البشري من القوة والقدرة ما يمكنه من السيطرة على الثروة ، ويقرر فيه  
على السواء موقف الدولة من الملكية التي تحميها الدولة ، وحدود حقوق  
المالكين لا ريب ان مصالح المجتمع تعمل على مصالح الافراد ، وينبغي  
اقامة علاقات عادلة ومتناسقة بين هذه وتلك ان مجرد السعي وراء  
الثروة ليس هدف البشرية النهائي اذا ظل التقدم قانون المستقبل كما كان  
قانون الماضي ان الزمن الذي تصرف منذ فجر الحضارة انما هو جزء

\* كنت انوي في البدء ان اورد نقد الحضارة الباهر الذي عرضته  
شارل فوريه بصورة متفرقة في مؤلفاته ال جانب نقد مورغان ولقدي  
انا . ولكن ، مع الاسف ، لا وقت عندي لذلك . انما اكتفي بالاشارة الى  
ان احادية الزواج وملكية الارض هما ، بنظر فوريه ، علامتا الحضارة  
المميزتان ، وان فوريه ينعت الحضارة بحرب الاغنياء ضد الفقراء . كذلك نجد  
عنده فهما عميقا لكون العائلات الفردية ( les familles incohérentes )  
( العائلات غير المترابطة ) هي الوحدات الاقتصادية في جميع المجتمعات  
العابثة التي تمرقها التناقضات .

تأفه من الزمن الذي عاشته البشرية ، جزء تأفه من الزمن الذي ستميشه ان هلاك المجتمع ينتصب امامنا مهدداً بوصفه خاتمة مرحلة تاريخية تشكل الثروة هدفها النهائي الوحيد ؛ لان هذه المرحلة تنطوي على عناصر دمارها بالذات . ان الديمقراطية في الادارة ، والاخاء في المجتمع ، والمساواة في الحقوق ، والتعليم العام ، كل هذا سيقدم المرحلة التالية ، العليا من المجتمع التي يسمى اليها الاختبار والمقل والعلم على الدوام وستكون بمثابة انبعاث - ولكن بشكل ارقى - للحرية والمساواة والاخاء في العوائل القديمة» ( مورغان «المجتمع القديم» ، ص ٥٥٢ ) \*

كتب بين اواخر آذار ( مارس ) و٢٦ يصدر حسب نص الطبعة  
ايار ( مايو ) ١٨٨٤ الالمانية الرابعة لعام ١٨٩١  
صدر في كتاب على حدة في زوريخ ،  
عام ١٨٨٤  
التوقيع : فريدريك انجلس

\* راجع كذلك «ارشيف ماركس وانجلس» ، الطبعة الروسية ،

المجلد ٩ ، ص ص ٥٦-٥٧ . الناشر .



## ملاحظات

١- هذا المقال ، كان من المقصود منه في بادى الامر ان يكون بمثابة مقدمة لبحث اوسع عنوانه «اشكال الرق الثلاثة» ولكن بما ان القصد لم يتحقق ، فقد اعطى انجلس في آخر المطاف القسم الذي كتبه على سبيل المقدمة العنوان التالي «دور العمل في تحول القرود الى انسان» وفي هذه المقدمة ، يوضح انجلس الدور الحاسم الذي يضطلع به العمل ونتاج الادوات في تكوين النموذج الجسدي للانسان وفي تشكيل المجتمع البشري ، ويبين كيف نشأ وتطور من الجد القريب من القرود كائن مختلف عنه اختلافا نوعيا هو الانسان ، وذلك بنتيجة تطور تاريخي مديد . - ص ٥ .

٢- راجع كتاب داروين The Descent of Man and Selection in Relation to sex ( واصل الانسان والانتخاب حسب الجنس ) ، الصادر في لندن في ١٨٧١ . - ص ٥ .

٣- المقصود هنا الازمة الاقتصادية العالمية التي نشبت في ١٨٧٣ وقد ابتدأت الازمة في المانيا ب«افلاس هائل» في ايار (مايو) ١٨٧٣ ، كان فاتحة ازمة طويلة دامت حتى اواخر السبعينيات . - ص ٢٤

٤- «Rheinische Zeitung für Politik, Handel und Gewerbe» - ( والجريدة الرينانية في شؤون السياسة والتجارة والصناعة ) ، جريدة يومية . صدرت في كولونيا من اول كانون الثاني (يناير) ١٨٤٢ الى ٢١ آذار (مارس) ١٨٤٣ ابتداء من ليسان (ابريل) ١٨٤٢ ، عاون ماركس في الجريدة ، وابتداء من تشرين الاول (اكتوبر) من السنة ذاتها ، اصبح احد محرريها . - ص ٢٥ .

٥ - «Kölnische Zeitung» ( وكونيشه زايتونسخ ) - وجريدة (كولونيا) ، جريدة يومية المانية ، صدرت بهذا الاسم في مدينة كولونيا ابتداء من عام ١٨٠٢ في مرحلة ثورة ١٨٤٨-١٨٤٩ ومرحلة الردة الرجعية التي عقبها ، عكست سياسة الخيانة والجبن التي انتهجتها البرجوازية الليبرالية البروسية في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، ارتبطت بالحزب الليبرالي القومي . - ص ٢٦

٦ - «Deutsch-Französische Jahrbücher» ( والحولية الألمانية-الفرنسية ) ، صدرت باللغة الألمانية في باريس بتحرير ماركس وروغه ولم يصدر منها غير عدد واحد مزدوج ، وذلك في شهر شباط (فبراير) ١٨٤٤ وقد احتوى مؤلفات لماركس وانجلس تسجل انتقالهما نهائياً الى المادية والشيوعية اما السبب الرئيسي لوقف اصدار المجلة فهو الخلافات المبدئية بين ماركس وروغه الراديكالي البرجوازي . - ص ٢٦

٧ - تحت ضغط الحكومة البروسية ، اصدرت الحكومة الفرنسية في ١٦ كانون الثاني (يناير) ١٨٤٥ امراً بنفي ماركس من فرنسا . - ص ٢٧

٨ - «رابطة العمال الالمان بروكسل» ، اسسها ماركس وانجلس في اواخر آب (اغسطس) ١٨٤٧ من اجل تنوير وتثقيف العمال الالمان المقيمين في بلجيكا سياسياً ، ومن اجل ترويج افكار الشيوعية العلمية بينهم بقيادة ماركس وانجلس وانصارهما ، غدت الرابطة مركزاً طليئاً لتوحيد البروليتاريين الثوريين الالمان في بلجيكا انضمت خيرة عناصر الرابطة الى محفل عصبة الشيوعيين في بروكسل . بعد ثورة شباط (فبراير) البرجوازية في فرنسا في عام ١٨٤٨ بفترة وجيزة توقف نشاط رابطة العمال الالمان بروكسل نظراً لاعتقال ونفي اعضائها من قبل البوليس البلجيكي . - ص ٢٧

٩ - «Deutsche-Brüsseler-Zeitung» ( والجريدة الألمانية-البروكسلية ) ، اسسها المهاجرون السياسيون الالمان في بروكسل . صدرت من كانون الثاني (يناير) ١٨٤٧ الى شباط (فبراير) ١٨٤٨ . ابتداء

من ايلول (سبتمبر) ١٨٤٧ ، اصبح ماركس وانجلس معاونين دائمين في  
الجريدة وأثرا مباشرة في اتجاهها بافراف ماركس وانجلس ، غدت  
الجريدة لسان حال عصبة الشيوعيين .- ٢٨

#### ١٠- «Neue Rheinische Zeitung. Organ der Demokratie»

(والجريدة الرينانية الجديدة لسان حال الديموقراطية) ، صدرت  
يومية في كولونيا بتحرير ماركس من اول حزيران (يونيو) ١٨٤٨ الى  
١٩ ايار (مايو) ١٨٤٩ كان المجلس عضواً في هيئة تحريرها .- ص  
٢٩

١١- انتفاضة حزيران ، انتفاضة باسلة قام بها عمال باريس من  
٢٢ الى ٢٦ حزيران (يونيو) ١٨٤٨ ، وقمعتها البرجوازية الفرنسية  
بضراوة خارقة كانت هذه الانتفاضة اول حرب اهلية كبيرة في التاريخ  
بين البروليتاريا والبرجوازية .- ص ٢٩

#### ١٢- «Kreuz-Zeitung» (والجريدة الصليبية) هكذا اسميت

(بسبب رسم شعار اللاندر اي الصليب في العنوان) الجريدة اليومية  
الالمانية "Neue Preußische Zeitung" (والجريدة البروسية الجديدة) ؛  
صدرت في برلين من حزيران (يونيو) ١٨٤٨ حتى عام ١٩٢٩ كانت  
لسان حال طفمة البلاط المعادية للثورة وطبقة اليونكر البروسيين .- ص  
٢٩

#### ١٣- «Neue Rheinische Zeitung. Politisch-ökonomische

Review» (والجريدة الرينانية الجديدة عرض سياسي واقتصادي) ،  
مجلة ، لسان الحال النظري لعصبة الشيوعيين ، أسسها ماركس وانجلس  
صدرت من كانون الاول (ديسمبر) ١٨٤٩ الى تشرين الثاني (نوفمبر)  
١٨٥٠ صدر منها ستة اعداد فقط .- ص ٢٩

١٤- بعد معارك طاحنة دامت اسبوعاً كاملاً ، قمعت القوات المسلحة  
الامبراطورية النمساوية في اول تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٤٨ الانتفاضة  
الشعبية في فيينا واحتلت المدينة .

في تشرين الثاني.- كانون الاول (ديسمبر) ١٨٤٨ ، حدث في بروسيا  
انقلاب تلتته مرحلة الردة الرجعية . في اول تشرين الثاني جاءت الى الحكم

وزارة معادية صراحة للثورة وفي ٩ تشرين الثاني ، نقل اجتماع الجمعية الوطنية البروسية من برلين الى بلدة براندنبورغ الثانية وواصلت اهلوية الجمعية عقد جلساتها في برلين ففرقتها القوات المسلحة في ١٥ تشرين الثاني انتهى الانقلاب بحل الجمعية في ٥ كانون الاول واعلان دستور رجعي .- ص ٣٠

١٥- المقصود هنا انتفاضات الجماهير الشعبية في المانيا من ايار (مايو) الى تموز (يوليو) ١٨٤٩ دفاها من دستور الامبراطورية (الذي اقرته الجمعية الوطنية في فرانكفورت في ٢٨ آذار- مارس- ١٨٤٩ ورفضته جملة من الدولات الالمانية) كانت هذه الانتفاضات متفرقة وعفوية ، وتم قمعها في اواسط تموز ١٨٤٩ .- ص ٣٠

١٦- في ١٣ حزيران (يونيو) ١٨٤٩ نظم حزب «الجيل» البرجوازي الصغير مظاهرة سلمية في باريس احتجاجا على ارسال القوات المسلحة الفرنسية الى ايطاليا من اجل قمع الثورة فيها فرقت القوات المسلحة المظاهرة وقد تعرض عدد كبير من زعماء «الجيل» للاعتقال والنفي او اضطروا الى مغادرة فرنسا .- ص ٣٠

١٧- محاكمة الشيوعيين في كولونيا (من ٤ تشرين الاول- اكتوبر- الى ١٢ تشرين الثاني- نوفمبر- ١٨٥٢) ، محاكمة استفزازية دبرتها الحكومة البروسية ضد ١١ عضواً من اعضاء عصبة الشيوعيين . وقد وجهت الى سبعة اشخاص من المتهمين تهمة الخيانة العظمى بالاستناد الى وثائق مزورة وشهادات كاذبة ، وحكم عليهم بالسجن في القلعة لمدة تتراوح بين ٣ سنوات و٦ فصح ماركس والجلس الطرائق الاستفزازية الخسيسة التي لجات اليها الدولة البوليسية البروسية ضد الحركة العمالية العالمية .- ص ٣١

١٨- «New-York Daily Tribune» ( ونيويورك دايلي تريبون )-  
«منير نيويورك اليوم» ، جريدة برجوازية تقدمية ، صدرت من ١٨٤١ الى ١٩٢٤ من آب (اغسطس) ١٨٥١ الى آذار (مارس) ١٨٦٢ ،  
عاون ماركس وانجلس في الجريدة .- ص ٣١ .



١٩- الحرب الاهلية في الولايات المتحدة الاميركية (١٨٦١-١٨٦٥)  
 نشبت بين ولايات الشمال الصناعية وبين ولايات الجنوب التي يسود فيها  
 نظام الرق والتي قامت بفتنة . وقفت الطبقة العاملة في بريطانيا ضد سياسة  
 البرجوازية البريطانية التي دعمت المزارعين مالكي العبيد ، وحالت دون  
 تدخل بريطانيا في الحرب الاهلية في الولايات المتحدة الاميركية .-ص  
 ٢١

٢٠- الحرب الإيطالية ، حرب فرنسا والبيامونت ضد النمسا في  
 ١٨٥٩ ؛ اشعل نابليون الثالث نيرانها ، بحجة تحرير ايطاليا ، ولكن  
 بالفعل من اجل تحقيق الفتوحات الاقليمية وتوطيد النظام البونابرتي في  
 فرنسا الا ان نابليون الثالث ، وقد تملكه الضر من اتساع نطاق حركة  
 التحرر الوطني في ايطاليا ، ورغبة منه في الحفاظ على تجزؤها السياسي ،  
 عقد معاهدة صلح منفرد مع النمسا . وبنتيجة الحرب ، نالت فرنسا سافوا  
 وليس وضمت لومبارديا الى سردينيا ، وبقيت البندقية تحت الحكم  
 النمساوي .-ص ٢١

٢١- «Das Volk» (وداس فولك- والشعب) ، جريدة  
 اسبوعية ، صدرت باللغة الالمانية في لندن من ٧ ايار (مايو) الى ٢٠  
 آب (اغسطس) ١٨٥٩ بمشاركة ماركس المباشرة ابتداء من تموز  
 (يوليو) ، كان ماركس عملياً رئيس تحريرها .-ص ٢١

٢٢- المقصود هنا قصر التويلري في باريس ، وهو مقر نابليون  
 الثالث .-ص ٢٢

٢٣- في ٤ ايلول (سبتمبر) ١٨٧٠ قامت الجماهير الشعبية باعمال  
 ثورية ادت الى سقوط نظام الامبراطورية الثانية ، والى اعلان الجمهورية  
 وتاليف حكومة مؤقتة اسميت بحكومة الدفاع الوطني ؛ وعلاوة على الجمهوريين  
 المعتدلين ، اشترك الملكيون في هذه الحكومة سلكت هذه الحكومة ،  
 برئاسة حاكم باريس العسكري تروشو وملهمه الفعلي تيير ، سبيل الخيانة  
 الوطنية والتآمر الضدار مع العدو الخارجي .-ص ٢٢ .

٢٤- انعقد مؤتمر جبهية الشفيلة العالمية في لاهاي من ٢ الى ٧ ايلول (سبتمبر) ١٨٧٢ . وقد حضره ٦٥ مندوباً من ١٥ منظمة وطنية اشرف ماركس وانجلس على عمل المؤتمر في المؤتمر بلغ النضال الذي خاضه ماركس وانجلس وانصارهما طوال سنوات عديدة ضد الانزالية للجوازية الصغيرة بجميع صورها في الحركة العمالية ، غايته . فقد شجب المؤتمر نشاط الفوضويين الانشقاقى وفصل زعماءهم من الاممية اُرسِت قرارات مؤتمر لاهاي الاساس لانشاء احزاب سياسية مستقلة للطبقة العاملة في مختلف البلدان .- ص ٢٢

٢٥- كومونة بلويس ١٨٧١ ، حكومة ثورية للطبقة العاملة ، دامت من ٢٨ آذار (مارس) الى ٢٨ ايار (مايو) ١٨٧١ بمعنى الكلمة الواسع ، يسمون كذلك بكومونة باريس الثورة البروليتارية بالذات التي نشبت في ١٨ آذار ١٨٧١ ومرحلة ديكتاتورية البروليتاريا التي تلتها . ويتناول مؤلف «الحرب الاهلية في فرنسا» تاريخ كومونة باريس ويكشف جوهرها بالتفصيل (راجع الطبعة الحالية ، الجزء ٢) .- ص ٢٢

٢٦- ان بحث انجلس «الاشتراكية الطوبوية والاشتراكية العالمية» يمثل ثلاثة فصول من «ضد دوهرينغ» نقحها لغاية خاصة هي ان يقدم للعمال عرضاً مبسطاً للمذهب الماركسي بوصفه عقيدة متكاملة عن العالم في هذا البحث ، يصف اقسام الماركسية المكونة الثلاثة . ويبين كيف جرى اعداد صياغة المادية الديالكتيكية والتاريخية ، وكيف اصبحت الاشتراكية طمناً بفضل اكتشافين عظيمين حققهما ماركس وهما وضع المفهوم المادي من التاريخ ، وانشاء نظرية القيمة الزائدة .- ص ٤٢

٢٧- في مؤتمر غوتا الذي انعقد من ٢٢ الى ٢٧ ايار (مايو) ١٨٧٥ ، جرى توحيد اتجاهين في الحركة العمالية الالمانية هما حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي (الايروناخيون) برئاسة بيبيل وليبكنخت ، واتحاد العمال الالمانى العام اللامالي . اتخذ الحزب الموحد اسم حزب العمال الاشتراكي الالمانى . وبذلك امكن تدليل الانشقاق في صفوف الطبقة العاملة الالمانية . ان مشروع البرنامج الذي قدمه الحزب الموحد في مؤتمر غوتا

والذي انتقده ماركس والجلس انتقاداً حاداً ، اقره المؤتمر بعد ادخال تعديلات طفيفة عليه .- ص ٤٢

٢٨- نظام المعدنين ، نظام نقدي يقوم بموجبه معدنان نقديان ، الذهب والفضة ، بورغانف النقد في آن واحد .- ص ٤٣

٢٩- «Vorwärts» ( وفورفارتس ) - ( والى الامام ) ، لسان الحال المركزي لحزب العمال الاشتراكي الالمانى صدرت في ليبزيغ من اول تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٨٧٦ الى ٢٧ تشرين الاول ١٨٧٨ صدر بحث المجلس ضد دوهرينغ في الجريدة من ٣ كانون الثاني (يناير) ١٨٧٧ حتى ٧ تموز ( يوليو ) ١٨٧٨ .- ص ٤٤

٣٠- «مارك» ، المشاعة الالمانية القديمة تحت هذا الاسم اعطى المجلس في ملحق للطبعة الالمانية الاولى من الاشتراكية الطوبوية والاشتراكية العلمية عرضاً لتاريخ الفلاحين الالمان منذ الازمنة القديمة .- ص ٤٤

٣١- يقصد المجلس كتاب كوفاليفسكي «Tableau des origines et de l'évolution de la famille et de la propriété» ( وعرض موجز من اصل وتطور العائلة والملكية ) الذي صدر في ستوكهلم عام ١٨٩٠ ، وكتابه الثاني والحق البدائي الطبعة الاولى المشيرة ، موسكو ، عام ١٨٨٦ .- ص ٤٥

٣٢- العجزية Agnosticism ( اللادرية ، الانكارية ) ( من اليونانية A - محروم ، لا و gnosis - معرفة ) ، مذهب مثالي يزعم انه استحيل معرفة العالم ، وان العقل البشري محدود ، وعاجز عن معرفة اي شيء يقع خارج احساساته تتجلى العجزية باشكال مختلفة بعضهم يعترف بالوجود الموضوعي للعالم المادي ولكنه ينكر امكانية معرفته ؛ وبعض آخر ينكر وجود العالم المادي باعتبار ان الانسان ، حسب زعمه ، عاجز عن معرفة ما اذا كان يوجد شيء ما خارج احساساته .- ص ٤٦

٣٣- الكلامي Scolastique ، ممثل الفلسفة الكلامية ، وهي فلسفة دينية سادت في القرون الوسطى ، وتميزت بالخصى التجريد وكامل الانفصال

عن الواقع الحي وحاولت ان تطل وتدم عقائد الكنيسة المسيحية بشق  
احاييل المنطق .- ص ٤٦

٢٤- **اللاهوت** Théologie ( يعني حرفيا ، نقلا عن اليونانية ، التعليم  
عن الاله ) ، تعليم ديني يرمي الى بناء منهج من الاخلاق الدينية والعقائد  
والطقوس وتعليمه وعلميا .- ص ٤٧

٢٥- **انصار مذهب الاسمية** ، ممثلو تيار في فلسفة القرون الوسطى  
يرمز ان المفاهيم العامة ليست الا مجرد اسماء لاشياء بمفردها  
خلافًا للواقعيين من القرون الوسطى ، كان انصار مذهب الاسمية ينكرون  
وجود مفاهيم كمفاهيم النماذج المسبقة والمصادر الخلاقة للاشياء وهكذا  
كانوا يقرون باولية الشيء وثانوية المفهوم وبهذا المعنى كان مذهب  
الاسمية اول تعبير عن المادية في القرون الوسطى .- ص ٤٧

٢٦- **الاصول المتماثلة** Homéoméries ، جزئيات مادية محددة  
كيفية ومتناهية الصغر ، وتتميز بقابلية الانقسام الى ما لا نهاية له كان  
انكساغوراس يعتبر ان الاصول المتماثلة كانت السبب الاول لكل ما هو  
موجود وان كل تنوع الاشياء ينجم عن تجمعها .- ص ٤٧

٢٧- J. Locke. „An Essay concerning Human Understanding“  
(جون لوك وحول اصل الادراك البشري) صدرت الطبعة الاولى في  
لندن عام ١٦٩٠ .- ص ٤٩

٢٨- **التكليه الشخصي** Theisme مذهب ديني يعترف بوجود اله  
واحد ، شخصي خالق للكون .- ص ٤٩

٢٩- **المذهب الحسي** Sensualisme ( من الكلمة اللاتينية  
sensualis ) ، اتجاه من الاتجاهات في الفلسفة يعتبر ان الحساسية ( الشعور ،  
الانطباع ، الرغبة ، الخ . ) تضطلع بدور الاساس الوحيد والمصدر الوحيد  
للمعرفة ، وكذلك لجميع طاقات الانسان النفسانية .- ص ٤٩

٤٠- **التكليه السببي** Deisme ، مذهب ديني فلسفي يقر بوجود

الله بوصفه سببا اوليا عاقلا ، غير شخصي لوجود الكون ، ولكنه ينبغي تدخله في حياة الطبيعة والمجتمع .- ص ٤٩

٤١- **المرض الصناعي في لندن** ، اول معرض صناعي تجاري عالمي .  
قيم في ايار- تشرين الاول ( مايو- اكتوبر ) ١٨٥١ .- ص ٥٠

٤٢- **المعمدانيون** ، اتباع طائفة من اوسع الطوائف انتشارا في الدين المسيحي فهم لا يقرون المعمودية الا حين يبلغ المرء سنا تمكنه من فهم معناها ، وينكرون اغلبيه اسرار وطقوس الكنيسة المسيحية ، ويمنعون جميع اعضاء الطائفة الحق في تفسير الكتب المقدسة ظهرت اول طوائف المعمدانيين في القرن السابع عشر في بريطانيا وفي المستعمرات الامريكية

**جيش الخلاص** ، منظمة دينية خيرية رجعية تأسست في بريطانيا عام ١٨٦٥ واعيد تنظيمها في عام ١٨٨٠ حسب الشكل العسكري (ومن هنا اسمها) حظيت هذه المنظمة بكبير التأييد من البرجوازية ، فانشأت شبكة من المؤسسات الخيرية في بلدان عديدة بغية صرف الجماهير الكادحة من النضال ضد المستثمرين .- ص ٥١

٤٣- **الروحانية** Spiritualisme ( من الكلمة اللاتينية spiritus -الروح) ، مذهب مثالي يقول ان السبب الاول للعالم هو الروح يعترف انصار هذا المذهب بوجود الروح مستقلة عن الجسد .- ص ٥٥

٤٤- تعبير مستعمل في المطبوعات المسيحية الكنسية واهيانا في المطبوعات التاريخية للإشارة الى الانشقاقات الكنسية في القرون الوسطى  
- ص ٥٦

٤٥- اطلق اسم «الثورة الهجينة» في علم التاريخ البرجوازي البريطاني على الانقلاب الحكومي الذي وقع في عام ١٦٨٨ وادى الى الاطاحة بسلالة ستوارت في انجلترا واقام نظاما ملكيا دستوريا (١٦٨٩) برئاسة وليام اورانج ، قائما على مساومة بين الاريستقراطيين مالكي الاراضي والبرجوازية الكبيرة .- ص ٦٠ .

٤٦- حرب الوردتين (١٤٥٥-١٤٨٥) ، حرب بين ممثلي عائلتين من الاقطاعيين الانجليز كانتا تتنافسان على التاج ، هما عائلة يورك التي كان على شعارها رسم وردة بيضاء ، وعائلة لنكاستر التي كان على شعارها رسم وردة ارجوانية . التف حول آل يورك قسم من الاقطاعيين الكبار في الجنوب الذي كان اكثر تطوراً في الميدان الاقتصادي ، والفرسان وسكان المدن . اما آل لنكاستر ، فقد دعمتهم الارستقراطية الاقطاعية من كونتات الشمال . ادت الحرب الى القضاء كلياً تقريباً على العائلات الاقطاعية القديمة وانتهت باحتلاء سلالة جديدة دست الحكم هي سلالة تيودور ، التي اقامت الحكم المطلق في انجلترا .- ص ٦٠

٤٧- الفلسفة الكارثيزية ، مذهب اتباع الفيلسوف الفرنسي من القرن السابع عشر ديكارت (باللاتينية Cartesius .- كارتيويوس) الذين استخلصوا من فلسفته استنتاجات مادية .- ص ٦٣

٤٨- «اعلان حقوق الانسان والمواطن» اقتره الجمعية التأسيسية في عام ١٧٨٩ . تضمن الاعلان المبادئ السياسية للنظام البرجوازي الجديد . ادرج الاعلان في الدستور الفرنسي لعام ١٧٩١ . على اساسه وضع العياقة واعلان حقوق الانسان والمواطن الصادر عام ١٧٩٢ ، واليه استند لول دستور جمهوري لفرنسا اقتره الكونفانسيون (الجمعية) الوطنية في عام ١٧٩٢ .- ص ٦٣

٤٩- هنا وفيما بعد لا يقصد المجلس بتعبير القوانين نابليون Code Napoléon القانون المدني (Code civil) وحده الذي اقر في عهد نابليون الاول عام ١٨٠٤ والمعروف باسم «Code Napoléon» ، بل يقصده بمعناه الواسع ، بمعنى كل نظام للحق البرجوازي المتمثل بخمسة قوانين (القانون المدني ، قانون اصول المحاكمات المدنية ، قانون التجارة ، قانون الجواز ، قانون اصول المحاكمات الجزائية) اقرت في عهد نابليون الاول في الفترة الممتدة من عام ١٨٠٤ الى عام ١٨١٠ طبقت هذه القوانين في المقاطعة الغربية والمقاطعة الجنوبية الغربية من المانيا اللتين

احتلتها فرنسا النابليونية ، وظلت سارية المفعول في اقليم الراين حتى بعد ضمها الى بروسيا في ١٨١٥ . - ص ٦٤

٥٠ - عهد الارهاب ، مرحلة ديكتاتورية اليقابة الثورية الديمقراطية من حزيران ( يوليو ) ١٧٩٢ الى تموز ( يوليو ) ١٧٩٤ . - ص ٦٥

٥١ - المقصود هنا الحركة من اجل اصلاح حق الاقتراع ، الذي اقره مجلس العموم البريطاني في عام ١٨٣١ تحت ضغط الجماهير الشعبية والذي صادق عليه مجلس اللوردات بصورة نهائية في حزيران ( يوليو ) ١٨٣٢ . وكان الاصلاح موجها ضد الاحتكار السياسي للارستقراطية العقارية والمالية ، وافسح الطريق لوصول ممثلي البرجوازية الصناعية الى البرلمان اما البروليتاريا والبرجوازية الصغيرة اللتان كانتا القوة الرئيسية في النضال من اجل الاصلاح فقد خدمتهما البرجوازية الليبرالية ولم تحصلا على الحقوق الانتخابية . - ص ٦٦

٥٢ - في عام ١٨٢٤ اضطر البرلمان البريطاني ، تحت ضغط حركة العمال الجماهيرية ، الى سن قانون بالغاء منع الجمعيات العمالية ( التريديوليونات ) . - ص ٦٧

٥٣ - كان ميشاق (الشعب يتضمن مطالب الشارتيين) راجع الملاحظة رقم ٥٤) ، وقد نشر في ٨ ايار (مايو) ١٨٣٨ بصفة مشروع قانون لاجل تقديمه الى البرلمان وكان يتالف من ست نقاط حق الاقتراع العام ( لاجل الرجال ممن بلغوا الحادية والعشرين من العمر ) ، الانتخابات السنوية الى البرلمان ، الاقتراع السري ، مساواة الدوائر الانتخابية ، الغاء شرط النصب المالية بالنسبة للمرشحين الى انتخابات البرلمان ، دفع رواتب للنواب قدم الشارتيون ثلاث عرائض بطلب الموافقة على ميشاق الشعب فرفضها البرلمان في ١٨٣٩ و ١٨٤٢ و ١٨٤٩ . - ص ٦٧

عصبة مكالمحة قوانين الحبوب ، منظمة للبرجوازية الصناعية الانجليزية ، اسسها في عام ١٨٣٨ الصناعيان كويدن وبرايث من مانشستر . طالبت العصبة بحرية التجارة التامة ، وسعت الى الغاء قوانين الحبوب بغية تخفيض اجور العمال واضعاف المواقع الاقتصادية والسياسية

للارستقراطية المقارية بعد الغاء قوانين الحبوب (١٨٤٦) ، حلت  
العصبة نفسها . - ص ٦٧

٥٤ - **الشارتوية** ( من الكلمة الانجليزية Charter ، - وميثاق ) ، حركة  
سياسية قام بها عمال بريطانيا العظمى في الثلاثينيات وفي اواسط الخمسينيات  
من القرن التاسع عشر بسبب وضعهم الاقتصادي المرهق وحرمانهم من الحقوق  
السياسية جرت هذه الحركة تحت شعار النضال من اجل تطبيق ميثاق  
للشعب يتضمن مطلب حق الانتخاب العام وعدداً من الشروط التي تؤمن  
هذا الحق للعمال كانت الشارتية ، حسب تعريف لينين ، واول حركة  
واسعة ، جماهيرية فعلا ، منظمة سياسياً ، وثورية بالروح  
البروليتارية . - ص ٦٧

٥٥ - **المظاهرة الجماهيرية التي قرر الشارتيون القيام بها في لندن**  
في ١٠ نيسان (ابريل) ١٨٤٨ لأجل تقديم عريضة الى البرلمان باقرار  
ميثاق الشعب ، انتهت بالاخفاق بسبب تردد وتذبذب منظميها استغلت  
قوى الرجعية اخفاق المظاهرة لأجل الهجوم على العمال ولاجل التنكيل  
بالشارتيين . - ص ٦٧

٥٦ - **٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١** ، يوم الانقلاب المعادي  
لثورة الذي قام به لويس بوناپورت والصاره في فرنسا . - ص ٦٧

٥٧ - **الايخ جوناتان** ، لقب ساغر اطلقه الانجليز على الامريكيين  
الشماليين ابان حرب المستعمرات الانجليزية في اميركا الشمالية من اجل  
الاستقلال .

**اليقظة Revivalisme** ، تيار في الكنيسة البروتستانتية نشأ في انجلترا  
في النصف الاول من القرن الثامن عشر ثم انتشر في اميركا الشمالية حاول  
الصاره توطيد وتوسيع نفوذ الدين المسيحي من طريق المواظب الدينية  
وتأليف جمعيات (طوائف) جديدة من المؤمنين . - ص ٦٨

٥٨ - في عام ١٨٦٧ ، اجري في بريطانيا الاصلاح البرلماني الثاني تحت  
خبط الحركة الصالية الجماهيرية . افتترك المجلس العام للاممية الاول



اشتراكا لفيطيا في الحركة من اجل الاصلاح بنتيجة الاصلاح ازداد عدد الناضحين في بريطانيا اكثر من ١٠٠ ٪ ، كما نال قسم معين من العمال الكفاة الحق الانتخابي . - ص ٧١ .

٥٩- الويغ ، حزب سياسي بريطاني ، تأسس في اوائل العقد التاسع من القرن السابع عشر وهو يمثل مصالح الاريستقراطية المتبرجة ومصالح البرجوازية التجارية والمالية الكبيرة التي كانت تسعى الى الحد من السلطة الملكية

في منتصف القرن التاسع عشر اندمج اعضاء الويغ مع جماعات سياسية برجوازية اخرى وشكلوا حزب الليبراليين ( الاحرار ) . ص ٧١

٦٠- التوري ، حزب سياسي بريطاني ، ظهر في اواخر القرن السابع عشر اهرب عن مصالح الاريستقراطية المقارية ورجال الدين الكبار ، ودافع عن تقاليد الماضي الاقطاعي ، وناضل ضد المطالب الليبرالية والتقدمية . في اواسط القرن التاسع عشر ، انشأ حزب المحافظين على اساس حزب التوري . - ص ٧١ .

٦١- اشتراكية الكراسي Katheder-Sozialismus ، اتجه من الاتجاهات في الايديولوجية البرجوازية في العقود الثامن والتاسع والعاشر من القرن التاسع عشر ، كان ممثلوه - وفي المقام الاول منهم بروفيسورات الجامعات الالمانية- يعلمون من الكراسي ( بالالمانية Katheder ) الجامعية الاصلاحية البرجوازية على انها الاشتراكية وقد زعم ممثلو اشتراكية الكراسي ( فاغنر وشمولر وبرينتانو وزومبارت وغيرهم ) ان الدولة مؤسسة فوق الطبقات ، بوسعها ان توفق بين الطبقات المتعادية وتطبق والاشتراكية ، تدريجياً ، دون ان تمس مصالح الراسماليين . وقد اقتصر برنامج اشتراكية الكراسي على المطالبة بتنظيم ضمان العمال من المرض والاصابات ، وبتطبيق بعض الاجراءات في ميدان التشريع الصناعي . اعتبر اشتراكيو الكراسي ان النقابات المنظمة جيداً تفني عن النضال السياسي وعن حزب الطبقة العاملة السياسي كانت اشتراكية الكراسي احد المصادر الفكرية للتحريفية . - ص ٧٢ .

٦٢- الطقسية Ritualisme ، تيار في الكنيسة الانجلكاية نشأ في العقد الرابع من القرن التاسع عشر دوما اتباعه الى بحث الطقوس الكاثوليكية (ومن هنا اسمه) وبعض العقائد الدينية الكاثوليكية في الكنيسة الانجلكاية .- ص ٧٢

٦٣- إيستمان ، القسم الشرقي من لندن ، ويشمل احياء البروليتاريا والفقراء .- ص ٧٥

٦٤- هذا الاستنتاج القائل بان الثورة البروليتارية لا يمكن ان تنتصر الا في آن واحد في البلدان الرأسمالية الطبيعية ، وانه يستحيل بالتالي انتصار الثورة في بلد واحد بمفرده ، والذي لقي اكمل صيغة له في عام ١٨٤٧ في كتاب المجلس ومبادئ الشيوعية ، كان صحيحاً بالنسبة لمرحلة الرأسمالية ما قبل الاحتكار اما في الظروف التاريخية الجديدة ، في مرحلة الرأسمالية الاحتكارية ، فان لينين ، انطلاقاً من القانون الذي اكتشفه ، قانون تفاوت تطور الرأسمالية الاقتصادي والسياسي في عهد الامبريالية ، قد توصل الى استنتاج جديد يقول بامكانية انتصار الثورة الاشتراكية بادي الامر في بضعة بلدان او حق في بلد واحد بمفرده ، وباستحالة انتصار الثورة في آن واحد في جميع البلدان او في اغلبيه البلدان ان صيغة هذا الاستنتاج الجديد قد وردت للمرة الاولى في مقالة لينين وحول شعائر الولايات المتحدة الاوروبية ، (١٩١٥)

- ٧٦

٦٥- سن القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين في المانيا في ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٧٨ بموجب هذا القانون منعت جميع منظمات الحزب الاشتراكي-الديموقراطي ومنظمات العمال الجماهيرية والصحف العمالية وصودرت المطبوعات الاشتراكية وتعرض الاشتراكيون-الديموقراطيون للملاحقات . وتحت ضغط الحركة العمالية الجماهيرية لقي القانون في الاول من تشرين الاول عام ١٨٩٠ .- ص ٧٨ .

٦٦- حسب النظرية التي عرضها روسو في مؤلفه والعقد الاجتماعي

«Du Contract social») كان الناس في البدء يعيشون في حالة طبيعية كانوا فيها جميعهم متساوين وقد اشترط ظهور الملكية الخاصة وتطور التفاوت في التملك انتقال الناس من الحالة الطبيعية الى الحالة المدنية وادى الى تشكل الدولة القائمة على عقد اجتماعي ولكن تطور التفاوت السياسي يقود فيما بعد الى مخالفة العقد الاجتماعي والى نشوء حالة جديدة هي حالة الاستبداد وهذه الحالة الاخيرة انما يجب ان تقضى عليها الدولة الحكيمة القائمة على عقد اجتماعي جديد . - ص ٧٩

٦٧ - **المهدانيون الجدد** او القائلون بتجديد العماد Anabaptistes ، طائفة أُسْمِي اعضاءها بهذا الاسم لانهم طالبوا بتجديد العماد في سن واهية . - ص ٨٠ .

٦٨ - يقصد انجلس والسوائين الحقيقيين ، او (الديزر) (الحفارين) ، وهم ممثلو تيار يساري متطرف في مرحلة الثورة البرجوازية الانجليزية في القرن السابع عشر . كان (الحفارون) يعربون عن مصالح الفئات الفقيرة في الريف والمدينة ، وقد طالبوا بتصفية الملكية الخاصة للارض ، وروجوا افكار الشيوعية السوائية البدائية ، وحاولوا تحقيق هذه الافكار في الواقع العملي بحراثة الاراضي المشاعية بصورة جماعية . - ص ٨٠

٦٩ - يقصد انجلس هنا في المقام الاول مؤلفي ممثلي الشيوعية الطوبوية (الطوبوية) لتوماس مور و«مدينة الشمس» لكامبانيا . - ص ٨٠ .

٧٠ - **الديريكتوار** (كان يتألف من خمسة مدراء يعاد انتخاب واحد منهم كل سنة) هيئة قيادية للسلطة التنفيذية في فرنسا في اعوام ١٧٩٥ - ١٧٩٩ . دعم الديريكتوار نظام الارهاب ضد القوى الديمقراطية ودافع عن مصالح البرجوازية الكبيرة . - ص ٨٢ .

٧١ - المقصود هنا شعار الثورة البرجوازية الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر : (الحرية . المساواة . الاخاء) . - ص ٨٢ .

٧٢- نيولانارك (New-Lanark) ، مصنع لفزل القطن في جوار مدينة لانارك الاسكتلندية . بني في عام ١٧٨٤ مع بلدة صغيرة بقربه . - ص ٨٢ .  
٧٣- الطبقة الثالثة ، سكان فرنسا الاقطاعية الخاضعون للأتاوات وغير المميزين ، الفلاحون والتجار والحرفيون ، وفيما بعد البرجوازية اكتسب هذا المفهوم معنى خاصا عشية الثورة البرجوازية الفرنسية في القرن الثامن عشر عندما احتاجت البرجوازية الى مساندة الجماهير ، فاتحدت مع الشعب كله في طبقة ثالثة ، موحدة تجابه وتعارض الطبقتين المتميزتين طبقة النبلاء وطبقة الاكثريوس . - ص ٨٥ .

٧٤- الهمة يوم ، مرحلة بحث امبراطورية نابليون الاول لمدة قصيرة ؛ وقد دامت من يوم هودنه من المنفى في جزيرة البيا الى باريس في ٢٠ آذار (مارس) ١٨١٥ حتى خلعها للمرة الثانية في ٢٢ حزيران (يوليو) من العام نفسه . - ص ٨٧ .

٧٥- في ١٨ حزيران (يوليو) ١٨١٥ هزمت القوات الانجلوهولندية بقيادة ويلينغتون والجيش البروسي بقيادة بلوخر جيش نابليون الاول في جوار والترلو ( بلجيكا ) . - ص ٨٧ .

٧٦- في تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٨٢٢ ، انعقد في لندن برناسة اوين مؤتمر الجمعيات التعاونية والنقابات ؛ وفيه تأسس رسميا الاتحاد الوطني للكثير للمهن في بريطانيا العظمى ولولنده .  
لتي الاتحاد مقاومة قوية من جانب المجتمع البرجوازي والدولة فانحل في آب ( اغسطس ) ١٨٢٤ . - ص ٩٤ .

٧٧- يقصد انجلس ما أُسْمِي باسواق تبادل منتجات العمل بصورة عادلة ؛ هذه الاسواق اسستها جمعيات العمال التعاونية الاوينية في مختلف مدن انجلترا . في هذه الاسواق ، كانت منتجات العمل تبادل بواسطة اوراق العمل النقدية التي كانت ساعة وقت العمل وحدتها . ولكن سرعان ما افلست هذه الاسواق . - ص ٩٤ .

٧٨- ابان ثورة ١٨٤٨-١٨٤٩ ، حاول برودون تنظيم مصرف للتبادل وقد أسس Banque du peuple (مصرف الشعب) في باريس في ٢١ كانون الثاني (يناير) ١٨٤٩ دام هذا المصرف زهاء شهرين ، فقد مني بالافلاس قبل ان يبدأ عمله واغلق في مستهل نيسان (ابريل) .- ص ٩٤

٧٩- المقصود هنا عهد يمتد من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن السابع بعد الميلاد ويعود اسمه الى مدينة الاسكندرية المصرية التي كانت آنذاك من أهم مراكز العلاقات الاقتصادية العالمية وفي العهد الاسكندري ازدهرت الرياضيات ، والميكانيك ، والجغرافية ، وعلم الفلك ، وعلم التفريح الجسماني والفيزيولوجيا ، وغيرها من العلوم .- ص ٩٧ .

٨٠- المقصود هنا الاكتشافات التي حققها التجار والملاحون الاوروبيون من النصف الثاني من القرن الخامس عشر حتى النصف الاول من القرن السابع عشر ، واهمها كانت اكتشاف امريكا واكتشاف الطريق البحري الى الهند حول افريقيا واكتشاف اوستراليا وغيرها أسهمت الاكتشافات الجغرافية الكبيرة بقسط كبير في تقويض الاقطاعية وفي تعجيل نشوء العلاقات الرأسمالية في اوربا الغربية .- ص ١١٥

٨١- المقصود هنا الحروب التي وقعت في النصف الثاني من القرن السابع عشر ومستهل القرن الثامن عشر بين حلفين من الدول الاوروبية احدهما برئاسة فرنسا ، والثاني برئاسة هولنده وفيما بعد برئاسة انجلترا اما سبب هذه الحروب ، فقد كان سعي الرجوازية والنبله في هذه البلدان ، ولا سيما في فرنسا ، الى الفتوحات الاقليمية والى بسط الرعامة السياسية والاقتصادية في اوربا ان والحروب التجارية التي انتهت بنسارة فرنسا للحرب من اجل الارث الاسباني (١٧٠١-١٧١٤) قد قوضت الى درجة كبيرة وضع فرنسا العسكري والاقتصادي وكلفتها الكثير من ممتلكاتها الاستعمارية .- ص ١١٥ .

٨٢ - Seehandlung (التجارة البحرية) ، شركة تسليف تجارية  
 أنشئت في بروسيا في عام ١٧٧٢ كانت هذه الشركة تتمتع بجملة من  
 الامتيازات الحكومية ، وكانت تمنح الحكومة قروضا كبيرة . - ص ١٢٢  
 ٨٣ - «Vorwärts» (وورفارتس) - والى الامام ! ) ، جريدة  
 ألمانية ، صدرت في باريس من كانون الثاني (يناير) الى كانون الاول  
 (ديسمبر) ١٨٤٤ مرتين في الاسبوع عاون ماركس وانجلس في  
 الجريدة . - ص ١٢٧

٨٤ - جمعية التشغيل العالمية (الاممية الاولى) ، اول منظمة  
 عالمية جماهيرية للبروليتاريا ؛ عملت بقيادة ماركس وانجلس (من ١٨٦٤  
 الى ١٨٧٦) اوصلت الاممية الى وهي العمال الطليعيين في أهم البلدان  
 الرأسمالية افكار الاشتراكية العلمية ووارست اساس تنظيم العمال العالمي  
 من اجل اعداد الهجوم الثوري على الرأسمال ( لينين ) . - ص ١٢٧

٨٥ - كتب انجلس بحثه «حول تاريخ عصابة الشيوعيين» كمقدمة  
 للطبعة الالمانية الصادرة عام ١٨٨٥ لرسالة ماركس الهجائية وازواء  
 على محاكمة الشيوعيين في كولونيا ، في سنوات تطبيق القانون  
 الاستثنائي ، كان من المهم بخاصة ان تستوعب الطبقة العاملة في ألمانيا  
 خيرة النضال الثوري في مرحلة هجوم الرجعية من سنة ١٨٤٩ الى سنة  
 ١٨٥٢ ولهذا السبب بالذات رأى انجلس من الضروري اعادة طبع  
 رسالة ماركس الهجائية هذه

في البحث وحول تاريخ عصابة الشيوعيين ، يكشف انجلس الدور  
 التاريخي والمكان اللذين يحدان الى لول منظمة عالمية للبروليتاريا نادت  
 للمرة الاولى ببرنامج الشيوعية العلمية راية فكرية لها، في تطور الحركة العمالية  
 العالمية . وبمثال تاريخ عصابة الشيوعيين التي كانت مرحلة هامة في النضال  
 من اجل انشاء حزب بروليتاري ، يبين انجلس ان انتصار نظرية ماركس  
 على مختلف التيارات الانعزالية قد اشترطه واقع ان هذه النظرية قد عكست  
 كلياً ، منذ نشوئها ، مقتضيات نضال البروليتاريا الثوري العملي وانها  
 كانت جزءاً لا يتجزأ منه . - ص ١٢٩ .

٨٦- البافوية ، احد تيارات الشيوعية السوالية الطوبوية ؛  
اسمها الثوري الفرنسي من نهاية القرن الثامن عشر فراكخ بابوف واتباعه .  
- ص ١٤١

٨٧- Société des saisons (جمعية الفصول) ، منظمة سرية  
ثأمرية جمهورية اشتراكية عملت في باريس من ١٨٢٧ الى ١٨٢٩  
بقيادة اوغست بلانكي وارمان باريس .  
ان جمعية الفصول هي التي هيات انتفاضة ١٢ ايار (مايو)  
١٨٢٩ في باريس ، التي اضطلع فيها العمال الثوريون بالدور الرئيسي .  
لم تعتمد الانتفاضة على الجماهير الواسعة ، فهزمتها القوات المسلحة  
الحكومية وقوات الحرس الوطني .- ص ١٤١

٨٨- المقصود هنا واقعة من وقائع نضال الديمقراطيين الالمان  
ضد الرجعية في المانيا ، اطلق عليها اسم اغتيال فرانكفورت ؛ فان جماعة  
من العناصر الراديكالية قد حاولت في ٢ نيسان (ابريل) ١٨٢٢ ان  
تستثير انقلابا في البلد بهجوم على الهيئة المركزية للاتحاد الالمانى-  
السيم الاتحادي في فرانكفورت على الماين ، وان تعلن الجمهورية في عموم  
المانيا . قمعت القوات المسلحة هذا الهجوم السيئ التحضير .- ص ١٤١

٨٩- في شباط (فبراير) ١٨٢٤ ، نظم الديمقراطي البرجوازي  
الايطالي مازيني زحف اعضاء جمعية وايطاليا الفتاة التي أسسها في عام  
١٨٢١ وكذلك زحف فريق من المهاجرين الثوريين الاجانب من سويسرا  
الى سافوا بغية استشارة انتفاضة شعبية هناك لاجل توحيد ايطاليا وانشاء  
جمهورية ايطالية برجوازية مستقلة هزمت القوات البياموتية الفصيلة  
التي اتحمت سافوا .- ص ١٤١

٩٠- في العشرينيات من القرن التاسع عشر كانوا يطلقون اسم  
الديمقوجيين على المثقفين الالمان ممن اشتركوا في حركة المعارضة  
ووقفوا ضد النظام الرجعي في الدولات الالمانية وطالبوا بتوحيد المانيا .  
تعرض «الديمقوجيون» لملاحظات قاسية من جانب السلطات الالمانية .  
- ص ١٤٢

٩١- المقصود هنا جمعية العمال الالمان التثقيفية في لندن في شباط (فبراير) ١٨٤٠ أسس الجمعية شاير ومول وغيرهما من قادة عصبة العادلين اشترك ماركس وانجلس في نشاطها اشتراكاً فعالاً في ١٨٤٩ و ١٨٥٠ في ١٧ ايلول (سبتمبر) ١٨٥٠ انسحب ماركس وانجلس وعدد من الصارهما من الجمعية لأن معظم اعضائها وقفوا الى جانب كتلة فيليخ-شاير الانعزالية المضامرة بعد تأسيس الاممية في ١٨٦٤ ، اصبحت الجمعية الفرع الالمانى لجمعية الشغيلة العالمية في لندن دامت جمعية العمال الالمان التثقيفية في لندن حتى عام ١٩١٨ ، حين اغلقتها الحكومة البريطانية .- ص ١٤٢

٩٢- المقصود هنا ثورة شباط (فبراير) عام ١٨٤٨ في فرنسا

- ص ١٥٠

٩٣ - «The Northern Star» (وذي لترز ستار) - ونجمة الشمال) ، جريدة اسبوعية انجليزية ؛ لسان حال الشاربيين المركزي ؛ تأسست في عام ١٨٢٧ ؛ صدرت حتى عام ١٨٥٢ ، اولا في ليدس ثم في لندن ابتداء من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٤٤

كان لوكولور مؤسس الجريدة ورئيس تحريرها كذلك اشترك غارني في هيئة التحرير . من ١٨٤٢ الى ١٨٥٠ نشرت الجريدة مقالات لانجلس .- ص ١٥٠

٩٤ - الرابطة الديموقراطية تأسست في بروكسل في خريف ١٨٤٧ كانت تضم في صفوفها ثورين برويتارين ، اقليهم من المهاجرين الثورين الالمان ، والعناصر الطبيعية من الديموقراطية البرجوازية والبرجوازية الصغيرة . اضطلع ماركس وانجلس بتفرد فعال في تأسيس الرابطة في ١٥ تشرين الثاني ١٨٤٧ انتخب ماركس نائبا لرئيسها ، وانتخب الديموقراطي البلجيكي جوتران رئيساً لها . بفضل تأثير ماركس ، عدت الرابطة الديموقراطية البروكسلية احد المراكز الكبرى للحركة الديموقراطية العالمية . بعد نفي ماركس من بروكسل في مستهل آذار (مارس)



١٨٤٨ وتمثيل السلطات البلجيكية بأكثر عناصر الرابطة لراحة ثورية ،  
تقلص نشاط الرابطة ، واتسم بطابع محلي صرف ، ثم توقف عمليا في  
عام ١٨٤٩ . - ص ١٥٠

٩٥ - المقصود هنا الجمهوريون الديموقراطيون من صفار  
البرجوازيين والاشتراكيون من صفار البرجوازيين - انصار الجريدة الفرنسية  
والاصلاح « La Réforme » ، ولاريفورم» ( صدرت في باريس  
من عام ١٨٤٢ الى عام ١٨٥٠ ) الذين طالبوا باقامة الجمهورية واجراء  
اصلاحات ديموقراطية واجتماعية . - ص ١٥٠

٩٦ - «Der Volks-Tribune» (در فولكس تريبون) - وخطيب  
الصحف) ، جريدة اسبوعية اسمها والاشتراكيون الحقيقيون» الالمان  
في نيويورك . صدرت من ٥ كانون الثاني (يناير) حتى ٢١ كانون الاول  
(ديسمبر) ١٨٤٦ . - ص ١٥١

٩٧ - «مطالب الحزب الشيوعي في ألمانيا» ، كتبها ماركس وانجلس  
في باريس بين ٢١ و٢٩ آذار (مارس) ١٨٤٨ كانت البلاشفورم  
(المنطلق) السياسي لعصبة الشيوعيين في الثورة الالمانية البادئة .  
صدرت بمنشور منفرد ، وجرى تسليمها كوثيقة توجيهية الى اعضاء  
عصبة الشيوعيين المائلين الى الوطن . ابان الثورة ، حاول ماركس وانجلس  
وانصارهما ترويج هذه الوثيقة البرنامجية بين الجماهير الشعبية . - ص ١٥٦ .

٩٨ - المقصود هنا نادي العمال الالمان الذي تأسس في باريس  
في ٩ آذار (مارس) ١٨٤٨ بمبادرة من عصبة الشيوعيين اضطلع  
ماركس بدور القيادة في هذه الجمعية كان القصد من تأسيس النادي  
رصد صفوف العمال المهاجرين الالمان في باريس وتوضيح تكتيك البروليتاريا  
في الثورة البرجوازية الديموقراطية لهم . - ص ١٥٨

٩٩ - المقصود هنا الجناح اليساري المتطرف في الجمعية الوطنية  
لعامة ألمانيا التي انعقدت في مدينة فرانكفورت على الماين ابان ثورة  
١٨٤٨-١٨٤٩ . كان هذا الجناح يمثل على الاغلب مصالح البرجوازية

الصفيرة ، ولكنه كان يحظى ايضا بتأييد قسم من العمال الالمان كانت المهمة الرئيسية التي تواجه الجمعية تتلخص في تصفية تجزؤ المانيا السياسي ووضع دستور لعامة المانيا ولكن الجمعية ، لجانة الاغلبية الليبرالية وتردداتها ، خافت ان تاخذ في يدها السلطة العليا في البلد ولم تستطع ان تتخذ موقفا حازما في المسائل الاساسية المتعلقة بالثورة الالمانية في ٢٠ ايار (مايو) ١٨٤٩ ، اضطرت الجمعية الى نقل مقرها الى شتوتفارت في ١٨ حزيران (يوليو) ١٨٤٩ ، فرقتها القوات المسلحة . - ص ١٦٠ .

١٠٠- في طبعة عام ١٨٨٥ لبحث ماركس واضواء على محاكمة الشيوعيين في كولونيا ، التي كتب لها المجلس هذا المقال على سبيل المقدمة ، ادرج المجلس جملة من الملاحق منها رسالتا اللجنة المركزية الى عصابة الشيوعيين في آذار (مارس) وحزيران (يوليو) ١٨٥٠ . - ص ١٦٢

١٠١- **التقدميون** ، ممثلو الحزب التقدمي البرجوازي الروسي الذي تأسس في حزيران (يوليو) ١٨٦١ طالب الحزب التقدمي بتوحيد المانيا بزمامة بروسيا ، وعقد برلمان لعامة المانيا ، وتاليف وزارة ليبرالية قوية مسؤولة امام مجلس النواب في ١٨٦٦ ، انفصل عن الحزب التقدمي الجناح اليميني الذي استسلم امام بيسمارك وشكل حزب الليبراليين الوطنيين . وخلافا لهؤلاء ، ظل التقدميون حتى بعد انجاز توحيد المانيا في ١٨٧١ ينادون بانفسهم حزب المعارضة ولكن هذه المعارضة بقيت معارضة شكلية صرف فبدافع الخوف من الطبقة العاملة وبدافع الحقد على الحركة الاشتراكية ، وضع الحزب التقدمي لسيادة اليونكر البروسيين في ظروف المانيا نصف الاوتوقراطية كانت ذبذبات الحزب التقدمي في ميدان السياسة تعكس بلبلة البرجوازية التجارية وصغار الصناعيين وقسم من الحرفيين الذين كان يعتمد عليهم . في ١٨٨٤ ، اتحد التقدميون مع الجناح اليساري المنفصل عن الليبراليين الوطنيين وشكلوا الحزب الالمانى الحر التفكير . - ص ١٦٦ .

١٠٢- زولفويولد (الاتحاد الخاص) ، هذا الام اطلقه ماركس وانجلس بدافع السخر والتهمك ، ومن باب المقارنة مع الاتحاد الانفصالي للالفيه الكاثوليكية الرجعية. في سويسرا في العقد الخامس من القرن التاسع عشر ، على كتلة ويلينغ-سابر الانماليية المخامرة التي انفردت ، بعد انشقاق عصبة الشيوعيين في ١٥ ايلول (سبتمبر) ١٨٥٠ ، في منظمة مستقلة لها لجنتهما المركزية اسهمت الكتلة بنشاطها في اكتشاف الجوليس البروسي للفروع السرية لعصبة الشيوعيين في ألمانيا واحطته ذريعة لتلفيق محاكمة ضد قادة عصبة الشيوعيين البارزين في كولونيا عام ١٨٥٢ .- ص ١٦٧

١٠٣- «اصل العائلة والملكية الخاصة والعائلة» ، احد المؤلفات الاساسية في الماركسية في هذا العمل ، حلل انجلس تاريخ البشرية في المراحل الاولى من طورها تحليلا علمياً ، وكشف عملية تفسخ النظام المشاعي البدائي ونشوء المجتمع الطبقي القائم على الملكية الخاصة ، وبين سمات هذا المجتمع المميزة العامة ، ووضح خصائص تطور العلاقات العائلية في مختلف التشكيلات الاجتماعية الاقتصادية ، ووضح اصل الدولة وجوهرها وبرهن حتمية اضمحلالها التاريخية عند انتصار المجتمع الشيوعي اللاتبقي انتصاراً نهائياً .

كتب انجلس كتاب «اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة» في غضون شهرين من اواخر آذار (مارس) الى اواخر ايار (مايو) ١٨٨٤ اثناء تفحص مخطوطات ماركس ، اكتشف انجلس موجزاً مفصلاً وضعه ماركس في ١٨٨٠ و١٨٨١ من كتاب العالم الاميركي التقدمي مورغان «المجتمع القديم» ، ويتضمن كثرة من ملاحظاته الانتقادية وموضوعاته الشخصية ، وكذلك اضافات من مصادر اخرى وبعد ما اطلع انجلس على هذا الموجز والتفتح بان كتاب مورغان يؤكد المفهوم المادي الذي صافه هو وماركس من التاريخ كما يؤكد نظرائهما في المجتمع البدائي ، رأى من الضروري ان يدبج بحثاً يستغل فيه على نطاق واسع ملاحظات ماركس وكذلك الوقائع وبعض الاستنتاجات الواردة في كتاب مورغان . وقد اعتبر انجلس عمله هذا وتنفيذاً لوصية ماركس «الى حد ما» .

وإثناء اعداد الكتاب ، استند المجلس الى مواد كثيرة ومتنوعة من دراساته في تاريخ اليونان وروما وارلنده القديمة والجرمان الاقدمين الخ (راجع ابحاث المجلس والمارك) ، ومساهمة في تاريخ الجرمان الاقدمين ، (عهد الافرنج) )

ونظراً لتكدس المواد في تاريخ المجتمع البدائي ، شرع فريدريك انجلس في عام ١٨٩٠ يحضر طبعة جديدة من كتابه ، هي الطبعة الرابعة وفي سياق تحضيرها ، درس جميع المطبوعات الجديدة ولا سيما بحث العالم الروسي كوفاليفسكي ، وادخل في النص الاولي تعديلات وتغييرات كثيرة وكذلك اضافات هامة ، ولا سيما في الفصل عن العائلة .

صدرت الطبعة الرابعة المنقحة والمضاف اليها من كتاب انجلس في شتوتغارت في اواخر ١٨٩١ ، وبعد ذلك لم يطرا على الكتاب اي تعديل . - ص ١٧٠

١٠٤ - «Contemporanz» (وكولتامبورانول) - (المعاصر) ،

مجلة رومانية اشتراكية الاتجاه . صدرت في ياسي من ١٨٨١ الى ١٨٩٠  
- ص ١٧٥

١٠٥ - الهافلار ، قبيلة (وحاليا قوم) تسكن في المناطق الغربية من النيبال . - ص ١٨٢

١٠٦ - قام المجلس بسفرة الى الولايات المتحدة الاميركية وكندا في آب - ايلول (اغسطس - سبتمبر) ١٨٨٨ . - ص ١٩٠

١٠٧ - البويولو ، اسم مجموعة من قبائل الهنود الحمر في اميركا الشمالية كانت تعيش في اراضي المكسيك الجديدة (حاليا المنطقة الجنوبية الغربية من الولايات المتحدة الاميركية والمنطقة الشمالية من المكسيك) وكانت تجمع بينها وحدة التاريخ والحضارة . هذا الاسم ، المشتق من الكلمة الاسبانية pueblo (نصب ، قوم ، مشاعة) ، اطلقه عليها الفاتحون الاسبان نظراً للطابع الخاص لمقاماتهم التي كانت عبارة عن بيوت-تلالع جماعية كبيرة يبلغ ارتفاعها في حدود ارتفاع بيت من ٥ او ٦ طوابق

ويستكثها عدد من الناس في حدود ألف شخص ؛ كذلك أُطلق هذا الاسم على مقامات هذه القبائل . - ص ١٩٨

١٠٨ - الاسمان القديمان الكلاسيكيان لنهري اموداريا وسيرداريا في آسيا الوسطى . - ص ١٩٨

١٠٩ - التيومنتيون ، قبائل سكالدينافية كانت تسكن في اوروسيا الشمالية . في المرحلة الاولى من القرون الوسطى ، اسم هام لقدماء النروجيين والاسوجيين والدانماركيين .

الفليكيغ ، قرصنة وملاحون سكالدينافيون قاموا من اوخر القرن الثامن حتى منتصف القرن الحادي عشر بالكثير من الغزوات وحملات الفتح على سواطي البلدان الاوروبية ، ومضوا بمراكبهم في المحيط الاطلسي الشمالي حتى اميركا . - ص ٢٠٠

١١٠ - المورلهد ، مجموعة من شعوب الهند ، تسكن حاليا الهند الجنوبية كانت تشكل في الازمنة الغابرة السكان الاصليين في شبه جزيرة هندوستان .

غلوودا (غاوودا) ، قبائل هندية في البنغال الغربي . - ص ٢٠٢

١١١ - الكاراييبا (الكاريبيون) ، مجموعة من قبائل الهنود الحمر في اميركا الجنوبية كانت تعيش في اراضي البرازيل الشمالية والوسطى وفي المناطق المتاخمة من فينزويلا وغويانا وكولومبيا . - ص ٢١٢

١١٢ - رسالة ماركس هذه لم تصل الينا . ويشير اليها المجلس في رسالته الى كاوتسكي بتاريخ ١١ نيسان (ابريل) ١٨٨٤ . - ص ٢١٤

١١٢ - المقصود هنا نص الرباعية الاوبرالية «حلقة نيبيلونج» التي كتبها الموسيقار فاغنر بنفسه استنادا الى الملحمة السكالدينافية «ايداء» والملحمة الالمانية «اغنية نيبيلونج» . - ص ٢١٤

١١٤ - «ايداء» و«الوفيسفريكا» ، مجموعة من الحكايات والاطاني البطولية والميثولوجية للشعوب السكالدينافية . - ص ٢١٥ .

١١٥- آسي وفلان ، مجموعتان من الآلهة في الميثولوجيا السكندنافية وساجا اينفلينغ- اول ساغا (حكاية ، اسطورة) - من كتاب من السفن النرويجية (منذ غابر الازمنة حتى القرن الثاني عشر) للفنار والمؤرخ الاسلندي سنوري ستورلوسون من تفرون الوسطى - ص ٢١٥

١١٦- المقصود هنا طبقات الزواج او الفروع وهي مجموعات خاصة كالت تقسم اليها اغلبية القبائل الاوسترالية لم يكن بوسع الرجال في كل مجموعة ان يتزوجوا الا من نساء مجموعة اخرى معينة وكان عدد المجموعات في كل قبيلة يتراوح بين ٤ و ٨ - ص ٢٢١

١١٧- الساتورناليات ، اعياد سنوية في روما القديمة كانت تقام تكريما لاله ساتورن (زحل) لمناسبة نهاية الاعمال الزراعية . وفي هذه الاعياد كانت تسود حرية العلاقات الجنسية . وقد اتخذت كلمة الساتورناليات معنى سلبيا للتدليل على مآدب المربدة والسكر وحفلات التهتك والفجور - ص ٢٢٢

١١٨- راجع L. H. Morgan. «Ancient Society», London, 1877, p. 485-486 (مورغان) والمجتمع القديم ، لندن ، عام ١٨٧٧ ، ص ٢٤٤ (٤٦٥-٤٦٦) - ص ٢٤٤

١١٩- المرجع نفسه ، ص ٤٧٠ - ص ٢٤٤

١٢٠- المقصود هنا بحث كوفاليفسكي والحق البدائي الطبعة الاولى . العشرية . موسكو ١٨٦٦ . في هذا البحث يستشهد بمعطيات لوردها لورفانسكي في عام ١٨٧٥ ويفينكو في عام ١٨٧٨ من المشاعة العائلية في روسيا . - ص ٢٤٦

١٢١- أطلق اسم «حقيقة» ياروسلاف على القسم الاول من الصيغة الاولى القديمة وللحقيقة الروسية ، اي لمجموعة قوانين روسيا القديمة ، التي ظهرت في القرنين الحادي عشر والثاني عشر ، على اساس حق العرف

والعادة في ذلك الزمن ، والتي كانت تمكس العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في مجتمع ذلك الزمن .

**القوانين الألمانية** ، مجموعة قوانين كانت سارية المفعول من القرن الخامس عشر الى القرن السابع عشر في بوليتسا ( قسم من دالماتيا ) ؛ وهي معروفة ايضا باسم ونظام بوليتسا . - ص ٢٤٦

١٢٢ - Calpullis ( كالبوليس ) ، طوائف عائلية عند الهنود الحمر في المكسيك في مرحلة امتيلاء الاسبان على هذا البلد كل طائفة عائلية ( calpulli ) ( كالبولي ) كان لجميع اعضائها اصل واحد مشترك وكانت تملك قطعا مشتركا من الارض لا يجوز التنازل عنه ولا قسمته بين الورثة . - ص ٢٤٧

١٢٢ - «Das Ausland» (وداس اوسلاند - والبلدان الاجنبية) ، مجلة ألمانية في مسائل الجغرافية والاثنوغرافية وعلم الطبيعة . صدرت من عام ١٨٢٨ حتى عام ١٨٩٢ ابتداء من ١٨٧٢ صدرت في شتوتفارت . - ص ٢٤٧

١٢٤ - المقصود هنا المادة ٢٣٠ من القانون المدني ( راجع الملاحظة رقم ٤٩ ) . - ص ٢٥٠

١٢٥ - الاسبرطيون ، مواطنون كاملو الحقوق في اسبرطة القديمة . الهيلوت ، سكان اسبرطة القديمة المحرومون من الحقوق ، والمربوطون بالارض والمعلمون بتقديم اتوات معينة في صالح ملاكي الاراضي الاسرطيين . - ص ٢٥٢

١٢٦ - ارستوفانس والنساء في عيد فسوفوريا . - ص ٢٥٢

١٢٧ - الهيرودول Hierodote ، في اليونان القديمة والمستعمرات اليونانية ، العبيد والعبادات التابعين للهياكل في كثير من الاحياء ، ولا سيما في مدن آسيا الصغرى وفي كورنثيا ، كانت النساء الهيرودول يتماطين الدعارة في الهياكل . - ص ٢٥٧ .

١٢٨ - **التايغال** ، قبيلة جرمانية قريبة من قبائل القوط ؛ قبيل القرن الثالث ، سكنت في مشارف البحر الاسود الشمالية ؛ ومن هذه الانحاء طردتها قبائل الهون في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي في شبه الجزيرة السكندنافية . في القرن الثالث ، انتقل قسم منها الى مشارف البحر الاسود الشمالية ؛ ومن هذه الانحاء طردتها قبائل الهون . - ص ٢٦١ .

١٢٩ - **«غودرون»** ( او وكودرون ) ، قصيدة ملحمية المانية من القرن الثالث عشر . - ص ٢٧٢

١٣٠ - المقصود هنا استيلاء الفاتحين الاسبان على المكسيك من ١٥١٩ الى ١٥٢١ . - ص ٢٩٢

L. H. Morgan. «Ancient Society», London, 1877, - ١٢١ p. 115-104. - ص ٢٩٤

١٣٢ - **«الامة المهاجرة»** ، هكذا كان يسمى في القرن السابع عشر الحلف العسكري بين بضع قبائل من الهنود الحمر كانت لها صلة قرابة بقبائل الايروكوا وكانت تعيش عند الضفة الشمالية من بحيرة ايري وقد كان المستعمرون الفرنسيون هم الذين اطلقوا هذا الاسم على هذا الحلف لأنه بقي على الحياد في الحروب بين قبائل الايروكوا والصرف وقبائل الهورون - ص ٣٠١

١٣٣ - المقصود هنا نضال التحرر الوطني الذي خاضته قبائل الازولو ضد المستعمرين الانجليز من ١٨٧٩ الى ١٨٨٧

في سنوات ١٨٨١-١٨٨٤ ، قامت ثورة التحرر الوطني التي اشترك فيها النوبيون والحرب وانباء القوميات والاقوام الاخرى في السودان برئاسة محمد احمد بن عبد الله المهدي . اثناء الثورة ، تشكلت دولة مركزية مستقلة . ولم يستول الانجليز على السودان الا في عام ١٨٩٩ . - ص ٣٠٢

١٣٤ - **الرهن العقاري** Hypothèque ( ايبوتيكا ) ، قرطس برهـ



الاموال غير المنقولة في المدينة او القرية ، ولا سيما الارض وكذلك البيوت . - ص ٢٢٢ .

١٢٥ - المقصود هنا *métèques* ( الميتيك ) ، اي الغريباء الذين كانوا يسكنون في الاتيك بصورة دائمة ؛ كان هؤلاء احرارا ، ولكنهم لم يكونوا يتمتعون بحقوق المواطنين الاثينيين . كان الميتيك يتماطون بصورة رئيسية الحرف والتجارة ، وكانوا ملزمين بدفع ضريبة خاصة ، كما كان يحق لهم اتخاذ «حماة» لهم من عداد المواطنين الكاملى الحقوق ؛ وبواسطة هؤلاء ، كان يمكنهم مراجعة هيئات الحكم . - ٢٢١

١٢٦ - **قوانين الالواح الاثني عشر** ، وضعت في اواسط القرن الخامس قبل الميلاد نتيجة للنضال بين العوام والخواص . وقد عكست هذه القوانين تطورات التمايز الطبقي في المجتمع الروماني على اساس الملكية ، وتطورات نظام الرق ونشوء دولة مالكي العبيد ( دولة الرق ) . كتبت القوانين على اثني عشر لوحا ؛ ومن هنا اسمها . - ص ٢٢٦

١٢٧ - **الحروب البونيكية** ، حروب بين اكبر دولتين من دول الرق في الازمنة القديمة ، هما روما وقرطجنة ، من اجل السيطرة في القسم الغربي من البحر الابيض المتوسط ، من اجل الاستيلاء على اراض جديدة واقتناء العبيد . انتهت الحرب البونيكية الثانية ( ٢١٨-٢٠١ قبل الميلاد ) بهزيمة قرطجنة . - ص ٢٢٨

١٢٨ - **انجز الانجليز عملية استيلائهم على منطقة ويلس في عام ١٢٨٢** . ولكن ويلس ظلت بعد ذلك محتفظة بالحكم الذاتي . وقد ضمت نهائيا الى انجلترا في اواسط القرن السادس عشر . - ص ٢٥٢

١٢٩ - في ١٨٦٩ و ١٨٧٠ ، عمل انجلس على كتابة بحث كبير في تاريخ ايرلنده ، ولكنه لم ينجزه . ولمناسبة دراسة تاريخ السلت درس انجلس قوانين ويلس القديمة ايضا . - ٢٥٢ .

١٤٠- يستشهد انجلس بكتاب „Ancient Laws and Institu-  
tes of Wales“ (القوانين والمؤسسات القديمة في ويلس) ، المجلد  
الاول ، عام ١٨٤١ ، ص ٩٢ .- ص ٢٥٢

١٤١- في ايلول (سبتمبر) ١٨٩١ قام انجلس برحلة الى اسكتلنده  
وارلنده .- ص ٢٥٥

١٤٢- في ١٧٤٥ و ١٧٤٦ ، قامت الكلانات (العشائر) الجبلية  
في اسكتلنده بانتفاضة ضد عمليات التضييق وانتزاع الاراضي ، التي كانت  
تجري في مصلحة الاريستقراطية العقارية الانجلو-اسكتلندية وفي مصلحة  
البرجوازية الانجلو-اسكتلندية قاتل الجيليون من اجل الاحتفاظ بالتنظيم  
العشائري القديم بعد قمع الانتفاضة ، قضي على النظام العشائري في  
اسكتلنده الجبلية ، وتمت تصفية بقايا الملكية العشائرية للارض  
واشتدت وتسارعت عملية طرد الفلاحين الاسكتلنديين من الاراضي ،  
والغيت المحاكم العشائرية ، ومنعت بعض العادات العشائرية .- ص ٢٥٦

L. H. Morgan. „Ancient Society“, London, 1877, - ١٤٣  
p. 357-368.

- ص ٢٥٧

١٤٤- «الحق الالمانى» ، مجموعة من قوانين العرف والعادة هند  
حلف الالمان (alamans) القبلي الجرمانى السدي كان يشغل منذ القرن  
الخامس اراضي الالواس الحالية وسويسرا الشرقية والمانيا الجنوبية  
الغربية تعود المجموعة الى اواخر القرن السادس وبداية القرن السابع  
وال القرن الثامن . وهنا يستشهد انجلس بالقانون ٨١ (٨٤) .- ص ٢٥٨

١٤٥- «نشيده هيلينجولد» ، قصيدة بطولية ، اثر من الشعر  
الملحمي الالمانى القديم من القرن الثامن ؛ بقيت منها مقاطع .- ص ٢٥٩

١٤٦- انتفاضة القبائل الجرمانية والغالية بقيادة زيفيليس ضد  
السيادة الرومانية جرت في ٦٩-٧٠ (في ٦٩-٧١ ، كما يقول بعض  
المصادر الاخرى) . شملت قسماً كبيراً من بلاد الغال والمقاطعات

الجرمانية الخاضعة لروما ، وهددت روما بخطر خسارة هذه الاراضي  
منى التنتفون بالهزيمة فاضطروا لعقد الصلح مع روما .- ص ٢٦٢

١٤٧ - "Codex Laureshamensis" (وسجلات لورش) ، مجموعة  
من نسخ امتيازات دير لورش ومن شهادات الهبات له ، تم جمعها في  
القرن الثاني عشر . وهي من أهم المصادر في تاريخ ملكية الارض الفلاحية  
والقطاعية في القرنين الثامن والتاسع .- ص ٢٦٨

١٤٨ - الأيبيريون Ibères ، مجموعة قبائل كانت تسكن في الأزمنة  
الغابرة تسما من شبه جزيرة البيرينيه وجور البحر الأبيض المتوسط  
الواقعة على مقربة منها واقسم الجنوبي الشرقي من فرنسا الحالية  
الليغورون Ligures ، مجموعة من القبائل كانت تسكن في سحيق  
الأزمنة تسما كبراً من شبه جزيرة الأيبين في القرن السادس قبل  
الميلاد ، طردتها القبائل الإيطالية الى القسم الشمالي الغربي من شبه جزيرة  
الأيبين وإلى القسم الساحلي الجنوبي الشرقي من بلاد الغال .

النوريكيون Noriques ، مجموعة من القبائل الأيبيرية السلتية  
كانت تعيش في اراضي مقاطعة نوريك الرومانية القديمة (حاليا اراضي  
شتريرا وقسم من كارينتيا في النمسا) .- ص ٢٧٥

١٤٩ - المقصود هنا الامبراطورية الرومانية المقدسة للامنة  
الالمانية ، امبراطورية قروسطية (من القرون الوسطى) تأسست في عام  
٩٦٢ وشملت اراضي ألمانيا وقسماً من إيطاليا . فيما بعد ، دخلت ايضاً  
في قوام الامبراطورية بعض الاراضي الفرنسية وبلاد التشيك والنمسا  
وهولنده وسويسرا وبلدان اخرى لم تكن الامبراطورية دولة مركزية  
وكانت عبارة عن اتحاد وامن بين امارات القطاعية ومدن حرة تعترف  
بسلطة الامبراطور العليا زالت الامبراطورية في عام ١٨٠٦ عندما اضطر  
آل هابسبورغ ، بعد هزيمتهم في الحرب ضد فرنسا ، الى التخلي عن  
لقب اباطرة الامبراطورية الرومانية المقدسة .- ص ٢٧٩

١٥٠ - Bénéfice (من اللاتينية *bénéficialium* ومعنى : عمل خير ،

منحة ، هبة ، احسان ) ، شكل من وهب الاراضي انتشر واسع الانتشار في دولة الافرنج في النصف الاول من القرن الثامن كانت قطعة الارض المنقولة الى الغير بشكل هبة *bénéfice* تنتقل مع الفلاحين الاقنان العائنين فيها الى الموهوب (*bénéficiaire*) لأجل التمتع بها مدى الحياة ، شرط ان يقوم بخدمات معينة ، هي في اغلب الاحيان خدمات عسكرية اسهم نظام الهبة في تكوين طبقة الاقطاعيين ، ولا سيما منهم النبلاء الصغار والمتوسطين ، وفي تحويل جماهير الفلاحين الى اقنان ، وفي تطوير علاقات التبعية الاقطاعية وتسلسل المراتب الاقطاعي فيما بعد اخذت الهبات *bénéfices* تتحول الى الطاعات وراثية . - ص ٢٨٢

١٥١- **كوتات الغرافن (Gaugrafen)** ، في دولة الافرنج موظفون ملكيون معينون على رأس الدوائر او الكوتيات . كانوا يتمتعون بالسلطة القضائية ويحصلون الضرائب ويشرفون على القوات المسلحة ويقودونها ابان الحملات لقاء خدماتهم ، كانوا يتقاضون ثلث الايرادات الملكية في الدائرة المعنية ، ويكافأون بقطع من الارض . فيما بعد اخذ الكوتات يتحولون بالتدريج من موظفين يعينهم الملك الى اسياد اقطاعيين كبار يملكون السلطة المطلقة ولا سيما بعد عام ٨٧٧ ، اي بعد ان اقر رسميا نقل وظيفة الكونت بالوراثة . - ص ٢٨٤

١٥٢- **الانشاري angario** ، اتاوات كانت مفروضة في الامبراطورية الرومانية على السكان وتلزمهم بتقديم الخيل والحمالين لاجل خدمة النقليات الحكومية فيما بعد ، اكتسبت هذه الاتاوات طابعاً اوسع وصارت عبئاً مرهقاً على السكان . - ص ٢٨٥

١٥٣- **العهد Commende** (من اللاتينية *Commendare* عهد اوكل) ، شكل من الاشكال المنتشرة في اوروبا ابتداء من القرنين الثامن والتاسع لانتقال الفلاحين الى ما تحت وحماية ( وعهدة ) الاقطاعيين ، او لانتقال الاقطاعيين الصغار الى ما تحت وحماية ( وعهدة ) الاقطاعيين الكبار بشروط معينة (مثلا ، تادية الخدمة العسكرية ، تسليم العاهد ارضه وحصوله عليها من جديد بصورة وضع يد مفروض) . كانت العهدة

عني بالنسبة للفلاحين الذين كانوا يكرهونهم بالقوة في كثير من الاحيان  
 على هذا العمل ، فقدان الحرية الشخصية ، ومعني بالنسبة للاقطاعيين  
 الصغار الدخول في علاقات تبعية حيال الاقطاعيين الكبار ، فاسهمت بالتالي

في توطيد العلاقات الاقطاعية . - ص ٢٨٧

١٥٤- في عام ١٠٦٦ دارت في هاستينغس رحى معركة بين  
 قوات غليوم دوق نورمنديا التي اقتحمت إنجلترا ، وبين الانجلو-  
 ساكسونيين . كانت القوات الانجلو-ساكسونية لا تزال تحتفظ في تنظيمها  
 العسكري برواسب النظام العشائري وكانت اسلحتها بدائية ، فغنت  
 بالهزيمة ، وقتل ملكها هارولد في المعركة واصبح غليوم ملك إنجلترا  
 باسم غليول الاول الفاتح . - ص ٢٩٧

١٥٥- ديتماورسن ، مقاطعة في القسم الجنوبي الغربي من فليسيفيخ-  
 هولشتين الحالية . فيما مضى ، سكنها الساكسون ؛ في القرن الثامن استولى  
 عليها شارلمان الكبير ؛ فيما بعد ، صارت في ملكية مختلف الاقطاعيين  
 الدينين والديويين . منذ لواسط القرن الثاني عشر ، اخذ سكان ديتماورسن  
 الذين كانت الهيمنة بينهم للفلاحين الاحرار ، يناولون الاستقلال تدريجيا ،  
 ثم تمتعوا عمليا بالاستقلال منذ مستهل القرن الثالث عشر حتى لواسط  
 القرن السادس عشر وفي هذه المرحلة كانت ديتماورسن عبارة عن  
 مجموعة من المشاعات الفلاحية ذات الحكم الذاتي اساسها في كثير من  
 الحالات العشائر الفلاحية القديمة . حتى القرن الرابع عشر ، كانت السلطة  
 العليا في ديتماورسن تعود الى جمعية جميع ملاكي الاراضي الاحرار ، ثم  
 انتقلت الى ثلاث هيئات منتخبة . في عام ١٥٥٩ ، حطمت قوات الملك  
 الدانماركي فريدريك الثاني والدوقين الفولشتينيين يوهان وادولف مقاومة  
 سكان ديتماورسن ، وتقامم المنتصرون المقاطعة ولكن نظام المشاعات  
 والحكم الذاتي الجزئي ظل قائمين في ديتماورسن حتى النصف الثاني من القرن  
 التاسع عشر . - ص ٤٠٦ .

١٥٦- راجع هيفل واسس فلسفة الحق ، الفقرتان ٢٥٧  
 و ٢٦٠ . - ص ٤٠٧ .

## دليل الاسماء

ابيروس كلوديوس (توفي حوالي ٤٤٨ ق م . ٠) - رجل دولة روماني احد  
اعضاء لجنة القضاة العشر (٤٥١ - ٤٥٠) التي اصدرت قوانين  
الالواح الاثني عشر . - ص ٢٢٨

لوريششتا - اسم ثلاثة من ملوك فارس القديمة من سلالة الاحمينيديين -  
ص ٢٤٦

لويستوفانس (حوال ٤٤٦ - حوال ٢٨٥ ق م . ٠) - مؤلف مسرحي  
مشهور في اليونان القديمة وضع مسرحيات هزلية سياسية . -  
ص ٢٥٢

لويستو (٢٨٤ - ٢٢٢ ق م . ٠) - مفكر كبير في الازمنة القديمة تارجح  
في الفلسفة بين المادية والمثالية . ايدولوجي طبقة مالكي المبيد . -  
ص ص ٢١٧ ، ٩٥

لوكرايت ريتشارد (١٧٢٤ - ١٧٩٢) - رب عمل بريطاني . استملك جملة  
من شهادات الاختراع لاختراعات حققها غيره في بريطانيا . - ص ٦٦

لوهاردت يوهان لودفيغ البرت (ولد حوال ١٨٢٠) - مستخدم تجاري  
الماني . عضو عصبة الشيوعيين . احد المتهمين في محاكمة الشيوعيين  
في كولونيا (١٨٥٢) . - ص ص ١٦٦ ، ١٦٧

لويستكس (حوال ٥٤٠ - ٤٦٧ ق م . ٠) - سياسي وقائد عسكري في  
اليونان القديمة . - ص ٢٢٠

لويستون (القرن السادس ق م . ٠) - ملك امبرطية (٥٧٤ - ٥٢٠  
ق م . ٠) ، شارك انكسندريداس في الحكم . - ص ٢٥٢

اسطيولوس (٥٢٥-٤٥٦ ق م) - مؤلف مسرحي يوناني بارز له مسرحيات ماساوية كلاسيكية . - ص ص ١٧٧ ، ٢٥١ ، ٢١٢

افاسبيس لويس جان رودولف (١٨٠٧-١٨٧٢) - عالم حيواني وجيولوجي سويسري روج للنظرية المثالية القائلة بالكوارث ولفكرة الخلق الرباني . - ص ٢٢٥

الاسكندر ذو القرنين (٢٥٦-٢٢٢ ق م) . - قائد عسكري شهير ورجل دولة في العالم القديم . - ص ٢٤٧

البريخت كارل (١٧٨٨ - ١٨٤٤) - تاجر ألماني حكم عليه بالسجن ٦ سنوات لاشتراكه في حركة المعارضة المسماة بحركة «الديماغوجيين» . في ١٨٤١ ، اقام في سويسرا حيث روج بأسلوب ديني صوفي لافكار قريبة من شيوعية ويتلينغ الطوبوية . - ص ١٥٢

اميان مرسيلان (حوال ٢٢٢ - حوال ٤٠٠) - مؤرخ روماني واضح كتاب «التاريخ» . - ص ص ٢٦١ ، ٢٩٦

الأكرويوت (النصف الثاني من القرن السادس ق م) . - شاعر غنائي في اليونان القديمة . - ص ٢٧٢

النجلس فريديك (١٨٢٠ - ١٨٩٥) . - ص ص ٢٧ ، ٢٨ ، ٤٢ - ٤٥ ، ٥١ ، ١١٥ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٤٠ - ١٥٩ ، ١٦٢ - ١٦٦ ، ١٧٠ - ١٧٥ ، ١٩٠ - ١٩٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٥٥ ، ٢٦٢ ، ٣١٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٤١٧

الكساغوراس من كلارومينه (حوال ٥٠٠ - ٤٢٨ ق م) . - فيلسوف مادي في اليونان القديمة . - ص ص ٤٧ ، ٧٨

الكسنديداس (القرن السادس ق م) . - ملك اسبرطة ، حكم ابتداء من عام ٥٦٠ ق م . ، شارك اريستون في الحكم . - ص ٢٥٢ .

لوتو كارل فونيبالد (ولد حوالى ١٨٠٩) - كيمايو الماني في ١٨٤٨ -  
 ١٨٤٩ ، عضو عصبة العمال في كولونيا عضو عصبة الشيوعيين ،  
 احد المحاكمين في محاكمة الشيوعيين في كولونيا (١٨٥٢) . -  
 ص ١٦٦

لودويغر (حوالى ٤٢٤ - ٤٩٢) - احد قادة الفصائل الجرمانية. في عام ٤٧٦  
 غلخ امبراطور روما واصبح ملك اول مملكة «بربرية» في اراضي  
 ايطاليا . - ص ٢٧١

الاورلياني ، دوق - راجع لويس فيليب .

لودويغس (حوالى ٤٨٠ - حوالى ٥٠٦ ق م .) - مؤلف مسرحي بارز  
 في اليونان القديمة . مؤلف مسرحيات ماساوية كلاسيكية . - ص ٢٥٤ .

لوفستوس (٦٢ ق م . - ١٤ م .) - امبراطور روماني (٢٧ ق م . -  
 ١٤ م .) . - ص ص ٢٢٧ - ٢٢٩ ، ٢٧٤

لوفيللا (فليللا) (حوالى ٢١١ - ٢٨٢) - قائد ديني وسياسي من القوط  
 الغربيين ؛ ادخل القوط في الدين المسيحي . اسس الابجدية القوطية .  
 ترجم الكتاب المقدس الى اللغة القوطية . - ص ٢٤٦

لوين روبرت (١٧٧١ - ١٨٥٨) - اشتراكي طوبوي انجليزي كبير . -  
 ص ص ٥٠ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٩٠ - ٩٤

لومينتون (توفي حوالى ٨٢٦) - رئيس دير سان - جرمان - دي بري  
 (٨١٢ - ٨١٧) . - ص ٢٨٥

لوسبيانس الفرد فكتور (١٨٤٤ - ١٩٢٢) - فيلسوف وعالم اجتماعي  
 فرنسي برجوازي . نصير نظرية التطور - ص ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ .

ايشنباخ - راجع ولفرام فون ايشنباخ .

ايفريك اوغست فرمان (١٨١٦ - ١٨٦٠) - طبيب واديب الماني قائد  
 المحافل الباريسية التابعة لعصبة العادلين . فيما بعد عضو في عصبة  
 الشيوعيين ؛ خرج منها في ١٨٥٠ . - ص ص ١٥١ ، ١٦٦ .



**إيكولوس** يوهان فيورغ (١٨١٨ - ١٨٨٩) - عامل خياط الماني . قائد بارز في الحركة العمالية العالمية . عضو عصبة العادلين ثم عضو عصبة الشيوعيين عضو المجلس العام للاممية الاولى . فيما بعد اشترك في الحركة التريديونلونية البريطانية . - ص ١٥٢

**بابوف** غراخ ( اسمه الحقيقي نويل فرانسوا ) ( ١٧٦٠ - ١٧٩٧ ) - توري فرسي . ممثل بارز للشيوعية السوانية الطوبوية . منظم مؤامرة «السوانيين» ( «المتساوين» ) . - ص ٨٠ .

**باريس** ارمان ( ١٨٠٩ - ١٨٧٠ ) - توري فرسي . ديموقراطي يروجوازي صغير . قائد لفيط في ثورة ١٨٤٨ . حكم عليه بالسجن مدى الحياة لاشتراكه في حوادث ١٥ ايار ( مايو ) ١٨٤٨ صدر عفو عنه في ١٨٥٤ . - ص ١٤١

**بالغانيني** نيكولو ( ١٧٨٢ - ١٨٤٠ ) - عازف كمان وموسيقار ايطالي كبير . - ص ٨ .

**بالكلاه** وليام ( ١٧٨٤ - ١٨٥٦ ) - جيولوجي وقسيس انجليزي حاول في ابحاله ان يوفق بين مصطيات الجيولوجيا واساطير التوراة . - ص ٥٠

**باكون** فرسيس ، بارون فيرولام ( ١٥٦١ - ١٦٢٦ ) - فيلسوف انجليزي بارز . مؤسس المادية الانجليزية . - ص ٤٧ ، ٤٩ ، ٩٧

**بالمستون** هنري جون تمبل ، فيكونت ( ١٧٨٤ - ١٨٦٥ ) - رجل دولة بريطاني . عضو حزب التوري . ابتداء من ١٨٢٠ ، احد زعماء الويغ . وزير الخارجية ( ١٨٢٠ - ١٨٢٤ ، ١٨٢٥ - ١٨٤١ ، ١٨٤٦ - ١٨٥١ ) ، وزير الداخلية ( ١٨٥٢ - ١٨٥٥ ) ، رئيس الوزارة ( ١٨٥٥ - ١٨٥٨ ، ١٨٥٩ - ١٨٦٥ ) . - ص ٢١

**بانغ** الطون كريستيان ( ١٨٤٠ - ١٩١٢ ) - لاهوتي نروجي . وضع ابحاثا في الميثولوجية السكالدينافية وفي تاريخ المسيحية في النروج . - ص ٣٦١ .

**بانكروفت هيوبرت هاو** (١٨٢٢ - ١٩١٨) - مؤرخ برجوازي اميركي  
وضع ابحاثا في التاريخ والانتوغرافيا - ص ص ٢١٢ ، ٢٢٢ ،  
٢٩١

**بلور برونو** (١٨٠٩ - ١٨٨٢) - فيلسوف مثالي الماني ، واحد من ابرز  
ممثلي الهيغلية الفتاة ، راديكالي برجوازي بعد ١٨٦٦ ، ليبرالي  
قومي . - ص ٢٧

**بلور هنريخ** - قائد بارز في الحركة العمالية الالمانية. احد قادة عصبة العادلين.  
عضو اللجنة المركزية لعصبة الشيوعيين في ١٨٥١ ، هاجر ال  
اوستراليا . - ص ص ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٦

**بلوهفن يوهان يعقوب** (١٨١٥ - ١٨٨٧) - مؤرخ وحقوقي سويسري بارز.  
صاحب كتاب "حق الامم" . - ص ص ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ،  
١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ،  
٢٢٢ - ٢٣٨ ، ٢٧٩

**برايث جون** (١٨١١ - ١٨٨٩) - صناعي بريطاني من انصار حرية  
التجارة احد مؤسسي عصبة مكافحة قوانين الحبوب ابتداء من  
لواخر الستينيات احد زعماء الحزب الليبرالي (حزب الاحرار)  
فصل عدة مناصب وزارية في الحكومات الليبرالية . - ص ٧١

**بروسيوس** (٢١٢ - ١٦٦ ق م) . - ملك مقدونيا (١٧٩ - ١٦٨ ق  
م) . - ص ٣٧٤

**برودون بيير جوزيف** (١٨٠٩ - ١٨٦٥) - صحفي واقتصادي وعالم اجتماعي  
فرنسي . ايدولوجي البرجوازية الصغيرة . من مؤسسي الفوضوية . -  
ص ص ٢٧ ، ١٦٠

**بروكوبيوس من القهرية** (اواخر القرن الخامس - حوالي ٥٦٢) - مؤرخ  
بيزنطي مؤلف وتاريخ حروب يوسطينيانوس ضد الفرس والفندال  
والقوط في ٨ كتب . - ص ٢٦١ .

بريستلي جوزيف (١٧٣٣ - ١٨٠٤) - كيمائي انجليزي معروف . فيلسوف .  
مادي . شخصية اجتماعية تقدمية . - ص ٤٩ .

برينتانو لويو (١٨٤٤ - ١٩٣١) - اقتصادي برجوازي مبتدل الماني ،  
من ممثلي اشتراكية الكراسي الرئيسيين . - ص ٧٥

بفندر كارل (١٨١٨ - ١٨٧٦) - قائد في الحركة العمالية الالمانية  
والعالمية . رسام . ابتداء من ١٨٤٥ مهاجر في لندن . عضو جمعية  
العمال الالمان التثقيفية في لندن . عضو اللجنة المركزية لمصبة  
الشيوعيين عضو المجلس العام للامية الاولى (١٨٦٤ - ١٨٦٧) ،  
١٨٧٠ - ١٨٧٢) . صديق ماركس وانجلس ورفيقهما في النضال . -  
ص ١٥٣

بلك الكسندر - خياط الماني عضو عصبة العادلين في اواخر ١٨٤٦ ،  
اعتقل في قضية العصبة شاهد في محاكمة الشيوعيين في كولونيا  
(١٨٥٢) . - ص ١٤٥

بلان لويس (١٨١١ - ١٨٨٢) - اشتراكي برجوازي صغير ومؤرخ فرنسي .  
في ١٨٤٨ ، عضو الحكومة المؤقتة ورئيس لجنة اللوكسمبورغ  
ابتداء من آب (اغسطس) ١٨٤٨ ، احد قادة المهاجرين البرجوازيين  
الضغار في لندن . - ص ص ١٦٠ ، ١٦٤

بلانكي لويس اوغست (١٨٠٥ - ١٨٨١) - ثوري فرنسي شيوعي  
طوبوي . ابان ثورة ١٨٤٨ ، وقف في اقصى الجناح الايسر من الحركة  
الديموقراطية والبروليتارية في فرنسا . حكم عليه غير مرة بالسجن . -  
ص ١٤١

بلوتارك (حوال٤٦ - حوال١٢٥) - كاتب يوناني قديم . فيلسوف مثالي . -  
ص ٢٥٢

بليغروفو غرسون (١٨٢٢ - ١٨٩٣) - مالي الماني المصري الشخصي  
لبيسمارك ، ومستشاره غير الرسمي في الشؤون المالية ووسيطه في  
مختلف المضاربات . - ص ٤١١ .

بليونس (غاي بليونس سيكوند) (٢٣-٧٩) - عالم روماني مؤلف  
والتاريخ الطبيعي، في ٢٧ كتاباً - ص ص ٢٦٨ ، ٢٧٤

بوختر غيورغ (١٨١٣ - ١٨٢٧) - كاتب الماني . ديموقراطي ثوري . احد  
منظمي الجمعية الثورية السرية لحقوق الانسان في هيسن في عام  
١٨٣٤ . واضح نداء الى فلاحي هيسن صدر بشعار والسلام للاكواخ،  
الحرب للقصور! - ص ١٤١

بودفوس هنريخ (١٨٢٠ - ١٨٧٨) - كاتب سياسي راديكالي الماني  
عاون في "Rheinische Zeitung" (١٨٤٢ - ١٨٤٣) ، من محرري  
"Neue Rheinische Zeitung" ابتداء من عام ١٨٥٠ ، عضو  
اللجنة المركزية لعصبة الشيوعيين احد المحاكمين في محاكمة  
الشيوعيين في كولونيا (١٨٥٢) . فيما بعد ، تقدمي . - ص ١٦٦

بون اسطفان (اسمه الحقيقي بوترميلخ سيمون) (١٨٢٤-١٨٩٨) -  
عامل الماني عضو عصبة الشيوعيين ابان ثورة ١٨٤٨ - ١٨٤٩  
في المانيا ، برز كواحد من اوائل ممثلي الاصلاحية في الحركة العمالية  
الالمانية . - ص ص ١٦٠ ، ١٦١

بودشتيتت ادالبرت (١٨٠٨ - ١٨٥١) - ديموقراطي برجوازي صغير  
الماني . مؤسس ورئيس تحرير "Deutsche-Brüsseler-Zeitung"  
(١٨٤٧ - ١٨٤٨) ؛ عضو عصبة الشيوعيين طرد من العصبة في  
آذار (مارس) ١٨٤٨ . احد منظمي فيلق المتطوعين من المهاجرين  
الالمان في باريس الذي اشترك في انتفاضة بادن في نيسان (ابريل)  
١٨٤٨ . - ص ١٥٨

بودشتيتن ارنولد برنهارد كارل (١٨٠٨ - ١٨٤٩) ديموقراطي برجوازي  
صغير الماني احد قادة فيلق المتطوعين من المهاجرين الالمان في  
باريس الذي اشترك في انتفاضة بادن في نيسان (ابريل) ١٨٤٨ . -  
ص ١٥٨ .

بوفه ايليروس صوفوس (١٨٢٢ - ١٩٠٧) - عالم لغوي لوجي . وضع دراسات في الادب السكالدينياني القديم والميثولوجيا السكالدينيافية . - ص ٢٦١

بولينفروك هنري (١٦٧٨ - ١٧٥١) - فيلسوف من اتباع مذهب التاليه النسبي ورجل دولة انجليزي . من زعماء حزب التوري . - ص ٦٢

بولفورت نابليون جوزيف شارل بول (١٨٢٢ - ١٨٩١) - ابن جيروم بوناپرت ، ابن اخي لويس بوناپرت في عهد الجمهورية الثانية ، نائب في الجمعية التأسيسية والجمعية التشريعية . - ص ٣١

بوليه شارل (ولد في عام ١٨٦٢) - اشتراكي فرنسي . صحفي . - ص ٢١٥ .

بوهم يعقوب (١٥٧٥ - ١٦٢٤) - حرلي الماني فيلسوف صوفي . - ص ٤٧

بيده الملقب بالير (حوالي ٦٧٢ - ٧٢٥) - عالم وراهب انجلوساكسوني مؤرخ . - ص ٢٥٧

بيصياوك لوتو ، (١٨١٥ - ١٨٩٨) - رجل دولة وديپلوماسي بروسي والماني . ممثل ليونكر البروسي وزير رئيس بروسيا (١٨٦٢ - ١٨٧١) ، مستشار الامبراطورية الالمانية (١٨٧١ - ١٨٩٠) . - ص ١٢٢ ، ١٦٨ ، ٢٥٢ ، ٤١١ .

بيسماركس (حوالي ٦٠٠ - ٥٢٧ ق . م .) طافية الهني (٥٦٠ - ٥٢٧ ق . م . مع القطاعات) . - ص ٢٢٥

بيكر لونغست (١٨١٤ - ١٨٧١) - كاتب سياسي الماني عضو عصبة العادلين في سويسرا . من انصار ويتلينغ . اشتراك في ثورة ١٨٤٨ - ١٨٤٩ في المانيا . في مستهل العقد السادس ، هاجر الى الولايات المتحدة الاميركية حيث علون في الجرائد الديموقراطية . - ص ١٤٤ .

**بيكو** فرمان هنريخ ( ١٨٢٠ - ١٨٨٥ ) - حقوقي وكاتب سياسي الماني  
ابتداء من عام ١٨٥٠ ، عضو عصبة الشيوعيين احد المحاكمين في  
محاكمة الشيوعيين في كولونيا ( ١٨٥٢ ) ؛ فيما بعد ، ليبرالي  
قومي . - ص ١٦٦

**بيكو** ولهم ادولف ( ١٧٩٦ - ١٨٤٦ ) - مؤرخ الماني وضع ابحاثا في  
التاريخ القديم . - ص ٢٠٦

**تاقيطس** ( بوبليوس كورنيليوس تاقيطس ) ( حوالى ٥٥ - حوالى ١٢٠ ) -  
مؤرخ روماني كبير جداً مؤلف وجرمانياء و«التواريخ»  
و«الحوليات» . - ص ص ١٧٢ ، ١٨٦ ، ٢٠١ ، ٢٦٠ ، ٢٩٥ ،  
٢٧٢ - ٢٦٠

**تايلور** ادوارد برنيت ( ١٨٢٢ - ١٩١٧ ) - عالم اتنوغرافي بريطاني  
مشهور . مؤسس المدرسة التطورية في تاريخ الثقافة والانتوغرافيا . -  
ص ١٧٦

**تركوينوس الكبير** ( ٥٢٤ - حوالى ٥٠٩ ق م . ) - ملك شبه اسطوري  
في روما القديمة تقول الحكايات انه طرد بنتيجة انتفاضة شعبية  
اقام على اثرها النظام الجمهوري في روما . - ص ص ٢٤٧ ، ٢٥٠

**تورغر** غرسون ( ولد في ١٨٥١ ) - اشتراكي - ديموقراطي دانماركي احد  
زعماء الاقلية الثورية في الحزب الاشتراكي - الديموقراطي ناغل  
ضد السياسة الاصلاحية للجنح الانتهازي في الحزب ترجم اعمال  
انجلس الى الدانماركية . - ص ١٧٥

**تورفالديسن** برنال ( ١٧٦٨ - ١٨٤٤ ) - مثال دانماركي مشهور . - ص ٨ .  
**تيباريوس** ( ٤٢ ق م . - ٣٧ م . ) - امبراطور روماني ( ١٤ - ٣٧ ) . -  
ص ٣٤٦

**تيودوريخ** - اسم ملكين من ملوك القوطيين الغربيين - تيودوريخ الاول ( حكم  
من عام ٤١٨ تقريبا الى عام ٤٥١ ) . تيودوريخ الثاني ( حكم من عام  
٤٥٢ تقريبا الى عام ٤٦٦ ) واسم ملك القوطيين الشرقيين تيودوريخ  
( حكم من ٤٧٤ الى ٥٢٦ ) . - ص ٢٤٦ .

ثوقيديديس (حوالي ٤٦٠ - حوالي ٣٩٥ ق م .) - من اكبر المؤرخين اليونانيين القدامى . مؤلف وتاريخ حرب البيلوبونيز . - ص ٣١٨

ثيوكريتوس - شاعر يوناني من القرن الثالث ق م . - ص ٢٧١

جرو - طولون الكسيس (ولد في ١٨٣٩) - بروفيسور في التاريخ في جنيف ، مؤلف عدد من البحوث في تاريخ المجتمع البدائي . - ص ص ١٨٧ ، ١٩١ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢٥٠

جيفن روبرت (١٨٣٧ - ١٩١٠) - اقتصادي واحصائي برجوازي بريطاني . اختصاصي في شؤون المالية رئيس قسم الاحصاء في وزارة التجارة (١٨٧٦ - ١٨٩٧) . - ص ١٢٠

داووين تشارلز روبرت (١٨٠٩ - ١٨٨٢) - بحاث انجليزي كبير في الطبيعة . مؤسس البيولوجيا التطورية العلمية . - ص ص ٨ ، ١٠٠ ، ١٢٥ ، ١٨٨

داينته اليخيري (١٢٦٥ - ١٣٢١) - شاعر ايطالي كبير . - ص ٢٦

داينيلس رولاند (١٨١٩ - ١٨٥٥) - طبيب الماني . عضو عصبة الشيوعيين . احد المحاكمين في محاكمة الشيوعيين في كولونيا (١٨٥٢) . قام باولى المحاولات لتطبيق المادية الديالكتيكية في ميدان علم الطبيعة . صديق ماركس وانجلس . - ص ص ١٦٦ ، ١٦٧

دزوالبي بنيامين ، كونت بيكولسفيلد (١٨٠٤ - ١٨٨١) - رجل دولة وكاتب بريطاني من اعضاء حزب التوري زعيم حزب المحافظين رئيس الوزارة (١٨٦٨ و ١٨٧٤ - ١٨٨٠) . - ص ٧١

دوبره مارسيل (١٨٤٣ - ١٩١٨) - عالم فيزيائي وكهرتكنيكي فرنسي درس معضلة نقل الطاقة الكهربائية عن بعد . - ص ١٣٦

دودويل هنري (توفي عام ١٧٨٤) - فيلسوف مادي انجليزي . - ص ٤٩

دورو دي لا مال ادولف جول سيزار اونست (١٧٧٧ - ١٨٥٧) - شاعر ومؤرخ فرنسي . - ص ٢٤٩

دوليشال لورنس (ولد في ١٧٩٠) - موظف بوليسي في كولونيا (١٨١٩) -

(١٨٤٧) مراقب "Rheinische Zeitung" . - ص ٢٦

دونس سكوت يوهان (حوالي ١٢٦٥ - ١٢٠٨) - فيلسوف من القرون

الوسطى . كلامي . ممثل مذهب الاسمية الذي كان في القرون الوسطى

اول تصبير عن المادية . مؤلف البحث الضخم ومجموعة اوكسفورد . -

ص ٤٦ .

دونكر فرانتس (١٨٢٢ - ١٨٨٨) - سياسي وناشر برجوازي الماني . -

ص ٢١

دوهريغ اوجين كارل (١٨٣٢ - ١٩٢١) - فيلسوف اختياري واقتصادي

سطحي الماني ممثل الاشتراكية البرجوازية الصغيرة الرجعية ؛ في

الفلسفة جمع بين المثالية والمادية المتبدلة والوضعية . ميتافيزيائي .

من ١٨٦٣ الى ١٨٧٧ استاذ محاضر في جامعة برلين . - ص ص

٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤

ديتس يوهان هنريخ ولهم (١٨٤٣ - ١٩٢٢) - اشتراكي - ديموقراطي

الماني . مؤسس دار النشر الاشتراكية - الديموقراطية ابتداء من

١٨٨١ نائب الريخستاغ . - ص ١٧٤

دهوو ديني (١٧١٣ - ١٧٨٤) - فيلسوف فرنسي بارز ممثل المادية

الميكانيكية . الحادي . احد ايدولوجيي البرجوازية الثورية الفرنسية .

منور رئيس الموسوميين . - ص ٩٦

ديكوت رينيه (١٥٩٦ - ١٦٥٠) - فيلسوف ثنائي ، عالم رياضيات وطبيبات

فرنسي بارز . - ص ٩٥

ديكيواوخ (القرن الرابع ق م .) - عالم يوناني تلميذ ارسطو مؤلف

جملة من البحوث التاريخية والسياسية والفلسفية والجغرافية وغيرها . -

ص ٢٠٦ .

دهوستينس (٣٨٤ - ٢٢٢ ق م .) - خطيب بارز وقائد سياسي في

اليونان القديمة . - ص ٢٠٥ .



- دهموكراتيس (حوال ٤٦٠ - حوالى ٣٧٠ ق. م .) - فيلسوف مادى كبير  
 فى اليونان القديمة ، من مؤسسى النظرية الذرية . - ص ٤٧
- ديودوروس الصيقلى (حوال ٨٠ - ٢٩ ق م .) - مؤرخ يونانى قديم  
 مؤلف بحث فى التاريخ العالمى اسمه والمكتبة التاريخية . - ص ص  
 ٣٦١ ، ٣٧٣
- ديونيسيوس الهاليكارناسى (القرن الاول ق م . - القرن الاول م .) -  
 مؤرخ وعالم بيان يونانى قديم . مؤلف كتاب وتاريخ روما القديم . -  
 ص ٣١٣
- دوفه هنرى - صحفى فرنسى مترجم اعمال انجلس الى الفرنسية . - ص  
 ١٧٥
- رايت افير (١٨٠٣ - ١٨٧٥) - مرسل اميركى . من ١٨٢١ الى ١٨٧٥  
 عاش بين الهندو الحمر . وضع قاموسا بلغتهم . - ص ٢٢١
- رفائيل سانتى (١٤٨٣ - ١٥٢٠) - رسام ايطالى كبير فى عهد النهضة . -  
 ص ٨
- روڈر بيتر غيرهارد (١٨١٤ - ١٨٦٥) - قائد فى الحركة العمالية الالمانية .  
 فى ١٨٤٨ - ١٨٤٩ ، نائب رئيس عصبة العمال فى كولونيا عضو  
 عصبة الشيوعيين احد المحاكمين فى محاكمة الشيوعيين فى كولونيا  
 (١٨٥٢) . فيما بعد ، انضم الى الالساين . - ص ١٦٦
- روسو جان جاك (١٧١٢ - ١٧٧٨) - منور فرنسى بارز . ديموقراطى ،  
 ايدىولوجى البرجوازية الصغيرة ، فيلسوف مؤله سببى . - ص ص  
 ٧٩ ، ٨١ ، ٩٦
- روغه ارنولد (١٨٠٢ - ١٨٨٠) - كاتب سياسى المانى . من اعضاء الهيغلية  
 الفتاة . راديكالى برجوازي . فى ١٨٤٨ كان نائبا فى مجلس فرانكفورت  
 الوطنى وانضم الى جناحه اليسارى فى الخمسينيات احد زعماء  
 المهاجرين البرجوازيين الصغار الالمان فى بريطانيا بعد ١٨٦٦ ،  
 ليبرالى قومى . - ص ص ٢٦ ، ١٦٤ .

- ريفا وللم يوزيف (ولد في ١٨٢٤) - عضو عصبة العمال في كولونيا  
 عضو عصبة الشيوعيين . في ١٨٥٠ ، طرد من العصبة . احد المحاكمين  
 في محاكمة الشيوعيين في كولونيا (١٨٥٢) . - ص ١٦٦
- ريشان ارنست (١٨٢٣ - ١٨٩٢) - عالم لغوي فرنسي مؤرخ المسيحية.  
 فيلسوف مثالي . - ص ١٦١
- زوغنهيم سمونيل (١٨١١-١٨٧٧) - مؤرخ برجوازي الماني . - ص  
 ٢٢٧
- زيڤيليس يوليوس (القرن الاول) - زعيم قبيلة البانافين الجرمانية تراس  
 انتفاضة القبائل الجرمانية والغالية ضد السيادة الرومانية (٦٩-٧٠  
 او ٦٩ - ٧١) . - ص ٢٦٢
- زيكينفن فرانتس فون (١٤٨١-١٥٢٣) - فارس الماني التحق بحركة  
 الاصلاح قائد انتفاضة الفرسان في ١٥٢٢-١٥٢٣ . - ص ٥٨
- سانصيون هنري (١٧٦٠-١٨٢٥) - اشتراكي طوبوي فرنسي كبير . -  
 ص ص ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٧٦ ، ٨٧ ، ١٠١
- سالكي آيرا دافيد (١٨٤٠ - ١٩٠٨) - واعظ پروستانتى اميركي . -  
 ص ٦٨
- سبيئوزا باروخ (بنديكت) (١٦٣٢ - ١٦٧٧) - فيلسوف مادي هولندي  
 بارز ملحد - ص ٩٥
- ستوارت - سلالة من الملوك حكمت اسكتلنده ابتداء من ١٢٧١ وانجلترا  
 (١٦٠٣ - ١٦٤٩ ، ١٦٦٠ - ١٧١٤) . - ص ٦٢
- سرفيوس توليوس (٥٧٨ - ٥٢٤ ق . م .) - ملك شبه اسطوري في روما  
 القديمة . - ص ٢٤٩
- سكوت فاتر (١٧٧١ - ١٨٢٢) - كاتب روائى انجليزى بارز . - ص ٣٥٦

سلفيان (حوالي ٣٩٠ - حوالي ٤٨٤) - كاهن مسيحي في مرسلينا وكاتب .  
مؤلف كتب (في حكم الاله) . - ص ص ٢٨٠ ، ٢٨٥

سوويتا الونسو - موظف اسباني عاش في امريكا الوسطى في اواسط القرن  
السادس عشر . - ص ٢٤٧

سوسور هنري (١٨٢٩ - ١٩٠٥) - عالم حيوان سويسري . - ص ٢٠٨  
سولون (حوالي ٦٢٨ - حوالي ٥٥٨ ق م .) - مشرّع ايني شهير . بتأثير  
الجماهير الشعبية ، اجرى جملة من الاصلاحات موجّهة ضد الارستقراطية  
العشائرية . - ص ص ٣٠٨ ، ٣٢٢ ، ٣٢٧ ، ٣٢٠ - ٣٤٩ ، ٤١٦ .

شايفر كارل (١٨١٢ - ١٨٧٠) - قائد بارز في الحركة العمالية الالمانية  
والعالمية احد قادة عصبة العادلين عضو اللجنة المركزية لعصبة  
الشيوعيين . اشترك في ثورة ١٨٤٨ - ١٨٤٩ في ألمانيا . في ١٨٥٠ ،  
احد زعماء الكتلة الانمالية المخامرة اثناء انشقاق عصبة الشيوعيين .  
ابتداء من ١٨٥٦ ، تقرب من جديد من ماركس عضو المجلس  
العالم للاممية الاولى . - ص ص ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٥ ،  
١٦٧

شالتسبيرج انطوني ، كوت (١٦٧١ - ١٧١٣) - فيلسوف اخلاقي بريطاني .  
ممثّل بارز للتاليه السببي قائد سياسي . عضو في حزب الويغ . -  
ص ٦٢

شارل الاول (١٦٠٠ - ١٦٤٩) - ملك انجلترا (١٦٢٥ - ١٦٤٩)  
اعدم على المقصلة ابان الثورة البرجوازية الانجليزية في القرن السابع  
عشر . - ص ٥٩

شربان الكبير (حوالي ٧٤٢ - ٨١٤) - ملك الافرنج (٧٦٨ - ٨٠٠)  
وامبراطور (٨٠٠ - ٨١٤) . - ص ص ٣٨٤ - ٣٨٦

شتيبر ولهم (١٨١٨ - ١٨٨٢) - موظف بروسي في البوليس رئيس  
البوليس السياسي البروسي (١٨٥٠ - ١٨٦٠) . احد منظمي محاكمة  
كولونيا ضد اعضاء عصبة الشيوعيين والشاهد الرئيسي في هذه  
المحاكمة (١٨٥٢) . - ص ص ١٤٠ ، ١٥٥ .

شوس كارل (١٨٢٩ - ١٩٠٦) - ديموقراطي برجوازي صغير الماني  
اشترك في انتفاضة بادن-بالاينا في ١٨٤٩ . هاجر الى سويسرا . فيما  
بعد رحل دولة في الولايات المتحدة الاميركية . - ص ١٦٢

شومان غيورغ فريديريك (١٧٩٢ - ١٨٧٩) - عالم لغوي ومؤرخ الماني  
مؤلف عدد من الابحاث في تاريخ اليونان القديمة . - ص ص ٢٥٢ ،  
٢١٢

طومسون وليام ، ابتداء من ١٨٩٢ ، بارون كلفين (١٨٢٤ - ١٩٠٧) -  
فيزيائي بريطاني كبير ، عمل في ميدان الديناميك الحراري والكهركتيك  
والفيزياء الرياضية في ١٨٥٢ تقدم بفرضية مثالية تقول وبموت  
الارحاب الكونية الحراري . - ص ١٢

شارني جورج جوليان (١٨١٧ - ١٨٩٧) - قائد بارز في الحركة العمالية  
البريطانية احد زعماء الجناح اليساري في الحركة الشارتية ؛ محرر  
عدد من المطبوعات الدورية الشارتية كان على صلة مع ماركس  
وانجلس . - ص ١٥٠

شايوس ( القرن الثاني ) - حقوقي روماني . مصنف بارز للقوانين الرومانية . -  
ص ٢٤٤

شروس جورج (١٧٩٤ - ١٨٧١) - مؤرخ برجوازي انجليزي . مؤلف كتاب  
من عدة مجلدات اسمه «تاريخ اليونان» . - ص ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ،  
٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠

شريم يعقوب (١٧٨٥ - ١٨٦٢) - عالم لغوي ومؤرخ ثقافي الماني بارز  
صاحب جملة من البحوث في تاريخ اللغة الالمانية والحق والميثولوجيا  
والادب في المانيا . - ص ٢٥٩

شروودوس لتودي (غيورغي فلورنسي) (حوالي ٥٤٠ - حوالي ٥٩٤) -  
كاهن مسيحي . لاهوتي ومؤرخ ابتداء من ٥٧٢ اسقف مدينة  
تور(فرنسا) صاحب «تاريخ الافرنج» وكتاب «سبعة كتب من  
العجائب» . - ص ٢٦٤ .

فلاستون وليام يوارت (١٨٠٩-١٨٩٨) - رجل دولة بريطاني في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، احد زعماء الحرب الليبرالي (حزب الاحرار) - مستشار الخزانة (وزير المالية) (١٨٥٢-١٨٥٥ و ١٨٥٩-١٨٦٦) ورئيس وزارة (١٨٦٨-١٨٧٤ ، ١٨٨٠-١٨٨٥ ، ١٨٨٦ ، ١٨٩٢-١٨٩٤) ص - ٣١٤

فولته يوهان ولفغانغ (١٧٤٩-١٨٣٢) - كاتب ومفكر الماني كبير . ص ص ٥٢ ، ١٠٧ ، ٢١٥

فومبولدت الكسندر (١٧٦٩-١٨٥٩) - عالم الماني كبير بعثة في الطبيعة ورحالة . ص ٢٧

فيو فرانسوا بيير فيوم (١٧٨٧-١٨٧٤) - مؤرخ ورجل دولة برجوازي فرنسي من عام ١٨٤٠ حتى ١٨٤٣ اشرف عمليا على السياسة الداخلية والخارجية في فرنسا . ص ٢٧

فيغ امندوس (١٨٢٠-١٨٩٧) - صحفي الماني ديموقراطي برجوازي صغير . في ١٨٤٩ عضو الحكومة المؤقتة في بادن . بعد هزيمة الثورة هاجر من المانيا في السبعينيات انضم الى الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية . ص ١٦٤

فابيوس - عشيرة رومانية من الخواص (الاشراف patriciens) . ص ٢٤٤  
فار ( بوبلي كوينتيلي فار ) ( حوالى ٥٣ ق . م - ٩ م . ) - سياسي وقائد عسكري روماني . حاكم اقليم جرمانيا (٧-٩ م) . قتل في معركة غاب توتوبورغ اثناء انتفاضة القبائل الجرمانية . ص ٢٣٧

فاغفر ريخارد (١٨١٢-١٨٨٨) - موسيقار الماني كبير . ص ٢١٥  
فاكسموت ارلست ولهم غوتليب (١٧٨٤-١٨٦٦) - مؤرخ برجوازي الماني . مؤلف جملة من البحوث في الازمنة القديمة وفي تاريخ اوروبا . ص ٢٥٤

فايتس هورغ (١٨١٢-١٨٨٦) - مؤرخ برجوازي الماني كتب جملة من البحوث في تاريخ المانيا في القرون الوسطى . ص ٣٦٦ .

فايسون لوريمر (١٨٢٢-١٩٠٧) - مرسل بريطاني انونجرافي مختص  
في دراسة سكان لوستاليا الاصليين . مؤلف عدد من البحوث عن القبائل  
الاسترالية والفيجية . - ص ص ٢٢٣ ، ٢٢٦

فريديانده الخامس الكاثوليكي (١٤٥٢-١٥١٦) - ملك (١٤٧٤-١٥٠٤)  
وحاكم (١٥٠٧-١٥١٦) كاستيليا ، ملك ارغون باسم فريديانده  
الثاني (١٤٧٩-١٥١٦) . - ص ص ٢٣٦

فرونت - مدير البوليس في هانوفر . شاهد في محاكمة الشيوعيين في كولونيا  
( ١٨٥٢ ) . وضع مع شتيير كتاب والمؤامرات الشيوعية في القرن  
التاسع عشر . - ص ص ١٤٠ ، ١٥٥

فريديريك غليوم الثالث ( ١٧٧٠ - ١٨٤٠ ) - ملك بروسيا ( ١٧٩٧ -  
١٨٤٠ ) . - ص ص ٢٥ ، ١٢٢

فريديرات فريديانده ( ١٨١٠ - ١٨٧٦ ) - شاعر الماني رومانطقي في  
بداية نشاطه ، ثم شاعر ثوري . في ١٨٤٨ - ١٨٤٩ ، احد محرري  
"Neue Rheinische Zeitung" عضو عصبة الشيوعيين في  
الخمسينيات القطع من النضال الثوري . - ص ص ١٦٦

فريمان ادوارد اوهاستيس ( ١٨٢٢ - ١٨٩٢ ) - مؤرخ برجوازي  
بريطاني . ليبرالي . بروفسور في جامعة اوكسفورد . - ص ص ١٧٢

فستمارك ايفارد الكسندر ( ١٨٦٢ - ١٩٢٩ ) - عالم انونجرافي واجتماعي  
برجوازي فنلندي . - ص ص ٣٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٢٢

فلوكون فريديانده ( ١٨٠٠ - ١٨٦٦ ) - سياسي وكاتب اجتماعي فرنسي  
ديموقراطي برجوازي صغير احد محرري جريدة "Réforme".  
( والاصلاح ) في ١٨٤٨ عضو الحكومة الموقته . - ص ص ٢٨ ،

فوستنر وليام ادوارد (١٨١٨ - ١٨٨٦) - صناعي وسياسي بريطاني  
ليبيرالي. عضو البرلمان. وزير الشؤون الارلندية (١٨٨٠ - ١٨٨٢).  
طبق سياسة التنكيل القاسي بحركة التحرر الوطني. - ص ص ٦٩ ،  
٧١

فوديه شارل (١٧٧٢ - ١٨٢٧) - اشتراكي طوبوي فرنسي كبير . -  
ص ص ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٩١ ،  
٢٦٤ ، ٢٨٩ ، ٤١٨

فوستيل دي كولانج نوما ديني (١٨٣٠ - ١٨٨٩) - مؤرخ برجوازي  
فرنسي مؤلف كتاب والمشاعة المدنية القديمة . - ص ٢١١  
فوفت كارل (١٨١٧ - ١٨٩٥) - عالم طبيعيات الماني مادي مبتدل  
ديموقراطي برجوازي صغير اشتراك في ثورة ١٨٤٨ - ١٨٤٩ في  
المانيا في الخمسينيات والستينيات ، عميل سري ماجور للويس  
بونابرت في المهجر . - ص ص ٢١ ، ٢٢

فولف ولهم (١٨٠٩ - ١٨٦٤) - ثوري بروليتاري الماني ابتداء من  
آذار (مارس) ١٨٤٨ ، عضو اللجنة المركزية لمصبة الشيوعيين  
في ١٨٤٨ - ١٨٤٩ ، احد محرري "Neue Rheinische Zeitung" .  
نائب في الجمعية الوطنية في فرانكفورت . مهاجر في إنجلترا . صديق  
ورفيق ماركس وانجلس في النضال . - ص ص ١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٦٠ .  
فيكتوريا (١٨١٩ - ١٩٠١) - ملكة إنجلترا (١٨٣٧ - ١٩٠١) . -  
ص ٩٢

فولبيها ( القرن الاول ) - كاهنة وعرافة من قبيلة البروكتز الجرمانية . اشتركت  
بنشاط في الانتفاضة ضد السيادة الرومانية ( ٦٩ - ٧٠ او ٦٩ -  
٧١ ) . ص - ٢٦٢

فيينهي يعقوب (١٨٠٥ - ١٨٧١) - كاتب سياسي راديكالي الماني في  
١٨٤٨ - ١٨٤٩ ، نائب في الجمعية الوطنية في فرانكفورت . انتسب  
الى جناحها اليساري . فيما بعد ، ليبرالي . - ص ، ١٤٠ .

**قيصر** (غايي يولي قيصر) (حوالي ١٠٠ - ٤٤ ق م) - قائد عسكري ورجل دولة روماني شهير . - ص من ١٨٦ ، ٢٠١ ، ٢٢٠ ، ٢٩٢ ، ٣٥٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧١ ، ٣٨٢

**كوترايت ادموند** (١٧٤٣-١٨٢٢) - مخترع انجليزي شهير . - ص ٦٦  
**كاوليل توماس** (١٧٩٥ - ١٨٨١) - كاتب ومؤرخ وفيلسوف مثالي انجليزي .  
 روج لعبادة الابطال . انتقد البرجوازية البريطانية من مواقع الرومانطيقية الرجعية انضم الى حزب التوري . بعد ١٨٤٨ ، رجعي . - ص ٨٢ .  
**كالفن جان** (١٥٠٩ - ١٥٦٤) - احد ايدولوجيي الاصلاح ، مؤسس احد اتجاهات البروستانتية ، وهو اتجاه الكالفنية الذي كان يعبر عن مصالح البرجوازية في عصر التراكم البدائي للرأسمال . - ص ٥٨

**كلمهاوزن لودولف** (١٨٠٣ - ١٨٩٠) - مصري الماني احد زعماء البرجوازية الليبرالية الرينانية . في الفترة من آذار الى حزيران ١٨٤٨ ، وزير رئيس بروسيا . - ص ٢٥

**كلظ صمانويل** (١٧٢٤-١٨٠٤) - مؤسس الفلسفة الالمانية الكلاسيكية مثالي . - ص ص ٨٩ ، ١٠٠

**كلود وليام** (حوالي ١٦٥٦ - ١٧٢٥) - طبيب وفيلسوف مادي انجليزي . - ص ٤٩

**كلي جون وليام** (١٨١٤-١٨٧٦) - مؤلف بريطاني في المستعمرات مؤلف عدد من البحوث في تاريخ واثنوغرافيا الهند وكذلك في تاريخ الحروب الاستعمارية البريطانية في افغانستان والهند . - ص ٢٢٠

**كريفه غرمان** (١٨٢٠-١٨٥٠) - صحفي الماني ممثل والاشتراكية الصحيحة ، في النصف الثاني من العقد الخامس ، تراس جماعة والاشتراكيين الصحيحين ، الالمان في نيويورك . - ص ص ١٥١ - ١٥٢

**كلوديويس** - عشيرة رومانية من الخواص (الاشراف patriciens) . - ص ٢٢٧ .



كلهستن - سياسي ايثني ، اجري في سنوات ٥١٠ - ٥٠٧ ق . م . اصلاحات  
ترمي الى تصفية بقايا النظام المهانري والى اقامة ديموقراطية مالكي  
العبيد في اينا . - ص ٢٢١

كلين يوهان يعقوب ( ولد حوالى ١٨١٨ ) - طبيب في كولونيا . عضو عصبة  
الشيوعيين . احد المحاكمين في محاكمة الشيوعيين في كولونيا  
( ١٨٥٢ ) . - ص ص ١٦٦ ، ١٦٧

كولين ريتشارد ( ١٨٠٤ - ١٨٦٥ ) - صناعي بريطاني . سياسي برجوازي .  
احد زعماء حركة حرية التجارة ومؤسس عصبة مكافحة قوانين الحبوب .  
عضو البرلمان . - ص ٧١

كوشوت لايفوش ( لودفيغ ) ( ١٨٠٢ - ١٨٩٤ ) - زعيم حركة التحرر  
الوطني المجرية ترأس العناصر البرجوازية الديموقراطية في ثورة  
١٨٤٨ - ١٨٤٩ رئيس الحكومة الثورية المجرية بعد هزيمة  
الثورة ، هاجر من المجر . - ص ١٦٤

كوفاليفسكي مكسيم مكسيموفيتش ( ١٨٥١ - ١٩١٦ ) - عالم وسياسي  
روسي . ليبرالي برجوازي . مؤلف عدد من البحوث في تاريخ النظام  
المشاعي البدائي . - ص ص ٤٥ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ،  
٢٥١ ، ٢٥٧ ، ٢٦٦

كولانج دي - راجع فوستيل دي كولانج .

كولمان فيورغ - مخبر مري للحكومة النمساوية ادمى و«النبوّة» في  
سنوات العقد الخامس من القرن التاسع عشر ، روج بين الحرفيين الالمان  
من انصار ويتلينغ في سويسرا افكار والاشتراكية الصحيحة ، مستغلا  
التعابير والمصطلحات الدينية . - ص ١٥٢

كولومبس كريستوفوروس ( ١٤٥١ - ١٥٠٦ ) - ملاح بارز اكتشف  
امريكا . - ص ٢١

كولنز الطوني ( ١٦٧٦ - ١٧٢٩ ) - فيلسوف مادي انجليزي . - ص ٤٩ .

كونوف هنريخ ولهم كارل (١٨٦٢-١٩٢٦) - اشتراكي-  
ديموقراطي الماني مؤرخ عالم اجتماعي واثوغرافي في سنوات  
العقدين التاسع والعاشر من القرن التاسع عشر ، التحق بالماركسيين ؛  
فيما بعد ، محرف .- ص ٢٤٧

كوينتيليا - عشرة رومانية من الخواص ( الاشراف patriciens ) .-  
ص ٢٢٧

كينكل غوتفريد (١٨١٥ - ١٨٨٢) - شاعر وكاتب سياسي الماني  
ديموقراطي برجوازي صغير اشترك في انتفاضة بادن-بالاينا في  
١٨٤٩ احد زعماء المهاجرين من البرجوازية الصغيرة في لندن  
ناضل ضد ماركس وانجلس .- ص ١٦٤

لابلاس بيير سيمون (١٧٤٩ - ١٨٢٧) - فلكي ورياضي وفيزيائي فرنسي  
بارز طور بصورة مستقلة عن كانط وعلل ماديا فرضية نشوء  
النظام الشمسي من سديم غازي .- ص ص ٥١ ، ١٠١

لاسال فرديناند (١٨٢٥ - ١٨٦٤) - كاتب سياسي برجوازي صغير الماني.  
محام . في ١٨٤٨-١٨٤٩ اشترك في الحركة الديموقراطية في اقليم  
الراين. في مستهل الستينيات، التحق بالحركة العمالية. احد مؤسسي  
اتحاد العمال الالمان العام (١٨٦٢) دعم سياسة توحيد المانيا  
ومن فوق، بزعامة بروسيا . ارسى بداية الاتجاه الانتهازي في الحركة  
العملية الالمانية .- ص ٤١٦

لافلورج بول (١٨٤٢ - ١٩١١) - قائد بارز في الحركة العمالية العالمية  
داعية بارز للماركسية . عضو المجلس العام للاممية . الامين المراسل  
لاسبانيا (١٨٦٦-١٨٦٩) اشترك في انشاء فروع الاممية في  
فرنسا (١٨٦٩ - ١٨٧٠) واسبانيا والبرتغال (١٨٧١ - ١٨٧٢) .  
مندوب في مؤتمر لاهاي (١٨٧٢) احد مؤسسي حزب العمال في  
فرنسا . تلميذ ماركس وانجلس ورفيقهما في النضال .- ص ٤٤ .

لامارتين الفونس ( ١٧٩٠ - ١٨٦٩ ) - شاعر ومؤرخ وسياسي فرنسي  
في ١٨٤٨ ، وزير الخارجية والرئيس الفعلي للحكومة الموقتة . -  
ص ص ٢٩ ، ١٥٨

لانغه كريستيان كولراد لودفيخ ( ١٨٢٥ - ١٨٨٥ ) - عالم لغوي الماني  
مؤلف عدد من البحوث في تاريخ روما القديمة . - ص ٢٤٢

لوتر مارتن ( ١٤٨٢ - ١٥٤٦ ) - من رجال الاصلاح البارزين مؤسس  
البروتستانتية ( اللوترية ) في المانيا ايدولوجي البرجوازية  
الالمانية . - ص ص ٥٨ ، ٥٩

لوثر غيورغ ( ولد حوالي ١٨٢٤ ) - قائد في الحركة العمالية الالمانية  
والعالمية . مهنته نجار . عضو عصبة الشيوعيين . عضو المجلس العام  
للجمعية الاولى صديق ماركس وانجلس ورفيقهما في النضال . -  
ص ١٥٢

لوقيانوس ( حوالي ١٢٠ - حوالي ١٨٠ ) - كاتب يوناني قديم . ملحد . -  
ص ٢١٥

لوك جون ( ١٦٢٢ - ١٧٠٤ ) - فيلسوف ثنائي انجليزي بارز . حاسي . -  
ص ٩٧ ، ٤٩

لونغ ( اواخر القرن الثاني - اوائل القرن الثالث ) - كاتب يوناني قديم . -  
ص ٢٧١

لويس بونايرت - راجع نابليون الثالث

لويس فيليب ( ١٧٧٢ - ١٨٥٠ ) - دوق اورليان . ملك فرنسا ( ١٨٣٠ -  
١٨٤٨ ) . - ص ص ٦٠ ، ٦٨ ، ١٤١

لويس نابليون - راجع نابليون الثالث

ليبوك جون ( ١٨٢٤ - ١٩١٣ ) - بيولوجي دارويني بريطاني عالم اتولوجي  
واثري . مؤلف عدد من البحوث في تاريخ المجتمع البدائي . - ص ص  
١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ .

ليتام روبرت غوردون (١٨١٢ - ١٨٨٨) - عالم لفسوي واتنوغرافي  
بريطاني . - ص ١٨٢

ليتورنو شارل جان ماري (١٨٢١ - ١٩٠٢) - عالم اجتماعي واتنوغرافي  
برجوازي فرنسي . - ص ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٢

ليغوو رولان الكسندر اوغست (١٨٠٧ - ١٨٧٤) - كاتب سياسي فرنسي .  
من زعماء الديموقراطيين البرجوازيين الصغار محرر في جريدة  
"Réforme" نائب في الجمعية التأسيسية والجمعية التشريعية حيث  
ترأس حزب «الجبيل» . فيما بعد مهاجر . - ص ١٦٤

ليسنر فريدريك (١٨٢٥ - ١٩١٠) - قائد بارز في الحركة العمالية  
الالمانية والعالمية . عضو عصبة الشيوعيين . اشترك في ثورة ١٨٤٨ -  
١٨٤٩ . احد المحاكمين في محاكمة الشيوعيين في كولونيا (١٨٥٢) .  
ابتداء من ١٨٥٦ مهاجر في لندن ؛ عضو جمعية العمال الالمان  
التثقيفية الشيوعية في لندن ؛ عضو المجلس العام للاممية الاولى  
احد مؤسسي حزب العمال المستقل في انجلترا ؛ صديق ماركس  
وانجلس ورفيقهما في النضال . - ص ص ١٥٣ ، ١٦٦ ، ١٦٧

ليفيوس تيطس (٥٩ ق م - ١٧ م) - مؤرخ روماني مؤلف «تاريخ  
روما منذ تاسيس المدينة» . - ص ص ٣٤٠ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤

ليينه كارل (١٧٠٧ - ١٧٧٨) - عالم طبيعي اسوجي بارز . واضح نظام  
تصنيف العالم النباتي والحيواني . - ص ١٠٣

ليوتيراند (حوالي ٩٢٢ - حوالي ٩٧٢) - مؤرخ واسقف مؤلف كتاب  
«العقاب والثواب» . - ص ٣٧٩

مايولي فرييل (١٧٠٩ - ١٧٨٥) - عالم اجتماع فرنسي بارز ممثل  
الشيوعية السوائية الطوبوية . - ص ٨٠

مارتينيتي باسكوالماشتراكي ايطالي ترجم اعمال ماركس وانجلس الى  
الاطالية . - ص ١٧٥ .

ماركس جيني ، متحدرة من عائلة ويستفالن ( ١٨١٤ - ١٨٨١ ) - زوجة  
كارل ماركس ، صديقتة ومعاونته المخلصة . - ص ص ٢٦ ، ١٥٢

ماركس كارل ( ١٨١٨ - ١٨٨٣ ) . - ص ص ٢٥-٤١ ، ٤٢-٤٥ ، ١٠٦ ،  
١٠٩ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٣٥-١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ،  
١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦١-١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ،  
٢٠٤ ، ٢١٤ ، ٢٢٥ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ،  
٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣٩٠ ، ٣٩٩

ماريني جوزيه ( ١٨٠٥ - ١٨٧٢ ) - ثوري ايطالي . ديمقراطي برجوازي .  
احد زعماء حركة التحرر الوطني في ايطاليا في ١٨٤٩ ، رئيس  
الحكومة المؤقتة لجمهورية روما ؛ في ١٨٥٠ احد منظمي اللجنة  
المركزية للديموقراطية الاوروبية في لندن عند تاسيس الاممية  
الاولى ، حاول اخضاعها لتاثيره ، وهرقل تطور الحركة العمالية  
المستقلة في ايطاليا . - ص ص ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٦٤

ماك لينان جون فرغوسون ( ١٨٢٧ - ١٨٨١ ) - حقوقي ومؤرخ برجوازي  
اسكتلندي . مؤلف بحوث في تاريخ الزواج والعائلة . - ص ص ١٧٤ ،  
١٨٠-١٩١ ، ٢٠٣ ، ٢٣٠ ، ٢٤٩ ، ٢٨٥ ، ٣٥١

مانتل جيديون اولدجيرتون ( ١٧٩٠ - ١٨٥٢ ) - عالم انجليزي في  
الجيولوجيا والاحاث . حاول في مؤلفاته ان يوفق بين المعطيات العلمية  
وخرافات التوراة . - ص ٥٠

مانورث جون جيمس روبرت ( ١٨١٨ - ١٩٠٦ ) - رجل دولة انجليزي ؛ من  
حزب الثوري فيما بعد محافظ ؛ عضو البرلمان فضل غير مرة  
مناصب وزارية في الحكومات المحافظة . - ص ٧٢

ماين هنري سامنر ( ١٨٢٢ - ١٨٨٨ ) - حقوقي بريطاني . مؤلف عدد من  
الكتب . - ص ٢٧٥

ماتريخ كليمنس ، امير ( ١٧٧٣ - ١٨٥٩ ) - رجل دولة نمساوي رجس .

وزير الخارجية ( ١٨٠٩ - ١٨٢١ ) ومستشار ( ١٨٢١ - ١٨٤٨ ) ،  
 احد منظمي الحلف المقدس . - ص ١٢٢

مقتل كريستيان فريدريك ( ولد في ١٨١٢ ) - خياط الماني عضو عصبة  
 العادلين في ١٨٤٦ - ١٨٤٧ كان معتقلا في سجن بروسي بسبب  
 قضية العصبة . - ص ١٤٥

مودي دوايت ليمان ( ١٨٢٧ - ١٨٩٩ ) - قائد وواعظ في الكنيسة  
 البروتستانتية الامريكية . - ص ٦٨

مورغان لويس هنري ( ١٨١٨ - ١٨٨١ ) - عالم اميركي بارز مؤرخ في  
 ميدان المجتمع البدائي . مادي عفوي . - ص ص ١٧٠ - ١٧٤ ، ١٨٢ ،  
 ١٨٥ - ١٩٩ ، ٢٠٢ - ٢٠٧ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٩ ، ٢٥٦ ،  
 ٢٨١ - ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٩ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ،  
 ٣١٤ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٣١ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٥٦ ، ٣٦٥ ،  
 ٣٩٠ ، ٤١٨ ، ٤١٩

مورير غيورغ لودفيغ ( ١٧٩٠ - ١٨٧٢ ) - مؤرخ برجوازي الماني بارز .  
 درس النظام الاجتماعي في المانيا في الازمنة القديمة والقرون الوسطى . -  
 ص ص ٢٩٩ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦

موريللي ( القرن الثامن عشر ) - ممثل بارز للشيوعية السوانية الطوبوية في  
 فرنسا . - ص ٨٠ .

مول يوسف ( ١٨١٣ - ١٨٤٩ ) - قائد بارز في الحركة العمالية الالمانية  
 والعالمية احد قادة عصبة العادلين ، عضو اللجنة المركزية لعصبة  
 الشيوعيين اشترك في التفافسة بادن-بالاينا في ١٨٤٩ قتل في  
 معركة مورغه . - ص ص ١٤٢ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٦١

موليير جان باتيست ( واسمه الحقيقي بوكلين ) ( ١٦٢٢ - ١٦٧٣ ) -  
 مؤلف مسرحي فرنسي كبير . - ص ٤٠٣

مومزن تيودور ( ١٨١٧ - ١٩٠٣ ) - مؤرخ برجوازي الماني . مؤلف عدد

من البحوث في تاريخ روما القديمة . - ص ص ٣٠٧ ، ٣٢٩ ، ٣٤١ ،  
٣٤٤ ، ٣٤٦

**مونتزر توماس** (حوالي ١٤٩٠ - ١٥٢٥) - توري الماني كبير زعيم  
وايدولوجي معسكر الفلاحين والعامه في عهد الاصلاح وحرب الفلاحين  
في عام ١٥٢٥ . روج لافكار الشيوعية السوائية الطوبوية . - ص ص ٨٠ .  
**نابليون** ، الامير - راجع بونايرت نابليون جوزيف شارل بول .

**نابليون الاول** بونايرت (١٧٦٩ - ١٨٢١) - امبراطور فرنسا (١٨٠٤ -  
١٨١٤ و ١٨١٥) . - ص ص ٥١ ، ٨٥ ، ٩٢ ، ١٢٢ ، ٢٥٠ ،  
٢٨٥ ، ٢٥٨

**نابليون الثالث** (لويس نابليون بونايرت) (١٨٠٨ - ١٨٧٢) - ابن  
اخي نابليون الاول، رئيس الجمهورية الثانية (١٨٤٨ - ١٨٥١) ،  
امبراطور فرنسا (١٨٥٢ - ١٨٧٠) . - ص ص ٣٠ - ٣١ ، ٦٧

**نوتبونج بيتر** (١٨٢١ - ١٨٦٦) - غياط الماني عضو عصبة العمال في  
كولونيا. عضو عصبة الشيوعيين. احد المحاكمين في محاكمة الشيوعيين  
في كولونيا (١٨٥٢) . - ص ص ١٦٥ ، ١٦٦

**نياروخ** (حوالي ٣٦٠ - حوالي ٣١٢ ق م .) - قائد بحري مقدوني . وضع  
وصفا لرحلة الاسطول المقدوني من الهند الى بلاد ما بين النهرين  
(٣٦٠ - ٣٢٤ ق م .) . - ص ص ٢٤٧

**نيبور برتولد غيورغ** (١٧٧٦ - ١٨٢١) - مؤرخ برجوازي الماني مؤلف  
عدد من البحوث في تاريخ العالم القديم . - ص ص ٣٠٧ ، ٣١٠ ،  
٣٤٥ ، ٤٠٦

**نيديچنده يون** (١٨٥٤ - ١٩٢٨) - كاتب سياسي و مترجم روماني . اشتراكه  
ديموقراطي . ابتداء من التسمينيات ، انتهازي . - ص ص ١٧٥

**فيولن اسحق** (١٦٤٢ - ١٧٢٧) - فيزيائي بريطاني كبير . فلكي ورياضي .  
مؤسس الميكانيك الكلاسيكي . - ص ص ١٠٠ ، ١٠٢ .

- هاوتلي دافيد (١٧٠٥-١٧٥٧) - طبيب انجليزي فيلسوف مادي  
ص ٤٩
- هاورنغ هارو (١٧٩٨ - ١٨٧٠) - كاتب الماني . راديكالي برجوازي صغير .  
ابتداء من ١٨٢٨ عاش في المهجر (مع انقطاعات) في بلدان مختلفة .  
ص ١٥١
- هانزيمان دافيد (١٧٩٠ - ١٨٦٤) - راسمالي الماني كبير من زعماء  
البرجوازية الليبرالية الالمانية في آذار (مارس) - ايلول (سبتمبر)  
١٨٤٨ ، وزير المالية في بروسيا . - ص ٢٥
- هاويت جرمان ولهم (ولد حوالي ١٨٢١) - مستخدم تجاري الماني عضو  
عصبة الشيوعيين احد المعتقلين في قضية الشيوعيين في كولونيا  
ثناء التحقيق ، كشف ، بدافع الخيانة ، معلومات سرية الفرج عنه  
البوليس قبل المحاكمة ، ففر الى البرازيل . - ص ١٦٥
- هاويت الفرد وليام (١٨٢٠ - ١٩٠٨) - عالم بريطاني اتنوغرافي مختص في  
دراسة سكان اوستراليا الاصليين موظف استعماري في اوستراليا  
(١٨٦٢ - ١٩٠١) . مؤلف عدد من البحوث عن القبائل الاوسترالية . -  
ص ٢٢٦
- هرفغ فيورغ (١٨١٧ - ١٨٧٥) - شاعر الماني معروف ديموقراطي  
برجوازي صغير . - ص ١٥٨
- هنري الثامن (١٤٩١ - ١٥٤٧) - ملك انجلترا (١٥٠٩ - ١٥٤٧) . -  
ص ٦٠
- هنري السابع (١٤٥٧ - ١٥٠٩) - ملك انجلترا (١٤٨٥ - ١٥٠٩) . -  
ص ٦١
- هويس توماس (١٥٨٨ - ١٦٧٩) - فيلسوف بريطاني بارز . ممثل المادية  
الميكانيكية . - ص ٤٨ ، ٤٩ ، ٦٢
- هوشكه فيورغ فيليب ادولرد (١٨٠١ - ١٨٨٦) - حقوقي برجوازي الماني .  
مؤلف عدد من البحوث في الحق الروماني . - ص ٣٤٢



- هوميروس - شاعر ملحمي يوناني قديم نصف اسطوري ناظم والايادة  
 والاذيسة . - ص ص ٢٠٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٣١١-٣١٦
- هويسلر اندرياس (١٨٢٤-١٩٢١) - حقوقي برجوازي سويسري . مؤلف  
 عدد من البحوث في الحق السويسري والجرماني . - ص ٢٤٧
- هيراكليت (حوال ٥٤٠ - حوال ٤٨٠ ق م .) - فيلسوف بارز في اليونان  
 القديمة . من مؤسسي الديالكتيك . مادي عفوي . - ص ٩٦
- هيودوتس (حوال ٤٨٤ - ٤٢٥ ق م .) - مؤرخ يوناني قديم . - ص ص  
 ٢٢٠ ، ٢٥٢
- هيودوس (٧٣ - ٤ ق م .) - ملك اليهودية (٤٠ - ٤ ق م .) . - ص  
 ٣٤٦
- هيفل جيورج ولهم فريدريك (١٧٧٠-١٨٢١) - اكبر ممثلي الفلسفة  
 الكلاسيكية الالمانية . مثالي موضوعي . - ص ص ٥٢ ، ٧٨ ، ٨٩ ،  
 ٩٥ ، ١٠١-١٠٤ ، ٤٠٧
- واث جيمس (١٧٣٦-١٨١٩) - مخترع انجليزي بارز اخترع الآلة  
 البخارية متعددة الوظائف . - ص ٦٦
- وطسن جون فوربس (١٨٢٧-١٨٩٢) - طبيب بريطاني . موظف في  
 المستعمرات . من ١٨٥٨ الى ١٨٧٩ مدير متحف الهند في لندن .  
 مؤلف عدد من البحوث عن الهند . - ص ٢٢٠
- والفرام فون ايغنباخ (حوال ١١٧٠ - حوال ١٢٢٠) - شاعر ألماني . -  
 ص ٢٦٢
- ويتلينغ ولهم (١٨٠٨ - ١٨٧١) - قائد بارز في الحركة العمالية الالمانية  
 في مرحلة نشوئها . احد نظريي الشيوعية السوانية الطوبوية . - ص ص  
 ٩٤ ، ١٤٥-١٤٨ ، ١٥١ ، ١٦٢ ، ١٦٦
- ويستالان فرديناند فون (١٧٩٩ - ١٨٧٦) - رجل دولة بروسى . وزير

الداخلية ( ١٨٥٠ - ١٨٥٨ ) . رجعي . اخ كلال لجيني ماركس . -  
ص ٢٦

ويليغ اوغست ( ١٨١٠ - ١٨٧٨ ) - ضابط بروسي. عضو عصبة الشيوعيين.  
اشترك في انتفاضة بادن-بالاتينا في عام ١٨٤٩ أحد زعماء الكتلة  
الانمالية المغامرة التي انفصلت عن عصبة الشيوعيين في ١٨٥٠ ؛ في  
١٨٥٢ هاجر الى الولايات المتحدة الامركية ؛ وهناك اشترك في الحرب  
الاهلية الى جانب الشماليين . - ص ص ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٧

ياروسلاف الحكيم ( ٩٧٨ - ١٠٥٤ ) - امير كييف الكبير ( ١٠١٩ -  
١٠٥٤ ) . - ص ٢٤٦

ياكوبي ابراهام ( ١٨٢٠ - ١٩١٩ ) - طبيب الماني. عضو عصبة الشيوعيين.  
احد المحاكمين في محاكمة الشيوعيين في كولونيا ( ١٨٥٢ ) في  
١٨٥٢ هاجر الى إنجلترا ، ثم الى الولايات المتحدة الامركية حيث  
اشترك في ترويج الفكر الماركسية في الصحف . اشترك في الحرب الاهلية  
الى جانب الشماليين . يروفور ورئيس عدد من المؤسسات الطبية  
مؤلف عدد من البحوث في ميدان الطب . - ص ص ١٦٦ ، ١٦٧

يوليوس - مشيرة رومانية من الخواص ( الاشراف patriciens ) . - ص  
٣٥٧

يوهان ( الاسم الادبي المستعار فيلايث ) ( ١٨٠١ - ١٨٧٢ ) - ملك  
ماكسونيا ( ١٨٥٤ - ١٨٧٢ ) . ترجم دانتة . - ص ٢٦ .

## الشخصيات الادبية والاسطورية

ابراهيم - حسب التوراة ، بطيرك اليهود القدياء . - ص ٢٢٩  
ابولون - في الميثولوجيا اليونانية القديمة ، اله الشمس والنور ، وحمي  
الفنون . - ص ١٧٨

ايننا بالادا - احدى كبار الالهة في الميثولوجيا اليونانية القديمة ؛ الهة الحرب  
ومثال الحكمة كانت تعتبر حامية دولة ايننا . - ص ١٧٨

اخيل - في الميثولوجيا الاغريقية ، اشجع الابطال اليونانيين الذين حاصروا  
طروادة احد الابطال الرئيسيين في (الاياذة) من تاليف هوميروس .  
تقول الاسطورة ان اخيل اصيب بجرح مميت في عقبه ، المكان الوحيد  
الذي تمكن اصابته من جسده . - ص ص ٢٥١ ، ٢١٦

اغهمنون - في الميثولوجيا اليونانية القديمة ، ملك اسطوري في ارغوس ؛  
احد ابطال (الاياذة) ؛ قائد القوات اليونانية في حرب طروادة . بطل  
ماساة بالاسم نفسه لاسخيلوس . - ص ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، ٢٥١ ،  
٣١١ ، ٣١٥ ، ٣١٦

الفروديت - في الميثولوجيا اليونانية القديمة ، الهة الحب والجمال  
٢٥٧

الارغونوط - في الميثولوجيا اليونانية القديمة ، ابطال مضوا على متن اله  
وارغو ، الى كولخيدس سعياً وراء (الصوف الذهبي) الذي كان يحده  
التنين . - ص ٣٦١

الايرونيات - في الميثولوجيا الاغريقية ، الهات النار ؛ بطلات ماساتي اسخيلوس  
والساقيات و (الايرونيات) (القسمين الثاني والثالث من ثلاثية  
اوريستية) . - ص ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

الثيه - في الميثولوجيا اليونانية القديمة ، ابنة الملك تستيوس ، ووالدة  
ميلياغر . - ص ٢٦١

الثايتيس - اسم يوناني قديم لانايد ، الهة المياه والخصوبة في الميثولوجيا  
الايرامية القديمة انتشرت عبادة انايد انتشاراً واسعاً في ارمينيا  
حيث امتزجت سيماؤها بسماءات ربوات الخصوبة في آسيا الصغرى . -  
ص ص ٢٣٤ ، ٢٥٧

لوتا التروجية - بطلة ملحمة شعبية جرمانية قديمة ، وكذلك بطلة القصيدة  
الالمانية من القرن الثالث عشر «غودرون» . - ص ٢٧٢

لوذيس - بطل ملحمتي هومروس «الاياذة» و «الاوذيسة» ، ملك اسطوري  
لجزيرة ايتاك ، احد قادة القوالت الاغريقية ابان حرب طروادة، تميز  
بالشجاعة والدهاء والفضاحة . - ص ص ٣١٥ ، ٣١٦

لوريس - في الميثولوجيا الاغريقية ، ابن اعمنون وكليتمسترا ، انتقم من  
امه ومن ايفيست لقتلها والده ؛ بطل ماساتي اسخيلوس «الساليات»  
و «الايرونيات» ( القسمين الثاني والثالث من ثلاثية «اوريستية» ) . -  
ص ١٧٨

لوتصل - بطل ملحمة شعبية جرمانية قديمة وكذلك بطل القصيدة الالمانية  
القروسطية «الغنية نيبيلونج» . ملك الهون . - ص ٢٧٢

ليتهوكال - في الميثولوجيا الاغريقية، احد ابناء اديب، ملك ثيبة ؛ في الصراع  
من اجل السلطة ، قتل اخاه بولينيك ، وقتل هو نفسه في الصراع ؛  
على هذه الاسطورة ، ارتكزت مأساة اسخيلوس «سبعة ضد ثيبة» . -  
ص ٣١٢

ليفيست او ليفيستف - في الميثولوجيا الاغريقية ، صديق كليتمسترا ؛ شريك  
في اغتيال اعمنون ؛ بطل مأساة اسخيلوس «العمنون» و «الساليات»  
( القسمين الاول والثاني من ثلاثية «اوريستية» ) . - ص ١٧٧

ليفهيه - احد ابطال ملحمة هومروس «الاوذيسة» ؛ راهي خنازير اوذيس ،  
ملك جزيرة ايتاك ؛ ظل امينا لسيدة خلال كل زمن اسفاره الطويلة . -  
ص ٣١٦ .

بروميهته - في الميثولوجيا الاغريقية ، احد العماقة . اختطف النار من الالهة وحملها الى البشر . عقابا له ، سُمِّرَ على صخرة حيث كان سر يفتات من كبده . - ص ١١٨

برونهيلدا - بطلة ملحمة شعبية جرمانية قديمة ، وكذلك بطلة القصيدة الالمانية من القرون الوسطى واغنية نيبيلونج ، ملكة ايسلندية ، ثم زوجة هولتر ملك البورغونديين . - ص ٢٧٢

بورهاد - في الميثولوجيا اليونانية القديمة ، ابناء اله الريح الشمالية بوري واوريتيا ، ابنة ملك اثينا . - ص ٣٦١

بولينيك - في الميثولوجيا الاغريقية ، احد اولاد اديب ملك ثيبة ؛ في الصراع من اجل السلطة ، قتل اخاه ايتيوكل وقتل هو نفسه في هذا الصراع . على هذه الاسطورة ، ارتكزت ماساة اسخيلوس وسبعة ضد ثيبة . - ص ٢١٢

بستيموس - في الميثولوجيا الاغريقية ، ملك بليفرون الاسطوري في ايتوليا . - ص ٣٦١

بوكو - بطل ملحمة هوميروس (الايادة) ؛ حارب في طروادة . - ص ٢٥١ .  
تيروس - في الميثولوجيا الاغريقية ، واحد من اكبر الابطال ، الملك الاسطوري لاثينا ؛ نسب اليه تاسيس دولة اثينا . - ص ٣٢٠ .

تيلامون - احد ابطال الميثولوجيا الاغريقية . اشترك في الزحف على طروادة . - ص ٢٥١

تيلياماك - بطل ملحمة هوميروس (الاوذيسة) ؛ ابن لوديس ، ملك جزيرة ايتاك . - ص ٢٥١

جورج داندن - الشخص الرئيسي في كوميديا مولير وجورج داندن او الزوج المخدوع ، نموذج الفلاح الضفي الساذج الذي يتزوج من اريستقراطية حل بها الخراب وتكذب عليه وتخدعه بمهارة . - ص ٤٠٢ .

دلفيس - بطل رواية لونج الاغريقية ( القرن الثاني - القرن الثالث ) ودلفيس وكلويا . نموذج الراعي العاشق . - ص ٢٧١ .

ديمودوكس - احد ابطال ملحمة هوميروس «الاذيسة» ؛ مفن اعنى في قصر  
الكنيوي ؛ ملك «الفياك» الاسطوري . - ص ٢١٦  
رومولوس - مؤسس روما القديمة الاسطوري واول ملوكها . - ص ٢٢٨

زفس - الاله الاكبر في الميثولوجيا اليونانية القديمة . - ص ٢١٦

زيغفريد - احد الابطال الرئيسيين في ملحمة شعبية جرمانية قديمة ، وكذلك  
في القصيدة الالمانية من القرون الوسطى «اغنية نيبيلونج» . - ص  
٢٧٢

زيغفريد من مورلند - بطل ملحمة شعبية جرمانية قديمة ، وكذلك بطل  
القصيدة الالمانية من القرن الثالث عشر «غودرون» احد الخطيبين  
الذين رفضتهم غودرون . - ص ٢٧٢

زيغيبانت الأارلندي - بطل ملحمة شعبية جرمانية قديمة ، وكذلك بطل القصيدة  
الالمانية من القرن الثالث عشر «غودرون» ؛ ملك الأارلنديين . - ص  
٢٧٢

سيف - في الميثولوجيا السكالدينافية القديمة ، زوجة اله الرعد تور ؛ احدى  
بطلات الملحمة الشعبية السكالدينافية القديمة «ايدا الكبرى» . -  
ص ٢٥٩

هاننهييد - في الميثولوجيا اليونانية القديمة ، فتى جميل خطفه الالهة ونقلوه  
الى الاولمب حيث اصبح حبيب الاله زفس وساقه . - ص ٢٥٥

غودرون (كودرون) - البطلة الرئيسية في ملحمة شعبية جرمانية قديمة ،  
وكذلك في القصيدة الالمانية من القرن الثالث عشر «غودرون» ، ابنة  
هيتل ، ملك الهميغيلينغ وهيلدا الارلندية ، وخطيبة هرفيغ الزيلندي ؛  
خطفها هارتموت الأورمني (النورمندي) ، فظلت اسيرة عنده مدة  
١٢ سنة ، رافضة ان تتزوجه . حررها هرفيغ ، واصبحت زوجته . -  
ص ٢٧٢

هوتتر - بطل ملحمة شعبية جرمانية قديمة ، وكذلك بطل القصيدة الالمانية  
من القرون الوسطى «اغنية نيبيلونج» ، ملك البورغولدينين . - ص ٢٧٢

فريا - في الميثولوجيا السكالدينافية القديمة ، الهة الخصب والحب ؛ بطلة  
الملحمة الشعبية السكالدينافية القديمة «ايدا الكبرى» ؛ زوجة اخيها،  
الاله فريير . - ص ٢١٥

فينيه - في الميثولوجيا الاغريقية ، نبي اعمى . بتحريض من زوجته الثانية،  
مدب اولاده من زوجته الاولى كليوباتره ، ابنة يوري ، فعاقبته  
الالهة . - ص ٣٦١

كاستورا - في الميثولوجيا اليونانية القديمة ، ابنة ملك طروادة بريام ؛  
مرافة بعد النصر على طروادة ، ساقها اغمنون كبعدة احدى  
بطلات مسرحية اسخيلوس «اغمنون» . - ص ٢٥١

كروميلا - بطلة ملحمة شعبية جرمانية قديمة ، وكذلك بطلة القصيدة  
القروسطية الالمانية «اغنية نيبيلونج» ؛ اخت ملك البورغولد فولتر ؛  
خطيبة ثم زوجة زيففريد ؛ بعد موته ، زوجة ملك الهون ايتسل . - ص  
٢٧٣

كلويا - بطلة رواية لونج الاغريقية ( القرن الثاني - القرن الثالث ) «دفتيس  
وكلويا» ؛ نموذج الراعية المحبة . - ص ٢٧١

كلهيمسترا - في الميثولوجيا الاغريقية ، زوجة اغمنون ؛ قتلت زوجها بعد  
عودته من حرب طروادة ؛ بطلة مأساة اسخيلوس «اوربستية» . -  
ص ١٧٧ ، ١٧٨

كليوباتره - في الميثولوجيا الاغريقية ، ابنة يوري ، اله الريح الشمالية . -  
ص ٣٦١

لوكي - في الميثولوجيا السكالدينافية القديمة ، فيطان شرير، واله النار ،  
وبطل الملحمة الشعبية السكالدينافية القديمة «ايدا الكبرى» . -  
ص ٢١٥

موليوس - احدى شخصيات ملحمة هوميروس «الاوديسة» ، مناد حربي . -  
ص ٣١٦ .

موسى - حسب التوراة، نبي ومشرع، حرر اليهود القداماء من الاسر المصري  
وسن لهم القوانين .- ص ص ١٧٥ ، ٢٢٩

ميفيستو - احد الاشخاص الرئيسيين في مأساة غوته وفاوست .- ص  
٢١٥

ميلياغر - في الميثولوجيا الاغريقية ، ابن اينه ، الملك الاسطوري لمدينة  
كاليدون والديه التي قتلت اخوة امها .- ص ٢٦١

ميليتا - الاسم الاغريقي لايشتار (عشترت) الهة الحب والخصب في  
الميثولوجيا البابلية .- ص ٢٢٤

نسطور - في الميثولوجيا الاغريقية ، اعقل الابطال الاغريق الذين اشتركوا  
في حرب طروادة واكرمهم سنا .- ص ٢١١

نيوردو - في الميثولوجيا السكندنافية القديمة ، اله الخصب ، وبطل الملحمة  
الشعبية السكندنافية القديمة وايدا الكبرى .- ص ٢١٥

هاووبراند - احد ابطال الملحمة البطولية الجرمانية القديمة ونشيد  
هيلديراند ؛ ابن البطل الرئيسي في هذه الملحمة ، هيلديراند .-  
ص ٢٥٩

هاولوت - بطل ملحمة شعبية جرمانية قديمة ، وكذلك بطل القصيدة  
الالمانية من القرن الثالث عشر وغودرون ، ابن ملك اورمني  
(نورمندي) ؛ احد خطيبي غودرون المعروفين .- ص ٢٧٢

هرفيخ - بطل ملحمة شعبية جرمانية قديمة ، وكذلك بطل الملحمة الالمانية  
من القرن الثالث عشر وغودرون ؛ ملك زيلندي ؛ خطيب لم زوج  
غودرون .- ص ٢٧٢

هرقل - بطل واسع الشهرة في الاساطير الاغريقية القديمة ، معروف بقوته  
الخارقة ومآثره البطولية .- ص ٢٦١

هيتل - بطل ملحمة شعبية جرمانية قديمة ، وكذلك بطل القصيدة الالمانية  
من القرن الثالث عشر وغودرون ؛ ملك الهيفلينغ .- ص ٢٧٢ .



هيفايستوس - في الميثولوجيا اليونانية القديمة ، اله النار وحامي حرفه  
الحدادة . - ص ١١٨

هيكاليتة - في الميثولوجيا اليونانية القديمة ، الهة نور القمر ، لها ثلاثة رؤوس  
وثلاثة اجسام ، سلطنة غيلان واشباح مملكة الموتى تحت الارض ،  
وحامية الشر والسحر . - ص ٣١١

هيلدا - بطلة ملحمة شعبية جرمانية قديمة ؛ وكذلك بطلة القصيدة الالمانية  
من القرن الثالث عشر و«غودرون» ؛ ابنة ملك الارلنديين ؛ صارت  
زوجة هيتل ، ملك الهيلينغ . - ص ٢٧٣

هيلديبراند - البطل الرئيسي في الملحمة الشعبية الجرمانية القديمة  
ونشيد هيلديبراند . - ص ٣٥٩

## محتويات

٥	انجلس دور العمل في تحول القرد الى انسان
٢٥	انجلس كارل ماركس
٤٢	انجلس الاشتراكية الطوبوية والاشتراكية العلمية
٤٢	مقدمة للطبعة الانجليزية عام ١٨٩٢
٧٧	الاشتراكية الطوبوية والاشتراكية العلمية
٧٧	١
٩٥	٢
١٠٦	٣
١٣٥	انجلس كلمة على قبر ماركس
١٣٩	انجلس . حول تاريخ عصبة الشيوعيين
١٧٠	انجلس اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة
١٧٠	مقدمة الطبعة الاول عام ١٨٨٤
	مقدمة الطبعة الالمانية الرابعة عام ١٨٩١ مساهمة في
١٧٤	تاريخ العائلة البدائية ( باهوفن ، مالفيليان ، مورغان )
	اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة لمناسبة اباح
١٩٣	لويس هنرى مورغان .
١٩٣	١ اطوار الحضارة ما قبل التاريخ
١٩٤	١- الوحشية
١٩٦	٢- البربرية
٢٠٢	٢ . العائلة . . . . .

٢٨٢	عشرة الايروكوا	٣
٣٠٤	العشرة اليونانية	٤
٣١٩	ولادة الدولة الاينية	٥
٣٣٥	العشرة والدولة في روما	٦
٣٥١	العشيرة عند السلت والجرمان	٧
٣٧٣	تكوّن الدولة عند الجرمان	٨
٣٨٩	البربرية والحضارة	٩
٤٢١	ملاحظات	
٤٥٤	دليل الاسماء	
٤٨٣	الشخصيات الادبية والاسطورية	

## إلى القراء

إن دار التقدم تكون شاكرة لكم إذا تفضلتم  
وأبدىتم لها ملاحظاتكم حول ترجمة الكتاب ،  
وفسلك عرضة ، وطباعته ، وأمرتكم لها من  
رغباتكم

العنوان زوبوفسكي بولفار ، ٢١  
موسكو - الاتحاد السوفيتي

Подписано к печати 16/1-74. Формат 84×108<sup>1</sup>/<sub>16</sub>.  
Вум. л. 7<sup>1</sup>/<sub>16</sub>. Печ. л. 25,88. Уч.-изд. л. 30,4. Изд. № 16387.  
Заказ 1229. Цена 1 р. 26 к. Тираж 15 000.

Издательство «Прогресс» Государственного комитета  
Совета Министров СССР по делам издательства,  
полиграфии и книжной торговли  
Москва Г-21, Зубовский бульвар, 21

Ордена Трудового Красного Знамени Калининский  
полиграфический комбинат Союзполиграфпрома при  
Государственном комитете Совета Министров СССР  
по делам издательства, полиграфии и книжной торговли.  
г. Калинин, пр. Ленина, 5.



